
الأسس والمنطلقات

اسم الكتاب: الأسس والمنطلقات، في تحليل وتفصيل غوامض فقه التحولات، وما يرتبط به من سنن المواقف والدلالات، المستنبطة من علامات الساعة وأحاديثها البينات

اسم المؤلف: أبوبكر العدني ابن علي بن أبي بكر المشهور

رقم الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

الناشر

مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث ٢٥١٠٨٩ ٩٦٧٢+

facebook/centreibdaa

الجمهورية اليمنية - عدن ص.ب ٧٠٠١٤

www.goraba.com

الموزعون

اليمن مكتبة تريم الحديثة - حضرموت - تريم - شارع عيديد الرئيسي

٠٠٩٦٧ ٥ ٤١٧١٣٠ tmbs417130@hotmail.com

الاردن دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية

هاتف ٠٠٩٦٢٦ ٤٦٤٦١٩٩ فاكس ٠٠٩٦٢٦ ٤٦٤٦١٨٨

ص. ب. ١٨٣٤٧٩ عمان ١١١١٨ الاردن info@daralfath.com

ص الامارات دار الفقيه للنشر والتوزيع-أبوظبي الإمارات العربية المتحدة،

هاتف : ٠٠٩٧١٢٦٦٧٨٩٢٠ فاكس: ٠٠٩٧١٢٦٦٧٨٩٢١

للملاحظات الفنية / العلمية / عزو النصوص ahmadalkaff@gmail.com



الأسس والمنطلقات

في

تحليل وتفصيل غوامض فقه التحولات
وما يرتبط به من سنن المواقف والدلالات
المستنبطة من علامات الساعة وأحاديثها البينات

الجزء الأول

بقلم خادم السلف

أبي بكر العدني ابن علي المشهور

عفا الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْمَطْلَعُ القُرْآني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَۗ يَوۡمَ يَأۡتِي بَعۡضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

ٱلْمَطْلَعُ ٱلنَّبَوِيُّ

عن عبـدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العـاصِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قال : نادى مُنادي رسـولِ اللـهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِوَسَلَّمَ «الصّلاةَ جامِعـةً» ؛ فاجتمعنا إلى رسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَآلِهِوَسَلَّمَ فقال :

« إنّه لم يكُن نبيٌّ قبلي إلا حقّاً عليه أن يدُلَّ أُمَّته على خيرِ ما يعلمُه لهم ، ويُنذِرَهم شَرَّ ما يعلمُه لهم ، وإنّ أُمَّتَكم هذه جُعِـلَ عافِيتُها في أوَّلِها ، وسـيُصِيبُ آخرَهـا بلاءٌ ، وأُمورٌ تُنكِرونهـا ، وتجيءُ الفِتنـةُ فيُرَقِّقُ بعضُهـا بعضاً ، وتجيءُ الفِتنةُ فيقولُ المؤمنُ : مُهْلِكَتِي ثُم تَنْكَشِفُ وتجيءُ الفِتنَةُ ، فيقُـولُ المُؤمِـنُ : هَـذه هَذه ، فمَـن أحَـبَّ أنْ يُزَحزَحَ عن النّـارِ ويدخُلَ الجنَّةَ ، فلْتأتِـهِ مَنِيَّتُهُ وهو يُؤمِـنُ باللهِ واليومِ الآخِرِ...» .

رواه مسلم (١٨٤٤)

ٱلْمَطْلَعُ ٱلأَبَوِيُّ

«لا تخلـو الأرضُ مِـن قائِمٍ للّهِ بِحُجَّةٍ إما ظاهرٍ مشـهورٍ أو خائِفٍ مغمورٍ لِئلّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللهِ وبيِّناتُهُ ، وكم وأين أولئك؟ أُولَئِـكَ الأقَلُّونَ عَدَداً الأَعْظَمُونَ عِنْـدَ اللَّهِ قَدْرَاً، بِهِـمْ يَدْفَـعُ اللّهُ عَـنْ حُجَجِـهِ حَتّـى يُؤَدُّوهَا إِلـى نُظَرائِهِمْ ويَزْرَعُوهَا في قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ»

الإمامُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

أخرجه أبونعيم في «الحلية» (١:-٧٩) في وصيته رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للكميل بن زياد (٢٤٣) وأخرجه الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (١٥: ٤١٧) في ترجمة الكميل ، وابن عساكر في «تاريخ بغداد» (٥٠: ٢٥٥) ، وللحافظ ابن القيم رحمه الله شرح مفيد على هذه الوصية في كتابه «مفتاح دار السعادة» (١:١٢٣-١٦٣)

شَاهِدُ ٱلحال

عن حُذيفَةَ بنِ اليمانِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: «واللهِ ما أدري أَنَسِــيَ أصحابي أم تناسَــوا، واللهِ ما تركَ رسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ من قائِدِ فِتنــةٍ إلى أن تنقضِيَ الدُّنيــا يبلُغُ مَن معه ثلاثَ مِئَةٍ فصاعِداً إلا قد سمَّاهُ باسمِهِ واسمِ أبيهِ واسمِ قبيلَتِهِ»

رواه أبو داود (٤٢٤٣)، د. همام العمري
«موسوعة أحاديث الفتن» و«أشراط الساعة» ص٣٤٣

مُلَاحَظَةٌ

لا أدَّعي العِلمَ والاجتِهَادَ ، ولا حتّىٰ أنْ أوصَفَ بِفَقيهٍ أو مُتَفَقِّهٍ، أنا طالبُ عِلمٍ ، وخلالَ طَلَبي ودِرَاستي المتواصِلةِ جمعتُ ما تهيّأَ لي صوابُهُ مُستَدِلّاً حسَبَ فَهمي بما هو مُثبَتٌ في بحثي هذا.

ولا شكَّ أنّ كثيرًا مِن مواضيعِ البحثِ مُثيرٌ للنُّفوسِ-أو بعضِها- ولكنّها في نفسِ الوقتِ عاملٌ مساعِدٌ لآخرينَ كي يخرُجوا من الحَيرَةِ الضّاربةِ علىٰ العُقولِ والأذهانِ.

فعسىٰ أن أكونَ-بإذنِ ٱللهِ- مُوَفَّقًا فيما أشرتُ إليهِ وبحثتُ شأنَهُ، وأستغفرُ ٱللهَ من سَورَةِ نَفسي أو أن أخالِفَ منهَجَ العُلَماءِ الأثباتِ الذين خدموا الشريعةَ ونشروها بين الشُّعوبِ .

وٱللهُ مِن وراءِ القصدِ..

الإهْدَاءُ

أُهـدي إلى أُمَّتِنا المرحومةْ	مُنطَلَقاتٍ بالهُدى مزمومةْ
مِمَّا أتى في قـولِ ربِّـي وكذا	مِـن سُـنَّـةٍ واضـحـةٍ مفهومةْ
تُحيِي الرُّبوعَ والعُقولَ أَمَلاً	بِما جـرى في أُمَّـــةٍ مظلومةْ
خُذها وحَقِّق ما تـراهُ واصطَبِر	في البحثِ تلقى الوَصفةَ المعدومةْ
رُكـنٌ جديرٌ درسُــهُ كرابعِ الـ	أركــانِ يُبدي شامةً مكتومةْ
كُبرَى ووُسطَى ثُمَّ صُغرَى شأنُها	تُنبيكَ عن سلبيَّةٍ مشؤومةْ
وعن بِـشـاراتٍ تُعيدُ للوَرى	خيراً تليداً يُصلِحُ المنظومةْ
يُـزيـلُ إشـكـالَ الـزَّمـانِ كُلَّهُ	فينا وفي أهل الرُّؤى المسمومةْ
مِـمَّـن يَـظُـنُّ أنَّـــه مُـجـاهِـدٌ	في اللهِ يُحيي السُّنَّةَ المرقومةْ
لكِـنَّـــهُ مُسـتـغـفَـلٌ بِـعِـلـمِـهِ	مُسَــيَّــسٌ يَصــعُــبُ أن تلومهْ
أو مذهبيٌّ عَـصَـبِـيٌّ جامِدٌ	مُــشـتـغِـلٌ بفُـرقـةٍ محمومةْ
أو غـيـرُهُ مـن أُمَّـــةٍ تفرَّقَت	فـي شأنِها كأنَّها مهزومةْ
تاهت وضاعت في اختلافٍ هاتِكٍ	قـد أجَّـجَـتـهُ فِـرقـةٌ مدعومةْ
يا قارئي مهما تكُن مُستغرِقاً	في لُجَّةِ الحضارَةِ المزعومةْ
فَلتستَفِق وانظُر فهذا خَبَرٌ	نقلتُه عـن حُـجَّـةٍ معصومةْ
تدعو الجميعَ عـودةً لما أتى	في رابعِ الأركـانِ مِن معلومةْ

أصــولُها تفـصــيـلُها نَتَاجُــها		بين الشُّعوبِ أو ذُرَى الحكومةْ
مَن رام فيها مَدخَلاً مُحقَّقاً		فليقرأِ الأســاسَ بالدّيمومةْ
هــديَّــةٌ مِــنّــي لِـكُــلِّ حاكمٍ		وعــالــمٍ مُـحـقِّـقٍ عـلـومَـهْ
وطــالــبٍ وبــاحــثٍ ودارسٍ		أو حائرٍ في الحالةِ المأزومةْ
لا أدَّعــي فيها اجتِهاداً مثلَما		قد يدَّعِي ذو نزعةٍ موسومةْ
وإنَّما مِن نَصِّ طٰهَ المُصطفَى		بـحُـجَّـةٍ بَـيِّـنـةٍ محسومةْ
أرجــو بها تكامُلاً مُـؤَصَّـلاً		كما أتى عن طَيِّبِ الأَرُومــةْ
سألتُ ربِّــي أن تكونَ حُجَّةً		تنفَعُنا في الفِتنَةِ المضرومةْ
وحُسنَ عـونٍ يوم نلقىٰ ربَّنا		فـي عــالــمٍ أخـبــارُهُ مكتومةْ
وأن يُزيلَ كُـلَّ جهلٍ مُفسِدٍ		أودى بــنــا لحــالــةٍ مذمومةْ
ويجمعَ الإســلامَ في أتباعهِ		على الهدى والملَّةِ المزمومةْ
والختمُ بالمختارِ طٰه المُصطفىٰ		مَـن جاءَنا بشِرعةٍ مخدومةْ
والآلِ والأصـحـابِ ثُــمّ تابعٍ		على الطّريقِ واضِحاً مفهومَةْ

المُؤلِّف

ٱلْمُقَدِّمَةُ

تعريف فقه التحولات

اعتنى الإسـلامُ بِفقهِ المراحِلِ وبتاريخِ الأُمَمِ والشُّـعوبِ ، شـأنُهُ شأنُ الرِّسالاتِ السَّـماوِيَّةِ السّـابقةِ ، بل صار القُرآنُ العظيمُ الذي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ معَ ما لَهُ مِن الوظائِفِ الشَّـرعِيَّةِ والتَّكليفاتِ التَّعبُّدِيَّةِ وثيقةً شرعيّةً لِعَرضِ وحِفظِ ما سـارت عليه الأُمَمُ والشُّـعوبُ من الخَيرِ أو الشَّـرِّ ، وهذا ما نحن بِصَدَدِ الاهتِمامِ به وإعادَةِ دِراسـتِه والنَّظَرِ الواعي في مكنوناتِ عِلمِهِ الشَّرعِيِّ المُثبَتِ في كتـابِ اللهِ وسُـنَّةِ نبيِّهِ ﷺ . وذلك مِن خِلالِ الرَّبـطِ العِلمِيِّ بين (الدِّيانةِ والتّاريخِ)

التعريف

سـواءً فيما يتعلَّقُ بالتاريخِ الإنسـانيِّ السابقِ أو التاريخِ الإسلاميِّ اللاحِقِ ، وهو ما سُـمِّيَ في هذهِ الدِّراسـةِ (بِفقهِ التَّحوُّلاتِ) والعِلمِ (بعلاماتِ السّـاعةِ)، ولأنَّ هذا المُسـمَّى جديدٌ في تناوُلِـهِ بهذه القاعِدةِ فإنَّـا نرجو من المُطَّلِعيـن على مواضيعِهِ وأقسامِهِ حُسنَ النَّظَرِ وكمالَ التَّأنِّي وعُمقَ القِراءَةِ الواعِيَةِ . عسى أن نخرُجَ معاً بما يجدِّدُ لنا المعاني ويُعيدُ ترتِيبَ المفاهِيمِ بما يخدِمُ الإسـلامَ والمسلِمِين مِن داخِلِ دِيانَتِهم الشَّرعيَّةِ المُبارَكَةِ.

إنّ دراسـتَنا للحيـاةِ الإسـلاميَّةِ بالخُصوصِ بَدْءاً مـن عهدِ البَعثَةِ إلـى عهدِ الفَناءِ الموعـودِ بالسّـاعَةِ أمـرٌ مُهِمٌّ وضروريٌّ لنـا كأُمَّةٍ خَاتِمَةٍ تحمَّلت مسـؤولِيَّةَ رسـالةٍ خاتِمَةٍ عُهِدَ إليها حَملُ الأمانَةِ والمُحافَظَةُ عليها حتى يومِ الشَّـهادَةِ العُظمَى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾[المائدة: ١٠٩] .

أهمية الألفاظ في ضرورة إعادة النصوص إلى أصولها الأولى ساعة الوقوع أو التدوين

ولا بـأسَ هنـا مـن الإشـارَةِ إلى أهمِّيَّـةِ الدِّراسَـةِ الجذرِيَّـةِ ، وهي إعـادَةُ العُلومِ وثَمَـراتِ القِـراءَةِ والتَّصوُّراتِ النّاتِجَةِ عنها إلى أُصُولِها الأساسـيَّةِ سـاعَةَ وُقُوعِها الزَّمَنِـيِّ ، أو سـاعَةَ تدوينِها المرحلِيِّ، والنَّظَرِ إلى هذه الثَّمـراتِ مِن خلالِ (النَّصِّ

النَّبَـويِّ ذاتِهِ) أو (النَّـصِّ الأَبَوِيِّ[1] المُعتَمَدِ)، حيثُ إنَّ التَّفرُّعاتِ والجُزئيّاتِ التي انحدرت إليها الأقلامُ وغرابَةُ التَّحليلِ وكثرَةُ التَّعليلِ قد خلطَ الأُمورَ خَلطاً يصعُبُ معـه التَّمييـزُ الواعي، وضاعَ الحَقُّ البَلَجُ بما اكتنَفَهُ عبرَ الزَّمَنِ من ضبابيّاتِ الباطِلِ وأهلِهِ، وحَذفٍ وإضافاتِ حَمَلَةِ الأقلامِ وَفقَ انتِماءاتِهِم وتوجُّهاتِهِم الفِكريَّةِ.

ضياع الحق بين ركام الأقلام والتعريفات الجزئية

ويبـدو لـي ـ والله أعلـم ـ أنَّ هناك عواملَ معيَّنَـةً تُؤَدِّي إلى هذا التَّجَنِّي المشـارِ إليـه، ويجبُ أن يُفتَحَ الحوارُ بشـأنِهِ ليتَّضِحَ الأمرُ جَلِيّاً، ومِـن ذلك عدمُ النَّظَرِ في جُزئِيّـاتِ المرحلَـةِ المعنِيَّـةِ ونقاطِ النُّـورِ فيها، كإصـدارِ الأحـكامِ العُموميَّةِ على المرحلَةِ أو المجموعَةِ أو الفِئَةِ، مِمّا يُؤدِّي إلى الخَلطِ المُتَعَمَّدِ في إضفاءِ الجُنوحِ علـى الكُلِّ ممـا يُصعِّبُ التَّمييـزَ بين طَرَفَـيِ الإفـراطِ والتَّفريطِ وطَـرَفِ الاعتدالِ والسَّـلامَةِ فـي المجموعَةِ الواحِـدَةِ والمرحَلَـةِ المُحَـدَّدَةِ، فهناك مَن ينسـب إلى مرحلـةِ بنـي أُمَيَّةَ مثلاً كافَّـةَ مُخرجاتِ المرحلةِ ومـا فيها ومَن فيهـا، فيعتَبِرُ أنَّ كُلَّ

عوامل التجني على التاريخ: الخلط المتعمد والأحكام العمومية

---

(١) لفـظ (الأبـوة في الدين) واضح ومعلوم، وهو من مميزات هذه الأمة، فليسـت كالنصارى جعلوا أبوتهم في الكنيسة وأعطوا البابا من الصلاحيات الألوهية الوضعية الكثير، بل تظهر الأبوة بمعناها الشرعي في تسلسل العلم بالأسانيد «**يحمِلُ هذا العِلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ**» «مسـند البـزار» (٩٤٢٣) حتـى تتجنب (الخطر الداهم) ممن سـماهم النبـي ﷺ: «الأئمة المضلين» «سـنن أبـي داود» (٤٢٥٢) و«سـنن الترمـذي» (٢٢٢٩) و«صحيح ابن حبان» (٤٥٧٠) و«المسـتدرك على الصحيحين» (٨٣٩٠) بقوله ﷺ: «**وإني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين**». وهم أهل الفتن المعروفون بعلماء الفتنة في كل عصر وزمان.
ويؤكد هذه الأبوة وكونها مرتبطة بالتسلسـل الشـرعي للإسـناد في مقابلـة أئمة الضلال الحديـث السـابع في مقدمـة «صحيح مسـلم»: «**يكون في آخـر الزمان دجالـون كذابون، يأتونكـم من الأحاديث بما لم تسـمعوا أنتـم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهـم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم**». والمقصود بالنص الأبوي ما ورد من آثار عن آل البيت والصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين.

نَتـاجٍ عِلمِـيٍّ واجتِهادٍ مذهبيٍّ بـرزَ في هذه الفترَةِ إنَّما هو خِدمَةٌ لسياسَـةِ بني أُمَيَّةَ.. مع العلمِ أنَّ هذهِ المرحلَةَ على سـبيلِ المثالِ شَـمَلَت إفراطاً وتفريطاً ومجموعاتِ اعتـدالٍ داخلَ دائِرَةِ المُلـكِ العَضوضِ، والمُلكُ العَضوضُ خاصٌّ باعتبارِ سُـلطةِ القرارِ كقولِه ﷺ: «**أوَّلُ دِينِكُم نُبُوَّةٌ ورَحْمَةٌ ، ثُمَّ مُلْكٌ ورَحْمَةٌ ، ثُمَّ مُلْكٌ أَعْفَرُ ، ثُمَّ مُلْكٌ وَجَبَرُوتٌ**»[1]، أمّا حالُ الرَّعايا فغيرُ ذلك ، وفيهم حَمَلَةُ الأمانَةِ ورِجالُ النَّمَطِ الأوسَطِ[2].

قراءة التاريخ على منهجين

وهذه الأمانةُ المُشارُ إليها متنوِّعَةُ المسؤوليَّاتِ والتَّكليفاتِ ؛ ولكنَّها مجتَمِعةٌ في قاعِدَةِ الرَّبطِ الشَّرعِيِّ بينَ (الدِّيانَةِ والتَّاريخِ)[3] ، حيثُ نجدُ أنَّ في العالَمِ قراءَتَينِ :

القراءة المادية العقلانية

الأولى : قِراءَةٌ تاريخيَّةٌ ماديَّةٌ عَقلانِيَّةٌ مُجرَّدَةٌ .. وهي ما نُسَمِّيها في فِقه التَّحوُّلات (بالقِـراءَةِ الأَنَويَّـةِ الإبليسِـيَّةِ الوضعِيَّـةِ) ، ومـا تفـرَّعَ عنهـا مِـن المفاهيـمِ النِّفاقِيَّةِ والانتِقائيَّـةِ المُسَيَّسَـةِ لمصلَحَةِ الانحرافاتِ الكافِرَةِ والمُلحِدَةِ الموسَّـدَةِ ، المَعنِيَّةِ بحديثِ : «**إذا ضُيِّعَتِ الأمانَةُ فانتظِرِ السَّاعةَ**» قال : وكيفَ إضاعتُها يا رسولَ الله؟

---

(١) «سـنن الدارمي» (٢١٤٦) وتمامه : «**يسـتحل فيها الخمر والحرير**»، إسناده جيد، «تخريج أحاديث المصابيح» للمناوي (٤ : ٤٤٣) ، وانظر «إتحاف الجماعة» التويجري (١ : ٢١٠).

من هم النمط الأوسط؟

(٢) أهلُ النَّمَطِ الأوسَطِ هم الأئِمَّةُ العُلَماءُ والعارفـون الأثباتُ من آل البَيتِ النَّبويِّ والصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم العُـدولِ والتّابِعيـن ومَن تَبِعَهم بإحسـانٍ إلى يـوم الدين .. أوعيةُ الكتاب والسُّـنَّةِ والأخـلاقِ النَّبويَّـةِ الذيـن يندَرِجون في معنـى قوله تعالـى : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩] ، وفي قوله ﷺ : «**يحمِلُ هذا العِلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ**» .
وهم الذين سـلكوا مسلَكَ الهُدى والسَّـلامَةِ ولم يُنازِعوا قراراً شرعيّاً ولا عالماً أو إماماً أبويّاً نَبويّاً رَبَّانِيّاً . هم الخُلَفاءُ الرَّاشِـدون المهدِيُّون عَبرَ تاريخِ التَّسلسُـلِ الشَّـرعِيِّ المُسنَدِ ، مَن حصَّنَتهم النُّصوصُ ونالوا بها مراتِبَ الخِلافَةِ والإمامَةِ ، أو مَن تَبِعَهم بإحسـانٍ إلى يوم الدِّينِ على نهجِهم وهَديِهم غيرَ مُبدِّلين ولا مُحرِّفين .

(٣) وهذا ما نحن بصدد إظهاره وإبرازه في كافة المراحل.

قال : «إذا وُسِّد الأمرُ إلى غيرِ أهلِهِ»[1] .

القراءة الشرعية الموجهة

الثَّانيةُ : قراءةٌ شـرعيَّةٌ غيبيَّةٌ مُوجَّهةٌ . وهي ما نُسَمِّيها في فِقه التَّحوُّلات (بالقراءَةِ الأَبَويَّةِ النَّبويَّةِ الشَّـرعِيَّةِ المُسـنَدَةِ) ، ومفتاحُها قولُهُ تعالى فـي أوَّلِ آيةٍ أُنزِلت على رسولِ اللهِ ﷺ : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾[العلق:١] وما تفرَّعَ عنها من تأصيلٍ وتفصيلٍ شرعيٍّ مدعومٍ بأدلَّتِهِ ودلالاتِهِ ممَّا يدخُلُ تحت معنى قولِهِ ﷺ : «يحمِلُ هذا العِلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ»[2] .

القراءة لا تكون إلا باسم الرب

فالقـراءَةُ فـي تاريخِنـا الإسـلاميِّ لا تكونُ إلا باســمِ الرَّبِّ ، وهي مـا أُطلِقَ عليه مفهـومُ (الرَّبـطِ بين الدِّيانَـةِ والتَّاريخِ) وبها تُفَسَّـرُ كافَّةُ شُـؤونِ الحياتَينِ ولا فصلَ بينَهُما . ومن شـروطِها دِراسَةُ الحياةِ الإنسانِيَّةِ والإسـلاميَّةِ دِراسةً نَصِّيَّةً .. ومعنى (الدِّراسَـةِ النَّصِّيَّـةِ) اعتِناؤُهـا بالنُّصوصِ المُثبَتَةِ كأصـلٍ في قراءَةِ الحيـاةِ من كافَّةِ أوجُهِهـا .. ثُمَّ عـرضُ الأحداثِ والتَّحَوُّلاتِ عليهـا . وتصنيفُها من حيثُ علاقَتُها بالنُّصوصِ ، وليس العكسَ كما هو الآنَ قائِمٌ في تفسيـرِ الحياةِ والتَّاريخِ لدى كثيرٍ من المسلمين وغيرِ المسلمين[3] .

أهمية القراءة النصية

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٩) .

(٢) «مسند البزار» (٩٤٢٣) إسناده صحيح ، «شرف أصحاب الحديث» ص ٥١ للإمام أحمد .

(٣) المقصود بهذا أن كثيراً من المسـلمين يصفون الإسـلام والعلاقات والمحبة والبغض على سير الأحداث وما جرى في المراحل من التحولات .

والأصـل أن ما جرى من الاختلاف في المراحل والأحداث المترتبة على ذلك لا يكون أسـاس الولاء والبـراء ، وإنما يكون الولاء والبـراء بالنصوص القرآنيـة والنبوية ، ويضاف إليهـا بعد ذلـك مجريات الأحـداث بشـروط . وأن المختصيـن بالنص وإن جـرت عليهم الفتنة كأصحاب الجمل من كبار الصحابة رضي الله عنهم فإن حصانتهم تلزم المسلم عدم القدح فيهـم . وأمـا غيرهم فالقـدح أيضا يكون بالنص فيهـم ، كما هو في قتلة عمار بن ياسـر في

وبهذه الدِّراسةِ والقراءَةِ الشرعيَّةِ تُقسَّمُ الحياة بِعُمومِها إلى أقسام :

أقسام التاريخ في القراءة الشرعية :

مرحلة الرسالة المحمدية

القسمُ الأول : هي مرحَلَةُ الرِّسـالةِ المُحَمَّدِيَّةِ المبارَكَةِ خـلالَ حياتِهِ ﷺ ما بين مَكَّةَ والمدينَةِ ، وقوامُ هذه المرحلةِ في الهَدي الشَّرعِيِّ (الوَحيُ والعِصمَةُ) ، وهو الأسـاسُ ، ويليهـا النُّبُوَّةُ ، أي: الأخـلاقُ والمعجِزاتُ ، وكان البَـدءُ بها باعتبارِها القاسِـمَ المُشترَكَ في الدِّراسةِ الشَّـرعيَّةِ للرَّبطِ بين (الدِّيانة والتاريخِ) عبرَ الأزمِنةِ السَّابقةِ والأزمنةِ اللاحِقَةِ .

القسـمُ الثّانـي : مِن عهـدِ الوفاةِ لِرسـولِ اللـهِ ﷺ إلى قِيـامِ السَّـاعةِ، وتُعدُّ هذه المرحلةُ مِن أصعَبِ مراحِلِ التَّحوُّلِ الإيجابيِّ والسَّلبيِّ. وكُلُّها مجموعةٌ في أركانِ العِلمِ بِعلاماتِ السَّاعةِ الكُبرَى والوُسطَى والصُّغرَى .

مرحلة ما قبل البعثة

القسـمُ الثَّالِـثُ : وهـي الدِّراسَـةُ النَّصِّيَّـةُ مِن بَعثَـةِ النَّبـيِّ ﷺ نَصّاً إلـى عهدِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وابنِهِ قابيلَ وهابيلَ وما ترتَّبَ على تعليمِ آدمَ الأسـماءَ وسُـكناهُ الجَنَّةَ وخلقِ

قولـه ﷺ : «**عمار تقتله الفئـة الباغية**» «صحيح البخـاري» (٤٤٧) (٢٨١٢) ، وقول النبي ﷺ : «**بشـر قاتل ابن صفية بالنار**» «مسـند أحمد» (٦٨١) و«المستدرك على الصحيحين» (٥٥٨٠) وابـن صفيـة هـو الزبير بن العوام وقـد قتله أحد تابعي الإمـام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وجاء يخبر الإمام بقتله ، فقال له الإمام علي بقول النبي ﷺ فغضب وقال : (إن قاتلناكم في النار وإن قاتلنـا من يقاتلكم ففـي النار) ، فأمر الإمام علي بقتله قصاصا بدم الزبير بن العوام لأن الإمـام أخـذ بالنص وإن كان الرجل من أتباعه، ونقل البرزنجي في «الإشـاعة» ص٥٤ عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قوله عن قتلى صفين : (قتلانا وقتلاهـم في الجنة) ولفظه في «مصنف ابن أبي شـيبة» (٣٧٨٨٠) ، وقـال: (من كان يريـد وجه الله منا ومنهم نجا) .اهـ. «تاريخ دمشـق» لابن عسـاكر (١ :٣٤٦) وهذا يحفظ شـرف كثير من القتلى فيمن سماهم في النص الآخر (الفئة الباغية).

حَوَّاءَ وتسليطِ الشَّيطانِ للغِوايَةِ ، وما تلاهُ من التَّحَوُّلاتِ في العُصورِ المُتَلاحِقَةِ .

حصانة المراحل على أنواع

ويُستفادُ من دِراسَةِ أحادِيثِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ أنَّ حصانَةَ المَرَاحلِ تأتي على الكيفِيَّةِ التَّالِيةِ:

- مرحلةُ الرِّسالَةِ .. الوحيُ ، العِصمَةُ ، المُعجِزاتُ ، الأخلاقُ

- مرحلةُ الخلافةِ الرَّاشِدَةِ ، الاجتهادُ ، نُصوصُ النُّبُوَّةِ ، مواقِفُ الخُلَفاءِ .

- مرحلةُ المُلكِ العَضوض وحتّى مرحلةِ الغُثاءِ ، حِفظُ بَيضةِ الإسلامِ ، إقامةُ فرضِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ .

ولا حصانَةَ لمرحلَةِ الغُثاءِ ورُموزِها بعد نقضِ الحُكمِ والعِلمِ ، وإنَّما يبقى الحِفظُ العامُّ للأُمَّةِ على صِفَةِ العُمومِ من قولِهِ ﷺ : «**مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ المَطَرِ : لا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ**»[1] وعلى صِفَةِ الخُويصَةِ والخاصَّةِ في قولِهِ ﷺ : «**فعليكَ بِخُويصَةِ نفسِكَ**»[2] .

الدراسة النصية أساس حوار الحضارات وتقارب الأديان

إنّ الدِّراسَةَ النَّصِّيَّةَ هي أساسُ الحِوارِ بين الحضاراتِ ، وأساسُ التَّقارُبِ بين الأديانِ ، وأساسُ مُعالجةِ الانهياراتِ المتلاحِقةِ في الجَسَدِ الإسلاميِّ ، منذ وفاةِ نبيِّ الأُمَّةِ ﷺ حتَّى قيامِ السَّاعةِ ، مروراً بمرحَلَتِنا المعاصِرَةِ المقيَّدَةِ نَصّاً بمُسَمّى (عهدِ الغثائيَّةِ) .

وهذا ما جمعناهُ وفصَّلناهُ في دراسَتِنا الجديدةِ المسمَّاةِ بـ (فِقهِ التَّحوُّلاتِ) وهو العِلمُ القائِمُ على دِراسةِ (الرُّكنِ الرَّابعِ من أركانِ الدِّينِ والحاوي على العِلمِ

---

(١) «سنن الترمذي» (٢٨٦٩) قال الألباني : حسن صحيح ، و«صحيح ابن حبان» (٧٢٢٦) إسناده صحيح ، «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٧: ٤٩٣) .

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (١١) (١٢) (١٣: ١٢) إسناده صحيح لغيره ، «موسوعة أحاديث الفتن وأشراط الساعة» للدكتورين همام وابنه (١٦٤٤) .

بِعلاماتِ السَّاعةِ) .

لا أجزم بتمام نجاح هذه الفكرة كليا ولكن جزئيا في معالجتها لكثير من المبهمات

وأعتَقِدُ –واللهُ أعلَمُ – أنّ هـذه الدِّراسَـةَ مُستقاةٌ مـن عُمـقِ القِـراءَةِ للواقِـعِ الإسـلاميِّ المُمَـزَّقِ ، مـن عـرضِ هذه القـراءَةِ على ما سـبق لِرسـولِ الله ﷺ أن تكلَّمَ عنه واسـتعرضه مِن سابقِ الحوادثِ ولاحِقِها . ولا أجزِمُ بِتمامِ نجاحِ الفكرَةِ المُشـارِ إليها (بِفِقـهِ التَّحوُّلاتِ) كُلِّياً ، وإنَّما أجزِمُ بنجاحهـا جُزئِيّاً ومعالجَتِها ولو مِن زاوِيَتِي الخاصَّةِ لكثيرٍ من مُبهماتِ الأحداثِ والتَّحوُّلاتِ .

مع المؤلف في مسيرة المعاناة

وكانـت بدايةُ هذا الأمرِ معاناتي الخاصَّةِ ، حيثُ كنـتُ وليدَ ثقافَةِ الأُبُوَّةِ الذَّوقِيَّةِ والمذهبِيَّةِ التقليدِيَّةِ وأحدَ المُنتَمين إلى آلِ البَيتِ النَّبَوِيِّ من ذراري الإمامِ المهاجِرِ أحمدَ بنِ عيسى المنتمي إلى الإمامِ الحُسَينِ بنِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أجمعين .

مع المؤلف في المرحلة الاشتراكية والتحصيل الأكاديمي

ورأيتُ في مَسيرَتي العَمَلِيَّةِ والعِلمِيَّةِ ما أقلَقَني وأذهَلَ عَقلي ، وشَوَّشَ مُدرَكاتي بَادِئَ ذي بَدءٍ وخاصَّةً في مَرحَلَتِي الدِّراسِـيَّةِ الشَّرعِيَّةِ وربطِها بالدِّراسَةِ الأكادِيمِيَّةِ الحديثـةِ .. وكانت اليَمَنُ حينَها مُجَزَّأَةً إلى شَـطرَينِ وثقافتَينِ وأيدُلُوجِيَّتَينِ .. وأما ذاتـي وعَقلي وثقافَتـي فَمُتَمحوِرَةٌ في مدرَسَـتِي الأبويَّةِ النَّبوِيَّةِ الشَّـرعِيَّةِ وبإحكامٍ والتـزامٍ أَبوِيٍّ تَربَوِيٍّ صارِمٍ ، وكان لابُدَّ لـي في تِلكُم المرحلَةِ من الارتباطِ بِعَجَلَةِ الحياةِ العِلمِيَّةِ الحديثَةِ مِثلَ غيري مِمَّن يطمَحون في الحياةِ ويحلُمون بالاستقرارِ.. فـكان لي حَظُّ الالتحاقِ المُتَدَرِّجِ بالمدرَسَـةِ الأكادِيمِيَّةِ حتـى تخرَّجتُ من الكُلِّيَّةِ بامتيازٍ .

معنى التخرج درجة الامتياز عند المؤلف

ولعـلَّ فَهمِـي لِدَرَجَةِ الامتيازِ غيرُ فَهمِ المُوَقِّعين على شـهادَةِ الكُلِّيَّةِ .. فالامتيازُ الـذي أنـا بِصَدَدِهِ هو انتِصارُ الدِّراسَـةِ الأَبَوِيَّةِ الشَّـرعِيَّةِ على سـلبيّاتِ الدِّراسـاتِ الإنسـانِيَّةِ الوضعِيَّـةِ ، وأيضـاً علـى مجموعَـةِ الثَّقافـاتِ والعـاداتِ والعلاقـاتِ

الطَّبَعِيَّـةِ.. ولـم يكـن الانتصـارُ معرَكَةَ الضِّـدِّ للضِّدِّ .. وإنمـا هي معركـةُ التَّزاوُجِ والتَّداخُلِ وإغناءِ إيجابِيَّاتِ المدرَسَتَينِ في دوائِرِ العَقلِ والقَلبِ بما يُناسِبُ الزَّمانَ والمكانَ والمواهِبَ والقُدُراتِ والإمكانَ، وشاء الحَقُّ سبحانَهُ وتعالى أن يُهَيِّئَ لي الرِّحلَةَ المُقَدَّرَةَ إلى أرضِ الحَرَمَينِ الشَّـريفَينِ حيثُ كان بها مَنبَتُ الفِكرَةِ وظُهورُ التَّصَـوُّرِ الإيجابِـيِّ ، ورأيتُ في تلك البِيئَةِ ما لا يُحَـدُّ ولا يُحصَى من المتناقِضاتِ والتَّناقُضاتِ ، والتزمتُ القِراءَةَ الواعِيَةَ للمدرسةِ الإسلاميَّةِ الإعلامِيَّةِ المُعاصِرَةِ .

المؤلف يشهد الاعتراضات والاحتجاجات اليومية بين الأمة.. لماذا ؟..

وفـي رحـابِ المسـجِدِ الذي كنـتُ فيـه إماماً والمنبـرِ الـذي وقفتُ فيـه خَطيباً والدُّروسِ العِلمِيَّةِ الشَّـرعِيَّةِ للمُحيطِ الخاصِّ والعامِّ ومجالسَةِ ومناقَشَةِ الخواصِّ وخواصِّ الخواصِّ والعوامِّ وكافَّةِ أجناسِ المسـلمين القادِمين من كُلِّ فَجٍّ وحَدَبٍ إلى بيتِ اللهِ الحرامِ وزيارَةِ النَّبِيِّ مُحمَّدٍ عليه أفضلُ الصّلاةِ والسّلامِ والاعتراضاتِ والاحتِجاجاتِ اليومِيَّةِ وشـبهِ اليومِيَّةِ فيما بيننا وعَشَـراتِ المُتَعَلِّمينَ والمُعتَرِضين والمُوافِقِيـن والمُخالِفِين مِن أُمَّةِ الإسـلامِ ؛ مع كل ذلك تَكَوَّنَ هَمٌّ في الذّاتِ وأَلَمٌ فـي الإحسـاسِ.. يُسـائِلُني : أهكذا الدِّيـنُ ..؟ أهكذا الإسـلامُ ..؟ أهكـذا تكونُ الدِّيانَـةُ..؟ أهكذا تكـونُ الأمانةُ ..؟ هل صوفيَّتُنا حَقٌّ أم باطِـلٌ ! هل مذهَبِيَّتُنا عِلمٌ وشـرعٌ أم توليفَاتَ مراحِلٍ ! هل انتِماؤُنا لِآلِ بَيتِ رَسـولِ اللهِ ﷺ شَـرَفٌ أم قادِحٌ شامِلٌ ! ..

مع المؤلف في تساؤلاته الذاتية : من نحن ؟ وأين الحق ؟ وماذا يدور؟

مـاذا يدور فـي الواقـعِ ..؟ وماذا يطـرُقُ القلبَ والمسـامِعَ ؟ إرجافٌ وإسـفافٌ واسـتهزاءٌ واسـتخفافٌ!.. وتجرُّؤٌ على الأوليـاءِ والعُلَماءِ واحتقارٌ واستِنكافٌ !! حَيرَةٌ بين المُصلِّين وهمٌّ وغمٌّ وخِلافٌ واختِلافٌ...!

بداية الانطلاق في فقه التحولات

وبيـن هذا وذاك .. كانت الفِكرةُ تتزاحَـمُ لتبلُغَ مداها العُمريَّ الموعودَ .. وكنتُ

يومَها في درسِ الحديثِ والقارئُ يقرأُ في «صحيحِ مُسلمٍ» من بابِ الفِتَنِ حديثَ : «يوشِـكُ أهـلُ العراقِ أن لا يُجبَى إليهم» وفـي روايةٍ : «يجيء[1] ـ قفيزٌ ولا دِرهمٌ ، قلنـا : مـن أين ذاك ؟ قال : من قِبَلِ العَجَمِ يمنعون ذاك[2] ..» الخ الحديثِ ، وكانت المعركـةُ الدائـرةُ فـي الواقعِ المُعـاشِ ما عُرِفَ حينَهـا بالحصـارِ الاقتصاديِّ على العراقِ .. فسألتُ شيخَنا العلاّمَةَ الحبيبَ عبدَالقادرِ بن أحمدَ السَّقَّافِ ـ رَحِمَهُ اللّهُ رَحْمَـةَ الأَبْـرَارِ ـ في المجلِسِ : سـيِّدي .. هل الحديثُ ينطَبِـقُ على ما يجري الآنَ في العراقِ ؟.. فسكتَ هُنيهَةً ثُمَّ قال : نعم ، راجِعْ أطرافَ الأحاديثِ وشُرُوحَها .

فراجعـتُ وراجعتُ أيّاماً وليالِيَ فوجـدتُ عجائِبَ الأحداثِ وغرائِبَ المعرِفَةِ ، بـل إنَّ الإمـامَ النَّـوويَّ قـال في شـرحِ الحديـثِ : (وهـذا قد وُجِـدَ فـي زمانِنا في العراقِ)[3] .

واعتنَيـتُ بعـد هـذا بأبوابِ السَّـاعةِ وعلاماتِهـا ، وانفتَحَ لي بابٌ جديـدٌ وتعلُّمٌ شرعيٌّ مُفيدٌ ..

لست أدعي الاجتهاد

ولستُ بِمُدَّعٍ اجتهاداً ، ولا أرغَبُ ولا أسعى في الأرضِ فساداً ، وإنَّما أحببتُ أن أعيشَ العِلمَ الشَّـرعِيَّ من داخِلِهِ وأتجنَّـبَ الإفكَ الوضعِيَّ وغوائِلَهُ .. فقرأتُ فيما قـرأتُ حديثَ جبريـلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . ومرَّةً بعدَ أخرى كان يشـغَلُني تركيـزُ الجميعِ على أركانِـهِ الثَّلاثـةِ وإهمالُ المعـادِلِ الرَّابعِ ، وخَشِـيتُ أن أركَبَ شَـطَطاً إن قلتُ : إنَّ الرُّكـنَ الرابِـعَ من أركانِ الدِّين هو العِلمُ بِعلاماتِ السَّـاعةِ .. ولكن وجدتُ القائِلَ لهذا هو رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو المُؤَكِّدُ عليه . فأخذتُ في دراسةِ الرُّكنِيَّةِ وملابُساتِ

المدخل إلى معرفة الركنية الرابعة

---

(١) في «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٨٤٠٠) .
(٢) «صحيح مسلم» (٢٩١٣) .
(٣) «شرح النووي على مسلم» (١٨ : ٢٠) .

العُصورِ التي حجزت السَّابِقين عن الإهتمامِ بـه .. فكان لي معرِفَةُ فِقه التَّحوُّلات ومُتَعَلَّقاتِهِ ، وها أنا ذا أَضَعُهُ في هذا الكتابِ الذي أسميتُهُ بـ «الأُسُسِ والمُنطَلَقاتِ» بعـد زَمَـنٍ طويلٍ من الجَمعِ والتَّرتيبِ والحَذفِ والتَّركيـبِ آملاً أن ينفعَ اللهُ به مَن هَيَّأَ له النَّفعَ والاستفادَةَ ، وأن يُلهِمَ قارِئَهُ الصَّوابَ إلى ما جاءَ في السُّنَّةِ والكتابِ بعيداً عن الغُلُوِّ والإفرَاطِ والتَّفريط..

مقدمات هامة لقراءة علامات الساعة

وأعتَقِـدُ أنَّ من الواجبِ وضعَ بعضِ المُقَدِّمـاتِ الهامَّةِ التي فَهِمتُها خلالَ وضع هذه الدِّراسَـةِ لتكونَ مَدخَلاً مُفيداً وتمهيداً سَديداً للقارِئِ المُبتَدِئِ .. وسَنَداً أكيداً للمُتَعَمِّقِ المُتَخَصِّصِ .. حيـثُ نحتـاجُ لِرَأيِهِ ومعرِفَتِهِ وحُسـنِ مُلاحَظَتِـهِ ، واللهُ المُوَفِّقُ .

فأقولُ : مع كثرةِ التَّناولِ لعلاماتِ السَّـاعةِ حصلَ بعضُ التَّجاوُزِ في تعليلِ الظَّواهرِ واستعجَلَ بعـضُ الكُتَّابِ والباحثين في تفسيرِها ممَّا أثـارَ أهلَ العِلـمِ الحريصين على سلامةِ الدِّيانةِ من العَبَثِ والجرأةِ ، وصدرت جُملةٌ من الرَّسـائلِ الحاويةِ على الـرَّدِّ المُتفاوتِ بينَ الاعتدالِ وبيـنَ الغُلُوِّ في النَّقدِ للمُتَكَلِّفيـن والمُتَناوِلين هذا الفَنَّ المُعَقَّـدَ ، وقـد أجمـلَ بعضُ الباحِثِيـن المسـائِلَ[١] التي يكثُـرُ فيها الطَّيـشُ والخَلطُ ووضع لها الضَّوابِطَ التاليةَ نذكر هنا مجموعة منها:

تبقى الأشراط في دائرة التوقع المظنون

- أن تبقَـى هـذه الأشـراطُ فـي دائرةِ التَّوقُّـعِ المظنـونِ دون أن نتكلَّـفَ إيجادَها بإجراءاتٍ من عند أنفُسِـنا ، وأنَّها أمورٌ كونيَّةٌ قَدَريَّةٌ واقعةٌ لا محالةَ ، ولم نُخاطَب باستخراجِها من عالَمِ الغَيبِ إلى عالم الشَّهادَةِ .

مراعاة الترتيب الزمني للأشراط

- أن يُراعـى التَّرتيـبُ الزَّمنِـيُّ لتسلسُـلِ الأشـراطِ طِبقاً لما دَلَّـت عليه نُصوصُ

(١) في كتاب «فقه أشراط الساعة» لمحمد إسماعيل المقدم .

الوحـيِ الشَّـريفِ وعَـدَمُ القَطعِ بِزمـانٍ أو ترتيبِ مـا لا دليلَ على زمنـهِ وترتيبِهِ إلا بِالظَّـنِّ والتَّخميـنِ ، فمـن الأشـراطِ التـي قطعـت النُّصـوصُ بتعييـنِ ترتيبها مثل الدَّجَّالِ ، ويليه نزولُ عيسى، يليه يأجُوجُ ومأجوجُ .

وأخـرى مـن العلاماتِ مقدِّماتٌ إجماليَّـةٌ ذُكِرت دون تعيينِ ترتيبها بالنِّسـبَةِ لما يُتَوَقَّعُ من الأشـراطِ ، كانحسـارِ الفُراتِ عن جَبَلٍ من ذَهَبٍ ، وعودةِ أرضِ العَرَبِ مُرُوجاً وأنهاراً ، وغيرِ ذلك[1].

عدم تأثير الترقب على واجب الوقت

– أن لا يُؤثِّر هذا التَّرقُّبُ سَلباً على أداءِ واجبِ الوقتِ وتكاليف الشَّرعِ كالدَّعوَةِ وطَلَبِ العِلمِ والجِهادِ انتظاراً لوُقوعها .

هدي السلف أمام فقه التحولات

ثم قال الباحث : فقد كان هَديُ السَّـلَفِ رحمهم الله – أنهم لا يُنَزِّلونَ أحاديثَ الفِتَنِ على واقعٍ حاضرٍ ، وإنما يرونَ أصدقَ تفسيرٍ لها وقوعَها مُطابِقَةً لِخَبَرِ النَّبيِّ ﷺ ، ولذلـك نُلاحِـظُ أنَّ عامَّـة شـارِحي الأحاديـثِ الشَّـريفَةِ كانـوا يُفيضون في شرحِها ، واستنباطِ الأحكامِ منها ، حتى إذا أَتَوا على أبوابِ الفِتَنِ وأشراطِ السَّاعَةِ أمسَـكُوا أو اقتَصَـدوا في شـرحها للغايـةِ ، ورُبَّمـا اقتَصَروا على تحقيـقِ الحديثِ واكتَفَوا بشرحِ غريبِهِ .اهـ .

النصوص وعلاقتها بما يطرقه الاحتمال

وقـال : ولا بُـدَّ من أن تكـونَ النُّصوصُ التي يُطَبَّقُ عليها هـذا الضَّابِطُ ممَّا يطرُقُ دِلالَتَـهُ الاحتمالُ ، بِخلافِ النُّصـوصِ المُحكَمَةِ التي دَلَّ الدَّليـلُ على المرادِ منها بحيثُ لاتلتَبِسُ على أَحَدٍ ، فإنها تخضَعُ لهذا الضابطِ ، مثلَ نُزُولِ المسـيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ من السـماءِ عند المنارَةِ البيضاءِ بِدِمِشْـقَ ، وصلاتُهُ الصُّبحَ خلـفَ المهدِيِّ ، ومثلَ خُروجِ الدَّجَّالِ بِصِفَتِهِ التي أخبر عنها النَّبيُّ ﷺ .

---

(١) «المصدر السابق» ص١٨٧ .

- ما أشـكلَ عليك فكِلهُ إلى عالِمِهِ ، وقال أبو حامدٍ الغزالِيُّ : (لو سـكتَ مَن لا يعرِفُ قلَّ الاختِلافُ ، ومن قَصُرَ باعُهُ وضاقَ نظرُهُ عن كلام عُلماءِ الأُمَّةِ والاطِّلاعِ فمـا لـه وللتَّكَلُّـمِ فيما لا يدريـهِ والدُّخولِ فيمـا لا يعنيهِ ، وحـقُّ مِثلِ هـذا أن يلزَمَ السُّكوتَ) .

لا نعطل السنن والأسباب

- لا نُعَطِّلُ السُّننَ والأسبابَ بحُجَّةِ انتظارِ المهدِيِّ ، وما أصدَقَ ما نُسِبَ في هذا إلى جعفرٍ الصَّادِقِ رحمه الله من قولِهِ لمن خاض في الأحكامِ القَدَرِيَّةِ وانشغَلَ بها عن واجبِ الوقتِ : (إنّ اللهَ أراد بنا أشـياءَ وأرادَ مِنّا أشـياءَ، فما أراده بنا أخفاهُ عَنَّا ، وما أراده مِنَّا بَيَّنَهُ لنا ، فما بالُنا ننشَغِلُ بما أرادَهُ بنا عمَّا أراده مِنّا) [1].

رأي المؤلف فيما سبق من الضوابط

قلتُ ـ والله أعلم ـ : ومع هذا التأصيلِ المُفيدِ والهامِّ الذي نقلناه عن الحريصينَ ـ إن شـاء اللـه ـ علـى كتابِ اللهِ وسُـنَّةِ رسـولِهِ مِن العَبَـثِ الانفعاليِّ فـإنَّ الأَقلامَ ذاتَهـا بإدراكٍ أو بغيرِهِ لم تسـلَم من الوُقوعِ فيما يُنتَقَـدُ لدى الآخَرين خلالَ التَّناوُلِ لمواضيعِ السَّاعةِ وعلاماتِها بِصورةٍ أو أخرى .

ولسـنا هنا بِصَـدَدِ المُدافعَةِ عمـا يراه البعضُ باطـلاً ولا ملاحَقَةِ مـا وجدناه من الجُنُوحـاتِ فـي الموضوعـاتِ المطروقَـةِ ، وإنما نرغَـبُ في نزعِ فَتيلِ الاشـتعالِ المُعتادِ بين الغَيورين على الحَقِّ النَّاصِعِ لِيُسـتَفَادَ من الجُهودِ المُشـتَرَكَةِ في خِدمَةِ الأُمَّـةِ وإصـلاحِ ما يُمكِـنُ إصلاحُهُ وإنقاذِ مـا يُمكِنُ إنقاذُهُ ، والنَّظَـرِ إلى الأهدافِ العُليا من دراسـةِ العلاماتِ والأشـراطِ وتجاوُزِ الجُزئيَّاتِ والانفعالاتِ إلى ما هو أولـى وأجدى ، والذي هو أولى وأجدى أن يتفهَّـمَ الجميعُ مقولاتِ الحبيبِ ﷺ وأحاديثَـهُ الصَّحيحةَ في الموضوعِ حتى لا نُفَوِّتَ الحقيقةَ بسـببِ الاختلافِ على

---

(١) ص٢٠٣ «المصدر السابق» .

طريقِ الوُصول إليها .. وحاجةُ الناسِ اليومَ إلى من يكشِفُ حقائقَ العلاماتِ على بساطِ المعرفةِ أكثرُ من حاجتهم إلى مَن يُشَوِّشُ العلاقةَ بين الباحثين عنها .

متابعة الأحاديث أيسر وأولى من متابعة تعقيدات العلماء

وبما أنَّني قد اشتغلتُ بهذا الموضوعِ على مدىً زَمَنِيٍّ طويلٍ فإنِّي أَجِدُ أنَّ متابعةَ الأحاديثِ ذاتِها واستِقراءها الواضِحَ أيسَرُ وأنفَعُ من متابَعَةِ التَّعقيداتِ التي وضعَها البعضُ من حَمَلَةِ الأقلامِ حِرصاً على ما يقالُ عنه أنَّه عَبَثٌ بالعلاماتِ والأشراطِ ، فالعابثون بالأشراطِ كفاهم فَشَلُ مقولاتهم التي تعجَّلُوها حرصاً على الشُّهرَةِ والظُّهورِ ، والتَّلميحُ في معاتَبَتِهم خيرٌ من التَّصرِيحِ والتَّشنيعِ لأنَّ التَّصرِيحَ والتَّشنيعَ بابٌ خطيرٌ لو أراد المخلِصُونَ الصَّادقونَ فتحَ بابِهِ ضِدَّ المُتَقَوِّلينَ على غيرِهم في المرحَلَةِ المُعاصِرَةِ .. وقد تَصِلُ المسأَلَةُ إلى ما لا يُرضِي العديدَ من المُتَحَدِّثينَ اليومَ باسمِ الدِّفاعِ عن السُّنَّةِ والكتابِ وخاصَّة عند تناوُلِ العلاماتِ والأشراطِ بِتَفَقُّهٍ واعٍ ونَظَرٍ عميقٍ لأقوالِ مَن لا ينطِقُ عن الهوى ﷺ مما يزيدُ الطِّين بَلَّةً والتحدِّيَ أُواراً واشتعالاً .

التلميح خير من التصريح في المعاتبة

ظاهرة الاحتناك والاحتكار للسلامة

إنَّ ظاهِرَةَ الاحتناكِ والاحتكارِ للسَّلامَةِ في الدُّنيا والآخِرَةِ وظاهِرَةَ النَّبزِ والتَّشَفِّي ، وظاهِرَةَ التَّركيزِ على العُيوبِ وغَمطِ المحاسِنِ علامةٌ من علاماتِ السَّاعةِ رُبَّما لاحَظَها القارِئُ في مُتابَعَتِنَا لهذه النَّماذِجِ في كتابنا هذا عند تناوُلِنا لِمَظاهِرِ الغُثائِيَّةِ وشُمولِ الوَهَنِ والتَّداعي ، وأنَّ الاشتغالَ بها داخِلَ حظيرَةِ المُصَلِّينَ ـ من كُلِّ نماذِجِ المذاهِبِ ـ تحريشٌ شيطانيٌّ ، إلا إذا جاءت على صِفَةِ الحِكمَةِ والموعِظَةِ الحَسَنَةِ ، والحِكمَةُ والموعِظَةُ الحَسَنَةُ مِن مظاهِرِها التَّلَطُّفُ مع المُخطِئِ فضلاً عن المُصِيبِ ، وأمّا ما نحاهُ حَمَلَةُ الأقلامِ من توجيهِ المراحلِ وسيرِها الملحميِّ[1]

(١) الملحمي من الملاحم وهي الحروب العامة والفتن الكبرى الجائحة ، وخاصة بين المسلمين والكفار .

لصالِحِ المُتَّجهاتِ الفِكريَّةِ فأمرٌ يربِطُنا بعلاماتِ السَّاعَةِ وأشراطِها السَّلبيَّةِ .

الأشراط المجهولة وموقعنا من معارضتها

وبعضُ الأشـراطِ والعلاماتِ مجهولةُ التَّحديـدِ الزَّمَنِيِّ والمكانيِّ ، وأما بعضُها فيمكِنُ معرِفَتُهُ بالمُلاحَظَةِ والاستقراءِ المُتأنِّي ..

كما وردَ عن جُملةٍ من أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ في الفِتَنِ التي وقعت في عُصورِهم، كانوا على عِلمٍ بالوُقوعِ ولكن يجهلونَ الزَّمَنَ والشُّخوصَ ، فلمَّا رَأَوها عَياناً قال قائلُهم ـ وهو حُذيفَةُ بنُ اليمانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ : «**إنْ كُنْتُ لأَرَى الشَّيْءَ قَدْ نَسِيتُ ، فَأَعْرِفُ مَا يَعْرِفُ الرَّجُلُ إِذَا غَابَ عَنْهُ فَرَآهُ فَعَرَفَهُ**»[1].

وعن الحسن قال : قال الزُّبيرُ بنُ العوَّامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «نزلت هذه الآيةُ ونحنُ مُتوافِرون مع رسولِ اللهِ ﷺ ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ [الأنفال: ٢٥] فجعلنا نقولُ : ما هذه الفِتنَةُ؟ وما نشعُرُ أنَّها تقعُ حيثُ وقعت» [2].

لماذا تناول النبي ﷺ العلامات؟ لم لم يسكت عنها أو يخف من إشهارها؟

وما تناولَها ﷺ وخَطَبَ بها أمامَ الملأِ وفي مُناسباتٍ جمّةٍ إلا لتُصبحَ إحدى موادِّ الفقهِ الإسلاميِّ بصرفِ النَّظَرِ عمَّا تحملُهُ من إحراجاتٍ وتحدِّياتٍ .. وإذا كانت الإحراجَاتُ والتَّحدِّياتُ عاملاً شرعِياً يُلزِمُنا إغفالَ العلاماتِ والأشراطِ ، فقد كان ﷺ أولى بإغفالِها والسُّكوتِ عنها أو حتى التّلميحِ من أجلِ تجاوُزِها والصَّمتِ حِيالَها..

مرحلة الرسول ﷺ تأصيل

لقد كانَت مرحلةُ رسولِ اللهِ ﷺ مرحلةَ تأصيلٍ عَمَلِيٍّ لأسلُوبِ المعاملاتِ وبِناءِ المواقِفِ بين مَكَّةَ والمدينةِ بما يتناسَبُ مع التَّحَوُّلاتِ وسَيرِ الأشراطِ والعلاماتِ ،

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٦٠٤) .

(٢) «مسند أحمد» (١٤٣٨) ، وإسناده صحيح انظر تحقيق «السنن الواردة في الفتن» لأبي عمرو الداني للدكتور محمد إدريس المباركفوري (١: ٢٠٥) .

والأشـراطُ جُـزءٌ من الرِّسـالةِ المُنزَلَةِ على النَّبـيِّ ﷺ، فـكانَ ﷺ يخصُّها بِخُطَبٍ وتعريفاتٍ واختباراتٍ ومواقفَ تُؤَكِّدُ أهمِّيَّةَ الأوعيَةِ الحامِلَةِ هذا النَّموذَجَ الشَّرعِيَّ من تفسيرِ الحوادثِ، وأهمِّيَّةَ الأُسلوبِ المبلِّغِ للشُّعوبِ حِيالَها.

فقه التحولات اليوم من أهم أركان الدين

بـل إنَّنـي أعتقِدُ ـ والله أعلـم ـ أنَّ فِقهَ التَّحوُّلاتِ اليومَ يُعَدُّ مـن أَهَمِّ أركانِ الدِّينِ الأربعـةِ؛ لأنَّ الأركانَ الثلاثَـةَ قـد خُدِمَـت وحُفِظَـت وقُـرِّرَت واسـتوعبها كافَّـةُ الُمسلِمين وغيرُ الُمسـلِمين، وأكثَرُوا فيها الكتابَةَ والتَّصنِيفَ والتَّأصيلَ والتَّفريعَ، وهي ـ بلا شَكٍّ ـ مادَّةُ الأعمالِ والطاعَةِ؛ أما علاماتُ السَّاعَةِ ـ باعتبارِها رُكناً ـ فهي وِعـاءُ المادَّةِ، وكم مِن وِعاءٍ لم تُعرَف حقيقةُ سـلامتِهِ ونزاهَتِـهِ ظَلَّ حامِلاً لأركانِ الدِّيـنِ الثلاثـةِ وهـو لا يَدِينُ بها حقيقةً وإنمـا مُجاملةً أو تَقِيَّةً أو نِفاقاً أو سياسـةً أو تسيِيساً، بل رُبَّما كان يعملُ على خدمةِ الدَّجَلِ والدَّجاجِلَةِ داخلَ خيمةِ الإسلامِ!!

ولكنَّنـا عند دراسـةِ فِقهِ التَّحـوُّلاتِ وعلاماتِ السّـاعةِ نعرِفُ بالعلامـاتِ تِلكُم الأوعيةَ كما نعرِفُ تصنيفَ العدالَةِ من فاقِدِيها والسّـلامةِ عن الانحرافِ والإيمانِ من النِّفاقِ سواءً في حياتِنا العامَّةِ أو في قراءَةِ التَّاريخِ المكتوبِ، والتاريخُ المكتوبُ يحتاجُ إلى إعادَةِ رَبطٍ بفِقهِ التَّحوُّلاتِ.

وخاصَّةً أنَّ غالِبَ الذين كتبوا أو قرؤوا التَّاريخَ وأحداثَه ـ بعيداً عن قراءَةِ علاماتِ السَّـاعةِ وفِقهِ التَّحـوُّلاتِ ـ يَقَعون بإدراكٍ أو بغيرِ إدراكٍ في مُشـكِلةِ الحُكمِ الذَّاتيِّ علـى المرحلـةِ أو الرُّمـوزِ فيها بما يُوافِقُ المفهـومَ لديهم من خِـلالِ الحياةِ ذاتِها، بَـدءاً من عَصرِ الرِّسـالةِ ومُجرَياتهـا التاريخِيَّةِ ونهايـةً بالصِّراعِ الفِكـريِّ الدَّائرِ في الحيـاةِ الدِّينيَّـةِ والدُّنيويَّةِ عبرَ الأزمِنَةِ إلى اليومِ، وليسَ من مواقِفِ النَّبيِّ ﷺ حيالَ الشُّخوصِ والمراحلِ، وما نَصَّ عليه تاريخُ الحديثِ النَّبَوِيِّ الخاصِّ بالتَّحوُّلاتِ.

حيثُ إنَّ نُصوصَ فِقهِ التَّحوُّلاتِ تُفصِحُ عن مسيرَةِ الحُكمِ والعِلمِ وعن فِقهِ سيرِ الأحداثِ المُقَدَّرَةِ في عِلمِ اللهِ ، سواءً في حياتِهِ أو بعدَ وفاتِه ﷺ ، وما سيؤُولُ إليه أمـرُ الأُمَّةِ من انحرافاتٍ وجُنوحاتٍ ، أو ما يترتَّبُ عليه من نماذِجِ الابتلاءِ وتحوُّلِ المواقِـفِ أو تضييـعِ الأمانةِ ، أو ما سـيبرُزُ من صبرٍ لدى فريقٍ آخـرَ من أجلِ إنفاذِ مُرادِ اللهِ المُقَدَّرِ وفقَ النُّصوصِ الخاصَّةِ بفِقهِ التَّحوُّلاتِ .

نصوص فقه التحولات تُعنى بمسيرة الحكم والعلم

إنَّ نُصـوصَ التَّشـريعِ والأحكامِ والمعاملاتِ والسُّـلوكِ والعقائِدِ تُعنَـى ببناءِ القِيَمِ والعباداتِ والعـاداتِ والمعاملاتِ المضبوطةِ بالوَحيِ والعِصمَةِ في عصرِ الرَّسـولِ ﷺ ومـا يبنيـه ﷺ في أصحابـهِ وآلِ بيتِهِ ومُحبِّيه في الشُّـعوبِ ، علـى أفضلِ الصُّوَرِ والعلاقاتِ القائمة بأُسُـسٍ على فقهِ الإسـلامِ والإيمانِ والإحسانِ وما تفرَّعَ عنها بعد ذلك من أقوالٍ واجتهاداتٍ مذهبيَّةٍ وتأصيلٍ وتقعيدٍ وتفريعٍ .

أمـا فِقه التَّحـوُّلات فيضَعُ خريطةَ المسـتقبلِ وما يكـونُ من أمرِ الحُكـمِ والعِلمِ والمواقـفِ وموقـعِ العدالـةِ منها أو الجنوحِ والشَّـطَطِ المُسـتَبِدِّ بالأمرِ بيـنَ حَمَلَةِ الكتابِ والسُّنَّةِ والأخلاقِ وسلامةِ المراحلِ أو فسادِها .

بل إنَّ مُلاحِظَ الوقائِعِ في حياةِ النَّبيِّ ﷺ عند عرضِها بِوعيٍ وحُسنِ قراءةٍ تكشِفُ لـه أمـوراً هامَّةً مما سـتؤولُ إليه الأُمَّـةُ إلا أنَّه ﷺ لم يعترض عليها ، وإنما كشـفَ أحداثَها ووقائِعَها دون إصدارِ حُكمٍ أو ثَلبِ فردٍ أو لَعنِهِ او استنقاصِ مَوقِفِه ، بينما فـي مواقِفَ أخرى تجري ألفاظُ اللَّعنِ والسَّـبِّ والثَّلبِ والاسـتنقاصِ منه ﷺ في حَقِّ آخرينَ دون مُجاملةٍ أو تردُّدٍ أو توريَةٍ .

حياة النبي ﷺ قراءة واعية للأحداث حاضرا ومستقبلا

إضافـةً إلـى أنَّ فِقـهَ التَّحـوُّلاتِ وعلامـاتِ السـاعةِ مشـحونٌ بالعَشَـراتِ مـن الأحاديـثِ النَّبوِيَّةِ المُشـيرَةِ إلى ما يسـتَجِدُّ من اكتشـافٍ واختراعٍ وعُلـومٍ صِناعيَّةٍ

وزراعيَّةٍ وفضائيَّةٍ لم يكن بها سابِقُ عِلمٍ ولا معرفةٍ ، وفي هذا الباب نَجِدُ أنَّ الشَّيخَ العلَّامـةَ أحمـدَ بنَ محمَّدِ بن الصِّدِّيقِ الغُمارِيَّ الحَسَـنِيَّ[1] قد ألَّـفَ كتابَهُ «مُطابَقَةُ الاختراعـاتِ العصريَّـةِ لما أخبر به سـيِّدُ البريَّةِ» ويكادُ أن يكونَ هـذا الكتابُ أَوَّلَ كتابٍ عُرِفَ في تنزيلِ الأحاديثِ الواردةِ على الُمستَجِدِّ من ظواهرِ العِلمِ الحديثِ

(١) هـو العلامـة المجتهد الحافظ مجـدد علم الحديث أبوالفيض السـيد أحمد بن الصديق بن أحمد بن قاسم بن محمد بن محمد بن عبد المؤمن الغماري الحسني الإدريسي المغربي.
كان والـده رحمـه اللـه تعالى معتنيا به أشـد الاعتناء ويذاكره في شـتى الفنـون ويحثه على الطلـب والتعـب في التحصيل، ولما أمـر والده الإخوان المتجرديـن بالزاوية الصديقية أن يحفظـوا القرآن الكريم كتـب كتابا في فضل القرآن الكريم وحفظه وتلاوته سـماه «رياض التنزيه في فضل القرآن وحامليه» وهو أول ما صنف وكان دون العشرين .
وفي سنة ١٣٣٩هـ وصل للقاهرة للدراسة على علماء الأزهر المعمور حسب توجيهات والده ، فعاود قراءة الفقه المالكي ثم الشـافعي . ومن شـيوخه بمصر الشيخ محمد إمام بن إبراهيم السـقا الشـافعي وكان يتعجب من ذكائه وسـرعة فهمه وشـدة حرصه على التعلم ، وكان أحيانـا يقـول له لما يرى حرصه على قـراءة الكتب التي تدرس في أقرب وقت : أنت تريـد أن تشـرب العلم ، وله مشـايخ آخرون بمصـر منهم مفتي الديـار المصرية ومفخرتها الشيخ محمد بخيت المطيعي ، وقرأ على المسند المحدث عمر حمدان التونسي المدني .
وفي سنة ١٣٥٤هـ رجع إلى المغرب بسبب وفاة والده رحمه الله تعالى فاستلم الزاوية وقـام بالخلافـة عن والده واعتنى بتدريس كتب السـنة المطهرة مـع بعض كتب المصطلح وأقرأ بعضا من كتب التخريج والأجزاء والمشيخات والمسلسلات وأملى مجالس حديثية بالجامع الكبير بطنجة . وحث الناس على العمل بالسـنة الشـريفة . وكان يحارب السـفور والمـدارس العصريـة والتشـبه بالكفـار وله في ذلك جزء سـماه «الاسـتنفار لغزو التشـبه بالكفار» جمع فيه الأحاديث التي تنهى عن التشبه بالكفار .
ولـم يكن صاحب الترجمة رحمه الله تعالى من الذين قصروا أنفسـهم على العلم فقط؛ بل حارب الاسـتعمار وسـعى في إخراجه، وسـجن بسـبب ذلك لعدة سـنوات ، وفي يوم الأحـد غـرة جمادى الثانية سـنة ١٣٨٠ انتقل رحمه اللـه تعالى ودفن بالقاهـرة رحمه الله تعالى وأثابه رضاه .

وتغيُّـراتِ المراحـلِ، جـزاهُ اللهُ خيـرَ الجزاءِ، وقد بسـط في كتابه المذكـورِ فوائدَ جليلـةً وخاصَّـةً في النَّظَرِ إلى تفسـيرِ بعضِ آيـاتِ القرآنِ وعلاقتِها بالُمسـتَجِدِّ من العُلومِ وبالأحاديثِ النَّبوِيَّةِ وكشفِها العجيبِ لأسرارِ المُستقبَلِ وما يكونُ فيه .

فقه التحولات علم ضابط لمواقف الرجولة

إنَّ فِقـهَ التَّحـوُّلاتِ عِلمٌ ضابِطٌ لمواقـفِ الرُّجولَةِ أمامَ الأحـداثِ والتَّحوُّلاتِ ، وعِلـمٌ يُديـنُ الإفراطَ مـن كُلِّ وُجوهِـهِ إدانةً على مُـرادِ اللهِ كما يُديـنُ التَّفريطَ من كافَّـةِ وُجوهِـهِ إدانَـةً علـى مُرادِ اللهِ ورسـولِهِ فـي جميعِ مراحِـلِ الحياةِ الإنسـانيَّةِ والإسـلاميَّةِ ، وليـس كما نراه ونفهمُهُ بِعُقولنـا وانتماءاتِنا الطَّبعِيَّـةِ أو فهمِنا الذَّاتيِّ للقضايا التاريخيَّةِ.

حاجتنا لهذا العلم أكثر من حاجتنا للماء والغذاء

وكأنَّنـا في حاجَتِنا لهذا العِلمِ اليـومَ أكثرَ من حاجَتِنا للماءِ والغِذاءِ والدَّواءِ ؛ لأنَّ فـي هذا العِلمِ سَـدَّ كافَّةِ الثَّغـراتِ التي دخل منها تحريشُ الشَّـيطانِ بين الُمصلِّين، وقـد جعلَ الشَّـيطانُ بها من عِلمِ العُلمـاءِ واجتهادِ المُجتهِدين وقـودَ فِتنَةٍ بين أهلِ المِلّةِ الواحدةِ والرِّسالَةِ الواحِدَةِ .. لماذا؟

لأنَّ الذين لم يُعيدوا الاحتكامَ في مثلِ هذه المسائلِ إلى نصوصِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ اصطدموا بالتَّحليلِ الطَّبعِيِّ من عند أنفسِهم للأمورِ والحوادِثِ بعد قراءَةِ نُصوصِ المناقِـبِ والفضائِـلِ كنُصوصٍ صحيحـةٍ وصريحةٍ؛ ولكنَّ الأحـكامَ في مُجرَياتِ التَّحـوُّلِ التَّاريخِـيِّ لم تصـدُر بها ولا مِن خلالها ، وإنَّما جـاءت على نُصوصِ فِقهِ التَّحـوُّلاتِ الصَّـادِرَةِ من لِسـانِ من لا ينطِـقُ عن الهوى ﷺ ، فبها يعـارِضُ النَّصُّ النَّـصَّ أو يُوقِفُ الخُلفاءُ العَمَلَ بالنَّصِّ كمـا فعل الأئِمَّةُ الأطهارُ بنصوصِ مناقِبِهم وارتَضَوا سـلامَةَ الأُمَّةِ ، وكفى بالاقتداءِ بهم حُجَّةً كي يحفَظَ المُسـلِمُ لسانَهُ وقلبَهُ وحاضِرَهُ ومستقبلَهُ من الوُقوعِ في الفِتَنِ المُضِلَّةِ وينالَ بركةَ الجميعِ وثوابَ مواقِفِ

السَّــلامَةِ لدى أهلِ السَّــلامةِ ، ويَكِلَ أمرَ القضاءِ والقَدَرِ فيما يجري على البَشَرِ إلى المولى سبحانه وتعالى وهو حسيبُ عبادِهِ ووكيلُ أمرِهم سبحانه وتعالى .

المُؤلِّفُ

بسم الله الرحمن الرحيم

المُنطلَقُ

الحمـدُ للهِ الذي جمع في الأصلَينِ ومعادِلِهما الثَّالِثِ علاجَ الأوائِلِ والأواخِرِ، وأسـاسَ العِلـمِ لـكُلِّ أمـرٍ باطِنٍ وظاهِـرٍ، والصَّـلاةُ والسَّـلامُ على سَـيِّدِ المباهِجِ والمفاخِـرِ، مُحَمَّـدِ بـنِ عبدِ اللهِ رَسـولِ الله الموهوبِ مـن رَبِّهِ أفضَـلَ المعارِفِ وأشـرَفَ العُلـومِ، صلـى اللهُ عليه وعلـى آلهِ وأصحابِـه أهل الشَّـجاعةِ والفُهومِ، وعلى التَّابعين لهم بإحسانٍ إلى يومِ اللِّقاءِ المعلومِ..

العودة إلى الأساسيات من أهم المهمات

وبعـدُ: فـإنَّ مـن أهـمِّ المُهمَّـاتِ في هـذا الزَّمانِ ومـن ألـزَمِ الضَّـروراتِ عودَةُ المسلمين إلى الأساسيَّاتِ، وهي تجديدُ قراءةِ كتابِ اللهِ الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، وإعادَةُ دراسةِ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ التي صَحَّت سَنَداً ومتناً عن من لا ينطِقُ عن الهوى ﷺ، ودراسَةُ مواقِفِه الذَّاتيَّةِ الُمشتَمِلةِ على ما يُعرَفُ بالنُّبُوَّةِ وهي خُصوصِيَّاتُ سُـلوكِهِ ﷺ، ففي هذه الإعادَةِ خروجُ الجميعِ مـن ظاهرةِ الاحتـدامِ والاختلافِ على فرعِيَّاتِ المسـائِلِ ورُكامِ التَّفرقَةِ الذي حلَّ بالمسـلمين حتى اكتسـبَ بعضُهم لِبعضٍ العـداوةَ وتوارَثُوا الحِقـدَ والبغضاءَ إلى رَحـبِ الأخلاقِ وسَـعَةِ الآدابِ والأذواقِ، وما كان ذلك الاحتدامُ والاختلافُ إلا لأنَّهم خلطوا عُلومهم بنتائِجِ مُفرَزاتِ طِباعهم فَتغلَّبَ الطَّبعُ على الشَّرعِ وتراكمت فُهـومُ الاختلافـاتِ جِيـلاً بعد جيـلٍ واختـرَقَ الشـيطانُ بذلـك عُقولَهُـم وقُلُوبَهم

بوسواسِـهِ وتحريشِه حتى ﴿صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾. اللهُمَّ اجعلنا من هذا الفريقِ المُستثنَى بِمَنِّكَ وفَضلِك وكرمِكَ يا أرحمَ الرَّاحمين .

ولأنَّ الإعادَةَ الصحيحةَ لقراءَةِ الأصلَينِ ومعادِلهما عِلمٌ مُميَّزٌ ؛ فلا بُدَّ من معرفةِ وسائلِ القِراءَةِ ، وهي تنقَسِمُ إلى قِسمَينِ :

قراءة العلماء لأصول الديانة كانت على ضوء الثوابت الثلاثة

١- قراءَةٍ لما قد سبق للعُلماءِ أن خدموه ووسَّعوا البحثَ فيه ، وهو ما يخدِمُ عِلمَ الإسـلامِ والإيمانِ والإحسـانِ ، وما عُرِفَ لدى العُلماءِ في علمِ الأُصولِ : بالسُّـنَّةِ الفعلِيَّةِ والقولِيَّةِ والتَّقريرِيَّةِ ، وما تفرَّعَ من خِدمتها العِلمِيَّةِ .

قراءتنا لعلامات الساعة تأتي على أنها ركن خاص بالتحولات

٢- ما لم يسبِق للعُلَماءِ تأصيلُهُ وخدمتُهُ ودراستُهُ بتفصيلٍ وتبيينٍ ، وهو ما يتعلَّقُ بالعِلمِ بعلاماتِ السَّـاعةِ ومواقِفِ رِجالِ النَّمَطِ الأوسَطِ وعُدولِ الأُمَّةِ ، وما ترتَّبَ على دراسـتِها من إبرازِ فقـهٍ خاصٍّ يُعرَفُ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ . وسُـنَّتَان خَاصَّتَان هما سُـنَّتا المواقِفِ والدِّلالَةِ ، تَتَبَّعتُ دِراسَـتَها وبحثَها على مـدىً زَمَنِيٍّ طويلٍ ، مُبتدئاً بِدراسةِ علاماتِ السَّاعةِ من حديثِ جبريلَ ، وهو أحدُ أركانِ الدِّينِ الأربعةِ على ما ورد في نصِّ الحديثِ الشَّريفِ الذي رواهُ سيِّدُنا عمرُ بن الخَطَّابِ وأخرجه مسلم ، ثُمَّ تابعتُ ما اجتمعَ عليه من زياداتٍ وإضافاتٍ في كُتُبِ السُّنَنِ والمسانيدِ وغيرِها مـن تفصيـلِ أخبارِ علاماتِ السَّـاعَةِ وما يترتَّـبُ عليها من بيانٍ وإيضـاحٍ لكثيرٍ من أمورِ الحياةِ المعقَّدَةِ،الذي سُيِّسَ فيه الاختلافُ وخرجَ عن مبدأِ القواسِمِ المشترَكةِ في الإسلامِ إلى مبدأٍ آخرَ تَحكُمُه سياسَةُ التَّحريشِ والتَّفرِقةِ والعداوةِ المُركَّبَةِ التي تنطلِقُ من وُجهةِ نظرِ الشَّيطانِ الدَّاعي إلى المبدَأِ المعروفِ (فرِّق تَسُد) .

وبهذا المبدأِ الشَّـيطانِيِّ تحقَّقت السِّـيادَةُ الإبليسِيَّةُ على كُلِّ المُصلِّين ، واستطاع هذا المخلوقُ المُعادي أن يَصِلَ إلى أهدافِهِ في المسـلمين باختلافِهم ، كما وصل

إلى استعبادِ الكُفَّارِ والمشرِكين بِكُفرِهم ، حيث إنَّ للشَّيطانِ عقيدتَينِ :

عقائد الشيطان في البشرية

١ – الكُفرُ ، وهو ما يمارسـهُ مع الشُّـعوبِ الوثنيَّةِ والمُلحِدَةِ وأهلِ الكتابِ الذين كفروا بمخالفتهم دعوةَ أنبيائِهم وحرَّفُوا كُتُبَهم وأثبتَ القرآنُ انحِرافَهُم .

٢ – التَّفرِقَةُ والاختِلافُ ، وهو ما يمارِسُهُ مع الشُّعوبِ المسلمةِ (التَّحريشُ) .

وبهذين العُنصُرَينِ يتحقَّقُ للشـيطانِ في الحياةِ الإنسـانيَّةِ الاحتناكُ والقُعودُ على الصِّراطِ المستقيم .

البشرية كلها هدف تاريخي للشيطان

والبشريَّةُ كُلُّها رجالاً ونساءً هَدَفٌ تاريخيٌّ للشّيطانِ منذ استخلافِ الحَقِّ سبحانه وتعالـى لآدَمَ فـي الأرضِ ، ومنـذ أن قال اللهُ تعالـى للملائكةِ : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ، والاختـلافُ والتَّفرِقـةُ قد يُـؤدِّي في دائرةِ الإسلامِ إلى الموتِ على غيرِ دِينٍ وخصوصاً إذا بلغ الأمرُ إلى الانحرافِ الفِكريِّ كالإلحادِ أو الرَّفضِ للدِّيانَةِ استحساناً لما عند الكُفَّارِ أو الصِّراعِ العَقَدِيِّ وما ترتَّبَ عليـه من التَّكفيرِ والتَّشـريكِ والقطيعـةِ بين الأرحامِ وعُقـوقِ الوالِدَينِ وغيرِها من الكبائِرِ .

وبطبيعةِ حالِ الإنسـانِ فهو مخلوقٌ مُستجيبٌ ومُوجَّهٌ سواءً كان في دائرةِ الوَعيِ الإسلاميِّ الشَّرعِيِّ أو في دائرةِ الوعيِ الإنسانيِّ الوضعيِّ ، وما من دعوةٍ في هذَينِ الجانِبَيـنِ إلا ولِـكِلا الدائِرَتَينِ فيها موقِـعٌ ومكانٌ ، وقد اختلط الحابِـلُ بالنَّابِلِ في هذا العصرِ الأخيرِ وهو الذي سـمَّاهُ ﷺ بـ(عصـرِ الغُثاءِ والوَهَنِ) و (عَصرِ تداعي الأُمَمِ) و (عصرِ نَزعِ المهابةِ من قُلوبِ الأعداءِ)[1]، وغيرِها من المُسمَّياتِ التي لا

(١) أخذا من حديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**» ،قال : قلنا : يا رسول الله.. أومن قلة بنا يومئذٍ؟ قال: «**أنتم يومئذ كثير**

إظهار العلم بالعلامات مهمة شرعية

تُعرَفُ ولا تُقرَأُ إلا بدراسَةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وعلاماتِ الساعةِ ، وبها يَتبَيَّنُ بوضوحٍ موقِعُ الرَّجُلِ وموقِعُ المرأةِ وموقِعُ الأُسرَةِ وموقِعُ الأُمَّةِ وموقِعُ المرحلةِ أيضاً من مبدأِ السَّلامةِ والالتزامِ به ، ومبدأِ التَّحريشِ والارتكاسِ فيه ، ولأجلِ هذا صار مِن الوُجوبِ علينا بمكانٍ أن نُظهِرَ ونُبرزَ العِلمَ بالرُّكنيَّةِ الرَّابعةِ من أركانِ الدِّينِ كما دعا إلى ذلك سيِّدُ المُرسلين ﷺ في قولِه : «**إذا لعنَ آخِرُ هذه الأُمَّةِ أوَّلَها فمَن كان عنده عِلمٌ فليُظهِرهُ فإنَّ كاتِمَ العِلمِ يومئذٍ ككاتِمِ ما أُنزِلَ على مُحمَّدٍ**»[1] ، وحديثِ : «**إذا كَثُرت الفِتَنُ وسُبَّ أصحابي فمَن كان عنده عِلمٌ فليُظهِره**»[2] .

قوله ﷺ: «بعثت أنا والساعة كهاتين»

ومِن معاني هذا الحديثِ ـ كما فهِمناهُ ـ وجوبُ إظهارِ العِلمِ بعلاماتِ السَّاعَةِ وربطِها بأركانِ الدِّينِ وتأصيلِها كمنهجٍ لفِقهِ الدَّعوَةِ وخِدمَةِ فُروعِهِ المُبيِّنَةِ سَيرَ العلاماتِ والأشراطِ والفِتَنِ ومُضِلَّاتِ الفِتَنِ والملاحِمِ والبِشاراتِ وغيرِها، لأنَّها في أساسِها تخدُمُ فِقهَ الدَّعوةِ الإسلاميَّةِ على مدى تاريخِ البشريَّةِ منذ البَعثَةِ إلى قيامِ السَّاعةِ حيث يقولُ فيها ﷺ : «**بُعِثتُ أنا والسَّاعةُ كهاتَين**»[3] وهذا ما يُشيرُ إليه (فِقهُ التَّحوُّلاتِ) ، وفِقهُ التَّحوُّلاتِ هو الفِقهُ المؤصَّلُ من الكِتابِ والسُّنَّةِ لِدراسَةِ كافَّةِ شُؤونِ التَّحَوُّلِ في الحياةِ البشريَّةِ من عهدِ آدَمَ إلى يومِ البَعثِ والنُّشُورِ ،

ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، تنتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل في قلوبكم الوهْن» ، قال : قلنا : يا رسول الله وما الوهْن؟ قال : «**حب الحياة وكراهية الموت**». «مسند أحمد» (٢٢٣٩٧) ، و«السلسلة الصحيحة» (٩٥٨) ، وانظر «موسوعة أحاديث الفتن» (٩٥٠) .

(١) «الكامل» لابن عدي (٥: ٣٥٥) وفي رواية أخرى رجال إسنادها ثقات: «**فمن كتم حديثا فقد كتم ما أنزل الله**» ، «تهذيب السنن» (١٠: ٩٣) .

(٢) «السنن الواردة في الفتن» لأبي عمرو الداني تحقيق المباركفوري (٢٨٧) .

(٣) متفق عليه ، «صحيح البخاري» (٦٥٠٤)(٦٥٠٥) و«صحيح مسلم» (٧٦٨) (٢٩٥١) .

ومادَّتُهُ : ما تقرَّرَ في هذا الشَّأنِ من كتابِ اللهِ تعالى ومِن سُنَّةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وما خَدَمَهُ العُلَماءُ من تقسيمِ العلاماتِ والتَّصنيفِ فيها .

اعتناؤه ﷺ بالعلامات التي تخص حياته

وقد كانَ ﷺ يعتني بالعلاماتِ ويُشيرُ إلى أهمِّيَّتِها ، وما خدمه العلماء من تقسيم العلامات والتصنيف فيها على قسمين :

١ـ آيات وأحاديث استباقية تصف الأحداث والوقائع قبل حدوثها .

٢ـ آيات وأحاديث استقرائية تصف الأحداث والوقائع التي جرت في الأمم والشعوب من عصر الرسالة إلى عصر آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وتكوينه الأزلي .

ومنها العلاماتُ التي تَخُصُّهُ في مجرى حياتِهِ ﷺ ، ومن ذلك ما رواه عبدُ الرَّزاقِ والشَّيخانِ وابنُ سعدٍ عن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ورواهُ غيرُهُم «أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ منذ نزلت عليهِ السُّورَةُ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ كان لا يقومُ ولا يقعُدُ ولا يذهَبُ ولا يجيءُ إلا قال ـ وفي لفظ لعائشة : كان يكثر في آخر عمره من قول ـ : «سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»[1] .. قالت عائشةُ : فقلتُ : يا رسولَ اللهِ تُكثِر من قولِ : سبحان اللهِ وبحمدِهِ أستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه ما لم تكن تفعَلُه قبل اليومِ ؛ فقال : «إنَّ ربِّي أخبَرَني بعلامةٍ في أُمَّتي فقال : إذا رأيتَها فَسَبِّح بحمدِ رَبِّك واستغفِرهُ ، فقد رأيتُها ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إلخ السورة »[2] .

---

(١) «مسند أحمد» (٣٧٩١) .

(٢) «تفسير الطبري» (٢٤ : ٦٧٠) ، «سبل الهدى والرشاد» (١٢ : ٢٣٠) وأصل الحديث في «البخاري مع الفتح» (٨: ٩٥١-٩٥٢) .

تَعْرِيفُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا

تعريف الساعة

قـال الرَّاغِـبُ فـي «المفردات» : السَّـاعةُ جُـزءٌ من أجـزاءِ الزَّمانِ ويعبَّـرُ بها عن القيامـةِ ، قـال تعالـى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[القمـر: ١]، وقـال تعالـى: ﴿وَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: ٨٥][1].

قلتُ ـ والله أعلم ـ : ويفهَمُ من سياقِ المعنى في الآية أنَّ الساعَةَ المُشارَ بها إلى يـوم القيامةِ هي تعريفٌ لآخرِ لحظةٍ في الحياةِ البشـريَّةِ ، وأما لفظةُ السَّـاعةِ ـ أي : الجزءُ من الوقتِ ـ فهو الوقتُ المُتعَارَفُ عليه من الزَّمنِ ، قال تعالى : ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٍ﴾[الروم: ٥٥] .

فالأُولى في الآيةِ بمعنى القيامةِ والثانيةُ في الآيةِ بمعنى الوقتِ القليلِ من الزَّمانِ .

أوجه لفظ «الساعة» الكبرى والوسطى والصغرى

وقال بعضُهم : السَّاعةُ التي هي القيامَةُ على ثلاثِ أوجهٍ :

١- السَّاعَةُ الكُبرَى ، وهي بَعثُ الناسِ للمُحاسبةِ .

٢- السَّـاعةُ الوسـطى ، وهـي مـوتُ أهـلِ القَـرنِ الواحـدِ ، ويؤيِّدُهُ قولُ عائشـةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قالت : كانَ الأعرابُ إذا قَدِمُوا على رسـولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سـألوه عن السَّـاعةِ ، متـى السَّـاعةُ فنظرَ إلى أحدثِ إنسـانٍ منهم فقـال : «إن يَعِش هذا لـم يُدرِكهُ الهَرَمُ قامـت عليكُـم سـاعتُكم»[2] ، والمراد بِسـاعَتِهم: موتُهم ـ أي : سـاعَةُ المخاطَبين آنذاك ـ كما جاء في «فتح الباري» .

٣- الساعةُ الصُّغرَى ، وهي موتُ الإنسانِ ، فساعةُ كُلِّ إنسانٍ موتُهُ ، وهي المشارُ

---

(١) «المفردات» للراغب ص٢٤٨.

(٢) متفق عليه ، «صحيح البخاري» (٦٥١١) و«صحيح مسلم» (٢٩٥٢) .

إليها بقوله : ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً ﴾ [الأنعام ٣١].

أقسام القيامة

قال القُرطُبِيُّ رحمه الله : (قال علماؤُنا : واعلم أنَّ كُلَّ مَيِّتٍ فقد قامت قيامَتُه ولكنَّها قيامةٌ صُغرى وكُبرَى ، فالصُّغرَى هي ما يقومُ كُلُّ إنسانٍ في خاصَّتِهِ من خروجُ رُوحِهِ وفراقِ أهلِهِ وانقطاعِ سعيِهِ وحصولِهِ على عَمَلِهِ إن كانَ خيراً فخيرٌ وإن كان شَرّاً فَشَرٌّ ، والقيامَةُ الكُبرَى هي التي تَعُمُّ النَّاسَ وتأخُذُهم أَخذَةً واحدةً) اهـ.

قلتُ ـ والله أعلم : ولا يُستبعَدُ في المعنى أن تكونَ القيامَةُ الوُسطى الموتُ الجماعِيُّ إذا أخذنا ما قاله العلماء بالمَعنَيَينِ السَّابِقَينِ ، فيكونُ التَّرتيبُ على النَّحو التالي :

تقسيم آخر وضعه المؤلف لأنواع القيامات

١- القيامةُ الكُبرى : هي التي تَعُمُّ الناسَ وتأخُذُهم أخذَةً واحِدَةً .[1]

٢- القيامةُ الوُسطَى : هي الهَرْجُ والمَوتُ المجهزُ المنصوصُ عليه في العلاماتِ وهو الإباداتُ الجماعِيَّةُ وهي من علاماتِ السَّاعَةِ .

٣- القيامةُ الصُّغرى : هي خُروجُ رُوحِ المرءِ وفراقُ أهلِهِ .[2]

وهذه المعاني الثَّلاثَةُ تدورُ حول مفهومِ السَّاعَةِ التي هي اللَّحظَةُ الأخيرَةُ في حياة البَشَرِيَّةِ التي لا زَمَنَ بعدها .اهـ.

وقَسَّمَ الإمامُ البَرزَنجِيُّ في «الإشاعة» (ص٢٧) الأماراتِ إلى ثلاثَةِ أقسامٍ :

---

(١) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» (١ : ٥٤٨) نقلًا عن «فقه أشراط الساعة» د. محمد أحمد إسماعيل المقدم ص١٥.

(٢) نقلت الفكرة مع شيء من التصرف من كتاب «فقه أشراط الساعة» للدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم .

انقسام الأمارات إلى ثلاثة أقسام قسم ظهر وانتهى وقسم لم ينته وقسم يسبق العلامات الكبرى

١- قسمٌ ظهر وانقضى وهي الأماراتُ البعيدةُ .

٢- قسمٌ ظهر ولم ينقضِ بل لا يزالُ يتزايدُ ويتكاملُ .

٣- وقسمٌ تعقبُه السّاعةُ وهي الأماراتُ الكبيرةُ ..

كما تنقسمُ العلاماتُ في تعريفِها إلى أقسامٍ :

١- فِتَنٌ

٢- وأشراطٌ

٣- وعلاماتٌ

٤- وأماراتٌ وملاحِمُ

٥- وبِشاراتٌ

معنى الفتن

١- الفِتَـنُ : إمّا (فِتَنٌ أو مُضِلّاتُ فِتَنٍ) ، والمقصودُ بالفِتَنِ هي الابتلاءاتُ العامّةُ التي تُصيبُ الفردَ أو الأُمَّةَ ويكونُ بها حصولُ انحرافٍ أو تحوُّلٍ مُخالِفٍ لأمرِ الشّريعةِ ، ومن الفِتَنِ ما هو اختبارٌ للمسلمِ ينالُ به الثّوابَ والأجرَ عند صبرِهِ واحتسابِه للهِ تعالى كما هو في فِتنَةِ الأهلِ والمالِ والوَلَدِ ، ومن هذا النَّموذَجِ ما أشار اللهُ به للأنبياء عليهم السلام : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ ﴾ وقال تعالى لسَيِّدِنا موسى عليه السلام : ﴿ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ﴾ [طه: ٤٠] .

معنى مضلات الفتن

وأما مُضِلّاتُ الفِتَنِ فهي ما خرج به الفردُ أو الجماعةُ أو الأُسرةُ أو القبيلةُ أو الأُمَّةُ عن جادّةِ الطَّريقِ المشروعةِ إلى خِدمةِ الشَّرِّ والدَّجّالِ والشّيطانِ ، وقد أمر النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم بالتعوُّذِ من مُضِلّاتِ الفِتَنِ ومن فِتنَةِ المحيا والمماتِ ومن فِتنَةِ المسيحِ الدَّجّالِ ، وكان يقولُ صلى الله عليه وآله وسلم في بعضِ أحاديثِهِ الحاويَةِ على الدُّعاءِ : «**وإذا أردتَ بعبادِك فِتنَةً فاقبِضني إليك غيرَ مفتونٍ**»[1] .

---

(١) «سنن الترمذي» (٣٢٣٣) قال الألباني : صحيح ، صحح إسناده جملة من المحدثين

معنى الأشراط

٢- الأشـراطُ : جمعُ شَـرَطٍ (بفتحتين) وهي العلامَةُ ، وأشـراطُ الشَّيءُ أوائِلُهُ ، (وأشـراطُ السّـاعةِ علاماتُها) قال تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[محمد :١٨] .

قـال الحافـظُ ابـن حجـرٍ : (والمراد بالأشـراط هي العلامـاتُ التي يعقُبهـا قيامُ السّاعةِ) (١) .

بل هو القرآن

وقد أطلقَ بعضُهم على الأشـراطِ اسـمَ الآيـاتِ ، والآياتُ هي الأمـاراتُ الدَّالَّةِ على الشـيءِ كالأماراتِ التي تُنصَبُ في الصَّحراءِ دالَّةً على الطَّريقِ أو توضعُ على الشَّاطئ لِتهدي السُّفُن . اهـ(٢) .

ووصفت أيضاً بلفظ المَشارِيط في بعض روايات الحديث ، ففي «مسند أحمد» (٢٣٣٠٦) عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال : «علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ؛ ولكن أخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها» .

وبالجملـةِ فالمقصـودُ بهـا : الظاهـرةُ الكونيَّـةُ أو الظاهـرةُ المرحليَّـةُ المرتبطـةُ بالتَّحوُّلاتِ المنصوصِ عليها في الأحاديثِ الشَّريفةِ .

معنى العلامات

٣- العلامـاتُ : جمـعُ علامـةٍ ، وهي السِّـمَةُ المُمَيِّزَةُ سُـلوكَ فـردٍ أو جماعةٍ أو مرحلةٍ بما يتطابقُ مع ما ذَكَرَهُ ﷺ في أحاديثِ علاماتِ السّاعةِ .

معنى الأمارات

٤- الأمـاراتُ : جمعُ أمارةٍ ، والأمارةُ هي الحَدَثُ المطابقُ لحالةٍ أو كيفيَّةٍ أخبرَ

وضعفه آخرون ، انظر تحقيق «الطرق الحسان» لابن رجب لأبي أنس عادل بن سعد محمد مطاوع ص ١٣-١٥ .

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٧٧) .

(٢) ص١٣ المصدر السابق بتصرف .

عنها ﷺ في «شؤون السّاعةِ وتحوُّلاتها» .

معنى البشارات

٥- البِشاراتُ : هي التَّنفُّساتُ المرحليَّةُ التي يُجري اللهُ فيها نُصرتَهُ وتأييدَهُ لعباده الصّالحين وتمكينِهم في الأرضِ .كظُهورِ الإسلامِ في عصرِ الرِّسالةِ ، وخلافةِ عُمرَ بن عبد العزيزِ في بني أُمَيَّةَ ، وصُلحِ الإمامِ الحَسَنِ بعد احتدامِ الأمرِ ، وظهورِ صلاح الدِّين الأيُّوبيِّ وهزيمته للصَّليبيِّين ، وظهورِ الخلافةِ العثمانيَّةِ بعد تَمَزُّقِ القرارِ الإسلاميِّ ، وظهورِ الإمامِ المهديِّ بعد شُمولِ الجَورِ في العالم .

هذه التقسيمات مفيدة في تحديد هوية المراحل وعلاقتها بالسلامة أو العكس

وفائدةُ هذه التَّعريفاتِ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ ضبطُها الشَّرعيُّ لظواهرِ المراحلِ ، وتحديدُ هُويَّةُ التَّحوُّلاتِ وعلاقتِها بالسَّلامةِ المرجُوَّةِ أو العكسِ من ذلك ، فحيثُما كان نَصُّ التَّحوُّلات يُشيرُ إلى فردٍ أو جماعةٍ أو منهجٍ في سَيرِ الأزمنةِ والأمكنةِ ويصفُه بالسَّلامَةِ أو التَّجديدِ أو العَدلِ فالأمرُ كذلك ، وإلا فإنّ دعوى السَّلامِ من فردٍ أو جماعةٍ مردودةٌ عليهم بِحُكمِ النَّصِّ الذي يُفَسِّرُ المراحلَ ومَن فيها .

فالخوارِجُ مثلاً كانوا يَدَّعون السَّلامةَ ويَرَون في مواقِفهم العِزَّةَ والنُّصرَةَ للهِ ولرسولِه ﷺ ، وماتوا وهم على تلك الدَّعوى الكاذِبةِ ، لكنَّ نُصوصَ التَّحوُّلاتِ وفِقهَ علاماتِ السّاعةِ يُبرِزُ للمُتأمِّلِ كَذِبَهم وعدمَ سلامَتِهم وجُنوحَهم عن الحَقِّ وتَعدِّيهم على أهلِه ، وهكذا في أشباهِهم وأمثالِهم في كُلِّ مرحلةٍ وعصرٍ وزَمَنٍ ، والقولُ الفَصلُ يرجعُ إلى ما قاله ﷺ من العلاماتِ والظواهِرِ ، وبها يكونُ الحَقُّ جَليّاً والباطلُ قَصِيّاً على مَمَرِّ الأزمانِ ، وإلى أن يقضِيَ اللهُ أمراً كان مفعولاً .

مِحْوَرُ ٱلْمَوْضُوعِ حَدِيْثُ جِبْرِيْلَ «أُمُّ السُّنَّةِ»

عن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : بينما نحن جُلُوسٌ عند رسولِ اللهِ ﷺ إذ طلع علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثِّيابِ شديدُ سوادِ الشَّعَرِ لا يُرى عليه أَثَرُ السَّفرِ ولا يعرفُه منّا أَحَدٌ حتى جلس إلى النبي ﷺ ، فأسندَ رُكبَتَيهِ إلى رُكبَتَيهِ ووضعَ كفيه على فَخِذَيهِ وقال: يا مُحَمَّدُ أخبِرني عن الإسلامِ؟

دراسة حديث جبريل

قال رسول الله ﷺ : «**الإسلام أن تشهدَ أن لا إله إلا اللهُ ، وأنَّ مُحَمَّداً رسولُ اللهِ، وتقيمَ الصلاةَ ، وتؤتي الزَّكاةَ ، وتصومَ رمضانَ ، وتحُجَّ البَيتَ إن استطعتَ إليه سبيلاً**» ، قال : صدقتَ . قال : فعجِبنا له يسألُهُ ويُصدِّقُه ، قال : فأخبِرني عن الإيمانِ؟

قال : «**أن تؤمِنَ باللهِ ، وملائكتِهِ ، وكُتُبِه ، ورسلِه ، واليومِ الآخِرِ ، وتؤمن بالقَدَرِ خيرِهِ وشَرِّهِ**» ، قال : صدقتَ ، قال : فأخبِرني عن الإحسان ؟ ، قال : «**أن تَعبُدَ اللهَ كأنَّكَ تراهُ ، فإن لم تكن تراهُ فإنَّه يراكَ**» ، قال : فأخبِرني عن السَّاعةِ ، قال : «**ما المسؤولُ عنها بِأعلَمَ من السَّائِلِ**» ، قال : فأخبِرني عن أماراتِها ؟ ، قال : «**أن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتها ، وأن ترى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتطاوَلُون في البنيان**» .

قال : ثم انطلقَ فَلَبِثتُ مَلِيّاً ، ثم قال لي : «**يا عُمرُ أتدري مَن السّائلُ**» قالَ : قُلتُ : اللهُ ورسولُهُ أعلمُ ، قال : «**فإنه جبريلُ أتاكُم يُعلِّمُكم دينِكم**»[1].

وفي لفظِ مُسلمٍ وأصحابِ السُّنَنِ : «**فإنَّهُ جِبريلُ أتاكم يُعلِّمُكم أمور دينكم**» [2].

---

(١) «صحيح مسلم» (٨) .

(٢) «سنن الترمذي» (٢٦١٠) و«سنن النسائي المجتبى» (٤٩٩٠) بلفظ : «**أمر دينكم**» ،

وفي روايةٍ : «**هذا جبريلُ جاءَ لِيُعَلِّمَ الناسَ دينَهم**»[1].

وفـي روايةٍ قال : «**سَـلُوني**» ، فهابُوه ، فجاء رجلٌ فجلس عنـد رُكبَتَيهِ ، فقال : يا رسـولَ اللهِ ما الإسـلامُ ؟ وذكر نحوه إلى أن قال : «**هذا جبريلُ أراد أن تَعلَموا إذا لم تَسألوا**»[2].

وفـي روايـةِ أحمدَ من طريقٍ آخرَ «**هـذا جبريلُ جاءَ لِيُعلِّمَ النّـاسَ دينَهم ، والذي نفسُ مُحَمَّدٍ بيَدِه ما جاءني قَطُّ إلا وأنا أعرِفُه إلا أن يكون هذه المَرَّةَ**»[3].

وفـي «المعجـم الكبيـر» للطبراني عن ابـن عمر : «**مَـا جَاءَنِي فِي صُـورَةٍ قَطُّ إِلَّا عَرَفتُهُ إِلّا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ**»[4] .

ولا شكَّ أنَّ قراءَتنا لحديثِ جبريلَ ﷺ كما هو بين أيدينا يفتَحُ لنا آفاقاً واسعةً مـن التأمُّلِ والمُتابَعَـةِ، التي تبلُغُ بنا في النهايةِ إلى فهمِ التَّرابُطِ الموضوعِيِّ في هذا الحديـثِ من كُلِّ جوانبه ، وما يترتَّـبُ على هذا التَّرابُطِ من أهمِّيَّةٍ مُحقَّقَةٍ لعلاماتِ السّـاعةِ ودخولِهـا فـي العديدِ من أبـوابِ وفُصـولِ العلـومِ والتَّقريراتِ الشَّـرعيَّةِ المُتداوَلَةِ .

فوائد حديث جبريل

ولعلَّ مِن أهمِّ ما أوضحَهُ الحديثُ لنا :

١- الصِّفَةُ التي ظهرَ بها جبريلُ على القومِ صورةً ولباساً وكيفيَّةً وسُلوكاً .

٢- أسلوبُهُ في الجلوسِ والمخاطبةِ لرسولِ اللهِ ﷺ .

وبلفظ : «**معالم دينكم**» في «سنن ابن ماجه» (٦٣) .

(١) «صحيح البخاري» (٤٧٧٧) و«صحيح مسلم» (٩) عن أبي هريرة .

(٢) «صحيح مسلم» (١٠) .

(٣) «مسند أحمد» (١٧١٦٧) .

(٤) «المعجم الكبير» للطبراني (١٣٥٨١) .

٣- كونه يسألُهُ ويصدِّقُهُ .

٤- قولُـه: ليـسَ المسـؤولُ عنهـا بأعلمَ من السَّـائلِ ، وفـي هذه اللفظـةِ إيضاحٌ للسـامعين عـن هُويَّـةِ جبريـلَ فـي علمِـهِ بالأمرِ أو عَـدَمِ عِلمِـه ، وكشـفٌ لحقيقةِ المخاطِبِ لرسولِ اللهِ ﷺ .

٥- تأكيدُ طَلَبِهِ معرفةَ الأماراتِ وليسَ معرفةَ نهايةِ الكونِ .

٦- تحديدُ العلاماتِ بِنموذَجَينِ فقط : «**أن تَلِدَ الأَمَةُ.. وأن ترى الحُفاةَ**» .

٧- انطلاقُ جبريلَ بعد هذا البيانِ دون إيضاحاتٍ إضافيَّةٍ .

٨- جهلُ الصحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بوقائعِ الأمرِ المشـارِ إليه في جُملَةِ الأحاديثِ حتى برز سُؤالُ النَّبيِّ ﷺ لسيِّدنا عُمَرَ بقوله : «**أتدري مَن السّائلُ**»؟.

٩- ردُّ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بقوله : (اللهُ ورسولُه أعلَمُ) .

١٠- ويُسـتفادُ من هذا سكوتُ الصحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عن مُجرياتِ الأمرِ كُلِّه وعَدَمُ مُسـاءَلَةِ بعضِهـم البعضَ في شـخصِيَّةِ جبريـلَ أو ما طرأَ عليهم مـن غفلةٍ في عدم معرفتِه ، مع ظُهورِ الإشـاراتِ بحقيقتِه، مع أنَّ بعضَ الرِّواياتِ تُشـيرُ إلى أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ سأل عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد ثلاثةِ أيّامٍ من مُحادثةِ جِبريلَ .

١١- تأكيدُ رسولِ اللهِ ﷺ على أن مُهِمَّةَ جِبريلَ في هذا الحديثِ وما قيل فيه له وظيفةٌ محدَّدَةٌ ، وهو تعليمُكُم أمرَ دينِكُم ، أو «**يُعَلِّمُكُم دِينكُم**» .

١٢- واللَّفـظُ النَّبَـوِيُّ مـن قولِـه : «**يُعلِّمُكم أمـرَ دينِكم**» فيه إشـارةٌ واضحةٌ إلى تمـازُجِ (الأركانِ الأربعةِ المذكورةِ في الحديـثِ) وأنَّها كُلَّها أمورُ دينِ الأمةِ ، ولا فصلَ بين رُكنٍ وآخرَ .

١٣- ولأنَّ هذه الحقيقةَ لا غبارَ عليها نَجدُ العُلومَ الشّرعيَّةَ المخدومةَ في تفصيلِ الأركانِ الثلاثـة متمازِجَـةً كُلَّ التَّمازُجِ بالرُّكـنِ الرَّابعِ ومُتَداخِـلٌ بعضُها في بعضٍ

برغـم أنَّ العُلماءَ قد تركوا حَيثِيَّةَ الرُّكنِ الرَّابـعِ بعيداً عن الأركانِ الثلاثةِ الأخرى ، ولكنـه فرضَ موقِعَـه ومكانه على التَّدوينِ وعلى أهل الأُصـولِ والفُروعِ ، فما من بـابٍ من أبوابِ العلمِ إلا وأحاديثُ علاماتِ السّـاعةِ عالِقَةٌ بـه مُرتَبطَةٌ بتفصيلاتِه، ومـن ذلـك ما نَجِـدُهُ من اسـتدلالِ الفقهاءِ فـي كُتُبهـم بأحاديثَ تَخُـصُّ علاماتِ السّاعةِ كما هو في :

- بابِ العِلمِ
- كتابِ الحدودِ
- كتاب الفرائض
- كتابِ الذِّكرِ
- كتابِ المُعاملاتِ
- عِلمِ التَّفسيرِ
- عِلمِ العقائدِ والتَّوحيدِ
- أبوابِ الرُّؤيا
- أبوابِ الجهادِ والغزوِ في سبيلِ اللهِ
- أبوابِ الفِتَنِ
- بابِ الزَّكاةِ

فـإذا مـا اسـتَدَلَّ العُلمـاءُ لواحِدٍ من هـذه الأبوابِ بحديـثٍ من أركانِ الإسـلامِ والإيمانِ والإحسانِ شَفَعوه بِجُملةٍ من الأحاديثِ المُعبِّرَةِ عن نقضِ العِلمِ أو قبضِهِ أو كثرَةِ الجهلِ وفُشُـوِّ الزِّنا وقِلَّةِ الرِّجال وكثرَةِ النِّساءِ ، وعند الحديثِ عن الأذكارِ تأتـي أحاديـثُ الاسـتعاذةِ مِـن الفِتَنِ المُضِلَّـةِ والفِتنَةِ فـي المالِ والأهـلِ والولدِ ، والاستعاذَةُ من فِتنَةِ المحيا والمماتِ، ومن فِتنَةِ المغرَمِ والمأثَمِ ومن فِتنَةِ الدَّجَّالِ،

وفي المعاملاتِ يأتي خلال دُروسِ البُيوعِ ومعاملاتِه في أحاديثِ الرِّبا والغَشِّ وما يؤولُ إليه المسلمون من أصنافِ المعاملاتِ الحرامِ التي لابُدَّ من ذكرِها في نماذجِ المعاملاتِ.

وعند دُروسِ الحدودِ الشرعيَّةِ تأتي جُملةُ الأحاديثِ التي تتناولُ إسقاطَ الحدودِ فـي آخـرِ الزَّمانِ والتَّحايُلِ على الرِّبا وعلى الخمرِ بتسـمِيَتِهِ بغيرِ اسـمِه ، وإلى غير ذلـك .. وكم سـيكونُ مُفيداً لو تجرَّدَ بعـضُ طَلَبَةِ العِلمِ للنَّظَرِ فـي مواضيعِ الثَّلاثَةِ الأركانِ الشَّـرعِيَّةِ ومـا جَمَعَتـهُ أحاديـثُ الثَّوابِـتِ في ضبـطِ أركانها الشـرعيَّةِ وما تناولَـهُ العُلماءُ من التَّقعيدِ والتَّفصيلِ فـي هذه الأبوابِ ، وحصرِ أحاديثِ علاماتِ السّـاعةِ وفِقـهِ التَّحوُّلاتِ فـي كُلِّ بابٍ وفَصـلٍ ، وعلاقةِ العلامـاتِ بهذه الأحكامِ والتَّشـريعاتِ ، ليتأكَّـدَ للأُصولِيِّين ولأصحابِ الفُروعِ حُضـورُ فِقهِ التَّحوُّلاتِ في كافَّةِ نماذِجِ العِلمِ وأبوابِه .

ومِـن جانبٍ آخرَ نَجِـدُ فِقهَ التَّحوُّلاتِ والعلمِ بعلاماتِ السّـاعةِ يتداخَلُ معَ علمِ الإحسـانِ تداخُلاً تامّاً بحيثُ يصيرُ علمُ الإحسـانِ للعالم بعلاماتِ السّـاعةِ عامِلاً مُرجِّحـاً لحُسـنِ التَّصرُّفِ وطُـولِ النَّظَرِ فـي مُجرياتِ القضـاءِ والقَـدَرِ ، لأنَّ عِلمَ الإحسـانِ هو عِلـمُ التَّحَقُّقِ بِثَمَرات الطاعَةِ والعبادَةِ وسـلامةِ النظرِ للعبادِ بِحُسـنِ الخُلُـق، وكان غالـبُ عُلماءِ فِقهِ التَّحـوُّلاتِ من رجالِ علمِ الإحسـانِ في عَصرَي صدرِ الإسـلامِ والخلافةِ الرَّاشِـدَةِ ، ومِمَّن يُقتَدى بهم ويُهتَـدى بهديِهم ، فما ترى سُـلوكَهم ومواقِفَهـم إلا شـاهِدَةً علـى عُمـقِ أَدَبِهم مع مُـرادِ الله في خلقِـه ، بينما نَجِـدُ أقمـاعَ الفِتَـنِ ورُموزَ الصِّـراعِ هم من حَمَلَةِ القُـرآنِ والسُّـنَّةِ أحياناً ولكن من غيرِ ارتباطٍ بعِلمِ الإحسـانِ ولا بعلمِ علاماتِ السّـاعةِ، ممّا يجعلُهم هدفاً للشَّيطانِ والتَّحوُّلاتِ ومُضِلّاتِ الفِتَنِ ، بل سبباً في الاعتراضِ على اللهِ وعلى قضائِهِ وقَدَرِه

في مُجرياتِ التَّحوُّلِ والتَّغَيُّرِ .

وحتّى لا يطولَ بنا التأمُّلُ والتَّدَبُّرُ في مِحوَرِ الموضوعِ نبدأُ في تناوُلنا لمفهومِ الرُّكنِيَّةِ التي نحنُ بِصَدَدِها ، واللهُ المُوفِّقُ .

أركانُ الدِّينِ الثَّلاثَةُ وعلاقَتُها بالرُّكنِ الرَّابِعِ

الوحدة الموضوعية بين الأركان الأربعة

مِـن واجباتِ المُسـلمِ الموقِنِ بأمرِ الدِّينِ أن يعلم بـأنَّ أركانَ الدِّينِ أربعةٌ بِاعتبارِ وَحدَتِها الموضوعِيَّةِ فـي الحديـثِ الآنفِ ذكـرُهُ، وتنقَسِـمُ إلى قِسـمَينِ : ثوابتٍ ومُتغيِّراتٍ .

فالثَّوابِتُ : هي ما اشـتملت عليه أركانُ الإسـلامِ والإيمانِ والإحسـانِ وما تفرَّعَ عن هذه الثَّلاثَةِ من عُلومِ العقيدةِ والشَّريعَةِ ومراتبِ السُّلوكِ .

والمُتغيِّراتُ : ما اشتمل عليها العلمُ بعلاماتِ السّاعةِ . على أوجُهِها الثَّلاثَةِ :

الثوابت والمتغير

١ – مُتَغَيِّراتٌ على عَهدِ الرِّسالَةِ .

٢– مُتَغَيِّراتُ ما بعد عهدِ الرِّسالةِ إلى قِيامِ السّاعةِ .

٣– مُتَغَيِّراتُ ما قبلَ الرِّسالَةِ المُحَمَّدِيَّةِ تصاعُدِيّاً إلى عهدِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وعلـى هـذا التَّرتيـبِ الشـرعيِّ تُعتبَـرُ أركانُ الدِّيـنِ أربعـةً ـ كما هو فـي النَّصِّ ـ وليـسَ ثلاثةً كمـا يتناوَلُها بعضُ العُلمـاءِ ، ودليلُنا علـى رُباعِيَّـةِ الأركانِ (الوِحدَةُ الموضوعيَّـةُ) مـن لَفظِ النَّبـيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحديثِ حيثُ ورد فـي النَّصِّ قولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد ذهابِ جِبريلَ : «**يا عُمَرُ أتدري مَن السَّائِلُ**»؟ قال : اللهُ ورسولُه أعلَمُ ، قال : «**ذاك جِبريلُ أتاكم يُعَلِّمُكم أمورَ دينِكُم**» ، وفي روايةٍ : «**يُعلِّمُكم دينكم**» . أخرجه مسلم وأصحاب السنن[1] .

---

(١) «صحيـح مسـلم» (٨) «مسـند أحمد» (١٨٤) «مسـند أبي يعلى» (٢٤٢) «سـنن النسـائي المجتبى» (٤٩٩٠) «سنن أبي داود» (٤٦٩٥) «سنن الترمذي» (٢٦١٠) «سنن ابن ماجه» (٦٣) .

فاللَّفظُ النَّبَوِيُّ في هذا النَّصِّ يأتي بعد أربعةِ ثوابتَ وليس ثلاثةً ، وبهذا يَتَأَكَّدُ أن أركانَ الدِّيـنِ ـ كمـا يُعبَّرُ عنهـا ـ أو أصولَ الدِّينِ أو ثَوابِـتَ الدِّين أربعةٌ كما هو في سياقِ الحديثِ الشَّريفِ .

الأصول الثلاثة وتدرج المكلف فيها

فالأصولُ الثَّلاثَةُ الإسـلامُ والإيمانُ والإحسـانُ أصولٌ ثابتـةُ المدلولِ والمعنى يتـدرَّجُ بها المُكلَّفُ في شُـؤونِ العقيدةِ والشَّـريعةِ ومراتِبِ السُّـلوكِ وينشَـأُ عليها الأجيالُ باعتبارِها العِلمَ الفَرضِيَّ الواجِبِ .

أمـا الأصـلُ الرَّابعُ (فمُتَغيِّرٌ) أي : إنَّهُ غيرُ مُرتَبِـطٌ بِمُتَعلَّقاتِ التَّدرُّجِ في التَّكليفِ وإنَّما يختَصُّ بأمرَينِ :

الركن الرابع هو كشف مجريات التحولات

١- كشـفِ مُجرياتِ التَّحوُّلاتِ الكونيَّةِ والعلاماتِ والأشـراطِ الكائنةِ بأمرِ اللهِ قبل قيامِ السّاعةِ .

٢- سـردِ وتعليـلِ الحـوادِثِ وما يرتَبِطُ بها من صِحَّةٍ وفِسـادٍ ، ومـا يترتَّبُ على ذلـك من إشـاراتٍ نبويَّةٍ ودلالاتٍ شـرعيَّةٍ للتَّمييزِ بيـن أحوالِ الكُفَّـارِ والمُنافِقين وأشباهِهِم وموقِعِهم من التَّحوُّلاتِ ، وبين المسلمين المؤمنين وموقِعِهم أيضاً من السَّلامةِ في الدُّنيا والآخرةِ .

ولأهمِّيَّـةِ حديـثِ جبريـلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وما تَطَـرَّقَ إليه من شُـؤونِ الإسـلامِ والإيمانِ والإحسـانِ والعلـمِ بعلامـاتِ السّـاعةِ صـار من الـلازمِ علـى المُسـلمِ أن يعرِفَ هـذه الأركانَ الأربعـةَ معرِفَـةً تتـلاءَمُ مع أهمِّيَّتهـا وارتبـاطِ بعضِها بِبَعـضٍ ، فهي أسـاسُ مُقوِّمـاتِ الأمانةِ التي قال عنها سـبحانه وتعالـى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وما اعتنى فِقهُ التَّحوُّلاتِ بالأركانِ الأربعةِ مُجتَمِعَةً إلا لإبرازِ خُطُورةِ الفَصلِ بين الأركانِ الثّلاثةِ الثابتةِ والرُّكنِ الرَّابِعِ المُتغَيِّرِ ، فالإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ عبرَ تاريخِ البِناءِ الشَّرعِيِّ للدِّيانَةِ تعرَّضَ لِنكساتٍ وأَزَماتٍ كالقَبضِ والنَّقضِ والخِداعِ والتَّحريفِ والتَّسييسِ وما شابه ذلك ، ممَّا أوجَدَ هُوَّةً سحيقةً بين المسلِمِ مع أخيه المُسلِمِ في قضايا فَهمِ الإسلامِ كعَقيدَةٍ ودِيانَةٍ وبين المُؤمنِ مع أخيه المُؤمنِ في مفهومِ الإيمانِ كالتصديقِ باليقينيّاتِ الكونيَّةِ التي لا تقبَلُ الشَّكَّ ولا النَّقضَ ، ومثلُهُ في مفهومِ الإحسانِ كزُهدٍ وعُلومٍ ذوقِيَّةٍ وقِيَمٍ وآدابٍ ، وهي التي صارت في زمانِنا مُستقبَحَةً في صُوَرِها وحقائِقِها العَمَلِيَّةِ المُمارَسَةِ لدى البعضِ وسبباً في النِّزاعِ المُفتَعَلِ .

الركن الرابع يبرز النكسات والأزمات التي تتعرض لها الثوابت الثلاثة ولذلك فإن الفصل بينهما خطير

ولهذا فإنَّ دِراسَةَ الرُّكنِ الرَّابعِ من أركانِ الدِّينِ هي إعادَةُ اعتبارٍ شرعِيٍّ لهذه الثَّوابِتِ على الوجهِ الأصَحِّ والأتَمِّ وتَبيينٌ مُدلِّلٌ على مواقِعِ الجُنوحِ في المسلمين بابتعادِهم عن معرِفَةِ هذه الثَّوابِتِ .

دراسة الركن الرابع مهمة لأنها إعادة اعتبار للإسلام والإيمان والإحسان

وما ترتَّبَ على هذا البُعدِ من تعليلٍ خاطئٍ في الحاضرِ والماضي لسُلوكِ المسلمين ضِدَّ بعضِهم البعضِ وما صدر ويصدُر من بعضِ أهلِ العِلمِ ضِدَّ مخالِفِيهم في المذهبِ والنَّهجِ والرُّؤى .

فعند المقارنةِ بين علاماتِ السّاعةِ التي أخبرَ عنها ﷺ وبين واقعِ الأُمَّةِ في نقائضِ العقائِدِ والعاداتِ والعباداتِ والقِيَمِ والآدابِ نَجِدُ أنّ ما أخبرَ عنه ﷺ في الرُّكنِ الرَّابعِ وما تفرَّعَ عنه حقيقةٌ واقعةٌ في كافَّةِ شُؤونِ الأُمَّةِ مع جهلٍ بَيِّنٍ بالأسبابِ والنَّتائجِ ، وذلك لِفُقدانِ دراسةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وعَدَمِ الرَّبطِ بين الأركانِ الأربعةِ ، لهذا غابَ عن عُقولِ بعضِ العُلماءِ ـ فضلاً عن الدَّهماءِ ـ معرِفَةُ رُموزِ

لقد غاب عن عقول بعض العلماء فضلاً عن الدهماء معرفة رموز الإنحراف وأسباب الانحدار

الانحِـرافِ ومواقِـعِ الانحـدارِ وأسـبابِها وحيـرَةِ أهلِ اللـهِ وأهلِ العِلمِ في تفسـيرِ انجرافاتِ وفسادِ شُؤونِ بعضِ ما يدورُ في الواقعِ المُعاصِرِ ، مع صُعوبةِ الرَّبطِ بين الأماراتِ والأشراطِ والظواهرِ والوقائعِ الكائنةِ المُطابِقَةِ لما قاله ﷺ .

إنَّ القـراءَةَ الواعِيَـةَ لِفقهِ التَّحوُّلاتِ المُختَصِّ في تحليـلِ الرُّكنِ الرَّابعِ من أركانِ الدِّيـنِ (علاماتِ السّـاعَةِ) علمٌ شـرعِيٌّ واسـعُ المـدى ومُدلَّلٌ بالبراهيـنِ ، ومبيِّنٌ المسـافَةَ الزَّمَنِيَّةَ والمسـافَةَ المعنَوِيَّةَ التي انحدرت فيها الأُمَّةُ عن ثوابتِ الإسـلامِ وثوابتِ الإيمانِ وثوابتِ الإحسـانِ ، ومبيِّنَةٌ أيضاً البدائِلَ السَّـيِّئَةَ التي وصلت إليها أُمَّةُ القُرآنِ مِثلَ غيرِها من الأُمَمِ من انحدارٍ في كافَّةِ شُؤُونِ حياتِها الدِّينِيَّةِ والدُّنيوِيَّةِ .

رؤوس الأقلام المبينة مهمات الركن الرابع

ولأجلِ دِراسَةِ هذا الأمرِ بالتَّفصيلِ لابُدَّ من وضعِ رُؤوسِ الأقلامِ المُبيِّنَةِ مُهِمّاتِ دِراسَةِ الرُّكنِ الرَّابعِ وما يترتَّبُ عليه ومنها :

١- الدِّراسَـةُ الواعِيَـةُ لحديـثِ جبريلَ ، وخاصَّةً فـي ركنهِ الرَّابـعِ لِيُعرَفَ بذلك موقِعُ الثَّوابتِ وأهمِّيتُها ، ثم معرِفَةُ نقائِضِها من الرُّكنِ الرَّابعِ المُتَغيِّرِ .

٢- دراسَـةُ الأحاديـثِ الخاصَّـةِ بالأجيالِ المُتحَوِّلَـةِ وعلاقتُها بمفهـومِ حديثِ جبريلَ ، وقولُه ﷺ : «أن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها»[١] . أو «رَبَّها»[٢] في روايةِ مُسلمٍ .

٣- دراسةُ شُؤونِ الحضارَةِ المادِّيَّةِ الطَّاغِيَةِ على المجتمعاتِ العربيَّةِ والإسلاميَّةِ بالخُصـوصِ وموقِعِهـا من حديـثِ جِبريلَ في قولـه ﷺ : «أن ترى الحُفـاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاةِ يتطاولون في البُنيانِ»[٣] وما تفرَّعَ عن هذا الحديثِ من العلاماتِ

(١) «صحيح مسلم» (٨) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٢) «صحيح مسلم» (٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .
(٣) «صحيح مسلم» (٨) .

والأماراتِ وغيرِها من الأحاديثِ التي تربِطُ بين الدُّنيا والتَّوسُّعِ في الأخذِ بها وما يترتَّبُ على ذلك من انحرافاتٍ ودمارٍ وهلاكٍ مُحَقَّقٍ .

٤- دراسةُ فِقهِ التَّحوُّلاتِ في الآياتِ الواجبِ العلمُ بها والأحاديثِ المنصوصِ عليها في سُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ كعلاماتٍ كُبرَى ووُسطَى وصُغرَى .

وقد خدم هذا البابَ الإمامُ البَرزَنجِيُّ في كتابه «الإشاعة» ، كما فَصَّلَ كثيراً من هذه الأقسامِ إجمالاً العديدُ من عُلماءِ الحديثِ في كُتُبِ الصِّحاحِ والمسانيدِ والسُّنَنِ وبَوَّبوا لها أبواباً خاصَّةً منها : بابُ علامات السّاعةِ، باب الفِتَنِ والملاحم ، وغيرُ ذلك ، كما أفرد بعضُ العلماءِ كنُعَيمِ بنِ حمَّادٍ كتاباً خاصّاً يحمِلُ اسمَ (الفِتَنِ) وكتابُ أبي عمرٍو الدَّاني المعروفِ «بِالسُنَنِ الوَارِدَةِ فِي الفِتَنِ» وغيرها . إلا أنَّ هذه الكُتُبَ جمعت بين الصَّحيحِ والحَسَنِ والضَّعيفِ والَموضوعِ ، ويمكِنُ الاستفادَةُ من هذه الكُتُبِ بمجموعِها لوضعِ أُسُسِ فِقهِ عِلمِ التَّحوُّلاتِ بما يُناسِبُ كُلَّ مرحلةٍ وتحوُّلٍ مع مراعاةِ مراتِبِ الأحاديثِ من حيثُ الصَّحيحُ والحَسَنُ والضَّعيفُ .

أركانُ العِلمِ بِعلاماتِ السّاعةِ

لما صارَ العلمُ بعلاماتِ الساعةِ أمراً لازماً باعتبارِ موقعِه من الأركانِ فإننا نحتاجُ إلى خدمةِ هذا الركنِ الرابعِ وإعادةِ تأصيلِ مواضيعِه الكثيرةِ ؛ ليصبحَ عِلْماً مستقلاً من كلِّ الوجوهِ ، له أركانُه وثوابتُه وتفريعاتُه.

فكان ـ بادئَ ذي بدءٍ ـ النظرُ في العلاماتِ ذاتِها وتقسيمِها باعتبارِه مادةَ العلمِ الواسعِ بهذه الأمور ، وقد رَجَعْنَا إلى ما كَتَبَهُ العلماءُ في هذا الصددِ فلم نجدْ شيئاً يُبْرِزُ مفهومَ الركنيةِ لدى أحدٍ منهم ، فأَخَذْنَا على عَاتِقِنَا وَضْعَ هذا التعليلِ خدمةً للإسلامِ والمسلمينَ ، بعدَ الاستقراءِ التامِّ للعلاماتِ .

وعلى هذا الاستقراءِ تأتي أركانُ العلمِ بعلاماتِ الساعةِ على النحوِ التالي :

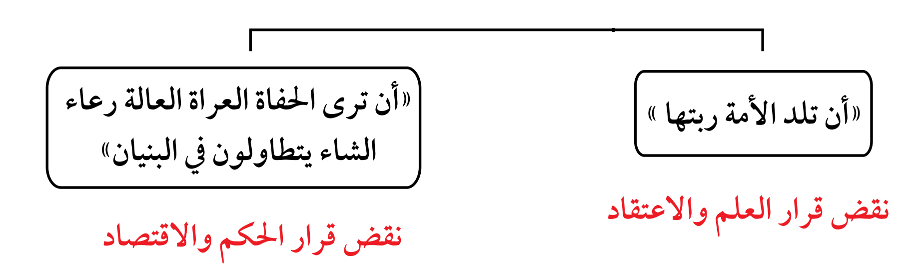
الركنُ الأولُ : «**أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا**» أو «**رَبَّهَا**» ، وهو ما يختصُّ بنَقْضِ قَرَارِ العِلْمِ والاعتقادِ وما تَفَرَّعَ عنهما .

والمقصود بالنقض نقض أساليب المعرفة كالفصل بين التربية والتعليم والدعوة إلى الله ، والفصل بين الديانة والتاريخ ، والفصل بين أساليب الدعوة إلى الله وبين الحكمة والموعظة الحسنة وهكذا ، بل إن تغيير أسلوب التعليم للمبتدئين من الطريقة الجزئية والأبجدية إلى الطريقة الكلية الغازية نوع من أساليب النقض للعلم .

الركن الثاني : «**أَنْ تَرَى الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ في البُنْيَانِ**» ، وهو ما يختصُّ بنَقْضِ قَرَارِ الحُكْمِ والاقتصادِ وما تَفَرَّعَ عنهما .

والمقصود بالنقض هنا خروج قرار الحكم العام من دائرة الإسلام في مسماه الشرعي إلى مسميات أخرى تمثل سياسة الكفر وسقفه الوضعي كالجمهورية والديمقراطية والحزبية والمنظمات السياسية التي نقلت في نهجها السياسي من عالم الغرب والشرق ، مثلها أساليب وأنظمة الاقتصاد والمال وتصريف الأعمال

خاصة تلك الأساليب والأنظمة المعارضة للشرع كالبنوك الربوية وغسيل الأموال ونظام الأسهم العائم وبعض القوانين الاقتصادية المشبوهة ، بل ويدخل فيها مفهوم التطاول السلبي في الأسواق وتعدد المعارض الكبيرة القائمة على المنافسة والأبراج والشاليهات والمتنزهات ذات الصبغة المشبوهة في المعاملات والقيم .



وتحت دراسة هذين الركنين لعلامات الساعة يأتي كل ما يعرف بفقه التحولات في أقسامه الخمسة :

- علم النواقض والنقائض (الفتن ومضلاتها)
- علم معالجة شؤون الحياة (مستجدات الثقافة والعلوم النظرية والتطبيقية الإيجابية والسلبية) .
- علم البشارات والإشارات وأسباب السلامة من الفتن ،وما يخص حصانة السند والعدول (أوعية العلم) .
- علم الكونيات والكوارث والأشراط .
- علم الربط بين الديانة والتاريخ وهو ما يخص قراءة التاريخ الأبوي النبوي الشرعي ومعرفة ما يقابله من قراءة التاريخ الأنوي الطبعي الوضعي تاريخ النارية الإبليسية وماديتها المجردة .

وتحـت كل قسـم من هذه الأقسـام الخمسـة علم واسـع يربط بيـن الركية وفقه التحولات ، وهذا شرحها .

تفصيل علم النقائض والنواقض

❁ تَفْصِيلُ عِلْمِ النَوَاقِضِ وَالنَّقَائِضِ «الفِتَنِ ومُضِلَّاتُها»

وهـو أحد فروع علم المتغيـرات . والنواقضُ **في اللغة** جمع ناقض وهو ما يزيل الشـيء مـن أصله ، وهـي **في اصطلاحنا** مأخـوذةٌ من النقضِ المقـررِ في حديثِ :

النواقض من النقض «لتنقضن عرى الإسلام»

«لَتُنْقَضَـنَّ عُرَىٰ الإِسْـلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً»[1] ، وَمِنْهُ : نَقْـضُ العُرَىٰ ، ونَقْضُ الأعمالِ ، ونَقْضُ القِيَم .

النقائض جمع نقيض وهو الضد والمعاكس

والنقائضُ مأخوذةٌ من صيغةِ المفاعلةِ : نَاقَضَ يُنَاقِضُ ، وهي في اللغة ما يخالفُ المألوفَ والسـائدَ بديلاً معاكسـاً له ولمدلوله ، أي : يَفُكِّكُ التَّرْكِيبَ المُبْرَمَ ويأتي بضدِّه أو ما يُبْطِلُهُ .

فالعاملون على صفةِ السـلبيةِ يشـتغلون بنقضِ العرى وإشاعةِ الفرقةِ بالمتناقضاتِ والخلافيـاتِ حتـى يبلغـوا أهدافاً محددةً في الشـعوبِ المسـتغفلَةِ خدمةً للشـيطانِ والدجـالِ . (وهـي نـوع مـن الفتن المضلـة) ، وأمـا العاملونَ علـى صفـةِ الإيجابيةِ فيدرسون عِلْمَ النواقضِ والنقائضِ من أصولِه الشرعيةِ التي تحدَّث عنها من لا ينطقُ عن الهوىٰ ﷺ، وهو «فقه التحولات» ، فيتعرفون به على موقعِ السلامةِ وموقعِ الندامةِ ، ويسـتطلعون ما أخبر به ﷺ في الأمة من العلاماتِ والأشـراطِ والفتنِ ومضلاتِها . فيحـذَرون ويحـذِّرون ، كما جاء في حديث سـيدِنا حذيفـةَ بنِ اليَمَـانِ : «كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي»[2] .

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢١٦٠) «المستدرك على الصحيحين» (٨٦١١) .

(٢) «صحيح البخاري» (٣٦٠٦) «صحيح مسلم» (١٨٤٧) .

ولهـذا العلمِ تأصيـلاتٌ وتفريعاتٌ كثيرةٌ ترتبطُ ارتباطاً وثيقـاً بعمقِ قراءة معاني القـرآنِ ومعانـي السُّـنةِ الشـريفةِ ، ذاتِ العلاقـة بالفتـنِ والعلامـاتِ والأشـراطِ والملاحـم . كمـا أن لهذا العلمِ قاموسـاً اصطلاحيـاً خاصاً يربطُ بين المسـمياتِ الشرعيةِ التي نَطَقَ بها ﷺ في هذا العلمِ وبَينَ ما طابقها من شؤونِ الواقعِ وأوعيتِه ، ومنها التحريشُ[1] ، والمنافسـةُ ، والتوسـيدُ ، وضياعُ الأمانةِ ، والقبضُ والنقضُ ، والتداعـي ، والوَهَـنُ ، وأَكَلَةُ القَصْعَةِ ، وهَلُمَّ جراً .. وسـنضع لهذه المصطلحات قاموساً في نهاية الكتاب .

وكلُّ هذه المسمياتِ وردتْ في أحاديثِ من لا ينطقُ عن الهوى ﷺ ؛ ولكنّها لم تُطبَّق على الواقعِ المتحوِّلِ إلا ببروزِ علمِ فقهِ التحولاتِ . بل ظَلَّتْ على مَرِّ الزمانِ حبيسةَ النصوصِ غيرَ منطبقةٍ في عقولِ العلماءِ قبلَ الدهماءِ على الواقعِ المعاشِ ، بل ربما نفى العديدُ منهم تطابقَ العلاماتِ مع زمنِه وعصره وأنكرَ على المتناولينَ لشيءٍ من ذلك وظنَّ أنها آياتٌ لم يَحِنْ وَقْتُها . ولا حاجة لذكرها وإعلان خبرها .

تَفْصِيـلُ مَرَاتِـبِ عِلْمِ مُعَالَجَةِ شُـؤُونِ الحَيَاةِ (النَّظَرِيَّـاتُ وَآلِيَّاتُ التَّطْبِيقِ) ومستجدات الثقافة والعلوم الإيجابية والسلبية

علم معالجة شؤون الحياة يمثل كافة العلوم النظرية وآليات التطبيق

ويُطلـقُ هـذا التعريفُ علـى مجموعِ العلـومِ المعروفـةِ بعلومِ الآلـةِ ، كاللغاتِ والعلـومِ الثقافيـة والاجتماعيـةِ والإنسـانيةِ ، وكذلك العلـومُ النظريـةُ والتطبيقيةُ

(١) يؤخـذ التحريش مـن حديث: «ولكن في التحريش بينهم» في «صحيح مسـلم» (٢٨١٢) ، والمنافسـة مأخـوذة من حديث : «أن تنافسـوها فتهلككم كما أهلكـت من كان قبلكم» في صحيحي «البخاري» (٣١٥٨) و«مسلم» (٢٩٦١) .

الماضيةُ والحاضرةُ والمستقبليةُ ، وما تَفَرَّعَ عنها من ثمراتٍ واختراعاتٍ واكتشافاتٍ وخدماتٍ متنوعةٍ ، وكذلك علوم التنجيم والسحر والحرف والكف والطلاسم وغيرها .

مراتب العلم هي موقعه من أمر الدنيا والآخرة وما يترتب على العلم به من طلب ثواب أو خوف عقاب

والمقصودُ **بمراتبِ العلم** : (موقعُ العلمِ من أمرِ الدنيا ، وموقعُه من أمرِ الآخرةِ ، وما يترتبُ على العالِمِينَ به من طلبِ ثوابٍ وخوفِ عقابٍ، وتسخيرِ الجهودِ العلميةِ في إيجابياتِ البناءِ والتطورِ والنفعِ الخاصِّ والعامِّ ، وفي الدفاعِ عن الحقِّ الإلهيِّ في العبادِ والذودِ عنه بالسلاحِ والمالِ والوسائلِ التكنولوجيةِ المتنوعةِ ، وتوظيفِها توظيفاً إنسانياً واعياً لخدمةِ الحياةِ الإنسانيةِ اقتصاداً وعلماً وتعليماً وطباً وصناعة وأمناً وإيماناً ومواقفَ إيجابيةً).

وهذه هي نقطةُ التباينِ بين علماءِ الدياناتِ الشرعيةِ وعلماءِ التوليفاتِ الإنسانيةِ الوضعيةِ ، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾[البقرة:١٤٨] .

المستثمرون للتباين الحاصل بين أصحاب العلوم الشرعية وأصحاب العلوم الوضعية

و**المستثمرون لأطرافِ التباُينِ** جِهَتَانِ:

❁ الأولى دعوة الصراط المستقيم ، وهي الدعوةُ الإلهيةُ العليا على ألسنةِ الأنبياءِ والرسلِ ومن ارتبطَ بهم من العلماءِ الصالحينَ والأتباعِ المؤمنين من أهل الحصانة والعدالة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ومصيرهم إلى السلامة في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

❁ الثانية جهةُ الشيطانِ الرجيمِ وما ابْتَلَى اللهُ به العبادَ من آثارِ دعوتِه السلبيةِ على ألسنةِ الدجاجلةِ والكفارِ والوكلاءِ العباقرةِ من المنافقين والمرجفين والذين في قلوبهم مرض ومن تبعهم من المستغفلين من أمة الإسلام بعلم وإدراك وتسييس متعمد إلى يوم الدين ومصير من لم يتب منهم ومن لم يتغشاه المولى بواسع

رحمته إلى جهنم وبئس المصير.

وتحتَ هذا البابِ تأصيلٌ خطيرٌ لا يُدركُ إلا بالتعمقِ في آياتِ اللهِ وسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ وطولِ النَّظَرِ في المدلولاتِ والمواقفِ الشرعيةِ والمدلولاتِ والمواقفِ الوضعيةِ ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١].

علم البشارات والإشارات

تَفْصِيلُ مَرَاتِبِ عِلْمِ البِشَارَاتِ وَالإِشَارَاتِ وَأَسْبَابِ السَّلَامَةِ مِنَ الفِتَنِ وَحَصَانَةِ السَّنَدِ وَالعُدُولِ

ويطلقُ هذا التعريفُ على ما تناثرَ من أحاديثِ علاماتِ الساعةِ المتناولةِ بشاراتٍ وإشاراتٍ وتنفساتِ المراحلِ، سواءً ما كان منها على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ أو ما كان من بعدِه، ومنها ما تناولَ شأنَ البشاراتِ للآلِ والصحابةِ وبعضِ تَنَفُّساتِ المراحلِ وامتدادِ الإسلام في الأرض، ومنها ذِكرُ بعضِ الأفرادِ بخيرٍ فيما يأتي من الزمان إما بالاسمِ أو الدلالةِ والإشارةِ، كبشارته بباقر العلم في آل البيت، وبعالمِ مكةَ ـ وفي رواية: عالمِ قريشٍ ـ يملأُ طباق الأرض علماً، وبالإمام المهديِّ وعيسى، وغيره من نماذج البشارات بالأفراد والشخوص.

وتدخلُ هذه البشاراتُ في بابِ الحصانةِ والسندِ والعدالةِ أيضاً، وخاصة عند احتدام الأمور وصدور القذف والتهمة من بعض المسلمين لبعض آل البيت والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان فتكون أحاديث البشارات والحصانة وسلامة التلقي خير حماية لأولئك من ألسِنة أهل الفتن والفتن المضلة ومنها أحاديث السلامة من الفتن وتوجيهات الرسول في شأن ما يفعله المسلم إذا أسيلت الدماء بين المسلمين، واحتدم أمر الناس واختلفوا على كرسي الحكم

والعلم.

واعتنت هـذه الأحاديث بصفة العلـم والمواقف الواجبة فيهـا كقوله ﷺ : «إذا رَأَيْـتَ شُـحًّاً مُطَاعـاً ، وهَوًى مُتَّبَعًـا ، ودُنْيَا مُؤْثَـرَةً ، وَإِعْجَـابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ ، فَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِكَ وَدَعْكَ مِنْ أَمْرِ العَوَامِّ»[1].

وكتوجيهـه ﷺ بقـراءة فواتح سـورة الكهف على الدجـال ، ويدخل فيها كل ما يتعلـق بالتحصـن من الفتـن كالأدعية الواردة فـي ذلك والآيـات المجربة للحفظ والحماية من الإنس والجن باعتبار علاقة ذلك بالفتن الظاهرة والباطنة .

وقد سـمى النبي ﷺ الفتنَ ومضلاتِها ، وأشـار إلى أئمتها ورجالها ، وبيَّن بعض علاماتهـا وعلاماتهـم ، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال:٤٢] .

وتحـت هـذا القسـم أمـورٌ كثيرة لا تكفـي لها مثل هـذه العجالـة .. وقد صنف العلماء في باب الفتن ومضلاتها عشـرات المؤلفات الجامعة ، وهي مادةٌ مرجعيةٌ لهذا العلم الواسع بدءاً من عصر آدم ونهاية بالنفخ في الصور .

من هذا العلم ما يخص السند والعدالة

ومـن نماذج هذا القسـم ما يخص علم الحصانة والسـند والأئمة العدول ، وهو علـم خاص بفقه التحولات يؤخـذ من النصوص ومعاني آيات الارتباط السـندية ومعاني (الأئمة العدول) ، كقوله تعالى على لسان يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ مدافعاً عن منهج تلقيـه الأبـوي السـندي : ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا

(١) «سـنن أبـي داود» (٤٣٤١) بلفظ : «فَعلَيكَ بنَفسِـكَ» و«سـنن الترمـذي» (٣٠٥٨) بلفظ : «بِخَاصَّةِ نَفسِكَ» و«سنن ابن ماجه» (٤٠١٤) «فَعَليكَ خُويصَةَ نَفسِك» .

يَشۡكُرُونَ ﴾ [يوسف:٣٨]. وكتوثيق الحق سبحانه لمن يعنيهم معنى الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام:٨٩]، وكقوله في الإشارة إلى الموطن والأصل الثابت: ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗا﴾ [الأعراف:٥٨].

ومن ذلك قوله ﷺ في حصانة السند المتصل: «**يحمل هذا العلم من كل خَلَف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»[1].

أنواع الحصانة

و**الحصانةُ** أنواعٌ:

- حصانةُ أفرادٍ، كما هو في أحاديث المناقب.
- حصانةُ مراحلَ، كما هو في أحاديث حصانة مرحلة الخلافة.
- حصانةُ فئاتٍ كما هو في حصانة أهل بدر والشجرة وآل البيت.

ولكل حصانةٍ شروطٌ[2].

---

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي (٢٠٩١١)، و«مسند البزار» (٩٤٢٣)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧: ٣٩).

(٢) حصانة المراحل على أنواع:

١- مرحلةُ الرِّسالَةِ، وحصانتُها الوحيُ، والعِصمَةُ، والمُعجِزاتُ، والأخلاقُ

٢- مرحلةُ الخلافةِ الرَّاشِدَةِ، وحصانتُها الاجتهادُ، ونُصوصُ النُّبُوَّةِ، ومواقِفُ الخُلَفاءِ.

٣- مرحلةُ المُلْكِ العَضوض وحتّى مرحلةِ الغُثاءِ، وحصانتُها حِفظُ بَيضةِ الإسلامِ، وإقامةُ فرضِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ.

٤- ولا حصانَةَ لمرحلَةِ الغُثاءِ ورُموزِها بعد نقضِ الحُكمِ والعِلم، وإنّما يبقى الحِفظُ العامُّ للأُمَّةِ على صِفَةِ العُمومِ من قولِه ﷺ: «**مَثَلُ أُمّتِي كَالمَطَرِ يَجعَلُ اللَّهُ فِي أَوَّلِهِ خَيرَاً وَفِي آخِرِه خَيرَاً**» «المعجم الكبير» للطبراني (١٣: ٣١) (٦٥) وعلى صِفَةِ الخُويصَةِ والخاصَّةِ في قولِهِ ﷺ: «**وعليكَ بِخُويصَةِ نفسِكَ**» «المعجم الكبير» (١٣: ١٢) (١١).

علوم الكونيات والكوارث والأشراط

❁ تَفْصِيلُ عُلُومِ الكَوْنِيَّاتِ وَالكَوَارِثِ وَالأَشْرَاطِ

وهـو ما يخص الأحاديث والآيـات في التغيرات والتحولات المشـار إليها في أحاديـث علامـات السـاعة بالخسـوفات والكـوارث والبراكين كالنـار والدخان والخسـف والقـذف والمسـخ ، والدجـال ويأجـوج ومأجـوج والدابـة ، والنـار الحاشرة ، وهدم الكعبة ، وطلوع الشمس من مغربها ونحوه .

علوم ربط الديانة بالتاريخ

❁ تَفْصِيلُ عُلُومِ (رَبْطِ الدِّيَانَةِ بِالتَّارِيخِ)

وهـو العلـم الذي يخص قراءة التاريخ الأبوي النبوي الشـرعي منذ بداية الحياة الى نهايتها من خلال القرآن والسـنة الشـريفة ، وما يقابله من قراءة التاريخ الأنوي الطبعي الوضعي وتاريخ الفصل بين الديانة والتاريخ ، وهذا العلم يعيد قراءة القرآن قراءةً تاريخيةً شـرعيةً مفصلةً فيما يناسب **الربط الشرعي بين الديانة والتاريخ** ، من مثل :

❁ دراسة التكوين الآدمي ، وما يخصه من الآيات والأحاديث وموقف إبليس من السجود لآدم وما ترتب على ذلك .

❁ دراسة مرحلة سكن الجنة وبدء مرحلة الأوامر والنواهي ، وفقه عداوة الشيطان وأثره على الإنسان .

❁ دراسـة مرحلة الإهباط إلى الأرض ووظائـف الفرقاء في الحياة ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣- ١٢٤] .

وسيأتي تفصيلها على ثلاث مراتب :

١ـ **المرحلة الأساسية** في دراسة فقه التحولات ، وهي مرحلة الرسالة بقسميها المكي والمدني .

٢ـ **المرحلة الاستباقية** ، وهي المرحلة التي تناول الحديث عنها ﷺ من عهد موته ﷺ إلى قيام الساعة .

٣ـ **المرحلة الاستقرائية** ، وهي المرحلة السابقة لبعثته وميلاده ﷺ إلى عهد آدم عليه السلام .

❁ دراسة بدء مرحلة مسؤوليات الخلافة على صفة المدرسة الأبوية النبوية أبوية آدم ومن آمن به، وأنوية الشيطان ومن ارتبط به . وبدء نشاطه الكفري في «قابيل» ليؤسس مدرسة الأنوية الإنسانية في العالم وبدء مرحلة التاريخ المادي المجرد ، المدرسة القائمة على (الكفر – القتل – الكذب – العقوق – الغرائز – الرفض والإباء) وما يقابلها من معادل السلوك الأبوي النبوي الشرعي لدى (هابيل) كما ورد في آيات سورة المائدة : ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [المائدة:٢٧] .

وهذا العلم يعيد قراءة القرآن والسنة ويلحق به ما ترتب على افتراق المدرستين مدرسة الأبوة الشرعية ومدرسة الأنوية الوضعية في سير العالم الإنساني ، وتميز المدرسة الأبوية النبوية برسالة آدم وموقف هابيل وما تفرع بقراءته من الكتب المنزلة والرسل والأنبياء عبر الأزمنة ، والمراحل من آدم عليه السلام إلى نوح عليه السلام ، ومن نوح عليه السلام إلى إبراهيم عليه السلام ، ومن إبراهيم عليه السلام إلى موسى عليه السلام ، ومن موسى عليه السلام إلى عيسى عليه السلام ، ومن عيسى عليه السلام إلى عهد محمد ﷺ وهو العهد الذي يمتد إلى قيام الساعة وفق الدراسة العلمية الشرعية لفقه التحولات .

أقسامُ العِلمِ بِعلاماتِ السّاعةِ

أقسام العلم بعلامات الساعة

أقسامُ العِلمِ بِعلاماتِ السّاعةِ ثلاثةٌ :

العلم الواجب

القِسْـمُ الأوَّلُ : العِلـمُ الواجِـبُ بالعلامـاتِ الكُبـرَى ، وهـي العلامـاتُ العَشـرُ الكُبرى ، وسيأتي تفصيلُها.

العلم اللازم

القِسْـمُ الثَّاني: العِلمُ اللّازِمُ بالعلاماتِ الوُسطى ، وهي العلاماتُ الحاملةُ صِفَةَ التَّوسُّـطِ الزَّمَنِـيِّ بين ما سـبقَها مِن بعـضِ العلاماتِ الصُّغرى ومـا يأتي بعدَها من العلاماتِ الكُبرى ، وسيأتي تفصيلُها .

العلم المطلق

القِسْـمُ الثَّالِـثُ : العِلمُ المُطلَـقُ بالعلامـاتِ الصُّغرى ، وهي مُجمَـلُ العلاماتِ المُتَنوِّعَـةِ التي أخبرَ عنهـا النَّبيُّ ﷺ مُبتَدِئةً بما قبل ميلادِه ونهايةً بالنَّفخِ في الصُّورِ .. وقيامِ السّاعةِ ، وسيأتي تفصيلُها .

الفرقُ بين السّاعةِ والعِلمِ بعلاماتِ السّاعةِ

مشكلة الخلط بين الساعة وبين العلم بعلاماتها

خَلَطَ كثيرٌ من الباحثين بين مفهومِ السّـاعةِ وبين العِلمِ بعلاماتِ السّـاعةِ ، وترتَّبَ علـى هـذا الفهـمِ رَبطُ السّـاعةِ والعلامـاتِ بمسـألةِ الإيمـانِ باليومِ الآخِـرِ ، وكتبَ بعضُهم في هذا الأمرِ تحت هذا المفهومِ : (الإيمانُ بعلاماتِ السّاعةِ ركنٌ من أركانِ الإيمان) وجمعَ بين أسماءِ يوم القيامةِ وبينَ أشراطِ السّاعةِ . وكتب آخَرُون : الإيمانُ بأشراطِ السّاعةِ داخلٌ ضِمنَ الإيمانِ باليومِ الآخِرِ فهي من الإيمانِ بالغَيبِ .

والأصلُ أنّ العِلمَ بعلاماتِ السّـاعةِ لا علاقةَ له برُكنِيَّةِ اليومِ الآخِرِ وإنما علاقَتُهُ بالإيمانِ باليومِ الآخِرِ من حيثُ أصلُ الإيمانِ بالغَيبِ فقط ، أما حقيقتُه فعِلمٌ مُفَصَّلٌ في نُصوصٍ خاصَّةٍ به ، ويُؤكِّدُ ذلك حديثُ حُذيفةَ بن اليَمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القائلِ : «واللهِ إنِّـي لأَعلَـمُ النَّاسِ بِـكُلِّ فِتنَةٍ هي كائِنَـةٌ فيما بيني وبيـنَ السّـاعةِ»[1] ، فذكرَ حذيفةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحديثِ عِلماً خاصّاً مُسـتَقِلّاً ، وهو ما تَضَمَّنَهُ حديثُ جِبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في الرُّكنِ الرَّابعِ من أركانِ الدِّينِ وهو قوله : (أخبِرني عن أماراتِها؟) وذكرَ الحديثَ .

وأمـا السّـاعَةُ كنِهايةٍ للكـونِ وما بعدَه فهـو عِلمٌ يرتَبِـطُ باليومِ الآخِـرِ باعتبارِ أنَّ النَّفخـةَ فـي الصُّورِ هي علامةُ نِهايَةِ الحياةِ الإنسـانيَّةِ وأن سـاعةَ المـوتِ هي نهايةُ حياةِ الفَردِ بالنسـبةِ للإنسـانِ ، كما أنَّها مُبتدأُ ما بعد الحيـاةِ المعروفِ باليومِ الآخِرِ وما يترتَّبُ عليه .

النصوص دلت على أن الساعة غير العلم بعلاماتها

والآيـاتُ تَـدُلُّ علـى أنَّ السّـاعَةَ ـ وهـي نِهايَـةُ الكـونِ ـ غيـرُ العِلـمِ بعلامـاتِ السّـاعَةِ ، وهـي الوَقائِعُ والأحداثُ السّـابِقَةُ لها ؛ قـال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٩١) .

﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]. وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا﴾ [النازعات: ٤٢-٤٣].

كُلُّ هـذه الآيـاتِ تَدُلُّ على أنَّ السّـاعةَ يقصدُ بهـا نهايةُ الكونِ، وأنَّهـا تختَلِفُ في فِقهِها عن العِلمِ بعلاماتِ السّـاعةِ، وهي الوقائعُ والأحداثُ السّـابقَةُ لِنهايَةِ الكونِ، وقد فَصَّلت الأحاديثُ هذا المفهومَ تفصيلاً تامًّا، كحديثِ حُذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه الإمامُ مُسلمٌ قال: «أخبَرَني رَسُولُ اللَّه ﷺ بما هو كائنٌ إلى أن تقومَ السّـاعَةُ»[1]، وحديثِ: «لقد خَطَبَنا النَّبيُّ ﷺ خُطبَةً ما ترك فيها شيئاً إلى قيامِ السّاعَةِ إلا ذَكَرَه»[2].

الأشراط في حديث مكحول

بهذا يُعلَمُ أنَّ العِلمَ بعلاماتِ السّـاعةِ رُكنٌ شَـرعِيٌّ مُستَقِلٌّ ينطوي تحت الرُّكنِ الرَّابِعِ من حديثِ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ويختَصُّ بما سـبق ذِكرُهُ من الأشـراطِ والأماراتِ والعلامـاتِ والفِتَـنِ ومُضِلَّاتِ الفِتَـنِ والملاحِمِ والبِشـاراتِ. ويؤيِّدُ هذا حديثُ مكحـولٍ: قـال أعرابيٌّ: يا رسـول الله متى السّـاعةُ؟ فقال رَسـولُ اللـهِ ﷺ: «**ما المسـؤولُ عنها بِأعلَمَ مِن السَّـائلِ، ولكِنَّ أشـرَاطَها: تقارُبُ الأسواقِ، ومَطَرٌ ولا نبـاتَ، وظهورُ الغِيبَةِ، وظُهـورُ أولادِ الغَيَّةِ[3]، وتعظيمُ رَبِّ المال، وعُلُوُّ أصواتِ الفُسَّـاقِ في المسـاجِدِ، وظهورُ أهلِ المُنكَرِ على أهلِ المعروفِ، فمَن أدرك ذلك الزَّمانَ فليَفرَغ بِدينِهِ وليكُن حِلساً من أحلاسِ بيتِه**»[4].

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٩١).
(٢) «صحيح البخاري» (٦٦٠٤).
(٣) أي: أولاد الزنا.
(٤) «الفِتَن» لنعيم بن حماد (١٧٩٦).

مفهومُ فِقهِ التَّحوُّلاتِ

مفهوم فقه التحولات

يُقصَدُ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ فَهمُ ما يجري من سُنَنِ التَّغيُّراتِ والحوادثِ في المراحِلِ المُتقلِّبَةِ عبر الأزمِنَةِ، وما يترتَّبُ على ذلك التَّحوُّلِ من نَقضٍ أو قَبضٍ أو صلاحٍ أو فسادٍ أو بِشاراتٍ.

اشتقاق اللفظة

والتَّحوُّلِ: مُشتَقٌّ من (تَحوَّل، يتحوَّلُ) أي: (تَغيَّر، يتغَيَّر)، ومعناه ـ كما سبق ذكرُه ـ تحوُّلٌ زَمَنيٌّ من حالٍ إلى حالٍ، أو تحوُّلٌ فِكريٌّ من رُؤيةٍ إلى أخرى، ويُقاسُ عليه كُلُّ ما يتعلَّقُ بأمرِ التَّحوُّلِ والتَّبدُّلِ، قال تعالى في هذا المفهومِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾[الرعد: ١١]

مادة فقه التحولات

ويعتمِدُ فِقهُ التَّحوُّلاتِ في تأصيله وسردِ وقائِعِه على جُملَةِ أحاديثِ السّاعةِ والفِتَنِ ومُضِلّاتِها التي تكلَّم عنها ﷺ.

وأما كَلِمَةُ الفِقهِ في اللُّغَةِ فهي الفَهمُ.

الفقه في اللغة والاصطلاح

وفي الاصطِلاحِ العَامِّ: إدراكُ المقصودِ المُترتِّبِ على نوعِ العِلمِ المُقرَّرِ، قال ﷺ: «مَن يُرِدِ اللهُ به خَيراً يُفقِّهُهُ في الدِّينِ»[1].

فالفِقهُ هنا لا ينحَصِرُ على فِقهِ العِباداتِ وفِقهِ المُعاملاتِ وفِقهِ الجِناياتِ أو غيرِها من الفِقهِ المَذهَبيِّ المُندَرِجِ تحت علمِ الأُصولِ، وإنما يُفهَمُ الفِقهُ في تأصيلِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ بأنَّ كَلِمَةَ الدِّينِ في الحديثِ تدُلُّ على كافَّةِ عُلومِ الدِّينِ والتَّديُّنِ المُنطَوِيَةِ تحت مفهومِ أركانِ الدِّينِ الأربعةِ، وفي ذلك يقولُ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾[آل عمران: ١٩].

(١) متفق عليه، «صحيح البخاري» (٧١) و«صحيح مسلم» (١٠٣٧).

فالإسلامُ هنا أوسَعُ من مفهومِ أركانِهِ الخَمسَةِ، لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

الإسلام في معناه الكلي

إذ المعنى العامُّ للإسلامِ هنا كالمعنى العامِّ للدِّينِ، وهو كُلُّ ماجاءت به الرِّسالَةُ المُحَمَّدِيَّةُ هو الدين.

الإسلام اصطلاحاً في معناه الجزئي هو الالتزام بالأركان الخمسة

وأما عندما نُفسِّرُ الإسلامَ والدِّينَ في المفهومِ الجُزئيِّ فيسمَّى ـ كما عَرَّفَه العُلماءُ :ـ (الانقيادُ للأحكامِ الشَّرعِيَّةِ والالتِزامُ بالأركانِ الخَمسَةِ)، ولا زال التّناوُلُ لهذ المُسمَّى (فِقهِ التَّحوُّلاتِ) في أوَّلِ مرحلةِ الأَخذِ به، ولهذا فهناك الكَثيرُ من القُصورِ المَعرِفِيِّ الذي يحتاجُ فيه هذا العِلمُ إلى مُتابعةٍ وتأصيلٍ لما لم يُؤصَّل منه وربطٍ عِلمِيٍّ بين الظَّواهِرِ والأحاديثِ، وخاصَّةً أنَّ كثيراً من المُؤلِّفينَ قد تجاوَزوا الحَدَّ المشروعَ في تفسيرِ علاماتِ السّاعةِ والرَّبطِ بينها وبين وقائِعِ الأحوالِ حتى أدَّى ذلك إلى مالا تُحمَدُ عُقباهُ في التَّحليلِ والتَّعليلِ.

ثمرة العلم بعلامات الساعة هي جمع الأمة على القواسم المشتركة ورفع وعي الخاصة والعامة

إنَّ العِلمَ بعلاماتِ السَّاعةِ عِلمٌ شرعِيٌّ مُوثَّقٌ في كتابِ اللهِ تعالى وسُنَّةِ نَبيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وفيه من التَّبيينات والتَّفصيلاتِ والتأصيلاتِ ما يُفصِحُ عن أُسُسِ المُعالَجَةِ الصَّحيحةِ لمشاكلِ الحياةِ على الُمستَوى المَحَلِّيِّ والإقليمِيِّ والعالَمِيِّ، وخاصَّةً عندما يعودُ العُلماءُ الى دراسَةِ هذا الفِقهِ برَوِيَّةٍ وتأنٍّ وحُسنِ أَدَبٍ مع النَّصِّ النَّبَوِيِّ وسلامةِ تَوَجُّهِ النِّيَّاتِ في العلاقةِ باللهِ سبحانه وتعالى لخدمَةِ هذا العِلمِ، فيكونُ به إيضاحُ الحَقِّ من الباطلِ وجمعُ كَلِمَةِ العُلماءِ من هذه الأُمَّةِ على قَواسِمَ شرعيَّةٍ واعِيَةٍ تُسهِمُ في رَبطِ الشُّعوبِ والأجيالِ بعالَمِيَّةِ [١] مَنهَجِ النُّبُوَّةِ السَّديدِ ـ ولو مِن

---

(١) العالمية في منهج النبوة يقابل في معالجته واستيعابه الواسع مراحل العلمانية والعلمنة والعولمة باعتبار أن هذه التعريفات مراحل جزئية وضعتها الظروف السياسية المتحولة، أما عالمية منهج النبوة (العالمية) فهي كلام الله تعالى وسنة نبيه ﷺ المحصن بالوحي

بعـضِ الوُجـوهِ[1] ـ حيثُ إنَّ النَّبيَّ ﷺ قد أعذر الشُّـعوبَ في آخِرِ الزَّمانِ وخاطبَ الجيلَ الأوَّلَ بهذا الإعذارِ مِن مِثلِ قولِه ﷺ : «إِنَّكُمْ في زَمَانٍ مَنْ تَرَكَ مِنْكُمْ عُشْرَ ما أُمِرَ بِهِ هَلَكَ ، ثُمَّ يَأْتِي زَمَانٌ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ بِعُشْرِ مَا أُمِرَ بِهِ فَقَدْ نَجَا»[2] .

الأساس في النجاة هو العمل

والأسـاسُ فـي النَّجـاةِ هو العَمَـلُ ، وهذا موضوعٌ هَـامٌّ في فِقـهِ التَّحوُّلاتِ وهو موضـوعُ (المبـادَرَةِ بالأعمـالِ) حيثُ يُسـتعاضُ عن الأعمـالِ الصَّالِحَـةِ في آخرِ الزَّمـانِ بالجَـدَلِ والمُحاجَجَةِ والَبغيِ وما تَرَتَّبَ عليها مـن عوامِلِ النِّزاعِ والصِّراعِ والاختلافِ المُفضِي إلى الحربِ والاقتالِ ، وفي هذا البابِ أحاديثُ كثيرَةٌ فنذكرُ منها قولَهُ ﷺ :

«بادروا بالأعمال» وما يترتب على مفهوم المبادرة

١ – «بـادِرُوا بالأعمـالِ فتناً كقِطَـعِ اللَّيلِ المُظلِـمِ ، يُصبِحُ الرَّجلُ مؤمناً ويُمسـي كافـراً ، أو يُمسـي مؤمنـاً ويُصبِـحُ كافـراً ، يبيـعُ [أحدُهم] دينَـه بِعَرَضٍ مـن الدُّنيا قليلٍ»[3].

٢ – «بـادِروا بالأعمالِ سـبعاً ، هـل تنتَظِرون إلا فَقراً مُنسِـياً ، أو غِنـىً مُطغِياً ، أو

والعصمة .

(١) والمقصـود بقولنـا : ولو من بعـض الوجوه ، أي : من جهة تأصيـل منهجية الدعوة إلى الله الجامعة لأمة الإسـلام على قواسمها المشتركة ، ولو اختلفت فهومها واستنباطاتها الفقهية باختلاف اجتهاداتها ، فإن للدعوة إلى الله في هذه القاعدة المتنوعة المتباينة وجوه جامعة ووشائج متداخلة ، يمكن بها رأب الصدع وإصلاح الطبع ، والتزام أدب الشرع .

(٢) «سنن الترمذي» (٢٢٦٧) ، وفي «السلسلة الصحيحة» للألباني (٢٥١٠) : «إنكم اليوم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه من ترك عشر ما يعرف فقد هوى ، ويأتي من بعد زمان كثير خطبـاؤه قليل علماؤه من استمسـك بعشـر ما يعـرف فقد نجا» قال الألباني : وهذا إسـناده صحيح رجاله كلهم ثقات .

(٣) «صحيح مسلم» (١١٨) .

مَرَضـاً مُفْسِـداً ، أو هَرَماً مُفنِّـداً ، أو موتاً مُجهِزاً ، أو الدَّجَّالَ فَشَـرُّ غائِبٍ يُنتَظَرُ ، أو السّاعَةَ والسّاعَةُ أدهى وأَمَرُّ»[1].

وقد تناوَلَ شُـرَّاحُ الحديثِ معانِيَهُ باسـتفاضَةٍ ولكنَّا مِن واقِعِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ نزيدُ الموضوعَ جلاءً وبياناً :

يرى البعض أن نصوص هذا الفقه تحمل تشاؤماً وصوراً قاتمةًللمستقبل وهذا وهمٌ

الأَوَّلُ : إنَّ مِثـلَ هـذه الأحاديـثَ لا تحمِلُ تشـاؤماً ولا صورةً قاتِمةً للمُسـتقبَلِ حيـثُ يظُنُّ البعضُ مثـلَ هذه الأوهامَ النَّاتِجـةَ عن الجَهلِ بالمعاني الشَّـرعِيَّةِ التي يكشِـفُها ﷺ للأُمَّـةِ كي تتوَقَّى الخَطَـرَ والهلاكَ ، فالإفصاحُ البَيِّـنُ عن هذِهِ الأُمُورِ يدخُـلُ تحت مبدأِ (الوِقايَةُ خيرٌ من العِلاجِ) والنَّبيُّ ﷺ مُنذِرٌ مأمورٌ ومأذونٌ له من عند ربِّهِ ، فكيفَ يكونُ بيانُهُ تشاؤُماً .

الثَّاني : أنَّـهُ ﷺ يأمُـرُ العِبادَ فـي المرحلَةِ التي يقودُهـا ويأتَمِرُ النَّـاسُ فيها بأمرِهِ ورِسـالَتِهِ أن يكـون هَمُّهـم في حياتِهـم العَمَـلَ الصَّالِحَ والمُبـادَرَةَ إليـه ، والعملُ الصَّالِحُ لا يقتَصِرُ فقط على العباداتِ الشَّـرعِيَّةِ بل يَشـمَلُ مفهومَ العَمَلِ في شُؤونِ الدِّيانَةِ وفي شُـؤونِ الحياةِ الدُّنيويَّةِ التي لا بد منها ، حيث يُشـيرُ الحديثُ ذاتُهُ الى هـذا المفهـومِ من خلالِ الإشـاراتِ التي أخبرَ عـن وُقوعِها ، فكأنـه ﷺ ـ كما في الحديثين السابقين ـ[2] يقول : **فهل تنتَظِرُون** ـ عندَ انقطاعِ المُبادَرَةِ للأعمالِ وعَدَمِ

الإشارة النبوية إلى ما يحل بالأمة عند انقطاع الأعمال

---

(١) «سـنن الترمذي» (٢٣٠٦) ، ونقل ابن باز في «مجموع الفتاوى» تحسـين الترمذي له (١٦ : ٣٣٦) .

(٢) وهمـا فـي الصفحة الماضيـة قوله ﷺ : «**بـادروا بالأعمال فتنا كقطع الليـل المظلم يصبح الرجـل مؤمنا ويمسـي كافرا ويمسـي مؤمنا ويصبح كافرا يبيع دينه بعـرض من الدنيا قليل**» وقوله ﷺ : «**بادروا بالأعمال سـبعا، هل تنتظرون إلا فقرا منسـيا ، أو غنى مطغيا ، أو مرضا مفسـدا ، أو هرما مفندا ، أو موتا مجهزا ، أو الدجال فشـر غائب ينتظر ، أو السـاعة والساعة أدهى وأمر**» .

النَّظَـرِ الواعي الـى الُمرادِ المُترتِّـبِ على المبادَرَةِ والمسـارعَةِ ـ إلا أمـوراً خطيرَةً وشُـؤوناً تُدَبَّرُ في الخفاءِ ضِدَّكم في كافَّةِ شُـؤونِكم ـ وكأنَّه يُشيرُ ضِمناً إلى سياسةِ الشَّيطانِ وأتباعِهِ وعُمَلائِهِ الذين يعملون على احتناكِ الشُّعوبِ بالتَّجويعِ والتَّرويعِ والتَّطبيـعِ والتَّطويعِ ـ حتى يمتَلِكون رقابَكم وحاضِرَكم ومُستَقبَلَكم فيجرِّعُونكم غُصَّةَ الفَقرِ المُنسي ـ كما سَمَّاه ﷺ ـ والغِنَى المُطغي .. إلخ .

معنى «الفقر المنسي»

وهذا ما تعيشُـه الأُمَّةُ اليومَ ويعيشُـهُ العالم كُلُّهُ من سِياسـاتِ الدَّجْلِ الاقتصادِيِّ الرِّبَـويِّ والدَّجَـلِ الإعلامـيِّ والتَّعلِيمِـيِّ والثَّقافِيِّ والسِّياسِـيِّ والدِّينِـيِّ وإلى غيرِ ذلـك، فالمُتَنَفِّذون مِن حَمَلَةِ القَرارِ السِّياسِـيِّ الاقتصاديِّ فـي العالم يُعِدُّون العُدَّةَ لهذا الفَشَلِ المُبَرمَجِ والنَّبيُّ ﷺ يُحذِّرُ الشُّعوبَ من هذه المهالكِ بِكَلِماتٍ وَجيزَةٍ وعِباراتٍ قصيرَةِ المبنى عميقةِ المعنى .

ولعلَّ من معاني الفَقرِ المُنسـي ما يعيشُهُ المُسلمون وجماهيرُ العَرَبِ والأعرابِ فـي تفعيـلِ الصِّراعِ الاقتصـادِيِّ داخِلَ المُجتمعـاتِ المُتهالِكَةِ بالاقتصـادِ الرِّبَوِيِّ الرَّأسماليِّ والاقتصادِ السِّياسِيِّ الشُّيوعِيِّ وما شابه ذلك من التَّوليفاتِ الاقتصادِيَّةِ المُنسِـيَةِ لِشـعوبِ الأُمَّةِ قواعِدَ الآدابِ والقِيَمِ والدِّيانَةِ من أجـلِ لُقمَةِ العيشِ وفي سـبيلِ تحصيلِهـا، فهذا يَضْطَرُّ للحيلَةِ والرَّشـوَةِ والكَـذِبِ ، وذاك يَقَعُ فـي الخِيانَةِ للأمانَـةِ والنَّهبِ والسَّـلبِ . بـل وتَجِدُ المُسـلِمَ المُصَلِّيَ الصَّائِمَ يُدافِعُ عن نظرِيَّةِ الاقتصادِ الاشـتراكيِّ أوالرأسماليِّ وكأنَّها من مِلَّةِ صاحبِ الدِّيانَةِ الإسلامِيَّةِ نتيجَةَ الفَقرِ الُمنسي المُشارِ إليه في الحديثِ .

معنى «الغنى المطغي»

وكذلـك الغِنـى المُطغـي القائِمِ علـى نَهبِ ثـرَواتِ الشُّـعوبِ ، وإقامةِ التوسُّـعِ السِّياسِـيِّ بِالحُـروبِ ، وصـرفِ الأمـوالِ الطائِلَـةِ للاسـتثماراتِ ذاتِ الطَّابِـعِ

الاستهلاكيِّ والتَّسييسِ الإعلاميِّ والثَّقافيِّ المُدَمِّرِ للقِيَمِ الشَّرعِيَّةِ، والرَّاعي للنَّوازِعِ والشَّهواتِ الطَّبعِيَّةِ، سواءً في المُجتمعاتِ غيرِ المُسلِمَةِ أو في المجتمعاتِ الإسلاميَّةِ ذاتِها، وخاصَّةً عند النَّظَرِ في طُغيانِ رجالِ المالِ والأعمالِ فيما يُنفِقُونه على الشَّهواتِ واللَّذائِذِ وأسبابِ الحياةِ المُترَفَةِ كالمشاريعِ السِّياحِيَّةِ ومواقِعِ اللَّهوِ والغِناءِ، والنَّظَرِ أيضاً في مدفوعاتِ الأنظِمَةِ للثَّقافاتِ المُنحَلَّةِ والمشاريعِ الاقتصاديَّةِ المستنزفة للأموالِ دون عائِدٍ اعتبارِيٍّ مَصيرِيٍّ.

تَرَكْنَا العائد المصيري وهو ما يرفع شأن الأمة أمام أعدائها كالزراعة والصناعات التحويلية وكافة أشكال الإنتاج

والاعتِباريُّ المصيريُّ ما يرفَعُ شأنَ الأُمَّةِ أمام أعدائِها كالاهتِمامِ بالزِّراعَةِ ومُنتَجاتِها وصِناعاتِها التَّحويلِيَّةِ وإقامَةِ مبدأِ الاكتِفاءِ الذَّاتِيِّ في الشُّعوبِ بديلاً عن الاعتمادِ على الغَيرِ الذي تُمارِسُهُ الأُمَّةُ اليوم بما هو معروفٌ في سِياسَةِ الاستيرادِ لِكُلِّ شيءٍ حتى صار العالَمُ العَرَبِيُّ والإسلاميُّ مُجَرَّدَ سُوقٍ استهلاكِيَّةٍ للبضائِعِ والصِّناعاتِ الخارجِيَّةِ مع ضعفٍ في المواردِ الدَّاخِلِيَّةِ وإهمالٍ للزِّراعَةِ وتربيةِ الحَيَوانِ، وكُلُّ هذا يدخلُ في هذا المعنى المُشارِ إليه بـ«الغِنى المُطغي».

تركنا للصناعات الإنتاجية والثروات وهجرنا لمبدأ الاكتفاء الذاتي جعلنا (سوقا استهلاكيا) وهذا ما أدى إلى الغنى المطغي

ويزدادُ خَطَرُ الغِنى المُطغي عندما يَجِدُ المُسلِمُ أَنَّ القضايا المصيرِيَّةَ ـ كقَضِيَّةِ فِلَسطينَ ـ قد تظافَرَ على إضاعَتِها أصحابُ "الغِنى المُطغي" وإعطاءِ الاحتلالِ الصُّهيونِيِّ موقِعَ الحَقِّ في حربِهِ البَهيمِيَّةِ على الشَّعبِ الأعزَلِ في فِلَسطينَ، حتى شَهِدَ العالَمُ عَلَنَاً وفي غيرِ وازِعٍ ولا رادِعٍ بَطشَ العَدُوِّ الصُّهيونيِّ بالعُزَّلِ من الرِّجالِ والنِّساءِ والأطفالِ في «غَزَّةَ» خلال مَرحَلَتِنا المُعاصِرَةِ وما قبلَها، وما قد سيأتي بعدها من خُطَطِ البَطشِ والسَّلبِ والنَّهبِ والاعتِدَاءِ الذي لا تستطيعُ أمامَهُ دُوَلُ العالَمِ العَرَبِيِّ والإسلامِيِّ أن تَتَّخِذَ قراراً مُشتَرَكاً ضِدَّ طُغيانِ العَدُوِّ المُحتَلِّ، بل وحتى بَقِيَّةِ دُوَلِ العالَمِ الإنسانِيِّ، بِصَرفِ النَّظَرِ عن كونِها مُؤَيِّدَةً أو غيرَ مُؤَيِّدَةٍ لوقائعِ الحالِ.

أصحاب الفتن المطغي أعطوا العدو حقه الاعتداء على العزل في فلسطين وغيرها ودعموه بالمال والسلاح

معنى (المرض المفسد)

إنَّ عبارَةَ النَّبيِّ ﷺ في مِثلِ هذا الحديثِ تحمِلُ مضامِينَ كبيرَةً وخَطيرَةً تُبدي حقيقةَ الاهتِمامِ الذي شَغَلَ الرَّسولَ ﷺ حول مُستقبَلِ الأُمَّةِ، إذ هو لم يَقِف عند الفَقرِ المُنسي والغِنى المُطغي، بل أشار إلى ما يترتَّبُ عليه ويرتَبِطُ به فقال: «أو مَرَضاً مُفسِدًا» والمَرَضُ المُفسِدُ: الذي يُفْسِدُ حياةَ الأُمَمِ والشُّعُوبِ ولا يَقِفُ عند الآفاتِ والأوبِئَةِ الحِسِّيَّةِ، بل يشمَلُ أمراضاً ناتِجَةً عن سُموم الموادِّ الكيماوِيَّةِ ومُخلَّفاتِ الصِّناعَةِ وعَبَثِ العُلماءِ بالجيناتِ الوِراثِيَّةِ وغيرِها مِمَّا يَدورُ خلفَ الكواليسِ، إضافةً إلى الأمراضِ المعنويَّةِ الناتِجَةِ عن انعدامِ التَّربيَةِ الرُّوحِيَّةِ والتَّزكِيَةِ الشَّرعِيَّةِ، وهي أمراضٌ اجتماعيَّةٌ خطيرةٌ يتفَجَّرُ بها الواقِعُ الإسلامِيُّ والإنسانِيُّ لانعِدامِ العِلاجِ لها، مع حصول فساد لدى بعض المرضى في علاقتهم بالله والدين والمجتمع، لقلة ثبات الإيمان وحصول فساد آخر بالإحباط والاكتئاب وغير ذلك.

معنى (الهرم المفند)

«أو هَرَمًا مُفَنِّدًا» الهَرَمُ هو الكِبَرُ والعَجْزُ، قال أهلُ اللغةِ: الفَنَدُ في الأصلِ: الكَذِبَ، يقال: أفندَ الرجلُ، إذا كبر حتى يتكلّم بما لا يُحتاج إليه، وفنَّدت الرجلَ تفنيداً، إذا خطّأته ورددت عليه قوله[1].

فالمعنى الأولُ: الهَرَمُ الذي يؤدِّي إلى الخَرَفِ، والمعنى الثاني: الردُّ على كبيرِ السنِّ وتخطئتُه وزجرُه، وإذا أخذنا هذا المعنى وطَبَّقْنَاه على المجتمعاتِ اليوم فقد تَمَّ عزلُ كبارِ السنِّ عن الواقعِ الاجتماعيِّ والأسريِّ وتحويلُهم إلى الملاجِئِ والبيوتِ الخاصةِ، وربما يكون مِثلُ هذا يشملُ الآباءَ والأمهاتِ في بعضِ أسرِ المسلمين المتأثرينَ بالحياة الحضاريةِ ذاتِ العلاقةِ المباشرةِ بمثل هذه الظاهرة،

(١) «جمهرة اللغة» (١: ٣٦١).

فعلـى صعيـدِ البلـدانِ الغربيـةِ يرى معظـمُ الأبناءَ في تلـك الدول أنه من الأسـلمِ اجتماعيـاً وصحياً للآباءِ تسـليمُهم إلـى مصحّاتِ العنايـةِ بكبارِ السـنِّ والعَجَزَةِ . ويعلّلُ الأبناءُ ذلك بانشـغالهم بالعملِ اليوميِّ لسـاعاتٍ طويلةٍ ، لأن الاهتمامَ بهم يعوقُ العملَ .

ومن المعروفِ أن الأواصرَ الأسـريةَ في عالمِ المسـلمين متماسكةٌ إلى حدٍّ أكبرَ بكثيرٍ من مثيلاتِها في العالمِ الغربيِّ الذي اتجهتْ فيه المرأةُ بشـكلٍ واسـعٍ للعملِ وتركِ أبنائِها في الحضانةِ أو عند مربيةٍ خاصةٍ . وهذا الأمرُ موجود أيضاً عند بعضِ الأسـرِ فـي العالم العربـي ولكن بنسـبةٍ أقلَّ بكثيرٍ عنـه في المجتمعـاتِ الصناعيةِ المتقدمةِ .

إن نتائـجَ عدمِ إعطـاءِ الوالدينِ أبناءَهـمُ الوقتَ الكافي في الصغـرِ تنعكسُ على علاقـةِ هـؤلاء الأبنـاءِ بوالديهـم في الكبرِ ، مع الإشـارةِ هنـا إلـى أنّ الأمَّ تبقى أمًا وأنّ ظاهـرةَ الأمومةِ لا تنطبق علـى أمٍّ دون غيرها ، لكن الفرقَ يكمنُ في الظروفِ المصاحبـةِ للقيـامِ بواجباتِ الأمومـةِ على العلاقاتِ الأسـريةِ ، وحتـى في داخل المجتمـعِ الواحـدِ فإننـا نجدُ ثمـةَ فرقاً واضحـاً في طبيعـةِ وحرارةِ علاقـةِ أعضاءِ الأسرةِ التي تسكنُ في المدينةِ عن تلك القاطنةِ في الريفِ .

ولذا فقد ظهرَ اليومَ في الدولِ الغربيةِ مفهومُ (دولةِ الضمانِ الاجتماعيِّ) ، وهي أن تصبـحَ الدولـةُ ذاتَ نسـبةٍ كبيرةٍ مـن العجزةِ الذين يعيشـونَ علـى مُخَصَّصاتِ الضمـانِ الاجتماعـيِّ ، وكمثـالٍ فقد أعلنتْ حكومـةُ ألمانيا أنها تعانـي من تَرَاجُعٍ حادٍّ في معدلاتِ المواليدِ بشـكلٍ يؤثرُ سـلباً على الاقتصادِ والقوةِ العاملةِ ويؤدي أيضا إلى (شـيخوخةِ) المجتمعِ ، وأنّ أحدَ أهمِّ أسـبابه تراجعُ ما سَمَّوْهُ بـ(مؤسسةِ

الزواجِ)[1] ، وتوصلتْ إلى أن (دعائمَ دولتِنا الاجتماعيةَ لن تَمْنَحَ بأيِّ حالٍ الأمانَ الذي تُوَفِّرُهُ الأسرةُ التقليديةُ) [2].

معنى (الموت المجهز)

«**أو موتـاً مُجهِزاً**» وهو نموذَجٌ من نماذِجِ القَتلِ الجماعِـيِّ بالعَمَليّاتِ الانتحارِيَّةِ والحَـرقِ العـامِّ للمُـدُنِ والمـزارِعِ ومَن فيهـا بحيثُ يصعُـبُ تفاديه وعـلاجُ آثارِهِ وخاصَّةً ما تُسـتخدَمُ فيها الأسلِحَةُ المُدمِّرَةُ والحارِقَةُ والفُسفورِيَّةُ ، وأعتَقِدُ أنَّ هذا النَّمـوذَجَ المُشـارَ إليه لم يَعُـد خَافياً وُقوعُهُ علـى أَحَدٍ ـ فالأجهِـزَةُ المرئِيَّةُ تعرِضُ للمُشاهِدين من هذا المَوتِ المُجهِزِ ما لا مزيدَ عليه كُلَّ يومٍ في أرجاءِ الأرضِ .

«**أو الدَّجّـالَ فَشَـرُّ غائِبٍ يُنتظَرُ**» وهذه العبارَةُ مـن الحديثِ تُعيدُنا مَرَّةً أخرى إلى قولِه ﷺ في أَوَّلِ الحديثِ : «**فهل تنتَظِرون**» إذاً فالدَّجّالُ مخلوقٌ مُنتَظَرٌ ولكنه شَرُّ مَـن يُنتَظَـرُ لما يجري بين يديه مـن الفِتَنِ والمِحَنِ والتَّحـوُّلاتِ القائِمَةِ على تدميرِ "المبادَرَةِ بالأعمالِ" في كافَّةِ صُوَرِها الإيجابِيَّةِ وخاصَّةً أنَّ كافَّةَ الانحرافاتِ إنَّما تُمَهِّدُ للمَسيخِ الدَّجّالِ الذي تنتظِرُه الشُّعوبُ ليُرغِمَها على الاتِّجاهِ الإجباريِّ نحو «جُحرِ الضَّبِّ» ، نسألُ اللهَ السَّلامَةَ.

«**أو السّاعةُ والسّاعةُ أدهى وأَمَرُّ**» وهي نهايةُ الكونِ الإنسانيِّ بكاملِه وانتهاءُ دورةِ

---

(١) وهي تسـمية حديثـة أُطلقت على مظاهر الزواج التقليدي بعد أن شـعروا بأهميته، ويقابلها ما تم تقنينه لديهم مؤخرا كزواج المثليين (الرجال بالرجال والنساء بالنساء) ، وسائر أنواع العلاقات المشبوهة التي أقيمت لها مؤسسات الخنا والفجور بحماية الحكومات .

(٢) والآن تقـومُ هذه الحكومات بمحاولاتٍ يائسـةٍ لتشـجيعِ أبناءِ الشـعبِ علـى الإنجابِ من خلالِ زيادةِ المعوناتِ المخصصةِ للأسـرةِ والأطفالِ ومنحِ الوالدينِ تسـهيلاتٍ في العملِ والضريبةِ ، وينادي البعض بالاسـتعانة بالعمال الأجانب بالهجرة والتجنيس لسـد الفجوة التي تتركها معدلات تراجع المواليد ؛ ولكن الخوف من فقدان فرص العمل يجبر الكثيرين على رفض هذه الفكرة .

الحَرَكَةِ المألوفَةِ في الحياةِ . وهناكَ جُملَةٌ من الأحاديثِ تدورُ في المعنى لا مجالَ لِذِكرِها ، وإنَّما اقتَصَرنا على هذا الحديثِ كنَموذَجٍ لاجتماعِ أَهَمِّ مُهِمَّاتِ المعاني المُتَفَرِّقَةِ فيه ، واللهُ أعلَمُ .

تأصيل فِقهِ التَّحوُّلاتِ من الكتابِ والسُّنَّةِ

قال تعالى : ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ ۝٣ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّنَ ٱلۡأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزۡدَجَرٌ﴾.

وقال تعالى : ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ ذِكۡرَىٰهُمۡ﴾ [محمد: ١٨] .

وقال تعالى : ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ [الزخرف: ٦١] (١) .

---

(١) هذه الآية الكريمة حجة بينة على أهمية علم الساعة ، وضرب الأمثلة لمعرفتها ومناقشة شؤون مستقبلها ، ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلۡمٞ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمۡتَرُنَّ بِهَا﴾ قال في التفسير : أي : إن عيسى علامة على قرب الساعة ، سواء من حيث نزوله من السماء وكشف كذب اليهود والنصارى القائلين بقتله وصلبه ، أو من حيث إقامته الشريعة الإسلامية على دين ورسالة النبي محمد ﷺ ، وكلا الأمرين لا يدركهما الكفار والمشركون إلا كما يسمعون ذلك من اليهود والنصارى بتفسير مخالف للحقيقة ، ولهذا لما قال تعالى : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ ۝٥٧﴾ [الزُّخرف:٥٧] أي : لما ذكر عيسى بن مريم في القرآن كمثلٍ لِمَا عبده الكُفّار من الآلهة من دون الله ، إذا مشركو قريش يضجون وترتفع أصواتهم بالصياح قائلين : أهذا لنا ولآلهتنا أم لجميع الأمم؟ فقال ﷺ : هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم ، فقال ابن الزبعري : قد خصمتك ورب الكعبة ! أليست النصارى تعبد المسيح ؟ واليهود يعبدون عزيرا ؛ فإن كان هؤلاء في النار فقد رضينا أن نكون نحن معهم وآلهتنا معهم ! فسكت النبي ﷺ وضحك المشركون وضجوا وارتفعت أصواتهم فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ﴾ ، قال القرطبي : ولو تأمل ابن الزبعري الآية ما اعترض عليها لأنه تعالى قال : ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ﴾ ولم يقل : ومن تعبدون ، وإنما أراد الأصنام ونحوها مما لا يعقل ولم يرد المسيح ولا الملائكة ؛ لأنها مما يعقل ، فنفى معنى الآية عنها .. كما اعتقدوا . «صفوة التفاسير» (٣: ١٦٢) .

الآيات القرآنية المعبرة عن أهمية علم الساعة

وهـذه الآيـاتُ ومثلُها إشـارَةٌ إلى أهمِّيَّـةِ عِلمِ السّـاعةِ وضرورةِ دراسَـتِه وطولِ التَّأمُّلِ في معانِيهِ المعبِّرةِ عن حالِ البشـرِيَّةِ أمامَ تحوُّلاتِ الأزمِنَةِ ومسـيرَةِ التَّاريخِ وكذا موقِفُ الإنسانيَّةِ من قضايا الرِّسالاتِ والقوانين الإلهِيَّةِ وكفرِها باللهِ والنُّبُوَّةِ ، ومثـلُ ذلـك قولُـه تعالـى : ﴿ ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ١] ، فالغَفلَـةُ هنا هي ما يجري عليهم من أشـراطِ وعلاماتِ السّـاعةِ المُؤَدِّيةِ بهم إلى الإعراضِ عن تَذَكُّرِ الآخِرَةِ من جِهَةٍ ، والإعراضِ عن القيام بالمسؤولِيَّاتِ الشَّرعِيَّةِ في الحياةِ الدُّنيا من جِهَةٍ أخرى .

علاقة القرآن العظيم بهذا الفقه أنه نزل منجماً على الحوادث والتحولات

ومما يُؤَكِّدُ علاقَةَ القُـرآنِ العظيمِ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ نزولُهُ مُنَجَّماً على رسـولِ اللهِ ﷺ حَسَبَ الحوادثِ والوقائعِ والتَّحوُّلاتِ ، حيثُ ثبت أنَّ القُرآنَ نزل على رَسولِ اللهِ ﷺ مُنَجَّماً ـ أي : مُفرَّقاً ـ في ثلاثةٍ وعِشـرينَ عاماً ، فيُسـمَّى القُرآنُ الذي نزل قبل الهجرةِ بالمَكِّيِّ والذي نزل بعد الهجرَةِ بالمَدَنِيِّ ، وقد كتب أهلُ العِلمِ في فِقهِ النُّزولِ وأسبابِهِ كُتُباً عديدةً . وقَسَّمَ العُلماءُ والمُفَسِّرونَ مُهِمَّاتِ القرآنِ وما جَمَعَتهُ السُّوَرُ والآياتُ من أحكامٍ وعقائِدَ وترهيبٍ وترغيبٍ وأخبارٍ بما لا مزيدَ عليه .

التحولات البشرية والغايات المصيرية في القرآن من فقه التحولات

وتكادُ غالِبُ سُـوَرِ القُرآنِ العَظيمِ تجمَعُ بين قضايا العقيدَةِ والشَّـريعَةِ وأحكامِها والتَّرهِيـبِ والتَّرغِيـبِ ومَراتِبِ السُّـلوكِ من جِهَةٍ ، وبين فِقهِـهِ التَّحوُّلاتِ ، وهي ما يُعرَفُ بالقِراءَةِ الشَّرعِيَّةِ للتَّاريخِ الإنسانيِّ من جِهَةٍ أخرى ، ومنها :

تكاد أغلب سور القرآن تجمع بين التشريع وفقه التحولات (القراءة الشرعية للتأريخ الإسلامي)

١ – الإشَـارَةُ إلَـى ذِكْرِ السّـاعَةِ وَعلاقتِهـا بِالحَـوادِثِ وَالوَقائِـعِ وَالتَّحَوُّلاتِ في العُصُورِ السّـابِقَةِ لِلْإِسْـلامِ كَمَا هُوَ فِي سُـورةِ الكهفِ لدى حِوارِ الرَّجلِ لصاحبِهِ : ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴾ [الكهف:٣٦]

وفي إشـارة الحقِّ سـبحانهُ وتعالى لإظهارِ أهلِ الكهفِ على أهلِ عصرٍ لاحقٍ بعد

منامِهم ثلاثمئةِ سنةٍ وتسعَ سنواتٍ فقال سبحانه : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ [الكهف:٢١] ، وفي الآية إشارةٌ إلى حالِ أهلِ الكهفِ في مرحلةِ الكفرِ والمروقِ وما ترتب على صبرِهم وهُروبِهم بدِينِهم ليكُونُوا آيةً لمرحلةٍ لاحقةٍ يَظْهَرُ فيها أهلُ الدينِ والإيمانِ أو ليكونَ هذا الظهورُ موعوداً به لِهَدَفٍ رَبّانِيٍّ مُحَدَّدٍ ﴿لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ ﴾ .

٢- وصفُ أحوالِ ومصيرِ أهلِ الإيمانِ في الدُّنيا والآخِرَةِ ، وأحوالِ ومصيرِ الكُفَّارِ في الحياتَينِ .

٣- بَدءُ الخليقةِ البَشَرِيَّةِ وعلاقَتُها بالمسؤُوليَّاتِ والخِلافَةِ على الأرضِ وما تَرَتَّبَ على ذلك من ابتلاءاتٍ وحِكَمٍ مُتَنَوِّعَةٍ .

٤- ثوابِتُ النِّظامِ الكونِيِّ وإبداعاتُ الخالقِ سبحانه وتعالى ، وعَرضُ هذا الإبداعِ على صِفَةِ التَّحَدِّي حيناً وعلى صِفَةِ التَّقريرِ بالنِّعَمِ والتَّعدادِ لها .

٥- وصفُ المصيرِ الأخيرِ للعالَمِ الإنسانِيِّ والتَّحدُّثِ عن البرزَخِ والقيامَةِ والعَرضِ والحِسابِ والجَنَّةِ والنَّارِ والثَّوابِ والعِقابِ .

٦- إدانَةُ أهلِ الكِتابِ ومُحاجَجَتُهم في كافَّةِ الشُّؤونِ التي كَذَّبُوا بها وجَحَدوها، ورَدُّ أقاويلِهم وأباطيلِهم حيناً بالإجمالِ .. وحيناً بالتَّفصيلِ .

٧- إدانَةُ المُنافِقِين والمُرجِفِين والذين في قُلُوبهم مَرَضٌ وكَشفُ أحوالِهم وإنذارُهُم .

٨- وصفُ مواقِفِ وأحوالِ الأنبياءِ والرُّسلِ وما عانَوهُ في سبيلِ الرِّسالات مع أُمَمِهِم الكافِرَةِ .

٩- كشفُ المدرسةِ الإبليسيَّةِ ووسائلِها الأَنَوِيَّةِ ضِدَّ البَشَرِيَّةِ وتحذيرُ الأُمَمِ والشُّعوبِ من أثرِ الشَّيطانِ واحتناكِهِ ودعوَتِه الشِّريرَةِ .

١٠- استخدامُ الأُسلوبِ القَصَصِيِّ لِشَرحِ أحوالِ وصِفاتِ ومواقِفِ الخليقَةِ في وجهِها النَّبَوِيِّ الأَبَوِيِّ الشَّرعِيِّ كما هو في قَصَصِ الأنبياءِ والرُّسُلِ ، وأحوالِ ومواقفِ الخليقةِ في وجهِها الأَنَوِيِّ الإبليسيِّ كما هو في وَصفِ فِرعونَ والنَّمرودِ وهامانَ وقارونَ وغيرِهم .

معاناة الأنبياء والرسل مع أقوامهم جزء من فقه التحولات

كما أنَّ في بعضِ سُوَرِ القُرآنِ ذِكرُ بعضِ النَّبيِّينَ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ ورسالاتِهم وتحديدُ الأزمانِ التي عاشوها كنوحٍ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ ، ونماذِجِ الجنوحِ والانحرافِ الذي وقعت فيه الأُمَمُ ، وما ترتَّبَ عليه من عُقوباتٍ وعذابٍ يختَلِفُ من أُمَّةٍ إلى أُمَّةٍ باختلافِ أنواعِ الكُفرِ والانحرافِ ، وما عاناه الأنبياءُ والرُّسُلُ أيضا من أقوامهم كمعاناةِ موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع بني إسرائيلَ ، ومعاناةُ يونُسَ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مع قومِه ، وغيرِهم من الأُمَمِ التي أجرى الله لها الابتلاءاتِ والاختباراتِ ، وتمييزُ الرُّسلِ والأنبياءِ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ عن بعضهم والتأكيد على ذلك في أكثرِ من دلالة في آياتِ القُرآنِ ، كتمييزِ أهلِ العَزمِ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ وتفضيلِهم عن غيرِهم وما جرى في سورَةِ الكهفِ بين موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ والخَضِر من مراتِبِ العِلمِ والمعرِفَةِ القائمة على الاختبارِ في السُّلوكِ وليس في مادَّةِ المعرِفَةِ ذاتها . وكذلك ما تقرَّرَ من معاني خاصَّةً في تسميةِ سُورِ القرآنِ وما تدُلُّ عليه هذه التَّسمياتُ من دلالاتٍ خاصَّةٍ ، كسورةِ البَقَرَةِ والنَّملِ والنَّحلِ ومريمَ والفيلِ وغيرِها ، مِمَّا يُشيرُ إلى خُصوصيَّاتِ الأسماءِ ومرادِ اللهِ فيها وما يترتَّبُ على هذا الأمرِ عند التَّحليلِ والتَّعليلِ من دلالاتٍ هامَّةٍ تربِطُ بين الاسمِ والمُسمَّى ، وما تعنيه دلالةُ الآياتِ المُشيرَةِ إلى ذلك .

ومِن ذلك ما اعتنى به بعضُ العُلماءِ وفي مُقدِّمَتِهم العلَّامَةُ المُجتَهِدُ أحمدُ بنُ

مُحَمَّـدِ بنِ الصِّدِّيقِ الغُماريُّ الحَسَـنِيُّ في كتابِـهِ : «مُطابَقَةِ الاختراعـاتِ العصرِيَّةِ لما أخبرَ به سَـيِّدُ البَرِيَّةِ» واعتنائُه بالرَّبطِ الواعي بين مُسـتَجِدَّاتِ الاختراعاتِ وبين مفهومِ الآياتِ القُرآنِيَّةِ وتعليلُهُ الاستقرائيُّ للمعاني بما لم يسبِق له مثيلٌ .

فمِن ذلك على سبيلِ المِثالِ : قولُهُ في ص٦ بعد ذكره لِعَدَدٍ من مُختَرَعاتِ العَصرِ كالسِّـكَّةِ الحديديَّةِ وسـيَّاراتِ النَّقلِ والسُّفُنِ والبواخِرِ وغيرِها فقال : وقد أخبرَ بها ﷺ ووردت الإشارَةُ إليها في القُرآنِ والأحاديثِ النَّبوِيَّةِ، أمَّا في القُرآنِ ففي ثلاثِ آياتٍ حسبَما حَضَرَنا الآنَ :

الأولى : قولُه تعالى : ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [يس: ٤١ - ٤٢] أي : خَلَقنـا لهـم مِمَّا يُماثِلُ الفُلكَ المشـحون مـا يركبـون به في البَـرِّ ، والذي يُماثِلُ الفُلكَ المشـحون في كِبَرِهِ وكَثـرَةِ حملِهِ هو بابور السِّـكَّةِ الحديديَّةِ وسـيَّاراتُ النَّقلِ التي تحمِلُ عَشَراتِ الرُّكابِ مع بضائِعِهم وحاجِيّاتِهـم .. إلـخ .. إلى أن قال: وكذلك بابورُ السِّـكَّةِ الحديديَّـةِ ، بل هو أولى بالشَّبَهِ والمِثليَّةِ للفُلكِ المشحونِ .

أما المُفَسِّـرون الذين فَسَّـرُوا المِثلَ في الآية بالإبلِ فمعـذورون لأنَّه لم يكن في زمانِهـم ما يُشـبِهُ الفُلكَ في حَمـلِ الرُّكابِ والبضائِعِ ، فاضطـرُّوا لحَملِ الآية على الإبِـلِ وإن كان حملُهـا باطِـلاً مقطوعـاً بِبُطلانـه ؛ لأنَّ الفُلـكَ المشـحون يحمِـلُ العَشَـراتِ من الناس بأثقالِهم ويحمِلُ مع ذلك الكثيرَ من السِّـلَعِ والبضائِعِ ، وهذا بالنِّسـبَةِ لمـا كان في زمانِهم ، أمَّا ما حـدث في زمانِنا فالسَّـفينَةُ تحمِلُ الآلافَ من النَّاسِ ومن القناطيرِ المُقنطَرَةِ من البضائِعِ ، ثم السُّـفُنُ التي كانت في زمانِهم أيضا مـع كِبَرِهـا وحملِها لِكثيرٍ من الرُّكابِ والأثقالِ كانت تجري فـي البَحرِ جَرياً حثيثاً

بالرِّياحِ كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾﴾ [الشورى: ٣٢].

وكلُّ ذلك مُخالِفٌ لِوَصفِ الإِبلِ تَمامَ المُخالَفَةِ، فمَشيُها بَطيءٌ وحَملُها لا يُقاسُ بِحَملِ السُّفُنِ، فكيف تُفَسَّرُ الآيةُ بها؟ بل ذلك باطِلٌ قطعاً، وقد قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ والحَسَنُ والضَّحَّاكُ وجماعةٌ أنَّ الآيةَ المذكورةَ معناها: (وخلقنا لهم سُفُناً أمثالَ تِلكَ السُّفُنِ يركبونها)، وقال النَّحَّاسُ: وهذا أَصَحُّ لأَنَّهُ مُتَّصِلُ الإسنادِ عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهذا يَدُلُّ على شُفوفِ نَظَرِ ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ونَظَرِهِ بنورِ اللهِ تعالى في معاني القُرآنِ العظيمِ، تصديقاً لِدُعاءِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**اللهم فَقِّهْهُ في الدِّينِ وعَلِّمْهُ التَّأويلَ**»[1].

والآيةُ الثَّانيةُ: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٨] أي: مِن جِنسِ المذكوراتِ للرُّكوبِ والزِّينَةِ، وهي أيضا تُركَبُ وتَحمِلُ الأثقالَ، فالآيةُ صريحةٌ في جميعِ أنواعِ العَجَلِ والعَرَباتِ.

والآيةُ الثَّالِثَةُ: قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير: ٤] أي: عن السَّفَرِ عليها وحَملِ الأثقالِ أيضا.. إلى أن قال: وإنَّما عُطِّلَت عن السَّفَرِ ونَقلِ البضائعِ عليها بِوُجودِ السَّيَّاراتِ وسِكَّةِ الحديدِ ص٧-٨.

ومِثلُ ذلك تفسيرُهُ لآيةِ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا﴾ [المرسلات: ١] بأنَّها الطَّائِراتُ الحربيَّةُ وما تفعلُهُ بِقنابِلِها وتخويفِها.

ونقتَصِرُ هنا على ذِكرِ الإشارَةِ لهذا الفَهمِ المُناسِبِ للزَّمانِ وما يجري فيه، وأنَّ ذلك جُزءٌ من مفهومِ قِراءَةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وعلاماتِ السّاعةِ.

---

(١) «مسند أحمد» (٢٤٣٧).

وبالجُملَةِ فعلاقةُ القُرآنِ بفِقهِ التَّحوُّلاتِ عظيمةٌ، ولا تزال حتى الآنَ مُستَعجَمَةً وغيرَ مخدومةٍ، كما يَجِبُ وينبَغي، ولعلَّ أن يأتِيَ في مُستقبَلِ الزَّمانِ مَن يُفسِّرُ بعضَ الآياتِ والسُّوَرِ من منظورِ واقعِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وسُنَنِ الدِّلالَةِ والمواقِفِ ـ ولو مِن بعضِ الوُجوه.

علاقة القرآن بفقه التحولات لا تزال غير مخدومة

حيثُ إنَّنا لو نَظَرنا إلى بَعضِ السُّوَرِ القرآنِيَّةِ وما خُصَّت به من الخُصوصِيَّاتِ لكانت وحدَها مجالاً عظيماً للنَّظرِ في هذا الشَّأنِ، فسورةُ الكَهفِ مثلاً تُسَنُّ لنا قراءَتُها كُلَّ جُمُعَةٍ، وورد في فضلِها أحاديثُ كثيرةٌ، وما هذه السّورَةُ إلا جُملَةٌ من التَّحوُّلاتِ التاريخِيَّةِ الخطيرَةِ التي لها ارتباطٌ وثيقٌ بما يدورُ في الحياةِ الإنسانيَّةِ من صِراعٍ بين الخيرِ والشَّرِّ في الفِقهِ الإنسانيِّ العالَمِيِّ.

سورة الكهف وما تشتمل عليه من دروس فقه التحولات

أمَّا سُورَةُ التَّوبةِ مثلاً وقد بدأت بالبَراءَةِ وكَشفِ الأقنِعَةِ عن الوُجوهِ الكافِرَةِ والمُنافِقَةِ ومواقِفِها، فهي تحمِلُ مدلولَ المناقشةِ الواعيةِ للجُنوحِ والانحرافِ الذي برزَ جليّاً في عصرِهِ ﷺ وبأسلوبٍ شديدٍ وصريحٍ من الكُفَّارِ والمُنافِقِين، حتى صار من أسماءِها (الفاضِحَةُ)، وقال عنها ﷺ حين بعث سَيِّدَنا عَليّاً رضي الله عنه يَقرَؤُها في الحَجِّ: «لا يبلغها إلا أنا أو رَجُلٌ من أهلِ بيتي»[1]، وفي هذا دِلالةٌ عظيمةٌ على أهمِّيَّةِ هذه السُّورَةِ في دراسةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ في المرحلَتَينِ المَكِّيَّةِ والمَدَنِيَّةِ، ومثلها سورةُ المنافقون التي تَبَنَّت تعليلَ وتحليلَ مواقِفِ الجُنوحِ والانحرافِ لدى الأفرادِ الذين أصَّلوا وأسَّسوا مدرسةَ النِّفاقِ، وما يترتَّبُ على هذا التأصيلِ مِن تسلسُلٍ منهجِيٍّ أَنَوِيٍّ إبليسيٍّ للمُنافِقين داخِلَ الخَيمَةِ الإسلامِيَّةِ عبرَ التَّارِيخِ كُلِّه، من خلالِ تشابُهِ المواقِفِ والسُّلوكِ الموصوفِ في هذه السُّورَةِ

(١) «مسند أحمد» (١٣٢١٤).

كوَصفِ اللهِ تعالى للمنافقينَ بقولِه : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾﴾ [المنافقون: ٥] أي : بمعنى أنَّهم يقولون استكباراً واستِحقاراً لِرَسولِ اللهِ ﷺ : (لا نريدُ بيننا وبين اللهِ واسطةً)، ومثلُ ذلك قولُ المنافِقين ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] وهي سياسَةُ التَّمايُزِ والاعتدادِ بالمُواطَنَةِ ، وهي إحدى ظواهِرِ مدارِسِ النِّفاقِ إلى اليومِ .

مفهوم الحصار الاقتصادي والتجويع والتضييق المادي مفهوم إبليسي

ومثلُ قولِهِ تعالى : ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ [المنافقون: ٧] وفيها إشارةٌ لِسياسَةِ المُنافقين التَّاريخِيَّةِ الدَّاعيةِ إلى مفهومِ الحِصارِ الاقتِصاديِّ والتَّضييقِ الماديِّ «جَوِّع كلبَكَ يتبعَكَ»، وهُو المعنى المَقْلُوبُ مِن قَوْلِ عَبدِاللهِ ابنِ أُبَيِّ بنِ سَلُولٍ وَاصِفاً أصحابَ النَّبيِّ ﷺ مِنَ المُهاجِرينَ الّذِينَ آوَوْا إِلى المَدِينَةِ : «سَمِّنْ كَلْبَكَ يَعْقِرْكَ»، بل إنَّنا إذا نَظَرنا إلى آخِرِ سُوَرِ القُرآنِ وهي سُورَةُ النَّاسِ وقد ختم اللهُ بها القُرآنَ كُلَّهُ وما فيها من أعاجيبِ الوَصفِ في الصِّراعِ الأزليِّ بين النَّاسِ والخنَّاسِ وأثَرِ ذلك الشَّيطانِ ـ حتى على عالَمِ الجِنِّ ـ في بعضِ معاني قولِ اللهِ تعالى : ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ٥-٦] فالصُّدورُ ـ في مفهومِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ ـ هم وُجهاءُ القَومِ وأعيانُ الإنسِ والجَنِّ وقادَتُهم ، وبهذا الوسواسِ في صُدورِ النَّاسِ يَضمَنُ الشَّيطانُ إفسادَ الرَّعايا والأتباعِ ، وانظر كيفَ يجعَلُ اللهُ تعالى في الاستعاذَةِ به شَرَفَ الحِفظِ التَّامِّ من خَطَرِ الوَسوَسةِ سواءً في صَدرِ الفَردِ ذاتِهِ أو في صُدورِ وُجهاءِ المُجتَمَعاتِ .

معنى (الصدور) في تفسير سورة الناس

القرآن لدى المتأمل كله مشحون بعجائب التحولات والمواقف

والقُرآنُ كُلُّهُ عند التَّأمُّلِ وحُسنِ التَّدبُّرِ مشحونٌ بِعجائِبِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وسُنَنِ المواقِفِ كما هو أيضا مشحونٌ بِسُنَنِ الدِّلالاتِ، وقد قال سبحانه وتعالى عن كتابِهِ

العزيـز : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ ﴾ أي: إنَّ مـن معانِيهِ الذِّكرَى والاعتبارُ والادِّكارُ، والذِّكـرى لها معانٍ كثيرَة في فِقهِ التَّحـوُّلاتِ ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴾، وعلـى هـذا التَّعليلِ القُرآنِيِّ نَجِـدُ أنَّ فِقهَ التَّحوُّلاتِ يشـمَلُ المراحِلَ الإنسـانِيَّةَ كُلَّها حَسَـبَ التَّقسِـيم الآتي في الفصل القادم (أقسـام مراحل فقه التحولات).

تأصيل فقه التحولات في السنة النبوية

وأمـا عـنَ تأصيل فقه الحولات بِالسُّـنَّةِ النَّبَوِيَّةِ فإن مِن الاسـتِدلالاتِ الّتِي تُؤَكِّدُ هذا التأصيلَ قَولُ النَّبيِّ ﷺ: «**إذَا ظَهرَت الفِتَنُ ـ أو قال: البِدَعُ ـ وسُبَّ أصحَابِي، فليُظهِرِ العَالِمُ عِلْمَهُ، فَمن لَم يَفعَل ذلِك فَعليهِ لَعنَةُ اللَّه والمَلائِكَةِ والنَّاسِ أجمَعينَ، لا يقبَـلُ اللَّـه لَـه صَرفاً ولَا عدلاً**»[1] وقولـه ﷺ: «**إذا لعَنَت آخرُ هـذِهِ الأُمةِ أولَهَا، فَمـن كَانَ عِنـدَهُ عِلمٌ فَليظهِرهُ، فـإنَّ كَاتِمَ العِلمِ يومَئذٍ كَكَاتِمِ مَـا أُنزلَ عَلى مُحَمَّدٍ ﷺ**»[2].

وهذه فيها إشَـارةٌ تَربطُ بينَ الفِتنِ التِي تَجرِي فِي الأزمِنَةِ، وَقد بيَّنَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ مِنها ظَاهِرةَ سَـبِّ الصَّحابَةِ، فَفُهِمَ هذا المَعنَى مِن قَولِهِ ﷺ: «**فَمن كَان عِندَه عُلمٌ فليُظهِرْه**» بِأنّه ما يَتعَلقُ بِشَـأنِ عِلمِ فِقهِ التّحوُّلاتِ، لأنَّ العُلومَ تَكادُ أن تَكونَ كُلُّها ظَاهِرةً، وما مِن عِلمٍ مِن العُلُومِ المَطرُوحةِ في سَاحَةِ الأمّةِ إلا وهي مَخدُومَةٌ بِكُلِ الوَسَائلِ.

فالإشَـارَة هُنا بِاعتِبارِ أنَّ الأولِينَ رُبما كانُوا كَتَمُوا العِلمَ لِسـبَبٍ، فَالحَديثُ يُشِيرُ

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١٣٥٤) و«ميزان الاعتدال» للذهبي (٧٨٨٧) وفي «السنن الواردة في الفتن» للداني (٢٨٧): «**إذا ظهرت البدع، وشتم أصحابي، فمن كان عنده علم فليظهره، فإن كاتم العلم حينئذ ككاتم ما أنزل الله**».

(٢) «السنة» لابن أبي عاصم (٩٩٤) و«المعجم الأوسط» للطبراني (٤٣٠).

إلى ضَرُورَةِ إظهارِ هذا العِلمِ ، ثُم يَضَعُ النّبيُّ ﷺ نوعاً مِن أنواعِ العُقُوبَةِ عَلى كَاتِمِ هَذا العِلمَ فيقُولَ : «فإنّ كَاتِمَ العِلمَ يومئذٍ ككَاتِمِ ما أُنزل على مُحَمَّدٍ ﷺ» .

الحديثُ الثّانِي الذي يَربطُنا بِفقهِ التّحوُّلاتِ وعَلاقَتِهِ بالسُّنَّةِ النَّبويّةِ مَا أُشيرَ إليه في رِوايةِ الحَديثِ : «وَمَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، إِلَّا تَتَّضِعُ لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ»[1] .

ومما يؤكد رَبطَ هذا العلمِ بِالسُّنَّةِ ، وأنَّ مِن وَظائِفِهِ حِمَايَةَ أهلِ الحَصَانَةِ والسَّنَدِ والعَدَالَةِ مِن أَلْسِنَةِ المُنَافِقِينَ وألسِنَةِ المُتَعدِّينَ عَليهِم قَولُ النَّبيِّ ﷺ : «مَن حَمَى مُؤمِناً مِن مُنَافِقٍ يَغتَابُهُ ، بَعَثَ اللّٰهُ مَلَكاً يَحمِي لَحمَهُ يَومَ القِيامَةِ مِن نَارِ جَهنَّمَ»[2] فَهذِه الأحَادِيثُ ومِثلُها تُشِيرُ إلى الرَّبطِ بَينَ فِقهِ التّحوُّلاتِ وكَذلِكَ السُّنّةِ النّبَويَّةِ .

ومن أهم هذه الأحَادِيثِ التِي تُشِيرُ إلى هَذا المَعنَى أن النّبيَّ ﷺ قَال : «لتُنقَضَنَّ عُرَى الإسلامِ عُروَةً عُروَة كُلَّمَا نُقِضَت عُروَةٌ تشبث النَّاسُ بالّتِي تَلِيهَا ، أَولهُنَّ نَقضاً الحُكمُ ، وآخِرُهُنّ الصَلاةُ[3] ، ورُبَّ مُصَلٍ لا خلاق لَه»[4] .

ومِن المَعلُومِ أن أحَادِيثَ النَّبِيِّ ﷺ تُوجِّهُ المُسلِمَ إلى مَا يَجِبُ فِعلُهُ أمَامَ الفِتنِ والتَّحوُّلاتِ كَمثلِ قوله ﷺ : «أوّلُ الفِتَنِ قَتلُ عُثمَانَ بن عفّان ، وآخِرُ الفِتنِ خُروجُ

---

(١) «مسند أحمد» (٢٣٣٠٤) و«صحيح ابن حبان» بلفظ : «وَمَا صُنِعَتْ فِتْنَةٌ مُنْذُ كَانَتِ الدُّنْيَا صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ، إِلَّا تَتَّضِعُ لِفِتْنَةِ الدَّجَّالِ» .

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (٢٠ : ١٩٤) (٤٣٣) وفي «مسند أحمد» (١٥٦٤٩) «..يَعِيبُهُ..».

(٣) «مسند أحمد» (٢٢١٦٠) .

(٤) وفي «المعجم الصغير» للطبراني (٣٨٧) و«شعب الإيمان» للبيهقي (٤٨٩٢) وذكره الألباني في «صحيح الجامع الصغير» (٢٥٧٥) : «أول ما يرفع من الناس الأمانة ، وآخر ما يبقى الصلاة، ورب مصل لا خلاق فيه» وعزاه للحكيم الترمذي ، وفي «شعب الإيمان» بلفظ : «لا خير فيه».

الدَّجّـال ، والذي نَفسـي بيدِهِ لا يَموتَ رَجُلٌ وفي قلبِهِ مِثقَـالُ ذَرّةٍ أو مِثقَالُ حَبّةٍ مِن حُبِّ قَتلِ عُثمَانَ إلا تَبِعَ الدّجّالَ إن أدركَهُ ، وإن لم يُدرِكْهُ آمَنَ به فِي قَبرِهِ»[1] . يعني أنّه فُتِنَ في قَبرِهِ بِسبِبِهِ ، أي: حوسب وعوقب .

وتَنقَسِمُ الأحَاديثُ النّبويَّةِ الخَاصَّةِ بِفقهِ التّحوُّلاتِ إلى قِسمَين :

النصوص النبوية الخاصة بفقه التحولات قسمان: استقرائية واستباقية

القسـمُ الأول : أحاديـثُ اسـتبَاقِيةٌ ، وهِي مَا تَنـاوَل بِها ﷺ مُسـتَقبلَ الزَّمَانِ مِن وَفَاتِهِ إلى قِيَامِ السَّاعَةِ .

القسمُ الثّاني : أحاديثُ استقرائيةٌ ، وَهي الأحَادِيثُ الذي تَنَاوَلَ بِها ﷺ المَراحِلَ السَّابِقةَ مِن قُبَيْلِ بِعثَتِهِ إلى عَهد آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وبِهذَيـن القِسـمَينِ مِـن الأحَاديـثِ المَبثُوثَةِ في كُتُبِ فِقـهِ عَلاماتِ السَّـاعَةِ يُقرأُ التَاريـخُ الإنسَـانيُّ كُلُّهُ ، سَـلباً وإيجَاباً ، وقد فَصَّلنَا هذه الأقسَـامَ فِـي كَافَّةِ الكُتُبِ المُتَنَاوِلَة لِهذا الفِقهِ ..فلتُراجع [2].

---

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٤٤٧) .

(٢) كـ«النبذة الصغرى» ، و«دوائر الإعادة» .

أقسامُ مَرَاحِلِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ

تنقَسِمُ مراحلُ فِقهُ التَّحوُّلاتِ إلى ثلاثَةِ أقسامٍ :

١- مرحلةُ عَهدِ الوَحيِ والعِصمَةِ في حياةِ صاحِبِ الرِّسالَةِ .

٢- مرحلةُ عَهدِ البَعثَةِ إلى عهدِ النَّفخِ في الصُّورِ .

٣- مرحلةُ تاريخِ الأنبياءِ والرِّسالاتِ السَّابِقَةِ ومواقِفِ الأُمَمِ والشُّعوبِ فيها .

وينطوي تحتَ هذا القِسمِ دراسةُ الحضاراتِ الشَّرعِيَّةِ والحضاراتِ الوَضعِيَّةِ عبرَ التّاريخِ .

الحضارة الشرعية

*** الحضارَةُ الشَّرعِيَّةُ**

هي مجموعُ الحضاراتِ التي ربطت بين الدِّيانَةِ والتّاريخِ ، ولم تخالِف الأنبياءَ والرُّسُلَ ، ومنها حضاراتٌ أشاد بها القرآنُ وتناولتها السُّنَّةُ الشَّريفَةُ بالوَصفِ الإيجابيِّ، كحضارَةِ عهدِ سَيِّدنا داودَ وسُلَيمانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، وحضارَةِ سَبَأٍ قبلَ كُفرِهم، وحضارَةِ قومِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد إيمانِهم. وحضارَةِ ذي القَرنَينِ وغيرِهم ، وكُلُّها تنطوي تحت مفهومِ دراسَةِ التَّحوُّلاتِ الإيجابيَّةِ للمدارسِ الأَبَويَّةِ النَّبويَّةِ الشَّرعِيَّةِ.

الحضارة الوضعية

*** الحضارَةُ الوضعِيَّةُ**

وهي الحضارَةُ التي برزت في التَّارِيخِ مُجَرَّدَةً عن الدِّيانَةِ أو مُحارِبَةً لها ، وهي حضاراتٌ كثيرةٌ ومُتنَوِّعةٌ وكان مصيرُها الدَّمارُ والعذابُ ، كالحضارَةِ الفِرعونِيَّةِ والحضارَةِ الكَنعانِيَّةِ والكَلدانِيَّةِ في العراقِ، والحضارة اليمنِيَّةِ في سَبَأٍ بعد كُفرِهم وغيرِها، ويطلَقُ عليها وعلى أشباهِها في المسيرَةِ التّاريخيَّةِ بالتَّحوُّلاتِ السَّلبِيَّةِ والحضاراتِ المادِّيَّةِ الأَنَوِيَّةِ الإبليسِيَّةِ الوَضعِيَّةِ .

الحضارة الكنعانية والكلدانية

مادية قوم نوح والطوفان

ويـكادُ القُرآنُ في تِبيانِـهِ أن يُبرِزَ التَّوافُقَ المُلائِمَ بين أُسـلوبِ الحضـارَةِ المادِّيَّةِ الكافِـرَةِ وبين العذابِ المُناسِـبِ لأهلِها، فقـومُ نوحٍ كانت حضارَتُهـم قائمةً على عبـادَةِ الأوثـانِ وتأليهِ العَقلِ وعلـى الجَدَلِيَّةِ وطولِ الأَمَلِ ، فعاقَبَهـم اللهُ بالطُّوفانِ وكان أغلَبُهم من ذُرِّيَّةِ قابيلَ .

حضارة قوم عاد والريح العقيم

وقومُ عادٍ كانوا أهلَ حضارَةٍ زراعِيَّةٍ وعِمرانِيَّةٍ وحُسـنِ استغلالٍ للموارِدِ البَشَرِيَّةِ ، وكانـت حضارَتُهـم أيضاً حضـارَةَ قُوَّةٍ وبَطـشٍ بِحُكمِ كمـالِ أبدانِهـم وضَخامَةِ أجسادِهم، فَعَذَّبَهُم اللهُ بالرِّيحِ العقيمِ .

إبداعات قوم ثمود والصيحة

وأمَّا ثمودُ فكانت حضارُتُهم قائِمَةً على الإبداعِ المِعمارِيِّ والنَّحتِ في الصَّخرِ وإشـادَةِ المُـدُنِ والمبانـي والسُّـدودِ وغيرِ ذلـك مِمَّا يحتاجـون إليه فـي حياتِهم، فعَذَّبَهم اللهُ بالصَّيحَةِ فأصبحوا في دارِهم جاثِمين .

شهوانية قوم لوط والحجارة

وأمـا حضارَةُ قـومِ لوطٍ فكانت قائِمَةً علـى الرَّفاهِيَةِ والمُتَعِ الحِسِّـيَّةِ وخاصَّةً أن بلادَهم كانت بلادَ أنهارٍ وبسـاتينَ وهواءٍ طَيِّبٍ ، وهي في نواحي الشَّـامِ ، ففسـقوا ومارسـوا الشُّـذوذَ الـذي كان عادَةً مـن عاداتهم فـي مجامِعِهم ونواديهـم وهو ما يُعرَفُ بالتَّحَلُّلِ الأخلاقِيِّ ، وقد عذَّبَهم الله بالرَّمي بالحِجارَةِ .

تجارة قوم شعيب والرجفة

وأما قومُ شُـعيبٍ فكانت حضارَتُهم قائِمَةً على التِّجارَةِ وتبادُلِ السِّـلَعِ والحُبوبِ ولكنَّهم كانوا يتعامَلُونَ بالغِشِّ والتَّطفِيفِ بَحثاً عن المكسَبِ المادِّيِّ ، فعذَّبَهُم اللهُ بالرَّجفَةِ .

عمران قوم سبأ والسيل العرم

وأمَّا قومُ سَـبَأٍ كانت حضارَتُهم قائِمَةٌ على إنجاحِ الزِّراعَةِ والصِّناعاتُ المتفرِّعَةِ عنهـا والإبـداعِ الفَنِّـي في المعمـارِ ، كما هو فـي عَـرشِ بَلقِيـسَ ، إلا أَنَّهم كفروا وأعرضـوا فعذَّبَهُـم اللهُ بِسَـيلِ العَرِمِ الذي هَدَّم السَّـدَّ ، وكان سـبباً فـي هِجراتِهم

وانقطاعِ حضارَتِهم الواسِعَةِ ، وكانوا يعبُدُون الشَّمسَ ووصَفَهم الله في سورَةِ النَّملِ بقوله مُعَبِّراً عن قول هُدهُدِ سُليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل: ٢٤] .

الحضارة الفرعونية وتعدد العقوبات

وأما الحضارَةُ الفِرعونِيَّةُ فكانت قائِمَةً على إبداعاتٍ مُتنوِّعَةٍ ، ومنها الزِّراعَةُ والصِّناعَةُ وفَنُّ البناءِ واستخراجِ المعادِنِ ونِظامِ الرَّيِّ والسُّدودِ والنِّظامِ الإدارِيِّ وبعثَ الله لهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فكذَّبُوهُ وأظهروا مهاراتِهم في السِّحرِ أمامه فعذَّبَهم الله بأصنافِ العذابِ كالجرادِ والقُمَّلِ والضَّفادِعِ والدَّمِ ، ثُمَّ كانت نِهايَةُ حضارِتِهم إغراقُ فِرعونَ وجُنُودِهِ في البَحرِ الأحمرِ المعروفِ (بِبَحرِ القَلزَمِ) .

الحضارة العبرية وتنوع الآيات

والحضارَةُ اليهودِيَّةُ العِبرِيَّةُ ـ وهي حضارةُ بني إسرائيلَ ـ كانت بادي ذي بَدءٍ قائمةً على الرَّبطِ بين الدِّيانَةِ والتّاريخِ عبر عُصورٍ مُتعَدِّدةٍ ؛ ولكنَّ بني إسرائيلَ بين الحين والحين كانوا يخالِفون الدِّيانةَ فيتعَرَّضون لِعذابِ اللهِ وغَضَبِه، بَدءاً مِن عَصرِ موسى وما تلاه من العُصورِ، وكان عذابُهُم مُتَنَوِّعاً بِتَنَوُّعِ معاصيهم ، وقد وصف اللهُ ذلك في كتابه العزيزِ في أكثرِ مِن سورَةٍ ، ومِن ذلك قتلُهم لأنفُسِهم بأمرِ اللهِ وتحريمُ صَيدِ السَّمَكِ عليهم يومَ السَّبتِ ، وضياعُهُم في التِّيهِ أربعينَ عاماً ، وتحريمُ الشُّحومِ عليهم ، وهذا كُلُّه في عَصرِ موسى ، وفي ما بعد ذلك تعرَّضوا للمَسخِ قِرَدَةً وخنازيرَ وصاروا كما ذكرت بعضُ الآياتِ الكريمةِ وكما ورد في كُتُبِ الحديثِ وسائِلَ لِتَحريفِ الكَلِمِ عن مواضِعِه ، وهو ما يعرَفُ في العَصرِ الحديثِ بالدَّجَلِ وتزييفِ الحقائِقِ ، وقد استَمَرُّوا على ذلك منذ عهودِ أنبيائِهم حتّى اليومَ ، وهم قَتَلَةُ الأنبياءِ ومُحرِّفُوا الكُتُبِ السَّماوِيَّةِ والمُفسِدون في الأرضِ إلى نِهايَةِ عَصرِ الدَّجّالِ، وقد وصَفَهم الله بذلك في سورة الإسراءِ بقوله : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤] .

السنة الشريفة واعتناؤها بفقه التحولات

كما تُعتبَرُ السُّـنَّةُ الشّـريفَةُ مصدراً هامّاً من مصادِرِ فِقه التَّحوُّلاتِ تأصيلاً وسَرداً تاريخيّاً، سـواءً في تناوُلِ مرحَلَـةِ ما قبل الرِّسـالةِ المُحَمَّدِيَّةِ تصاعُدِيّـاً إلى (آدمَ) أو تقريـراً للمرحلـةِ المُباركَة التي عاشـها ﷺ فـي مَكَّةَ والمدينـةِ أوفيما أخبر عنه ﷺ عن علاماتِ السّاعةِ وأشراطِها والفِتَنِ ومُضِلّاتِ الفِتَنِ التي تكون على ساحةِ الحياة إلى قيامِ السّاعةِ، ويؤيِّدُ هذا المعنى ما ورد في «صحيح مُسلمٍ» من حديثِ عمرِو بن أخطبَ الأنصارِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: صلَّى بنا رَسولُ اللهِ ﷺ الفَجرَ، وصعد المِنبَـرَ فَخَطَبَنـا حتّـى حضرت الظُّهـرُ ... إلخ الحديـثِ، وفيه قـال: «فأَخبَرَنا بما كان وبما هو كائِنٌ، فأعلَمُنا أحفَظُنا»[1] وشـاهِدُنا هنا حولَ تأصيلِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ تصاعُدِيّاً قولُهُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «فأخبَرَنا بما كان»، أي: ما قبلَ عَصرِهِ ﷺ «وما هو كائِنٌ» أي: في عهدِهِ ﷺ وما يأتي بعدَهُ إلى قيامِ السّاعةِ.

وأما مفهومُ السُّنَّةِ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ والاستدلالِ بها فينقَسِمُ الى قِسمَينِ:

١- قسـمُ تأصيـلٍ وقواعِـدَ: وهـو مـا أُصِّلَ بـه فِقـهُ التَّحـوُّلاتِ وتميَّزَ بـه قراءةً واستِدلالاً.

٢- سردُ وقائِعِ التّاريخِ الشَّرعِيِّ وتعليلُها وربطُها بما يُناسِبُها من الزَّمانِ.

أساس هذا العلم هو الربط الواعي بعموم الزمان أو المكان دون تحديد، فالتحديد مزلة كبرى

وأسـاسُ القِراءَةِ للسُّـنَّةِ الشَّـريفَةِ الرَّبطُ الواعي بين النَّصِّ والزَّمانِ والمكانِ دون تحديدِ الأفرادِ أو التَّواريخِ الزَّمَنِيَّةِ باليومِ والشَّـهرِ والسَّـنَةِ، بل تُذْكَرُ بِعُموميَّتِها لما في ذلك من التَّشـابُهِ الذي لا يُمكِنُ معرِفَتُهُ بالتَّخمِينِ والتَّقديرِ العَقلانِيِّ، وفي هذا البابِ زَلَّ كثيرٌ من المُتَحَدِّثين عن علاماتِ السّاعةِ، فمنهم مَن رَبَطَ بين الأشخاصِ في مرحلةٍ وبين مَن أشار إلى ظُهورِهِم نَصُّ الحديثِ كالمَهدِيِّ على سبيلِ المثال،

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٩٢)، وانظر «إتحاف الجماعة» للتويجري (١: ١٤).

فالمُعتَمَدُ ذِكرُ الخَبَرِ تقريبيّاً من غيرِ مُسَمَّياتٍ .

ويُعرَفُ تأصيلُ العلمِ بِعلاماتِ السّـاعةِ ورُكنِيَّتِهِ واعتبارِها فِقهاً شـرعِيّاً كما سبق ذِكـرُهُ من خـلالِ قِراءَتِنا لحديثِ جبريلَ ﵇ : «أخبِرني عن السّـاعَةِ» ، قال : «ما المسـؤولُ عنهـا بِأعلَمَ مِن السَّـائلِ» ، قـال : أخبِرني عـن أماراتِها ، قـال : «أن تَلِدَ الأَمَـةُ ربَّتَهـا وأن تـرى الحُفاةَ العُـراةَ رِعاءَ الشَّـاةِ يتطاولون في البُنيـانِ» ، ثُمَّ انطلقَ فلَبِثـتُ مَلِيّـاً ، قـال : يا عُمَرُ أتدري من السّـائِلُ ؟ قلتُ : اللهُ ورسـولُهُ أعلَمُ ، قال : «ذاك جِبريلُ أتاكم يُعلِّمُكم أمورَ دينِكُم» ، أو «يُعَلِّمُكُم دينكُم» . وحديثُ الأعرابيِّ السّـائِلِ عن السّـاعةِ فقال ﷺ : «فإذا ضُيِّعت الأمانَةُ فَانْتَظِرِ السّـاعَةَ» ، قال : كيف إضاعَتُها؟ قال : «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِهِ فانتَظِرِ السّاعَةَ»[1] .

ثمرة الدراسة لفقه التحولات

وهذه ملامِحُ وإشـاراتٌ بَيِّنَةُ المَقصَدِ واضِحَةُ المَعنى في حُصولِ التَّحوُّلاتِ على مُحيطِ الحياةِ الإسلاميَّةِ ونَقضِ عُرَى الدِّينِ وتَبَوُّءِ الذين ليسوا أهلاً له أعلى مراتِبِ قرارِهِ ، وأنَّها علامةٌ تدُلُّ على الانحدارِ والانحرافِ وقُربِ نِهايَةِ الكونِ إلى القِيامَةِ .

ثمرة هذا العلم

وثَمَـرَةُ هـذا الأمرِ أن يُنقِذَ المرءُ ما يُمكِنُ إنقاذُهُ مـن أمرِ الخُوَيصَةِ المُعَبَّرِ عنه في حديثِ رسـولِ اللهِ ﷺ مِـن قوله : «فعليك بِخُوَيصَةِ نَفسِـكَ»[2] أو أن يَتَّخِذَ المَرءُ لِنَفسِهِ مَلاذاً أو مَلجأً مِن الفِتَنِ ومُضِلّاتِها ، ويسألُ اللهَ العافيةَ فيما يُجريه مِن قضائِهِ وقَـدَرِهِ علـى عِبادِهِ أن يحفَظَ بَيضَةَ الإسـلامِ مـن هَيمَنَةِ الدَّجّـالِ والدَّجاجِلَةِ الذين يُحرِّفـون الكَلِمَ عـن مواضعـه ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤] .

(١) «صحيح البخاري» (٥٩) .
(٢) تقدم ص (٢٨، ٦٩) .

عَلاقَةُ فِقهِ التَّحوُّلاتِ بالدَّعوَةِ إلىٰ ٱللَّهِ

يأتـي فِقهُ الدَّعـوَةِ إلى اللهِ في التَّرتيبِ الشَّـرعِيِّ لمجرى التَّحوُّلاتِ سـابقاً لعلمِ الأُصـولِ ومرحلَةِ التَّدوينِ التي عُرِفَت فيما بعدُ، حيـثُ إنَّ فِقهَ الدَّعوَةِ إلى اللهِ بدأ منـذُ نُـزولِ القُرآنِ في غارِ حِراءَ، وبهذا الفِقهِ انتشـرت الدَّعـوَةُ في مَكَّةَ وما حولها ثلاثةَ عَشَرَ عاماً قبل تأصيلِ الشَّريعةِ العَمَلِيَّةِ والأحكامِ وعَشرَ سنواتٍ بالمدينةِ أثناءِ التَّكليفاتِ الشرعيَّةِ العَمَلِيَّةِ والأحكامِ، وكان أساسُ هذا الفِقهِ كتابَ اللهِ وسُنَّةَ نبيِّهِ ﷺ والأخـلاقَ المُحَمَّدِيَّـةَ، قال تعالى عن هـذه الثَّلاثَةِ الأُصولِ فـي فِقهِ الدَّعوَةِ: ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾[الأنعام: ٨٩]، وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢ ﴾[الجمعة: ٢].

واستمَرَّ العَمَلُ بهذا الفِقهِ كأُسلوبٍ ووسيلةٍ للمعاملَةِ بين الجميع قبل ظُهورِ عِلمِ الأُصـولِ ومـا تَفَرَّعَ عنه، حيثُ كان فِقهُ الدَّعوَةِ إلى اللـهِ وعاءً لكافَّةِ العُلومِ يَتَحَقَّقُ به دون غيرِهِ نجاحُ مَشـروعِيَّةِ الدَّعوَةِ إلى الله في المجتمعاتِ على الوَجهِ المُسـنَدِ المُتَّصِلِ بالثَّوابِتِ الثَّلاثَةِ: (الكتابِ، السُّـنَّةِ، النَّبُوَّةِ) وبانعدامِهِ ـ أي: فِقهِ الدَّعوَةِ، والذي هو أيضاً فِقهُ التَّحوُّلاتِ ـ تفسُدُ علاقَةُ الدَّاعي والعالِمِ بالمُجتَمَعاتِ وتفسُدُ علاقَـةُ المُجتَمَعـاتِ بالدَّعوَةِ والدَّاعي وتتحوَّلُ الدعوةُ إلى سُـلطَةٍ وهَيْمَنَةِ سـلاحٍ وجاهاتٍ وطُموحاتٍ، أو إلى خُضوعٍ واستِسـلامٍ واستِتباعٍ وعُنفٍ ووَهَنٍ وهَدمٍ ـ كما جرى في المراحِلِ السّابِقَةِ ـ وكما نشهَدُهُ اليومَ في الواقِعِ العربيِّ والإسلاميِّ.

الثوابت الثلاثة في فقه الدعوة إلى الله

بل إنَّ الاهتمامَ بفقهِ التحولاتِ وعلاماتِ السـاعةِ كانَ أحدَ الأمورِ التي نَاقَشَـها رسـولُ اللهِ ﷺ ليلةَ الإسـراءِ والمعراجِ مع نُخْبَةٍ مِنَ الأنبياءِ والرسلِ، كما ورد في

جلسة بين الأنبياء والرسل ناقشوا فيها فقه التحولات

ابنِ ماجهْ عن ابنِ مسـعودٍ قال : «لمّا كان ليْلةَ أُسْـرِي بِرسُـولِ اللّهِ ﷺ لقِي إِبْراهِيم ومُوسـى وعِيسـى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فتذاكرُوا السّاعة فبدؤوا بِإِبْراهِيم فسألُوهُ عنْها ، فلمْ يكُنْ عِنْـدهُ مِنْها عِلْمٌ ، ثُمّ سـألُوا مُوسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ فلمْ يكُـنْ عِنْدهُ مِنها عِلْـمٌ ، فرُدّ الْحدِيثُ إِلـى عِيسـى ابْنِ مرْيـم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال : قدْ عُهِـد إِليّ فِيمـا دُون وجْبتِها ، فأمّـا وجْبتُها فـلا يعْلمُهـا إِلّا اللّهُ ـ فذكر خُـرُوجَ الدّجّالِ ـ قَـال : فأنْزِلُ فأقْتُلُـهُ ، فيرْجِعُ النّاسُ إِلى بِلادِهِمْ فيسْـتقْبِلُهُمْ يأْجُوجُ ومأْجُوجُ وهُمْ مِنْ كُلِّ حدبٍ ينْسِـلُون ، فلا يمُرُّون بِماءٍ إِلّا شـرِبُوهُ ولا بِشـيْءٍ إِلّا أفْسـدُوهُ ، فيجْـأرُون إِلى اللّهِ فأدْعُو اللّـه أنْ يُمِيتَهُمْ فتنْتُـنُ الْأرْضُ مِـنْ رِيحِهِمْ فيجْأرُون إِلى اللّهِ ، فأدْعُو اللّه ، فيُرْسِـلُ السّـماء بِالْماءِ فيحْمِلُهُمْ فيُلْقِيهِمْ فِي الْبحْرِ ، ثُمّ تُنْسفُ الْجِبالُ وتُمدُّ الْأرْضُ مدّ الْأدِيمِ ، فعُهِد إِليّ متى كان ذلِك كانتْ السّاعةُ مِنْ النّاسِ كالْحامِلِ الّتِي لا يدْرِي أهْلُها متى تفْجؤُهُمْ بِوِلادتِها» [1].

وفي هـذا الحديثِ إشـارةٌ واضحةٌ إلى علاقـةِ الأنبياءِ الأربعةِ إبراهيمَ وموسـى وعيسـى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ونبيِّنا محمدٍ ﷺ بالسـاعةِ وعلومِها.. إلا أنَّ سياقَ الحديثِ بَيَّنَ أنَّ مخاطبةَ إبراهيمَ وموسـى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عن الساعةِ كانت حولَ وَجْبَتِها ، أي: قِيامِها ، فلم يَكُنْ لهمْ بذلكَ علمٌ.. أما عيسى فقد أزالَ الإشكالَ بأمرين :

(١) أَنَّهُ أسندَ عِلْمَ الساعةِ في قيامِها إلى اللهِ ولم يكنْ لهُ بها علمٌ كغيرِه .

(٢) أَنَّهُ كشفَ عن فقهِ التَّحَوُّلات والعلمِ بعلاماتِ الساعةِ فيما عُهِدَ إليهِ ، وخاصةً في أمرِ الدَّجَّالِ ويأجوجَ ومأجوجَ وما بَقِيَ منَ الزمنِ المتقارِبِ حتّى قِيامِها .

---

(١) «سـنن ابن ماجهْ» (٤٠٨١) و«مصنف ابن أبي شـيبة» (٣٧٥٢٥) و«مسند أحمد» (٣٥٥٦) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٥٠٢) قال الحاكم : هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وعلى هذا فيكونُ النبيُّ محمدٌ ﷺ هو المعنيُّ بالكشفِ عن الساعةِ وعلاماتها فيما يخصُّ الزمنَ كُلَّهُ ، وقد أَفْصَحَ ﷺ عن هذا العلمِ كما سيأتي حَتّى صَارَ أَحَدَ قَوَاعِدِ نَشْرِ الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تعالى ومعالجةِ شؤونِ الأممِ في مراحلِ التَّحَوُّلِ والوَهَنِ والغُثَاءِ .

إنَّ مَنهَجِيَّةَ الدَّعوَةِ الى اللهِ ترتَكِزُ على عامِلَينِ أساسِيَّين :

ترتكز الدعوة إلى الله على عاملين اساسيين

١ – فقهُ الدَّعوَةِ: الكتابُ والسُّنَّةُ بالسَّنَدِ المُتَّصِلِ .

٢ – فِقهُ الدَّاعي: النُّبُوَّةُ ـ أي : الأخلاقُ النَّبوِيَّةِ ـ والاستقامَةُ .

وتتحدَّدُ هذه الشُّروطُ في حُسنِ الاقتداءِ والاهتداءِ بالمتبوعِ الأعظَمِ ﷺ حيثُ إنَّ حياتَهُ في (مَكَّةَ والمدينةِ) كُلَّها في أساسِها دَعوَةٌ، ثُمَّ تفرَّعَ عنها ما وجب على المسلمين مِن واجباتٍ شرعيَّةٍ ومسؤوليّاتٍ اجتماعيَّةٍ ،فيكونُ على هذا الأساسِ فِقهُ الدَّعوَةِ شَرطاً سابقاً لحامِلِ الشَّريعَةِ وحامِلِ فِقهِ الأُصولِ .

دليل فقه الدعوة

ودليلُ ذلك في فِقهِ الدَّعوَةِ قوله تعالى : ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[النحل: ١٢٥] .

دليل فقه الداعي

كما أنَّ دليلَ فِقهِ الدَّاعي قوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١] .

فالحِكمَةُ والموعِظَةُ الحَسَنَةُ والمُجادَلَةُ بالتي هي أحسَنُ في الآيةِ الأولى فِقهُ دعوَةٍ .

والاقتداءُ والاهتِداءُ بِرَسولِ اللهِ في الآيَةِ الثّانِيَةِ فِقهُ الدَّاعي .

شرط الداعي الحق

وبِهما معاً يتحقَّقُ الإسلامُ في الشُّعوبِ معنىً وصورَةً، ولهذا فَإِنَّ من شروطِ

انتقالِ فقهِ الدَّعوَةِ وفقهِ الدَّاعي من مرحلةٍ إلى مرحلةٍ وُجودُ التَّسلسُلِ الشَّرعِيِّ في الجانِبَين:

أولاً: التَّسلسُلُ الشَّرعِيُّ بالسَّنَدِ في فِقهِ الدَّعوَةِ.

ثانيا: التَّسلسُلُ الشَّرعِيُّ بالسَّنَدِ في فِقهِ الدَّاعي، قال تعالى: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة: ٣ - ٤] والإلحاقُ في أَحَدِ معانيه إشارةٌ إلى السَّنَدِ المُتَّصِلِ.

حديث العرباض ابن سارية وموقعه من فقه التحولات

ويُؤكِّدُ ذلك حديثُ العِرباضِ بنِ سارِيَةَ الذي كان من آخِرِ ما تكلَّمَ به ﷺ في حياتِهِ وهو أصلٌ من أُصولِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ نَصّاً وتطبيقاً، فأمّا نَصُّهُ فهو: وَعَظنَا رَسولُ اللهِ ﷺ مُوعِظَةً بَليغَةً، ذَرَفَت منها العُيونُ، ووَجِلَت منها القلوبُ، قُلنا: يا رَسولُ الله، لعَلَّها خُطبَةُ مُودِّعٍ، فأوصِنا؟ قال: «أُوصِيكُم بِتَقوى اللهِ والسَّمعِ والطَّاعَةِ، وإن تَأَمَّرَ عليكم عَبدٌ، إنَّه مَن يَعِش مِنكم فسيرى اختِلافاً كثيراً، فعلَيكُم بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرّاشِدين المَهدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيّاكم ومُحدَثاتِ الأُمورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ»[1].

وفي روايةٍ أخرى: «اعبُدوا اللهَ ولا تُشرِكوا به شيئاً، وأطيعوا مَن ولّاهُ اللهُ أمرَكم، ولا تُنازِعوا الأمرَ أهلَهُ ولو كان عَبداً أسودَ، وعليكم بما تعرِفون من سنة نبيكم والخُلفاءِ الرّاشِدين المهدِيِّين عَضُّوا على نَواجِذِكم بالحقِّ»[2].

وقوله: «بما تعرِفون» كأنَّه يُريدُ بها (من سُنَّتي) أي: مواقِفي، وفي حديثِ

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٦٠٧) و«سنن الترمذي» (٢٦٧٦) و«صحيح ابن حبان» (٥) و«المستدرك على الصحيحين» (٣٢٩) قال حديث صحيح ليس له علة.

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣٣٠) قال الحاكم: هذا إسناده صحيح على شرطهما جميعاً ولا أعرف له علة.

الباهليِّ الذي رواه البخاريُّ ومسلِمٌ إشارَةٌ واضِحَةٌ إلى مسأَلَةِ السَّمعِ والطَّاعَةِ عند الاختلافِ على القرارِ حيثُ قال : «**ولا تُنازِعوا الأمرَ أهلَهُ وإن كان لكم**»[1].

حديث عقبة بن عامر آخر ما قاله ﷺ على المنبر : «لست أخشى عليكم بعدي أن تشركوا بعدي»

وفـي روايةِ مُسـلمٍ عن عُقبَـةَ ابن عامِـرٍ حديثٌ آخَرَ لـه علاقَةٌ هامَّـةٌ بتأصيلِ فِقهِ التَّحـوُّلاتِ وهو قولُهُ ﷺ : «**إنِّي لسـتُ أخشـى عليكم أن تُشـرِكوا بعدي ، ولكن أخشى عليكم الدُّنيا أن تنافَسُوا فيها وتَقتَتِلُوا فتَهلَكوا كما هلك مَن كان قبلَكم**»[2]. قال عُقبَةُ : فكانت آخرَ ما رأيتُ ﷺ على المِنبَرِ .

أصل هذين الحديثين:
١ـ أن التحولات ستحصل لقرار الحكم والعلم
٢ـ أن سنة المواقف هي التي تخدم في دراسة هذه التحولات

وفي هذَينِ الحديثَينِ تأصيلٌ هامٌّ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ لأُمُورٍ :

١- تخصيصُ الحديثِ لما يجري من التَّحوُّلاتِ والاختلافاتِ في مسأَلَةِ القرارِ (قرارِ الحُكمِ والعِلمِ) وليس في نُصوصِهِ التَّعبُّدِيَّةِ فقط .

٢- تأصيـلُ سُـنَّةٍ عَمَلِيَّةٍ تخـدِمُ فِقهَ الدَّعوَةِ في دِراسَـةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وهي سُـنَّةُ المواقِفِ .

إقامة الدعوة وأمة الإجابة

كما تفرَّعَ عن هذا الفَهمِ تأصيلُ سُـنَّةٍ أخرى من فِقهِ الدَّعوَةِ وهي (سُـنَّةُ الدِّلالَةِ) وبهـذا تَتَجَدَّدُ عِلاقَةُ فِقهِ التَّحوُّلاتِ بالدَّعوَةِ إلى اللهِ تعالى مُنذُ أن كان رسـولُ اللهِ ﷺ في مَكَّةَ والمدينَةِ يَضَعُ لأُمَّتِهِ الفِقهَينِ الشَّرعِيَّينِ :

- فِقهُ الدَّعوَةِ إلى اللهِ بين أُمَّةِ الإجابَةِ وأُمَّةِ الدَّعوَةِ .
- فِقهُ العُلومِ الشَّرعِيَّةِ عقيدَةٌ وشريعةٌ وسُلوكٌ .

وكما وضع ﷺ ثوابتَ هَذَينِ الفِقهَينِ كمادَّتَي عِلمِ تَعبُّدٍ وديانَةٍ فقد حدَّدَ أوعِيَتَها البَشَـرِيَّةَ الحامِلَةَ عنه سلامَةَ النَّهجِ وعدالَةَ الموقِفِ، وعند دراسَتِنا لِنماذِجِ التَّقسيمِ

---

(١) «السنن الواردة في الفتن» لإبي عمر الداني (١٣٤) .

(٢) «صحيح مسلم» (٢٢٩٦) .

لدى عُلماءِ الأُصولِ للسُّنَّةِ الشَّريفَةِ نَجِدُ أنَّ السُّنَّةَ التَّقريريَّةَ هي السُّنَّةُ التي جرت على لسانٍ أو فِعلِ بَعضِ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم وأقرَّها صلى الله عليه وآله وسلم وصارت جُزءاً من السُّنَّةِ الشَّرعيَّةِ .

حصانات النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبعض أصحابه وتجريحه آخرين وأهمية ذلك في فقه الدعوة

وفي هذا المِضمارِ نَجِدُ أنَّ العَديدَ مِن المواقِفِ ذات العلاقَةِ بالتَّحوُّلاتِ قد بَيَّنت عَدَمَ اندِراجِ مواقِفِ وسُلوكِ بعضِ الصَّحابَةِ كاسمٍ مُجَرَّدٍ ، وخاصَّةً مِمَّن وقعوا في دائِرَةِ النِّفاقِ في مَفهومِ السُّنَّةِ التقريريَّةِ ، بل دمغ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أقوالَهم وأبرَزَ إحداثَهم وبِدعَتَهم وتَمَيَّزُوا عن أصحابِ النَّبيِّ العُدُولِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم بما قال النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيهم ، كقولِهِ صلى الله عليه وآله وسلم في أحدهم : «**يخرُجُ من ضِئضِيءِ هذا أقوامٌ**»[1] وقوله : «**أوَّلُ مَن يُغَيِّرُ سُنَّتي رَجُلٍ من بني فُلانٍ**»[2] .. وقوله : «**لو قُتِلَ اليومَ ما اختلف رَجُلانِ من أُمَّتي**»[3] ... إلخ ، وبهذه القواعِدِ تأصَّلتْ السُّنَّةُ التَّقريريَّةُ بِخُصوصِ الذين أقرَّ النَّبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أقوالَهُم وأفعالَهُم، وأمَّا سُنَّةُ المواقِفُ فقد أصَّلت مواقِفَ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم من أولئك الذين خرجت أقوالُهم وأفعالُهم عن مفهومِ السُّنَّةِ إلى البِدعَةِ سواءً كانوا أفراداً أو جماعاتٍ .

بعض البدع المدموغة من عهد الرسالة
١ـ البدعة القولية والفعلية والتقريرية

ولهم تَسَلسُلٌ في مقارَفَةِ البِدعَةِ القوليَّةِ كقولِ حُرقوصٍ في القِسمَةِ وما ترَتَّبَ على ذلك من قولِ النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم : «**يخرُجُ من ضِئضِيءِ هذا**» أي: على مثالِهِ ومِن نموذَجِ مَدرَسَتِهِ وفِكرِهِ ، والبِدعَةِ الفِعليَّةِ كبِدعَةِ بناءِ مسجِدِ الضِّرارِ الذي أمر النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم

---

(١) «صحيح مسلم» (١٠٦٤) .

(٢) «الأوائل» لابن أبي عاصم (٦٣) بلفظ : «**من بني أمية**» وفي «تاريخ أصبهان» لأبي نعيم (٦٩) و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٨ : ١٥٩) بلفظ : «**رجل من بني فلان**» قال يزيد : أنا هو ؟ قال : لا » .

(٣) «مسند أبي يعلى» (٣٦٦٨) .

بِهَدمِهِ ، والبِدعَةِ التَّقريرِيَّةِ كمُوافَقَتِهم أفعالَ المُنافِقِينَ وتأييدِهم لليَهودِ والنَّصارى ومُدعي النُّبُوَّةِ وإقرارِهم على الكُفرِ فيما فعلُوهُ ضِدَّ النَّبيِّ ﷺ وأصحابِهِ ، وما أقرَّهُ بعضُ المُنافِقِين والفاسِقِينَ مِن تأييدِ مُسيلِمَةَ الكَذَّابِ ، ويدخُلُ في البِدعَةِ التَّقريرِيَّةِ مـا يكتُبُه بعضُ المُتأخِّرينَ من تأييدِ مواقِفِ الثُّوارِ ضِدَّ عُثمانَ وضِدَّ آلِ البَيتِ تَبرِئةً للظَّلَمَـةِ مِـن أصحابِ المُلكِ العَضـوضِ ومُناهَضَةً للنَّمَطِ الأوسَـطِ وحَمَلَةِ مَنهجِ الخلافَةِ الأَبَوِيِّ النَّبَوِيِّ الشَّرعِيِّ، أو ما يكتبُهُ بعضُ الباحثين المُعاصِرين وينالون به الشَّهاداتِ الأكاديمِيَّةِ والمراتِبِ العِلمِيَّةِ من تأييدٍ ونُصرَةٍ لمدارسِ القَبضِ والنَّقضِ المُعاصِـرَةِ فـي هَجمَتِهم البِدعِيَّـةِ علـى آلِ البَيتِ النَّبَـوِيِّ ومن ارتَبَطَ بِمَدرَسَـتِهم الذَّوقِيَّةِ ، أو ما اعتَنَقوه مِن بعضِ مذاهِبِ أهل السُّنَّةِ والجماعَةِ الفِقهيَّةِ الشَّرعِيَّةِ .

سُنَّةُ المواقِفِ وسُنَّةُ الدِّلالةِ وموقِعُهما من فِقهِ التَّحوُّلاتِ

التعريف بلفظ «السنة» لغة واصطلاحا

عُرِّفَت السُّنَّةُ لُغةً بالطَّريقةِ والأسلوبِ والسّيرَةِ حميدةً كانت أو ذميمةً، والجمعُ (سُنَنٌ)، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾﴾ [الكهف: ٥٥] وسُنَّةُ الأوَّلين مواقِفُهم وماذهب إليه آباؤُهم من الطَّريقةِ والسِّيرَةِ والفَهمِ والتَّعليلِ، وقد تكونُ المُكابَرَةَ والتَّحدِّيَ، كما قال الزَّجّاجُ: سُنَّةُ الأوَّلين أنَّهم عاينوا العذابَ فطلب المشركون أن قالوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾.

وفي الحديثِ: «مَن سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً ـ وهذه الرِّوايةُ من غيرِ لَفظِ: «في الإسلام» ـ فَلَهُ أجرُها وأجرُ مَن عَمِلَ بها»[1] ومعنى «مَن سَنَّ سُنَّةً» يريدُ عملَها ليُقتدى به فيها، وكُلُّ مَن ابتدأ أمراً عَمِلَ به قومٌ بعده قيل: هو الذي سَنَّهُ.

وقد تكرَّرَ في الحديثِ ذِكرُ السُّنَّةِ وما تصرَّف من لفظها، قال ابن منظور: (والأصلُ فيه الطَّريقةُ والسِّيرةُ، وأما في الاصطلاحِ الشَّرعِيِّ فالسُّنَّةُ إنما يُرادُ بها ما أمر به النَّبيُّ ﷺ وندب إليه قولاً وفعلاً وتقريراً مِمَّا لم ينطِق به القُرآنُ أو ما لَزِمَ تفسيرُهُ وتعليلُهُ من معانيه، ولهذا يُقالُ في أدلَّةِ الشَّرعِ (الكتابُ والسُّنَّةُ) أي: القرآنُ والحديثُ) انتهى[2]. وهما المصدرانِ الأساسِيَّان للتَّشريعِ كضابطٍ نَصِّيٍّ للأحكامِ المُقرَّرةِ لدى عُلَماءِ الأُصولِ منذُ بدايةِ عَصرِ التَّدوين.

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٢٠٣) (٢٠٧) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٩٨٠٢).
(٢) «لسان العرب» (١٣: ٢٢٥)، وفيه: وَالسُّنَّةُ الطَّرِيقَةُ وَالسُّنَّةُ السِّيرَةُ حَمِيدَةً كَانَتْ أَوْ ذَمِيمَةً، وَالْجَمْعُ سُنَنٌ مِثْلُ: غُرْفَةٍ وَغُرَفٍ.

مـع أن بعـضَ رِواياتِ الأحاديـثِ تُعْطِي السُّـنَّةَ مفهومَ المواقـفِ ، وتجعلُ عِلْمَ الحديثِ مسـتقلًّا عنها ، وهو ما يُؤَيِّدُ سُـنَّةَ المواقفِ الَّتِي نحنُ بِصَدَدِها ، فقد رَوَى الطبرانيُّ والخطيبُ البغداديُّ والرّامَهُرْمُزِيُّ بأسانيدِهم عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ رسـولُ اللـه ﷺ فقال : «اللهُـمَّ ارْحَمْ خُلَفَائِـي» ، قال : قلتُ : يا رسـولَ اللهِ ومَن خلفاؤُكَ قال : «الَّذِينَ يَأْتُونَ مِن بَعْدِي يَرْوُونَ أَحَادِيثِي وَسُنَّتِي وَيُعَلِّمُونَهَا النَّاسَ»[1].

فالنصُّ الحديثيُّ هنا (أحاديثي) سابقٌ للسُّنَنِ (سُنَّتِي) ومُغايرٌ لها، والتي هي (سننُ المواقـفِ) ، ومنفصـلٌ عنها من حيثُ التعريفُ ، ويُؤَيِّدُ هـذا الأمرَ ما رواه الحافظُ ابـنُ حجـرٍ في «الفتح» من حديثِ : «يكونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِي ولا يَسْـتَنُّونَ بِسُنَّتِي»[2] ، والمعلومُ أنّ الهديَ النبويَّ هو العلمُ بالحديثِ الشريفِ وما تَفَرَّعَ عنه ، وأما السُّـنَّةُ هنا فـلا علاقةَ لها بالنصـوصِ الحديثيةِ ، وإنما هـي المواقفُ الخاصةُ بـه ﷺ فـي تطبيقِ العلمِ وثمراتِه ، وعلى هذا فسُـنَّةُ المواقِفِ : هي طريقةُ وسُـلوكُ وتَصرُّفـاتُ المتبوعِ الأعظَمِ وخلفائِـه ﷺ فيما يعامِلُ به المُوافِـقَ والمُعارِضَ مِن سَـعَةِ الأخلاقِ وعَـدَمِ الأخذِ بالجريرَةِ واتِّخاذِ الموقِفِ المُناسِـبِ بِحصانَةِ الوَحيِ والعِصمَـةِ والأخـلاقِ في رسـولِ اللهِ ﷺ ، وحصانـةِ الاجتهادِ والتوفيقِ والسـندِ والعدالةِ في الخلفاءِ، وهي أساسُ فِقهِ الدَّعوَةِ إلى اللهِ .

سنة المواقف وسنة الدلالة

وأمّـا سُنَّةُ خُلَفائِهِ الرَّاشِدين المهدِيِّين : فهـي ما اجتهـدوا فيه مِن اتِّخاذِ الموقفِ بعد النَّظَرِ للسُّنَنِ الوارِدَةِ بما تقتضيه المصلَحَةُ العامَّةُ من غيرِ انحيازٍ ولا غَمطِ حَقٍّ

---

(١) «المعجـم الأوسـط» للطبرانـي (٥٨٤٦) و«المحـدث الفاصـل بيـن الـراوي والواعـي» للرامهرمزي (٢) .

(٢) «صحيـح ابن حبان» (٤٥١٤) «المسـتدرك على الصحيحيـن» (٢٦٥) «فتح الباري» لابن حجر (١٣: ٣٦) .

لِأَحَدٍ ولا إفراطٍ ولا تفريطٍ.

ومنها موقفُ الإمامِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في قبولِ قرارِ الخلافةِ لغيره والعملِ بهِ مع الخلفاءِ الراشدين السابقين له على تحقيقِ الاستقرارِ وسلامةِ الاستمرارِ مع وجودِ النصِّ الذي احتجَّ به البعضُ على وجوبِ خلافتِه دونَ غيره ، فموقفُه يعدُّ سنةً من سننِ الخلفاءِ الراشدينَ ، ومنها موقفُ الإمامِ الحسنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في تنازلِه عن الخلافةِ وهو يحملُ البيعةَ العامةَ من المسلمين ، ومنها موقفُ الإمامِ الحسينِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بخروجه من أرض الحجاز لتجنيبِها مَغَبَّةَ الدماءِ والحربِ وهو يعلمُ أنه مقتولٌ ، فلم يتأخرْ عن قضاءِ اللهِ وقدرِه ، بل خرجَ إلى العراقِ مع جملةٍ من آل البيتِ دونَ رغبةٍ في حربٍ أو قتالٍ ، وإنما موقفٌ أبويٌّ نبويٌّ أقامَ به الحُجَّةَ على فريقِ المحبينَ المتخاذلينَ وفريقِ المبغضينَ القاتلينَ ، وظلَّ درساً لآل البيتِ ومَن تبعَهم بإحسانٍ إلى يَوْمِ الدينِ .

خروج الإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنْهُ موقف أبوي نبوي لإصلاح الأمة (إنما خرجت لأصلح في أمة جدي)

والرُّشدُ : هو تسلسُلُ فقه الدَّعوَةِ بِشُروطِهِ .

والاهتداءُ : هو تسلسُلُ سَنَدِ فِقهِ الدَّاعي بِشُروطِهِ .

ويُؤَيِّدُ هذا المعنى في التفصيلِ بينَ السُّنَّةِ كموقفٍ ودلالةٍ وبين الهديِ النبويِّ كأحاديثَ وعلومٍ وأحكامٍ ما وردَ في حديثِ حذيفةَ بنِ اليمانِ من قوله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : كانَ الناسُ يسألونَ رسولَ اللهِ ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَني ... إلى أن قال ... فقلتُ : هل بعدَ ذلكِ الشرِّ من خيرٍ ؟ قال : «**نَعَمْ وفيهِ دَخَنٌ**» ، قلت : وَمَا دَخَنُهُ ؟ قال : «**قومٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي وَيَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ**»[1] . وفي حديث مسلم الآخر : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : «**مَا**

---

(١) «صحيح مسلم» (١٨٤٧) .

كَانَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ وَيَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِهِ»[1].

السنة النبوية والهدي النبوي مفهومان مختلفان

والمعلومُ كما سبق أن الهديَ النبويَّ هو العلمُ بالحديثِ الشريفِ وما تَفَرَّعَ عنه من الأحكامِ الشرعيةِ، وأما السنةُ هنا فمُسَمًّى لا علاقةَ له بالنصوصِ الحديثيةِ، وإنما هي المواقفُ الخاصةُ به ﷺ في تطبيقِ العلمِ وثمراتِه، وتميُّزُه ﷺ في معاملاتِه واهتماماتِه بالأمورِ وبالناسِ.

الهدي العلم بالأحكام الشرعية وأما السنة فهي المواقف والسيرة والطريقة في المعاملة

وفي حديثِ جابرِ بنِ عبدِاللهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ: أَعَاذَكَ اللَّهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ، قَالَ: وَمَا إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟ قَالَ: أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي لاَ يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلاَ يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ[2].

والسُّنَّةُ على هذا المعنى تَخُصُّ (المواقفَ والأساليبَ)، وهي:

السنة ـ والتي هي المواقف ـ:
١ ـ سنة رحمانية
٢ ـ سنة شيطانية

(١) مواقفُ وسننٌ نبويةٌ رحمانيةٌ من سننِ النبيِّ ﷺ وأصحابِه وآلِ بيتِه ومن تَبِعَهُمْ بإحسانٍ،

(٢) ومواقفُ وسننٌ شيطانيةٌ من سُنَنِ الدجاجلةِ والمفسدينَ وأهلِ الإفكِ والمنافقين، يقول فيها وآلِ بيتِه: «سَيَكُونُ بَعْدَ أصحابي فتنةٌ يَغْفِرُهَا اللهُ لهم بمحبَّتِهم إيايَ، ثم يَسْتَنُّ بها قومٌ من بعدِهم فيدخلونَ بهم النارَ»[3].

---

(١) «صحيح مسلم» (٥٠).
(٢) «مسند أحمد» (١٤٤٤١) و«صحيح ابن حبان» (٤٥١٤) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٣٠٢) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
(٣) «تفسير القرطبي» (٧: ٣٩١)، والفتنة هي القتال الذي وقع بين الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وقد تقدم الكلام عن تحصين النصوص للصحابة ص٢٥.

ومنها سننُ أصحاب المللِ الأخرى كما في حديث البخاري[1] الشهير : «**لَتتبعُنَّ سُنن مَن كان قبلَكم..**»[2] ، بضم السين في قوله : «**سُنَن**»

وعلى هذا التفصيلِ تنقسمُ (سننُ المواقفِ) إلى قسمينِ:

سنةٌ نبويةٌ أبويةٌ : وهـي سـنةُ النبـيِّ ﷺ ومواقفُـه ومواقـفُ خلفائِـه الراشـدينَ المهديينَ إلى يومِ الدينِ[3].

(١) «صحيح البخاري» (٣٤٥٦) (٧٣٢٠) «صحيح مسلم» (٢٦٦٩) .

(٢) قـال الحافـظ فـي «الفتح» : بفتح السـين للأكثـر ، وقال ابن التيـن : قرأناه بضمهـا ، وقال المهلب : بالفتح أولى لأنه الذي يسـتعمل فيه الذراع والشـبر وهو الطريق . قلتُ : وليس اللفظ الأخير ببعيد من ذلك. اهـ (٢٠ : ٣٧٨) .

قلـتُ : رحـم اللـه ابن التيـن والمهلب لـو رأوا زماننـا وما فيـه .. إن ما وقفنـا عليها من النصوص ذات المعاني المسـتجدة يرجح رواية الضم للسـين التـي ذكرها ابن التين ويبعد رواية الفتح . فما وقعنا فيه نحن المسـلمين ليس تتبع الوسـائل التي مضى عليها النصارى واليهـود وليس تقليدهم في تطوير دولهم وخطوات التنمية في تعليمهم وتربيتهم وثقافتهم وكأننا نتبع طريقهم ، بل لقد تشـربنا تفكيرهم حتى صارت سـيرنا كسـيرهم وتطابقنا معهم فـي الولاء والبراء وحـب الدنيا والمال وكراهية الموت بل وفي مواقفنا من كل ما اسـتجد تمام المطابقة . أي : ربما كنا ننتهج أساليبهم كخارطة طريق في مرحلة العلمنة ، وأما الآن فنحن نسخة منهم .

(٣) ومن سنن الخلفاء المهديين التي ستأتي في مستقبل الزمان المواقف النبوية في العدل التي يحييهـا الإمام المهدي عند مجيئه والتي بها ينشـر الخير في أرجاء المعمورة ، ففي «المنار المنيف» لابن قيم الجوزي : ... فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ويلقي الإسلام بجرانه في الأرض . وإسناده حسن كما ذكر ابن القيم (١١٠).

والجميل أن الإمام أبا عوانة الإسـفراييني (٣١٦ هـ) صاحب «المسـتخرج على صحيح مسـلم» فرق بين الهدي والسـنة حين عَنْوَنَ وترجمَ في «كتاب الأمـراء» (٤ : ٤٢٠) بقوله : بيـان ذكـر الخبر الموجب طاعة الإمام وإن لم يهتد بهدي النبي ﷺ ولـم يسـتن بسـنته وإن ضرب ظهور رعيته .

وسنةٌ أنويةٌ شيطانيةٌ : وهي سنةُ ومواقفُ الدجاجلةِ والكفارِ والمنافقينِ .

البدعة ضد سنة الرحمن

وتقابُلها في المعنى الشرعيِّ (البدعةُ السيئةُ) ومحدثاتُ الأمورِ، وهي ما يجري من سننٍ ومواقفَ على أيدي أولئك الكفارِ والدجاجلةِ والمنافقينِ ويستنُّ بها المسلمون بعلمٍ أو بغيرِ علمٍ. وفي ذلك يقول ﷺ : «**مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي فَعَمِلَ بِهَا النَّاسُ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ ابْتَدَعَ بِدْعَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ أَوْزَارُ مَنْ عَمِلَ بِهَا لَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِ مَنْ عَمِلَ بِهَا شَيْئًا**»[1].

البدعة في فقه التحولات هي مخالفة المواقف الشرعية وفي الفقه الشرعي هي مخالفة الأحكام الشرعية والتي سمتها النصوص (الهدي)

وبهذا يكون فقهُ التحولاتِ وعلاماتِ الساعةِ قد أعادَ تعريفَ البدعةِ إلى موقعِه الأساسيِّ لا السياسيِّ، فتكونُ البدعةُ الأنويةُ هي مخالفةُ المواقفِ الشرعيةِ للنبي ﷺ وخلفائِه الراشدينَ المهديينَ إلى يومِ الدينِ، أما مفهومُ البدعةِ الشرعيةِ التي أَصَّلَهَا الفقهاءُ فهي مخالفةُ الهديِ النبويِّ والأحكامِ الشرعيةِ لما ثَبَتَ من السُّنَنِ القوليةِ والفعليةِ والتقريريةِ المرتبطةِ بعلمِ الأصولِ ومخرجاتِه وثمراتِه .

ولهذا نهى النبيُّ ﷺ عثمانَ بنَ عفانَ يومَ الدارِ أنْ يَخْلَعَ نفسَه وقال له : «**لا تَخْلَعْهَا وَصُمْ ذلك اليومَ تُفْطِرْ عِنْدِي**»[2] . قال عبدُالله بنُ عُمَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لعثمانَ يومَ الدارِ : (فلا تَخْلَعْ قَمِيصَ اللهِ عليكَ فيكونَ سُنَّةً : كُلَّما كَرِهَ قومٌ خليفةً خَلَعُوهُ وَقَتَلُوهُ)[3].

وقد تَرَسَّخَتْ هذه البدعةُ في مرحلةِ الضعفِ من العهدِ العباسيِّ ، وكلما كَرِهَ العجمُ خليفةً خَلَعُوه أو قتلُوهُ .

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٢٠٩) .

(٢) «الكامل» لابن عدي (٥٩٠) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) ذكره القرطبي في «التذكرة» ص(١: ١٠٦٧) .

وعلى هذا فمثلُ هذا الموقفِ سُنَّةٌ شيطانيةٌ نَهَى عبدُاللهِ بنُ عُمَرَ سيدَنا عثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عن فِعْلِها واختارَ له الموتَ والشهادةَ .

سنة النبي والخلفاء ليست بالمفهوم الأصولي ذات معنى وحيد فقط بل هي في فقه التحولات (المواقف)

وعلى هذا المعنى فالحديثُ يجعلُ من مفهومِ قولِه ﷺ: «**عليكم بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الرَّاشِدين المهدِيِّين**»[1] ، غيرَ المفهومِ المُتداوَلِ لدى عُلماءِ الأُصولِ ، فعُلَماءُ الأُصولِ يتناولون في هذا الحديثِ ما ترتَّبَ على تقسيمِ السُّنَّةِ أُصولياً إلى السُّنَّةِ (القوليَّةِ والفِعليَّةِ والتَّقريريَّةِ) وهو ـ بلا شَكٍّ ـ أحَدُ معاني الحديثِ لمن فَهِمَ ذلك ، أما فِقهُ التَّحوُّلاتِ فيتناوَلُ مواقِفَ الرَّسولِ ﷺ ومواقِفَ الخُلفاءِ الرَّاشِدِين[2] من حيثُ الأخلاقُ والقِيَمُ لا مِن حيثُ مادَّةُ النَّصِّ المكتوبِ .

السنة هي المواقف في حديث «عليكم بسنتي»

وبهذا يُفهَمُ أنَّ لفظَةَ السُّنَّةِ في هذا الحديثِ يُقصَدُ بها (الموقِفُ) ، ويؤكِّدُ ذلك ما هو معلومٌ من أنَّ السُّنَّةَ هي لدى العُلماءِ «قولُ رسولِ الله ﷺ وفعلُهُ وتقريرُهُ لا غيرَ ذلك» .

---

(١) تقدم ص ١٠٥.

(٢) وقد أثر هذا المعنى عن عبد الله بن نعيم المغافري قال : سمعت المشيخة يقولون : (من أمر بمعروف ونهى عن منكر فهو خليفة الله في الأرض وخليفة كتابه وخليفة رسوله ﷺ) اهـ «الفتن» (١: ١٠٣) .

والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر في هذا الأثر من اجتمعت فيه شروط الهدى والرشد بلا خلاف ، ويؤيد هذا المعنى حديث عن علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : (جعلت في هذه الأمة خمس فتن : فتنة عامة ، ثم فتنة خاصة ، ثم فتنة عامة ، ثم فتنة خاصة ، ثم الفتنة السوداء المظلمة التي يصير فيها الناس كالبهائم ، ثم هدنة ، ثم دعاة إلى الضلالة ، فإن بقي يومئذ خليفة فالزمه) «الفتن» لنعيم بن حماد (٧٧) . والشاهد هنا مفهوم الخليفة المأخوذ من الهدى والرشد ، والرواية في «مصنف عبدالرزاق» (٢٠٧٣٣) ، وهي حسنة الإسناد ، «العراق في أحاديث الفتن» لأبي عبيدة مشهور (٢: ٥٤٠) .

لكنَّ الحديثَ يُشيرُ إلى سُنَّةٍ تَخُصُّ الخُلفاءَ، فهل هناك سُنَّةٌ أخرى غيرُ سُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ للخُلَفَاءِ؟

والجـوابُ : أنَّ مفهومَ السُّـنَّةِ هنا ـ في فقهِ الدَّعوَةِ وفقـهِ التَّحوُّلات ـ غيرُ مفهومِ السُّـنَّةِ عند عُلماءِ الأُصولِ المُقرَّرَةِ ، فَسُـنَّةُ النَّبيِّ ﷺ وسُـنَّةُ الخُلفـاءِ هي مواقِفُهم عنـد الاختـلافِ والاحتدامِ ، ولهذا يقـولُ : «عَضُّـوا عليها بالنَّواجِـذِ»[1] حيثُ إنَّ النُّصـوصَ مُختَلِفَـةٌ ومُتَنوِّعَـةٌ ويجري الاجتهـادُ مجراهُ من الاختـلافِ ووُجهاتِ النَّظَرِ المشـروعةِ ، أمَّا المواقِفُ فهي الاجتهادُ الذَّاتي بعد النَّظَرِ في السُّـنَنِ الواردةِ ومـا تقرَّرَ بعدها من المواقِفِ كما فعل الخليفة أبوبكرٍ الصديقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في محاربةِ مانعي الزكاةِ وتنازل الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن الخلافة .

سنة المواقف هي التطبيق الأخلاقي في فقه الدعوة

فيتأصَّلُ بهذا المفهومِ أنَّ سُنَّةَ المواقفِ هي سُنَّةُ التَّطبيقِ الأخلاقِيِّ في فِقهِ الدَّعوَةِ لمجمـوعِ السُّـنَنِ القولِيَّـةِ والفِعلِيَّـةِ والتَّقريرِيَّـةِ وما تفـرَّعَ عنها مـن اجتهاداتٍ في الأُصولِ وفِقهِ المذاهِبِ ، وبهذا الفَهمِ يكون فِقهُ الدَّعوَةِ وِعاءاً جامعاً وضابِطاً بِفِقهِ التَّحوُّلاتِ لِسُـلوكِ عُلماءِ الأُصولِ وعُلَماءِ المذهَبِيَّةِ في علاقَتِهم بِبَعضِهِم البَعضِ وعلاقاتِهِم بالمُخالِفِ والمُعارِضِ وعلاقَتِهِم بِتطبيقِ الشَّريعَةِ في الشُّعوبِ .

الشريعة ليست دستورا للعالم فحسب بل هي مواقف دعوية لذات معصومة وسلوك لقدوة مطهرة

فالشَّـريعَةُ قبل أن تكونَ قانوناً أو دُسـتوراً لِفَرضِ نِظامٍ شَرعِيٍّ وإقامَةِ حُدودٍ فهي مواقِفُ دَعْوِيَّةٌ لذاتٍ مُطَهَّرَةٍ ومعصومةٍ وسُـلوكٌ لِقُدوَةٍ حَسَـنَةٍ وانعكاساتٌ شَرعِيَّةٌ لِوَحـيٍ رَبَّانيٍّ وسَـمُوٍّ إيمانيٍّ لا مجالَ فيها لاسـتفزازاتِ الطَّبـعِ أو تطويعِ نُصوصِ الشَّـرعِ، قال فيه تعالـى : ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ١ - ٤] .

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٦٠٩) .

سنة الدلالة ضابط شرعي لم يندرج تحت ضوابط علم الأصول

أما سُـنَّةُ الدِّلالَةِ فهي ضابِطٌ شـرعِيٌّ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ يُحَدِّدُ هُوِيَّةَ فِعلِ الشَّـيءِ أو تركِهِ من وسـائلِ الدَّعوَةِ إلى اللهِ اسـتِقراءً لِنَصٍّ قُرآنِيٍّ أو حديـثٍ نَبَوِيٍّ، بِقرينَةٍ يندَرِجُ معناها في النَّصِّ كَجُزءٍ من العِلمِ المُستفادِ عند الاختلافِ على أمرٍ مُعَيَّنٍ لم يندَرِج تحت ضوابِطِ عِلمِ الأُصولِ عند العُلماءِ، كاستدلالِ المُستَدِلِّ بقولِه: هذا لم يكن على عهدِ رَسولِ اللهِ ﷺ ولا عَهدِ صحابَتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم... إلخ.

فتكونُ سُـنَّةُ الدِّلالَةِ هنا حُجَّةً شـرعِيَّةً لما لم يتأصَّل من شُؤونِ "فِقهِ التَّحوُّلاتِ" في العقيدةِ والشَّريعَةِ ومراتِبِ السُّلوكِ.

قـال في «القاموس المُحيط»: (الدِّلالَةُ مَصدَرٌ والاسـمُ مُشـتَقٌّ من: الدَّلّالِ بين البائِعِ والمُشتَري، وفي الاصطِلاحِ: هي كونُ الشَّيءِ بحالَةٍ يلزَمُ من العِلمِ بها شَيءٌ آخَـرُ. وأصـلُ الفِعلِ (دَلَّ يَدُلُّ) من دَلَّ على الشَّـيءِ، أي: أشـارَ إليـه، وهو أيضاً المُسـتَنَدُ الشَّـرعِيُّ المُعَبِّرُ على صِحَّةِ ما يُرادُ من الاسـتدلالِ عليه من قولٍ أو فِعلٍ أو تقريـرٍ أو موقِفٍ أو غيـرِ ذلك، وهو عند فُقَهاءِ عِلمِ الأُصـولِ ما يُمكِنُ التَّوصُّلُ بِصحيحِ النَّظَرِ فيه إلى مطلوبٍ خَبرِيٍّ.

سنة الدلالة في فقه التحولات تؤصل ما لا دليل عليه من فقه الدعوة، ومصدرها علم الأصول

وفي فِقهِ التَّحوُّلاتِ تُعتبَرُ (الدِّلالَةُ) بُرهاناً على مالم يتوَفَّر له دليلٌ من فِقهِ الدَّعوَةِ إلـى اللـهِ ضِمنَ عِلمِ الأُصـولِ القائِمِ على السُّـنَنِ القولِيَّةِ والفِعلِيَّـةِ والتَّقريرِيَّةِ، أو بمعنـىً آخَرَ (الدِّلالَةُ) تفسـيرٌ للرَّمزِ من القرآنِ أو السُّـنَّةِ في فِعـلٍ أو تَركٍ لم يندَرِج تحـت عِلـمِ الأُصـولِ ضِمناً أو تصريحاً. وهي ـ أي: (سُـنَّةُ الدِّلالَةِ) ـ سُـنَّةٌ ترتَبِطُ ارتباطاً واعِياً بِحديثِ عُقبَةَ بنِ عامِرٍ السَّـابِقِ ذكرُهُ وفيه: «**إنِّي لسـتُ أخشى عليكم أن تُشـرِكوا بعدي..**»[1]، وهو تفسـيرٌ شـرعِيٌّ لانعدامِ الشِّـركِ في الأُمَّةِ من بعدِهِ،

---

(١) «صحيح البخاري» (١٣٤٤) (٤٠٨٥) (٦٤٢٦) (٦٥٩٠)، و«صحيح مسلم» (٢٢٩٦).

وإنَّما التَّشرِيكُ إن جاء من بعده ﷺ فإنَّما هو تُهمَةٌ في الأُمَّةِ بُنِيَت على أمرَينِ :

تهمة الشرك بنيت على أمرين أشارت إليها النصوص : التنافس والتحريش

- سياسَةُ التَّنافُسِ في الدنيا ، وهي ما عبَّر عنه ﷺ بقولِهِ في الحديث السابق : «... ولكني أخشى عليكم الدُّنيا أن تنافَسُوا فيها ...»[1] ، فتبيَّنَ بهذه الدِّلالةِ في فِقهِ الدَّعوةِ نفيُ ما ألصقتهُ العُقولُ المُتنافِسَةُ على قرارِ الحُكمِ والعِلمِ من تُهمَةِ الشِّركِ في أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، وعَزوُ ذلك الحُكمِ إلى غيابِ العِلمِ بالرُّكنِ الرَّابعِ من أركانِ الدِّينِ .
- فتنة التحريش المنصوص عليها في قوله ﷺ : «إِنَّ الشَّيْطَانَ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ ، ولكِنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»[2] .

الاستدلال بسنة الدلالة على ما لم يكن له سابق مثال

وتَتَّجِهُ الاستفادَةُ من سُنَّةِ الدِّلالَةِ في مَنهَجِ الدَّعوَةِ إلى اللهِ على قِسمَينِ :

الأوَّلُ : الاستدلالُ بها على أنَّ كُلَّ ما يدخُلُ تحت قاعِدَةِ السُّنَّةِ الحَسَنةِ عند عُلَماءِ الأُصولِ ولو لم يكن له مِثالٌ سابِقٌ وإنَّما دَلَّت عليه دِلالَةٌ نَصِّيَّةٌ من الكتابِ أو السُّنَّةِ أو مواقِفِ الخُلفاءِ فهو أمرٌ صحيحٌ لا علاقَةَ له بالبِدعَةِ والضَّلالِ بِشَرطِ عَدَمِ المُعارَضَةِ لِنَصٍّ صحيح . ومن ذلك ما كان يطمَئِنُّ إليه الصَّحابَةُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم بعد استقرائِهِم لما وراءَ اللَّفظَةِ والعِبارَةِ التي تجري على لِسانِ رَسولِ اللهِ ﷺ ومنها قولُهُ في الرُّؤيا الصالحة : «إنَّها من المُبَشِّراتِ» لما تَدُلُّ عليه ، وفيها يقول ﷺ : «لم يبقَ من النبوة إلا المُبشِّراتِ» قالوا : وما المُبَشِّراتُ ، قال : «الرُّؤيا الصَّالِحَةُ»[3] . وحديث : «الرُّؤيا الصَّالِحَةُ من اللهِ ، والحُلُمُ من الشَّيطانِ ، فإن حَلَمَ أحدُكم الحُلُمَ

---

(١) «صحيح البخاري» (١٣٤٤) (٣٥٩٦) (٤٠٨٥) بلفظ : «ولكني أخاف عليكم» و«صحيح مسلم» (٢٢٩٦) .

(٢) «صحيح مسلم» (٢٨١٢) .

(٣) «صحيح البخاري» (٦٩٩٠) .

يكرَهُهُ فليَبصُق عن يسارِهِ وليستَعِذ باللهِ منه فلن يَضُرَّهُ»[1]، وفي رواية: «فليَتفُل عن يسارِهِ ثلاثاً، وليتعوَّذ باللهِ من الشَّيطانِ وشَرِّها ولا يُحدِّث بها أحداً فإنَّها لا تضُرُّه»[2]، قال أبو سَلَمَةَ: إن كُنتُ لأرى الرُّؤيا هي أثقَلُ عليَّ من الجَبَل، فلمَّا سَمِعتُ هذا الحديثَ فما كُنتُ أُباليها[3].

ومن فِقهِ الدِّلالةِ: ما رواه أبو هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رَسولُ اللهِ ﷺ: «من حَدَّثَ حديثاً فعَطَسَ فهو حَقٌّ»[4].

الاستدلال بها عن الانحرافات والفتن

الثاني: الاستدلالُ بها على الانحرافاتِ والفِتَنِ ومُضِلّاتِها، وما ينتُجُ عنها من تَحوُّلٍ ودمارٍ وفسادٍ في الدِّيانةِ والتَّديُّنِ، وإفسادٍ في العلاقاتِ والارتباطاتِ، ونَقضٍ للعِلمِ وقَبضٍ للعُلماءِ، وإعدادِ الواقِعِ المخدوعِ لِقَبولِ البَرامِجِ المُنحَرِفَةِ في التَّربيَةِ والتَّعليمِ والاقتصادِ والتِّجارَةِ والإعلامِ والحياةِ الاجتماعِيَّةِ، وأنَّ هذه الإدخالاتِ في الأُمورِ الحياتيَّةِ أمرٌ بِدعِيٌّ وإحداثٌ في قواعد التَّأصيلِ الشَّرعِيِّ في أمرَي الدِّين والدُّنيا، ويعرَفُ ذلك من خلالِ استِقراءِ الأحاديثِ النَّبويَّةِ والآياتِ القرآنيَّةِ المنصوصِ عليها في استدلالاتِ الرُّكنِ الرَّابعِ، وَفقَ مفهومِ الدِّلالَةِ التي تبرُزُ بها صُورُ الانحِرافِ والجُنوحِ في كُلِّ عَصرٍ من عُصورِ التَّاريخِ الإسلامِيِّ، كما تبرُزُ بها صُورُ النِّفاقِ والإرجافِ وتصرُّفاتُ القُلوبِ المريضَةِ التي وصفها اللهُ في القُرآنِ[5] على مستوى العِلمِ والقَرارِ وتعليلِ الظَّواهِرِ، وما دون ذلك من حياةِ

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٢٩٢).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٢٦١).

(٣) «صحيح ابن حبان» (٦٠٥٩).

(٤) «مسند أبي يعلى» (٦٣٥٢).

(٥) في سورة (براءة) و(المنافقون) وغيرها من سور العلامات الخاصة بفقه التحولات.

الرِّجالِ والنِّساءِ أفراداً وأُسَراً وجماعاتٍ وأُمَّةً على مدى تاريخِ التَّحوُّل .

كما يعرَفُ بها في الوجهِ المُقابِلِ سلامةُ المنهَجِ المُعتبَرِ عند صحابةِ رسولِ اللهِ ﷺ وخُلفائِهِ الرَّاشِدين المهدِيِّين ، ورَدُّ تَقَوُّلِ المُتقوِّلين الذين تُفرِزُ طِباعُهم الحِقدَ والكَرَاهِيَةَ ، فيستَنقِصون من مراتِبِ الصُّحبَةِ ويقدَحون في سلامةِ الاجتهادِ للصَّدرِ الأوَّلِ وخاصَّةً الذين حصَّنَتهُم نُصوصُ النَّبيِّ ﷺ في حياتِهِ .

الاستدلال بسنة الدلالة على مستجدات العلوم

الثَّالثُ : الاستدلالُ بها على مُستَجِدَّاتِ العُلومِ والمُختَرَعاتِ والاكتشافاتِ ، وأنَّ لكثيرٍ مِن جديدِها ما نرى ونسمَعُ ونُشاهِدُ من دلالاتٍ في الكتابِ والسُّنَّةِ ، لـم يكـن العُلماءُ عند وَضعِ عِلمِ الأُصولِ والتَّفسيرِ على عِلمٍ بها ، لِعَدَمِ وُجودِها في زمانِهم ؛ ولكنَّها ظهرت فيما بعدُ ، وصارت الآياتُ القرآنِيَّةُ والأحاديثُ النَّبوِيَّةُ تَدُلُّ دلالةً عليها . بل ورُبَّما دلت على فسادِ فَهمِ المُتَقَدِّمين في تفسيرِها بما في زمانِهم أو رَبطِها بِبَعضِ التَّعليلاتِ الكونِيَّةِ السَّابِقَةِ ، وقد أشبَعَ هذا الفصلَ العَلَّامَةُ أحمدُ الغُمارِيُّ في كتابِهِ «مطابقةِ الاختراعاتِ العصرِيَّةِ لما أخبر به سَيِّدُ البَرِيَّةِ» .

ظاهرة التشريك ليست ديانة

كما أنَّ هذه السُّنَّةَ تَدُلُّ أيضاً على أنَّ ظاهِرَةَ التَّشريكِ والتَّكفيرِ سِياسَةٌ لا دِيانَةٌ ، وأنَّها سَبَبٌ في الاقتتالِ والهلاكِ ، كما أنَّها أيضاً دِلالَةٌ على الاقتِفاءِ والاهتِداءِ بالأُمَمِ الكافِرَةِ التي سبقت بتَحريفِ النُّصوصِ والاستِدلالِ بها على غَيرِ الوجهِ الصَّحيحِ ، إذ لا علاقَةَ لها بِسُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ ولا علاقَةَ لها بمواقِفِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدين المَهدِيِّين مِن بعدِهِ .

مدارس القبض والنقض وظاهرة تحريف النصوص

وإنَّ مِن الضَّرورَةِ بِمكانٍ أن تَنجَلِيَ هذه الصُّورَةُ القاتِمَةُ التي أصابت الأُمَّةَ الإسلامِيَّةَ في عَصرِ الغُثاءِ والوَهَنِ ويعودَ الجَميعُ إلى معرِفَةِ الأمرِ على أُصولِهِ الشَّرعِيَّةِ، وبهذا الفَهمِ يَتَطَهَّرُ عِلمُ الأُصولِ وفُروعُهُ عن عِلَّةٍ أدخَلَتها مدارِسُ

القَبضِ والنَّقضِ إلى الجِسمِ الإسلاميِّ والعِلمِ الشَّرعِيِّ على غيرِ حُجَّةٍ ، وهي ظاهِرَةُ تحريفِ النُّصوصِ والفُهومِ الصَّحيحَةِ التي عاش عليها سَلَفُ الأُمَّةِ .

والمقصودُ بـ«سَلَفِ الأُمَّةِ» القرونِ والأجيالُ الثَّلاثَةُ التي عاش فيها النَّبيُّ ﷺ والتَّابِعُون وتابِعُوهم بإحسانٍ كما شَهِدَ لهم رَسولُ اللهِ ﷺ بِسَلامَتِهم وسلامَةِ مرحَلَتِهم ؛ ما عدا مَن صدر في حَقِّهِ نَصٌّ صحيحٌ .

قاعِدَةٌ:
سلامةُ المرحلَةِ: بالنَّصِّ
سلامَةُ الذَّواتِ: بالحصانَةِ الشَّرعِيَّةِ

قاعِدَةٌ : سلامةُ المرحلَةِ : بالنَّصِّ ، وسلامَةُ الذَّواتِ : بالحصانَةِ الشَّرعِيَّةِ .

ولا تنطَبِقُ العِبارَةُ على مَن بعدَهُم إلا ما وافقَ مفهومَ القاعِدَةِ سَنَداً وأخلاقاً ، وهم المتابِعون لهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين ، قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم﴾[التوبة:١٠٠] ، والمُتَّبِعون بإحسانٍ هم الذين حَمَلوا شَرَفَ الاتِّباعِ بِالسَّنَدِ المُتَّصِلِ وشرفَ الالتِزامِ بالأخلاقِ والاستقامَةِ .

الشهادات الشرعية من لسان رسول الله ﷺ لصحابته حصانة لا تنقضها الأحداث

إنَّ سُنَّةَ الدِّلالةِ تستَقرِئُ نُصوصَ المرحلَةِ المكِّيَّةِ والمَدَنِيَّةِ في شأنِ فِقهِ الدَّعوَةِ إلى اللهِ ، وتُعتبَرُ الشَّهاداتُ الشَّرعِيَّةُ التي صدرت من لِسانِ رَسولِ اللهِ ﷺ توثيقاً لعدالَةِ صحابَتِهِ ، بل وتقدَحُ في عُمومِ المُعتَرِضين والنَّاقِضين لِسَلامَةِ مرحلَةِ الخِلافَةِ الأولى مهما كانت حُجَّتُهم القائِمَةُ على وَصفِ الأحداثِ الجارِيَةِ،كما تُعيدُ هذه السُّنَّةُ قراءَةَ التَّاريخِ الإسلاميِّ مُقتَرِناً بِتَمييزِ الحوادِثِ وهندَسَةِ الإشاراتِ ، التي دَلَّلَ بها رَسولُ اللهِ ﷺ على سُلوكِ النَّاسِ من عَهدِهِ إلى قيامِ السَّاعةِ ، ما بينَ مُحِقٍّ ومُبطِلٍ وصادِقٍ وكاذِبٍ ومُؤمِنٍ ومُنافِقٍ ، كما تَكشِفُ المَسيرَةَ الدَّجَّالِيَّةَ المُسَيَّسَةَ ، وتَربطُ بين النَّصِّ النَّبَويِّ ساعةَ كشفِهِ للظَّواهِرِ الدَّجَّالِيَّةِ واندراجِها الخطيرِ المُعمِي ضِمنَ الحَظيرَةِ الإسلامِيَّةِ حتى اليومَ وما يتبَعُها من الانحِرافاتِ والتَّحالُفات بين الدَّجاجِلَةِ ضِدَّ الدِّيانةِ الصَّحيحَةِ والنَّهجِ الشَّرعِيِّ السَّويِّ على مدى التَّاريخِ .

سنة الدلالة في وظائفها استقراء الحصانات الشرعية وكشف المسيرة البطالية

إنَّ فِقهَ التَّحوُّلاتِ ـ بسُنَّتَيهِ : سُنَّةِ المواقِفِ والدَّلالَةِ ـ يُبرِزُ بوضوحٍ مدرسةَ الاعتدالِ والوَسَطيَّةِ الشَّرعِيَّةِ في أُمَّةِ الإسلامِ ، بعيداً عن الخَوضِ في طَرَفَي الإفراطِ والتَّفريطِ ، سواءً كان بين المُسلِمين أنفُسِهم أو بين بعضِ المُسلِمين في مُيُولهم الخَطيرَة للانحرافِ الكافِرِ ومشاريعِهِ الأَنَوِيَّةِ ، المشاريعِ التي نَخَرَت التَّركيبَ الاجتماعِيَّ والدِّينيَّ والاقتِصادِيَّ والإعلاميَّ المُعاصِرَ ، والتي أبرزت دَورَ المَدارِسِ الجانِحَةِ عبرَ التَّسلسُلِ التَّاريخِيِّ بالعُمومِ ومنذُ ظُهورِ مرحلَةِ الغُثاءِ بالخُصوصِ .

مدرسة الاعتدال والوسطية وموقعها من فقه التحولات

لقد تعيَّنَت أهَمِّيَّةُ العِلمِ بِسُنَّةِ الدِّلالَةِ وسُنَّةِ المواقِفِ مقرونَةً بدراسَةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ كما يُدرَسُ فِقه التَّحوُّلاتِ مقروناً بِمَشروعِيَّةِ الرُّكنِ الرَّابعِ من أركانِ الدِّينِ ، وعلى هذا فَإِنَّ التَّناوُلَ السَّلبِيَّ لهذا الموضوعِ لدى البعضِ إنما هو خارِجٌ دائِرَةَ الاستِدلالِ الشَّرعِيِّ الذي نحن بِصَدَدِهِ ، أي : بمعنى أن المناقِشَ لِفَسادِ الفِكرَةِ أو المنازِعَ فيها إنما يَتَحَدَّثُ مِن خارِجِ الموضوعِ الذي نحن بِصَدَدِهِ للجَهلِ بهذه الثَّوابِتِ أو رفضِهِ الطَّبعِيِّ لِقَبولها لا الشَّرعِيِّ ، وإلا فإنَّ ثوابِتَ الشَّرعِ قد بيَّنت بالنَّصِّ الثَّابِتِ رُباعِيَّةَ الأركانِ ، ولم يبقَ إلا القَبولُ لما جاء به المُعَلِّمُ الأعظَمُ ﷺ ثُمَّ التَّدَرُّجُ في فَهمِ تفاصيلِ الرُّكنِيَّةِ وتفريعاتِها ، حتى يحصُلَ الإلمامُ التَّامُّ بما يترتَّبُ على هذا الفِقهِ الدَّعَوِيِّ من سُنَنٍ تتناسَبُ مع وظيفَتِهِ .

الذي ينازع ما نحن بصدده إما لجهله بالركن الرابع أو لرفضه الطَّبْعي له

إنَّ علاماتِ السّاعَةِ في القاموسِ العِلمِيِّ التَّقليدِيِّ ـ لِعُلَماءِ الأُصولِ والفُروعِ ـ لا علاقةَ لها بالفِقهِ الإسلامِيِّ من حيثُ قواعِدُهُ المنصوصُ عليها عند عُلَماءِ الأُصولِ ، ولهذا فهي أيضا عندهم لا تَمُتُّ إلى أركانِ الدِّينِ بِصِلَةٍ ، لأنَّ ثوابِتَ الدِّيانَةِ لديهم قامت عبرَ التَّاريخِ على الثَّوابِتِ الثلاثةِ (إسلامٌ ، إيمانٌ ، إحسانٌ) . وإنما تذكر في مصنفاتهم تحت باب (الإيمان باليوم الآخر) .

العلم بعلامات الساعة في الفقه الإسلامي فرع الإيمان باليوم الآخر

موقف الجماعات الجديدة من فقه التحولات

بل حتَّى مواقفُ الفِئـاتِ والجماعاتِ والـرُّؤى المذهبيَّةِ الجديـدةِ في الجانِبِ الخاصِّ بالحُكم والقرارِ وتسـييسِ التَّوحيدِ بَنَتْ حُكمَها إمّا على العاطِفَةِ المُجَرَّدَةِ أوعلـى عَدَمِ العِلمِ بِمفهومِ سُـنَّةِ الدِّلالَةِ والمواقِفِ في فِقـهِ التَّحوُّلاتِ ، أي : بَنَت حُكمَها بِغِيابِ رُكنٍ من أركانِ الدِّينِ عن دائِرَةِ التَّقريرِ الشَّرعِيِّ .

علامات الساعة كانت جزء من مرحلة الوحي والتنزيل ممتزجا بشتى أحكامها وحوادثها وتشريعاتها

بينمـا عندمـا نعودُ بِرَوِيَّـةٍ إلى (الأُصـولِ النَّصِّيَّةِ)[1] التـي بنى عليهـا العُلَماءُ فِقهَ أركانِ الدِّينِ ذاتِها نَجِدُ أنَّ علاماتِ السّاعةِ كانت أحَدَ مُهِمَّاتِ المرحلَةِ وجُزءاً من ثوابِتِهـا العِلمِيَّةِ في إصدارِ الأحـكامِ والفتاوى والعلاقاتِ والسُّـلوكِ والمواقِفِ ، ولكنْ بِصورَةٍ غيرِ مُعلَنَةٍ ، حتى جاء التَّمرحُلُ الزَّمَنِيُّ اللّاحِقُ والاستحواذُ المعرفِيُّ الماحِـقُ فحصر التنَّاوُلَ في الثَّوابِتِ الثَّلاثَةِ فقط حتى صار ذِكرُ العلاماتِ هامِشِـيّاً ومنفَرِدَ الهُوِيَّةِ ، وخاصَّةً بعد عَصرِ التَّدوينِ وطُغيانِ أَثَرِ المُلكِ العَضوضِ في الدِّينِ والدَّولَةِ الجَبَروتِيَّةِ .

إعادة القراءة لرباعية الأركان ضرورة ملحة

ولهذا فإنَّا نَضَعُ هذه المسألَةَ على بِساطِ البحثِ بقناعةٍ تامَّةٍ مُؤَكِّدين فائِدَةَ العَمَلِ على إعادَةِ الرُّكنِ الرَّابِعِ إلى موقِعِهِ الشَّرعِيِّ من الأركانِ ومُلزِمين الدَّارِسَ والطَّالِبَ أن يربِـطَ بين هذه الرُّكنِيَّةِ وفِقهِها الخاصِّ ، مع تَمَيُّزِ هذا الرُّكنِ باختصاصِهِ النَّوعِيِّ (فِقهِ الدَّعوَةِ إلى اللهِ تعالى) ، أي : باعتبارِ أنَّ هذا الفِقهَ مُسـتَجِدٌّ ولا علاقَةَ له ألبَتَّةَ بمـا قد سـبَقَ تأصيلُهُ لـدى الأصوليين من الفِقهِ الخاصِّ بالسُّـنَنِ القولِيَّـةِ والفِعلِيَّةِ والتَّقريرِيَّـةِ ذاتِ العلاقَـةِ بِعِلمِ الأُصـولِ وقواعِدِهِ إلا من حيثُ الوِحـدَةُ العَامَّةُ في الارتباطِ بالكتابِ والسُّنَّةِ ، فليُفهَم .

الصراع التاريخي بين المذاهب يحتاج إلى إعادة نظر

ويترتَّـبُ على هـذا العِلمِ وتفصيلاتِهِ الشَّـرعِيَّةِ (إعادَةُ النَّظرِ الكامِلِ) في مسـائِلِ

(١) الأصول النصية : أسس الاستنباط كالحديث النبوي والقرآن .

الخلافَةِ والاختلافِ التي عَمَّقتِ الصِّراعَ بين (عُلَماءِ المَذهَبِيَّةِ بِعُمومِهم)، وكذلك الصِّراعِ بين مُسَـمَّياتِ التَّمرحُلِ الاجتماعيِّ ، كالصِّراعِ التَّاريخِيِّ سياسِـيّاً ومَذهَبِيّاً بين (السُّـنَّةِ والشِّـيعَةِ) وبين (السَّـلفِيَّةِ والصّوفيَّـةِ) ، وبين غيرهم مـن مجموعاتِ التَّكتُّلِ الانفعاليِّ داخِلَ الجَسَدِ الإسلامِيِّ المعلولِ .

كمـا يترتَّبُ عليه معرِفَةُ السَّـلامَةِ وعَدَمِهـا في العلاقَةِ مع الكافِـرِ الذِّمِّيِّ والكافِرِ الحربيِّ ، وحدُودِ هذه العلاقاتِ ، ومشروعِيَّةِ التَّعامُلِ أو عَدَمه معَ قوى الاستِعمارِ والاستهتارِ والاسـتثمارِ المُسيطِرَةِ على مُقَدَّراتِ الأُمَّةِ في مراحِلِ الغُثاءِ والوَهَنِ ، والاستتباعِ أو عَدَمِهِ ، وتداعي الأُمَمِ (الأَكَلَةِ) على قَصعَةِ الطَّعامِ ، فلعل وعسى .

غِيابُ العِلمِ بفِقهِ التَّحوُّلاتِ ومَا تَرتَّبَ عَلَيْهِ

مـن مُهِمَّـاتِ العِلـمِ بفِقـهِ التَّحـوُّلاتِ معرِفَةُ الحُكـمِ الشَّـرعيِّ لمـا وراء القِرَاءَةِ للنُّصـوصِ ، ومـا يترتَّبُ على القِراءَةِ مـن تحديدِ الأحكامِ وتنزيـلِ المعاني المُرادِ بهـا في النُّصوصِ علـى العقائدِ والعِباداتِ والمُعاملاتِ والقِيَـمِ ، وقد وقع العديدُ مـن (عُلَماءِ الفِتنَةِ) في شَـرِّ فُهومِهم لهذه النُّصوصِ وتحميلِهـا عند تنزيلِ المعاني والأحـكامِ علـى ما بَدَرَ لِعُقولِهم مِن الفَهمِ والوَهمِ وسـوءِ التّأويـلِ ، بَدءاً بمراحلِ التَّنزيلِ ومُروراً بِمَرحلَةِ التّأصيل .

وأعظَـمُ مـا وقع فيه (أولئك) شُـبَهُ التَّكفير ، ومقالُها عند الخـوارجِ واضِحٌ وبَيِّنٌ كمـا هـو في نُصـوصِ فِقهِ التَّحـوُّلاتِ ، ومثلُه مـا وقع فيـه (الرَّافِضَةُ) و(السَّـبَئِيَّةُ) و(المُعتَزِلَـةُ) و(القرامِطَةُ) و(الباطِنِيَّةُ) وأشـباهُهُم وأمثالُهم في العُصورِ السّـابِقَةِ ، وسبَبُهُ غِيابُ العِلمِ بِفِقهِ التَّحوُّلاتِ .

ماذا حصل من الخطأ بغياب فقه التحولات ووقوع الأمة في الرهن واستتباع سنن الأمم

كما كان لِغِيابِ هذا العِلمِ اليومَ في المُجتَمَعاتِ العَرَبيَّةِ والإسلامِيَّةِ خُطورَةٌ كبيرَةٌ أدَّت إلى وُقوعِ العُلَماءِ ـ فَضلاً عن الدَّهماءِ ـ فيما أخبرَ عنه ﷺ من الوَهَنِ والغُثاءِ واسـتتباعِ الأُمَـمِ ، وخَاصَّـةً فيما يتعلَّقُ بالحَيـرَةِ في أمرِ التَّحوُّلاتِ أو عَـدَمِ التَّمييزِ في معرِفَةِ ألسِـنَةِ الحَقِّ المنصوصِ على سـلامةِ مواقِفِهم، وأهلِ الباطلِ المُنتَحِلين صفةَ الحقِّ وأهلِهِ ، وفي ذلك يقولُ ﷺ في نُصوصِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ : «ستكونُ فِتَنٌ يُصبِـحُ الرَّجُلُ فيها مؤمناً ويُمسـي كافراً إلا مَن أحياهُ اللـهُ بالعِلمِ»[1] والعِلمُ هنا في أَحَدِ معانيه العِلمُ بفِقهِ التَّحوُّلاتِ واللهُ أعلَمُ .

---

(١) «سـنن ابن ماجـه» (٣٩٥٤) و«المعجم الكبيـر» للطبراني (٧٩١٠) و«الشـريعة» للآجري (٧٩) .

وفي هذا المعنى وردت عِدَّةُ أحاديثَ منها حديث : «ستكون فِتَنٌ يُصبِحُ الرَّجُلُ فيها مُؤمناً ويُمسي كافراً إلا مُؤمِناً حشاهُ اللهُ بالعِلم»[1] ، ومعناه مَن حماهُ اللهُ وصانَهُ وحَفِظَهُ بالعِلمِ بأن يكون صاحِبُه محشُوّاً به ، وفي «فيض القدير» : «ستكونُ فِتَنٌ يُصبِحُ الرَّجُل فيها مؤمناً ويُمسي كافراً إلا من أحياه اللـهُ بالعِلم» ، قال المُناويُّ : لأنَّه على بصيرةٍ من أمره وبيِّنَةٍ من رَبِّهِ فيتجَنَّبُ مواقعَ الفِتَنِ بما يعلَمُ مِمّا يستَنبِطُهُ من الأحكامِ[2] .

وزاد الأمرَ حَرَجاً بعد نَقضِ القرارِ الإسلاميِّ من أيدي المسلمين عُموماً إلى أيدي أعدائِهم من اليهودِ والنَّصارى وخاصَّةً فيما سمَّاه النَّبيُّ ﷺ في أحاديثِه الصَّحيحةِ بـ(تداعي الأُمَم) ، وتداعي الأُمَمِ إذا قرأناه مِن واقعِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ ودراسَتِهِ الواعِيَةِ سَنَجِدُهُ يرتَبِطُ ارتباطاً وثيقاً بحديثِ : «يوشِكُ أن تداعى عليكم الأُمَمُ كما تداعى الأَكَلَةُ على قَصعَتِها» ، قالوا : أَمِن قِلَّةٍ نحن يا رَسولَ اللهِ ؟ قال: «لا، أنتم يومئذٍ كثيرٌ ولكنَّكُم غُثاءٌ كَغُثاءِ السَّيلِ يُلقَى عَليكُم الوَهَنُ». قالوا : وما الوَهَنُ يا رَسولَ اللهِ ؟ قال : «حُبُّ الدُّنيا وكَرَاهِيَةُ المَوتِ»[3].

علاقة فقه التحولات بقراءة المرحلة المعاصرة

وهذه المرحلةُ عند ربطِها بعلاماتِ السّاعةِ إنّما تُشيرُ إلى ما يُسمَّى في عَصرِنا بـ(مرحلةِ الثَّورَةِ الصِّناعِيَّةِ) و(العَصرِ الحَديثِ) ، وما نتج عنها من سَلبِيَّاتِ سُقوطِ قرارِ الخلافةِ الإسلاميَّةِ وبَدءِ مرحلَةِ العِلمانِيَّةِ التي أُعلِنَت من تُركيا ، وكانت آنذاك عاصِمَةَ الخِلافَةِ قُبَيلَ مرحلةِ الاستِعمارِ ، ونِهايَةً بما مرَّ على المسلمين والعالَمِ العَرَبيِّ والإسلاميِّ من نَقضٍ في شُؤونِ الحُكمِ والعِلمِ والاقتِصادِ والسِّياسَةِ

(١) «الفردوس بمأثور الخطاب» للديلمي (٣٤٣٩) و «صفة النفاق وذم المنافقين» للفريابي (٩٤) .

(٢) «فيض القدير» للمناوي (٤٦٧٧) (٤: ١٠١) .

(٣) «سنن أبي داود» (٤٢٩٧) وقد تقدم ص ٤٥ .

والتَّربِيَةِ والتَّعليمِ والإعلامِ في ما تلاها من مراحِلِ العِلمانِيَّةِ والعَلمَنَةِ ثُمَّ العولَمةِ، ولا يُمكِنُ بأيِّ حالٍ من الأحوالِ أن يُفسَّرَ هذا الأمرُ بالاعتمادِ على مُخرَجَاتِ أركانِ الدِّينِ الثَّلاثَةِ وحدَها، وإنَّما يُعرَفُ بِدراسَةِ الرُّكنِ الرَّابعِ المُغيَّبِ (علاماتِ السّاعةِ وما ترتَّب عليها من تأصيلٍ شرعيٍّ لِفقهِ التَّحوُّلاتِ)، وفي ذلك يُؤكِّدُ ﷺ في الصَّحيحِ خُطورَةَ الموقِفِ الذي يحِلُّ بالأُمَّةِ عند ضَياعِ هذه الأماناتِ وعلاقَتِها بِقُربِ مرحَلَةِ السّاعةِ، فقد ورد في الصَّحيحِ عن أبي هريرةَ قال: «بَينَما النَّبيُّ ﷺ في مجلِسٍ يُحدِّثُ القومَ جاءَه أعرابيٌّ فقال: متى السّاعةُ، فمضى رَسولُ اللهِ ﷺ يُحدِّثُ، فقال بعضُ القومِ: سَمِعَ ما قال فكَرِهَ ما قال، وقال بعضُهم: بل لم يسمَع، حتّى إذا قضى حديثَه قال: «**أين أُراهُ السّائلُ عن السّاعةِ**» قال: ها أنا يا رسولَ اللهِ، قال: «**فإذا ضُيِّعت الأمانَةُ فانتظر السّاعَةَ**»، قال: كيف إضاعَتُها؟ قال: «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غيرِ أهلِهِ فانتَظِرِ السّاعَةَ**»[(١)].

ضياع الأمانات وموقع ذلك من فقه التحولات

كشف فقه التحولات لمرحلة التوسيد

وهذا الحديثُ من أعظَمِ الأحاديثِ التي تُؤيِّدُ إعادَةَ القراءَةِ الواعِيَةِ لِعلاماتِ السّاعةِ، ففيها توضيحاتٌ وتفصيلاتٌ لا تُعرَفُ إلا من مِثلِ هذا الحديثِ، حيثُ أبرَزَ هذا الحديثُ الشَّريفُ وُجودَ تآمُرٍ مُشتَرَكٍ داخِلَ القرارِ الإسلاميِّ، وهو ما سُمِّي في فِقهِ التَّحوُّلاتِ بِمَرحَلَةِ الخِلافَةِ المُدَونَمَةِ، وتدخُّلٍ خارِجيٍّ للدَّفعِ بِحَمَلَةِ القرارِ إلى تضييعِ الأمانَةِ وتوسيدِ الأمرِ إلى غيرِ أهلِهِ في مرحلةِ تثبيتِ الاستعمارِ[(٢)].

---

(١) «صحيح البخاري» (٥٩) وقد تقدم ص ٢٥، ١٠١.

(٢) والتوسيد له معان كثيرة ودلالات خطيرة، ربما برز بدراستها على ضوء فقه التحولات تحديد ماهية الأمر المتحدث عنه في الحديث، وتحديد ماهية الأهل المشار إليها في سياق النص، ثم معرفة (سياسة التوسيد) بمعانيها لنقرأ صفحات المراحل الغثائية التي مرت بعالمنا العربي والإسلامي منذ مرحلة (التوسيد السياسي العلماني) حتى مرحلة (الضياع التام للأمانات) في المرحلة العولمية المعاصرة، بيقين حصول الانحرافات المتنوعة في موقع القرار.

وهو ما أخرَجَ قرارَ الحُكمِ عن مسارِهِ الصَّحيحِ إلى مسارٍ آخَرَ يُعبَّرُ عنه في فِقهِ التَّحوُّلاتِ (بمرحلَةِ الاستعمارِ) وهي المرحلَةُ التي اشتملت على ما يلي :

- نقضِ قرارِ الحُكمِ وتوسيدِ الأمرِ إلى غيرِ أهلِهِ ، مَحلِّياً وإقلِيمياً وعالَمِياً .

ضياع مبدأ الاكتفاء الذاتي في مرحلتنا المعاصرة

نقضُ قرارِ العِلمِ وتَضييعِ الأمانَةِ . من صُورِهِ إضاعَةُ المثلَّثِ المدموجِ[1] والمُعادِلِ الرَّابِعِ ، و«المُثَلَّثُ المدموجُ» هو : التَّربيَةُ والتَّعليمُ والدَّعوَةُ إلى اللهِ ، وأمَّا «المُعادِلُ الرَّابِع» فهو : الاكتفاءُ الذَّاتيُّ في تحصيلِ الحَدِّ الضَّروريِّ من القوتِ ، حيثُ استُعيضَ عنه منذ بَدءِ مرحلَةِ الغُثاءِ والوَهَنِ بالتَّعليمِ الخِدماتِيِّ وتعظيمِ العُلومِ الماديَّةِ المُجَرَّدَةِ ، مع استصغارٍ واحتقارٍ لِعُلومِ الدِّينِ وللحِرَفِ والمِهَنِ اليَدَوِيَّةِ النَّافِعَةِ التي قال في بعضِها ﷺ : «لأنْ يأخُذَ أحدُكم حَبْلَهُ فيأتيَ بِحُزْمَةِ الحطبِ على ظهرِه فيبيعَها فيكفَّ اللهُ بها وجهَه خيرٌ له من أن يسألَ النَّاسَ أعطَوهُ أم مَنَعُوهُ»[2] .

- تداعي الأُمَمِ وتقسيمُ تَرِكَةِ الرَّجُلِ المريضِ[3] بيَدِ (أَكَلَةِ القَصعَةِ)[4].

---

(١) المقصود بالمثلث المدموج: الثلاثة الثوابت المتداخلة في بناء الأجيال وهي التربية والتعليم والدعوة الى الله. ومعنى (المدموج) أي : المتداخل بعضه في بعض عند دراسته كالتداخل في دراسة الإسلام والإيمان والإحسان .

(٢) «صحيح البخاري» (١٤٧١) .

(٣) تركة الرجل المريض : هي رقعة العالم الإسلامي التي كانت تحت الدولة العثمانية حاملة القرار الإسلامي قبيل مرحلة الاستعمار وقد تكالبت عليها الأمم الأوروبية واليهود وأطلقوا عليها في رسائلهم (تركة الرجل المريض) رغبة منهم في تقسيمها والتهامها وقد فعلوا ذلك خلال الحربين العالميتين الأولى ثم الثانية .

(٤) أكلة القصعة : تعريف نبوي للأمم الأوروبية المشتركة في نزع القرار الإسلامي وتقسيم بلاد المسلمين والسيطرة على ثرواتها التي عبر عنها ﷺ بمفهوم (القصعة) وعبر عن المستعمرين بمفهوم (الأكلة) .

ثمرات (تداعي الأمم)

وهذا التَّعليلُ لا يعني أنَّ الإسلامَ يرفُضُ الصِّناعةَ والحضارةَ أو يأباها ، وإنَّما يُبَيِّنُ تسييسَ حَمَلَةِ قرارِ الحُكمِ والعِلمِ في حياةِ الشُّعوبِ والأُمَمِ ، واستغلالَ الوَهَنِ والغُثاءِ لِنَقضِ ثوابِتِ الدِّيانَةِ وفَرضِ قرارِ التَّداعي والاستِتباعِ ، حتى يُصبِحَ العالَمُ العَرَبيِّ والإسلامِيِّ تابعاً بعد أن كان متبوعاً وسُوقاً للخِدماتِ والاستِهلاكِ مع الذِّلَّةِ ، بعد أن كان موقِعاً للقِيَمِ والبِناءِ والتَّنمِيَةِ والاكتِفاءِ الذَّاتِيِّ والعِزَّةِ الإسلامِيَّةِ .

دور فقه التحولات في تصحيح الفهوم الخاطئة عن الخلافة وموقع الخلفاء الراشدين

كما أنَّ العِلمَ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ يُصحِّحُ الفُهومَ الخاطِئَةَ التي فَرَّقت بين المُسلمين في قضايا الخلافَةِ بعد رَسولِ اللهِ ﷺ ، وموقِعِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدين مِن القرارِ في الحُكمِ والقرارِ في العِلمِ ، كما يُبَيِّنُ أيضاً مشروعِيَّةَ المراحلِ الإيجابِيَّةِ في الحُكمِ والعِلمِ وكذلك المراحِلِ السَّلبِيَّةِ فيها .

أهمية فقه التحولات في ربط الجميع بمرحلتي مكة والمدينة

كما أنَّ العِلمَ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ يجعَلُ مِن مسألَةِ القُدوَةِ والأُسوَةِ بالمرحلَةِ الزَّمَنِيَّةِ التي عاشها النَّبيُّ ﷺ والمرحلَةِ المكانِيَّةِ بين مَكَّةَ والمدينةِ ، وما ترتَّبَ في هاتَينِ المرحَلَتَينِ من مواقِفَ وسُنَنٍ وقواعِدَ شرعِيَّةٍ هي الأساسُ في معالَجَةِ حياةِ الأُمَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ في بَقِيَّةِ المراحِلِ الزَّمَنِيَّةِ الأخرى .

كما إنَّ من فوائِدِ قِراءَةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ ودراسَتِهِ دِراسَةً واعِيَةً من كتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ أنه يربطُ أقسامَ التاريخِ الثَّلاثةِ :

- قسم المراحِلِ الأَبَوِيَّةِ الشَّرعِيَّةِ من عصرِ رَسولِ اللهِ ﷺ إلى عَهدِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وبدايَةِ الخَلقِ .
- قسم عهدِ البَعثَةِ والهِجرَةِ إلى وفاتِهِ ﷺ وما هَيَّأَ اللهُ فيهما من وَحيٍ وسُنَنٍ ومواقِفَ ويُضافُ إليها دِراسَةُ مرحلَةِ ما بين الميلادِ حتى البَعثَةِ له ﷺ .
- قسم مرحلَةِ ما بعد الوَحيِ من عَهدِ وفاتِهِ ﷺ إلى قِيامِ السّاعَةِ .

وقـد أفادَنـا هـذا العِلمُ الخَـاصُّ بالرُّكنِيَّـةِ الرَّابِعَةِ مـن أركانِ الدِّيـنِ معرِفَـةَ القِراءَةِ التاريخيَّةِ الصَّحيحَةِ للحياةِ الإنسانيَّةِ بِعُمومِها ، وموقِعَ المدرَسَتَينِ المُتَعارِضَتَينِ فيها وهما :

القراءة الشرعية للحياة تتناول المدرستين المتعارضتين : المدرسة النبوية والمدرسة الأنوية

- المدرسَـةُ النَّبوِيَّـةُ الأبوِيَّةُ الشَّـرعِيَّةُ ، وروَّادُها الأنبياءُ والرُّسُـلُ ووُرَّاثُهم من أهلِ العِلمِ المُسـنَدِ ، أو مَن ارتَبَطَ بهم علـى مَنهَجِ الاتِّباعِ من غيرِ إفراطٍ ولا تفريطٍ .

المدرسة النبوية الأبوية الشرعية

- المدرسـةُ الإبليسِـيَّةُ الأنَوِيَّةُ الوَضعِيَّةُ القائِمَةُ على مبدأ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ ومبدأ (الإغـواءِ والاحتِناكِ) ، وما تفرَّع عنها من عقيـدَةِ الكُفرِ والتَّحلُّلِ الأخلاقِيِّ والرَّفضِ للغَيبيّاتِ ، ويرتَبِطُ أيضاً بهذه المدرسَةِ من النَّاحِيَةِ العَمَلِيَّةِ مواقِفُ مدرسـةِ النِّفاقِ والتَّحريشِ وبَقِيَّةِ مدارِسِ التَّسـييسِ والدَّجَلِ .. الحامِلَةِ لِواءَ شِعارِ التَّفرِقَةِ والصِّراعِ داخِلَ الخَيمَةِ الإسلامِيَّةِ .

المدرسة الأنوية الوضعية

وفـي مُتابَعَـةِ هذا العِلـمِ رَحمَةٌ بالأُمَّةِ التـي عصفت بها الحَيـرَةُ، وخاصَّةً أولئك المُؤمِنين الرَّاغِبين في اكتشـافِ سِرِّ هذا السُّـلوكِ المُتناقِضِ في المخلوقِ البَشَرِيِّ ومخرجاتِهِ .. وهل هناك من علاجٍ ؟ وكيف يكونُ ؟ وما هي وسائِلُهُ ؟

كُلُّ هذه الأسئِلَةِ يُجيبُ عليها فِقهُ التَّحوُّلاتِ ؛ ولكنه لا يَصنَعُ الإجاباتِ .. وإنَّما يضعُ الإنسانَ أمام مسؤوليَّاتِهِ ، ويمنَحُه نصيباً من القِراءَةِ الواعِيَةِ للكيفِيَّاتِ العَمَلِيَّةِ المُسـاعِدَةِ على التَّطبيقِ الفِعليِّ لِفُرَصِ السَّـلامَةِ وسـلامةِ فُرَصِ المعالَجَةِ ، وهذا وحده عِلمٌ خاصٌّ لا يُعرَف إلا بالعُمقِ الواعي لِدَراسَـةِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ مقروناً بِفِقهِ الإحسانِ بالخُصوصِ .. لماذا ؟

هل ثمة علاج؟ وكيف وما هي وسائله؟ هذا الفقه يجيب على الأسئلة ولكن لا يصنع الإجابات،وإنما يضع الإنسان أمام مسؤولياته

لأنَّ فِقـهَ التَّحـوُّلاتِ يكشِـفُ سِـرَّ الانحـرافِ والجُنـوحِ بالوَعيِ الشَّـرعِيِّ وفِقهَ

الإحسـانِ يُعالِـجُ المنـزَعَ الطَّبعِيَّ ، ويبرِزُ سِـرَّ القضاءِ والقَدَرِ فيمـا يجري به الأمرُ الرَّبَّانِيُّ أمام الرَّغبَةِ في تحقيقِ الطُّموحِ والأماني ، سواءً كانت طَبَعِيَّةً أو شرعِيَّةً .

وهذا هو سِـرُّ الخلافَةِ ، وسِـرُّ مفهومِ الخُلفاءِ الرَّاشِـدين المهدِيِّين ، الذين يُلزِمُنا رسـولُ اللهِ ﷺ أن نلتَزِمَ بِسُنَّتِهم العِلمِيَّةِ والعَمَلِيَّةِ عند الاختلافِ وشُمولِ الصِّراعِ والخِلافِ . «**عليكم بِسُـنَّتي وسُـنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِـدِين المهدِيِّين مِن بعدي ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ ، فإنَّ من يَعِش منكم فسيرى اختِلافاً كثيراً**»[1] .

---

(١) «سنن الترمذي» (٢٦٧٦) وقال : حديث حسن صحيح .

مفهومُ الخُلَفاءِ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ

حديث العرباض وعقبة يشيران إلى الصراع على قرار الحكم والعلم

يشـيرُ ﷺ في الحديثَينِ حديثِ العِرباضِ وحديثِ عُقبَةَ بنِ عامرٍ إلى ما سيجري فـي الأُمَّـةِ من اختـلافٍ حول قـرارِ (الحُكمِ والعِلـمِ) وما سـيترتَّبُ على ذلك من صِراعٍ بين أهلِ القرارَينِ ، وعند ذلك يُشيرُ ﷺ إلى ضرورَةِ الالتِزامِ بأمرَينِ :

١ – السَّمعُ والطّاعةُ للقرارِ القائِمِ ولو كان صاحِبُه أو حامِلُه غيرَ مُكتَمِلِ الشُّروطِ الشَّرعِيَّةِ لدى أهلِ الحَلِّ والعَقدِ .

٢ – التزامُ الهدوءِ والسُّكونِ وحُسنِ المُعالَجَةِ لما ينتُجُ عنه الاختلافُ في القرارِ[١] وهو ما عَبَّر عنه ﷺ بقولِهِ : «**عليكم بِسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلفاءِ الرَّاشدين المهدِيِّين**»[٢].

من هم الخلفاء؟ وكم عددهم؟

والخُلفاءُ هنا ليس الذين تتناوَلُهم كُتُب العِلمِ والسِّيَرِ بِمُسمّى الخُلَفاءِ الأربعَةِ ، فهـؤلاء الخُلفاءُ الأربَعَةُ[٣] نموذَجٌ من الخلافَةِ التي جمعت بين الحُكمِ والعِلمِ في عَصرِ صَدرِ الإسلامِ ، أمّا بعد ذلك فالخُلفاءُ هم الوُرّاثُ الشَّرعيُّون للثَّلاثَةِ الثَّوابِتِ (كتابِ اللهِ ، وسُـنَّةِ نبيِّه ، والأخلاقِ) ، الذين خَصَّهم الرَّسـولُ بقولِهِ : «**يحمِلُ هذا العِلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ**»[٤] ، فالعدالَةُ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ مُقيَّدَةٌ وليست مُطلَقَةً .

العدالة في فقه التحولات مقيدة وليست مطلقة

---

(١) ليس المقصود بالسـكون ترك الخدمة للإسـلام والمسـلمين ، وإنما ترك المنازعة في شأن القرار والاهتمام بشأن عوامل الاستقرار .

(٢) سبق تخريجه ص١٠٥ ،١١٥ ، ١٣١.

(٣) الخلفاء الأربعة في التقسـيم المتداول ينحصر في الخليفة الأول أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثـم علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ، أما فقه التحولات فيجعل الخلافة الراشـدة في خمسـة وآخرهم الإمام الحسـن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو الخليفة الخامس بالنص النبوي : «**الخِلَافَةُ ثَلَاثُونَ عَامَاً**» ، ثم يلحق بهم الخليفة السادس عمر بن عبد العزيز في مرحلة الحكم العضوض .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٦ ، ٧١ .

وقد تبيَّنَ لنا مِن سلامَةِ مواقِفِهم ما يؤكِّدُ أنَّ المواقِفَ لدى الخُلفاءِ سُنَّةٌ مشروعةٌ قد تُعارِضَ فَهمَ العُلماءِ للسُّنَّةِ القوليَّةِ والفِعليَّةِ والتَّقريريَّةِ في بَعضِ الأحوالِ، كما هو في موقِفِ سيِّدِنا عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ توقيفِهِ النُّصوصِ عند مَن يقولُ (بخلافته) والالتزامِ بما التَزَم به أهلُ الشُّورى، وتعاوُنِهِ معهم في تسييرِ دَفَّةِ الحُكمِ والعِلمِ راضياً غيرَ مُكرَهٍ، وهذه سُنَّةُ موقِفٍ يُقتَدى بها.

موقف الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الخلافة بالمشاركة في بناء الدولة وتعطيل نصوص أحقيته بالأمانة عند من يقول بأحقيته

وموقِفُ الحَسَنِ بنِ عَليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالتَّنازُلِ عن قرارِ الحُكمِ بعد البَيعَةِ وحَملِ أمانَتِها ثُمَّ اجتهادِهِ في تَركِ الخِلافَةِ السِّياسِيَّةِ لِغَيرِه، مع المُحافَظَةِ على شَرَفِ النُّبُوَّةِ والأخلاقِ وحَقنِ دِماءِ المُسلِمين، وهذه سُنَّةُ موقفٍ يُقتَدَى بها.

موقف الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الحكم

وموقِفُ الحَسَنِ هذا مدعومٌ ومُعَدَّلٌ بالنَّصِّ الشَّرعِيِّ من قولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ ابني هذا سَيِّدٌ وسيُصلِحُ اللهُ به بين فِئَتَينِ من المُسلِمين»[1].

والإمامُ الحَسَنُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ هو آخِرُ الخُلفاءِ الذين جمعوا بين قرارِ الحُكمِ والعِلمِ، وهو آخِرُ الخُلفاءِ الذين عَدَّلَ مواقِفَهم نَبيُّنا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأما من جاء من بعدِهِ فالأمرُ قائِمٌ على الاجتِهادِ الذَّاتِيِّ في قضايا الحُكمِ والعِلمِ، فَمَن أصابَ فله أجرانِ ومَن أخطَأَ فله أجرٌ واحدٌ[2]، وهذا التَّعليلُ لا يُقتَبَسُ من فِقهِ الأصولِ وإنَّما عُرِفَ من فِقهِ علاماتِ السّاعَةِ المعروفِ بِفِقهِ التَّحوُّلاتِ.

وسُنَّةُ الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وسُنَّةُ الخلفاءِ الرَّاشدين من بعده هي ما يُعرَفُ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ بِسُنَنِ المواقِفِ، وهو الالتِزامُ بِفَحوَى النَّصِّ أو اتِّخاذُ موقِفٍ حِيالِهِ

(١) «صحيح البخاري» (٣٦٩٢) واللفظ لأحمد في «مسنده» (٢٠٤٤٨).

(٢) هذا فيما يتعلق بالفرد والذات، أما ما يتعلق بسلامة المرحلة أو عدمها فيرجع إلى شرط آخر، وهو (حفظ بيضة الإسلام وقيام فرض الجهاد في سبيل الله) بصرف النظر عن الذوات وعدالتها المحصنة أو عدمها.

يوقِفُ العَمَل به لِسَبَبٍ مُعَيَّنٍ ، وقد تقدم الكلام عنها في فصل (سنة المواقف والدلالة) .

وكلَّما توقَّفَ العَمَلُ به من النُّصوصِ الشَّرعِيَّةِ بِسَبَبِ موقِفِ إمامٍ عادِلٍ رَضِيَ الالتِزَامَ بالتَّوقُّفِ أو تنازَلَ عن حَقٍّ منصوصٍ ففِقهُ التَّحوُّلاتِ يجعَلُ من هذا الموقِفِ المُستَجِدِّ سُنَّةً يُقتَدى بها إلى يوم القِيامَةِ ، كماهو في صُلحِ الإمامِ الحَسَن على سَبيلِ المِثالِ .

الإمام الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خرج راغبا في الإصلاح في أمة جده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

حيثُ لا يجوزُ لِأَحَدٍ أن يعيبَ الإمامَ الحَسَن بن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تنازُلِهِ عن الحُكمِ لِغَيرِهِ وهو أَحَقُّ به ، كما لا يجوز لِأَحَدٍ أن يعيبَ الإمامَ الحُسَينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في اختيارِهِ الخُروجَ على الظَّالِمين بِبَيعَةِ أهلِ العِراقِ ثُمَّ السَّعيَ إليهم راغباً في الإصلاحِ ، فكان في الخُروجِ تَخاذُلُ المُحِبِّينَ وبَغْيُ المُبْغِضين مِمّا أَدَّى إلى اسْتِشْهَادِهِ وَمَنْ مَعَهُ رَحِمَهُمُ اللهُ رَحْمَةَ الأبرارِ وَعَامَلَ أَعْدَاءَهُمْ بِعَدْلِهِ .

وَيتوقَّفُ الجَدَلُ في مسأَلَةِ أَحَقِّيَّةِ الإمامِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافَةِ لمن فَهِمَ النُّصوصَ بذلك والتزم بها بعد أن رَضِيَ الإمامُ عَليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذاتُهُ السُّكونَ والالتِزامَ بما ترتَّبَ عليه نَصُّ فِقهِ التَّحوُّلاتِ ، بِصَرفِ النَّظَرِ عن المُبَرِّراتِ التي أَدَّت إلى ذلك أو كانت سبباً في صَرفِ الخِلافَةِ عنه، فالتَّحوُّلاتُ في فِقهِ العلاماتِ لها سُنَّةٌ خاصَّةٌ لا يعلَمُها إلا الأثباتُ من هذا النَّمَطِ المسؤولِ من أهلِ الإحسانِ ومراتِبِ الإيقانِ .

إنَّ هذا الرُّكامَ من حوادِثِ التَّاريخِ السَّلبِيَّةِ أو من تَبِعاتِ قراءَةِ النُّصوصِ الخاصَّةِ بِحُقوقِ ومكانَةِ آلِ البَيتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وما ظُلِموا فيه خِلالَ مراحِلِ التَّحوُّلاتِ في التَّاريخِ الإسلاميِّ وجعلَ البَعضَ هذا الأمرَ قضيَّةَ الدِّيانَةِ كُلِّها ؛ لن يُعيدَ آلَ البَيتِ إلى ساحَةِ الحَرَكَةِ وقد ذهبوا بِمَواقِفِهِم وصَبرِهم إلى يومِ القِيامَةِ .

المذهب الخاص بآل البيت مقبول ومعتبر لدى أهله ولكن سلبيته في تفعيله للصراع بين المصلين

ولـم يَصِحّ مـا يُنسَـبُ إليهم من المَذهَـبِ الخَـاصِّ بديلاً عن مذاهِبِ الإسـلامِ المُعتبَـرَةِ ، فالمَذهَبُ الخاصُّ مقبولٌ في أهلِهِ والآخِذين عنه ، منهم ومن غَيرِهم ، والأخذُ والتَّلقِّي لغيرِهِ من المذاهِبِ الإسلامِيَّةِ أمرٌ صحيحٌ أيضاً ولا غُبارَ عليه.

وإنَّمـا سَـلبِيَّتُهُ كونُهُ يُفعِّلُ الصِّراعِ بيـن المُصَلِّينَ ويُورِثُ الحِقـدَ والعداوَةَ والثَّأرَ بين المسلمين ، مِمَّن لا علاقَةَ لهم بالأمرِ ما سوى الغَيرَةِ الطَّبعِيَّةِ على الآلِ وتفسيرِ النُّصوصِ بعيداً عن مواقِفِ «النَّمَطِ الأوسَطِ» الهُداةِ التُّقاةِ .

لما رأى آل البيت خطورة الدجل اتخذوا المواقف الواعية وتنازلوا حقوقهم الخاصة

بـل إنَّ مـن عُمـقِ فِقهِهـم وقـد رَأَوا خُطـورَةَ الدَّجَـلِ والدَّجاجِلَةِ فـي المراحِلِ المُتَحَوِّلَـةِ وأنه سـيأكُلُ الأخضَـرَ واليابِسَ اتِّخـاذَ المواقِفِ الواعِيَةِ أمـام مُطالَبَتِهم بالحُقوقِ الخاصَّةِ ، لِتبقى حُقوقُ الإسـلامِ العامَّـةُ مُصانَةً ومحفوظةً من كُلِّ تَهَجُّمٍ وخِيانَةٍ .

وَانْـدَرَجَ غالبُهـم وأكثرُهم في مذاهبِ الإسـلامِ المُجْمَعِ عليهـا حَيْثُما نَزَلُوا من بلادِ الإسـلامِ، ولم يَشُـذُّوا أو يُلْزِمُوا الشـعوبَ بمذهبٍ خاصٍّ بهم ماعدا ما لابد منه من الولاءِ والحبِّ والتَّكْرِمَةِ والارتباطِ في الله والخدمةِ المشتركةِ في سبيله .

مَن هم النَّمَطُ الأوسَطُ في فِقْهِ التَّحَوُّلَاتِ ؟

من هم النمط الأوسط؟

أهلُ النَّمَطِ الأوسَطِ هم الأئِمَّةُ العُلَماءُ والعارفون الأثباتُ من آل البَيتِ النَّبَويِّ والصَّحابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ العُدولِ والتّابعين ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .. أوعيةُ الكتابِ والسُّنَّةِ والأخلاقِ النَّبوِيَّةِ الذين يندَرِجون في معنى قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩] ، وفي قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «يـرِثُ هذا العِلمَ من كُلِّ خَلَفٍ عُدولُهُ»[١] .

وهم الذين سلكوا مسلَكَ الهُدى والسَّلامَةِ ولم يُنازِعوا قراراً شرعيّاً ولا عالماً أو إماماً أَبَوِيّاً نَبَوِيّاً رَبَّانِيّاً . هم الخُلَفاءُ الرَّاشِدون المهدِيُّون عبرَ تاريخِ التَّسلسُلِ الشَّرعِيِّ المُسنَدِ ، مَن حصَّنَتهم النُّصوصُ ونالوا بها مراتِبَ الخِلافَةِ والإمامَةِ ، أو مَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّينِ على نهجِهم وهَديِهم غيرَ مُبدِّلين ولا مُحرِّفين .

مقولة الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النمط الأوسط

وفي مُصَنَّفَ ابن أبي شيبةَ عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «**خَيرُ النَّاسِ هذا النَّمَطُ الأوسَطُ ، يلحَقُ بهم التّالي ، ويرجِعُ إليهم الغالي**»[٢] .

أهمية معرفة علماء النمط الأوسط

وأهمِّيَّةُ معرِفَةِ النَّمَطِ الأوسَطِ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ واجِبَةٌ وُجوبَ معرِفَةِ الكِتابِ والسُّنَّةِ لأنَّهم أوعِيَتُها الشَّرعِيَّةُ ، وهم قِسمانِ :

١- قِسمٌ التزم السَّلامَةَ وكان موقِفُهُ رحمةً للأُمَّةِ واستمراراً لحِفظِ الأمانَةِ .

٢- قِسمٌ التزمَ الاجتهادَ في الخُروجِ على الظَّلَمَةِ وكان مصيرُهُ الشَّهادَةَ .

والنَّمَطُ الأوسَطُ هم الذين التزموا منهجَ النُّبُوَّةِ في العَمَلِ والأخلاقِ ، وهم

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٦ ، ٧١ .

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٤٤٩٨) .

الخُلَفاءُ الرَّاشِدون المهدِيُّون مِن بعدِهِ ﷺ ، ويأتي في مُقَدِّمَتِهم :

- الخُلفـاءُ الأربَعَةُ ومَـن نَهَجَ نَهجَهم في عَصرِ الخِلافَةِ الرَّاشِـدَةِ مِن الصَّحابَةِ وآل البَيتِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم ومَن تَبِعَهم بإِحسانٍ .

رجال النمط الأوسط

- آلُ البَيـتِ الأطهارُ ، ويأتي فـي مُقَدِّمَتِهم الإمامُ عليُّ بنُ أبـي طالبٍ وفاطِمَةُ الزَّهـراءُ والعَبَّاسُ والحَسَـنُ والحُسَـينُ وذراريهم رَضِيَ اللهُ عَنهُم ومَـن ارتبطَ بهم وسـار على هَديِهم في القِيامِ والقُعودِ لإشـاعَةِ مَنهَجِ السَّـلامَةِ والابتِعادِ عن الغُلُوِّ والإفراطِ والتَّفريطِ .

المذاهب الإسلامية

- دعاةُ المَنهَجِ المُعتَدِل من المذاهِبِ الإسـلاميَّةِ التي برزت بعد صُلحِ الإمامِ الحَسَـنِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ تحت مُسـمَّى (أهـلِ السُّـنَّةِ والجَماعَةِ) ، ومنهـم أصحابُ المذاهـبِ الأربعَـةِ المعروفةِ بمذاهبِ أهلِ السُّـنَّةِ ، والذين رَضُـوا ما رَضِيَهُ الإمامُ الحَسَنُ ومَن جاء مِن بعده على طريقِ السَّلامَةِ وحَقنِ الدِّماءِ .

أهل الإفراط والتفريط لا يدخلون في مسمى النمط الأوسط

- دعـاةُ الاعتـدالِ والتَّوسُّـطِ مـن المذاهِـبِ الأُخـرَى كمذهَـبِ الزَّيدِيَّـةِ أو الإمامِيَّـةِ ، أما ما شَـذَّ من داخلِ هذه المذاهبِ كالرَّافِضَةِ والسَّـبَئِيَّةِ أو غيرِها بإفراطٍ وتفريطٍ فلا يدخُلُ تحت هذا التَّقسـيمِ، بل ربما صار مسؤولاً مُباشراً عـن الفِتَنِ ومُضِلّاتِها ودمـارِ الأُمَّةِ من داخلِهـا، بإثارةِ نقائِـضِ التَّاريخ التي تجاوزهـا وسـكتَ عنها رِجـالُ النَّمَطِ الأوسَـطِ حِفاظاً على سـلامَةِ الدِّيانَةِ للأُمَّةِ .

من علامات مجموعات الإفراط والتفريط

ومِن علاماتِ هذه المجموعاتِ الغالِيَةِ اعتمادُها على النَّظْرَةِ العِدائِيَّةِ للمُخالِفِ وإثارَةِ الحُروبِ ، أو الغُلُوِّ في الأحكامِ ونَقضِ المُبرَمِ من أُمورِ الدِّيانَةِ في الشُّعوبِ ، واعتمادُها فـي المواقِفِ والولاءِ والبراءِ على حوادِثِ التّاريـخِ ومُجرَياتِ الوَقائِعِ

والحوادِثِ ، وليس الاحتكامَ لما جاء عنها في النُّصوص الشرعيَّةِ والمواقِفِ التي اتَّخَذَها أَئِمَّةُ آلِ البَيتِ خلال الأحداث المُستَجِدَّةِ .

ويدخُلُ تحت هذا المُسمَّى الخوارِجُ والقرامِطَةُ والباطِنِيَّةُ والمُعتزِلَةُ وغيرُها من نماذِجِ الإفراطِ والتَّفريطِ في المَذهَبِيَّةِ الإسلاميَّةِ الحَرَكِيَّةِ، إلا مَن تابَ ورجَعَ عن إفراطِهِ وتفريطِهِ والتزَمَ الاعتِدالَ .

مدارس الإلحاد والعلمنة والعلمانية والعولمة وعلاماتهم

وكذلك مدارِسُ الإلحادِ والعلمانيةِ وما تَفَرَّعَ عنها من العَلْمَنَةِ والعَوْلَمَةِ المُرتَبِطَةِ في مرحلَةِ الغُثاءِ بِسياسَةِ (أَكَلَةِ القَصعَةِ) وهم الذين يُوطِّدون العالَمَ العَرَبِيَّ والإسلامِيَّ للدَّجّالِ أو لمرحلتِه، ومِن علاماتِهم :

- الدَّعوَةُ إلى مُخالَفَةِ الدِّينِ
- وإشاعَةِ نواقِضِه وعُيوبِ أتباعِهِ
- وتحريرُ المرأَةِ بلا ضَوابِطَ شَرعِيَّةٍ منصوصةٍ ،
- واستباحَةُ الملكِيَّةِ العامَّةِ في مفهوم الاشتراكِيَّةِ ،
- وإسقاطُ القِيَمِ الشَّرعِيَّةِ في الطَّبقاتِ الاجتماعيَّةِ ،
- وتفسيرُ التَّاريخِ والأديانِ تفسيراً مادِّيّاً بحتاً .

وقد انتشرت هذه المجموعاتُ في العالَمَينِ العَرَبِيِّ والإسلامِيِّ بعد الحَربَينِ العالميَّةِ الأولى والثّانِيَةِ ، كأذرِعَةٍ مُسَيَّسَةٍ لخِدمَةِ الاستعمارِ وبرامِجِه في الماضي والحاضِرِ والمُستَقبَلِ بِعِلمٍ وإدراكٍ أو بِغَيرِهما .

وإلى اليومِ وما بعدَ اليومِ والأُمَّةُ ترزَحُ في هذه العَماياتِ المُسَيَّسَةِ مِن نَقضِ الحُكمِ إلى نَقضِ العِلمِ إلى نَقضِ العُرى وهَلُمَّ جَرّاً .

المذاهب الإسلامية لم تول أهل النمط الأوسط أهمية لانعدام المعرفة بفقه التحولات

إنَّ مَسـأَلَةَ «النَّمَطِ الأوسَـطِ» والاهتمامَ بِمَواقِفِ رِجالِهِ مسـأَلَةٌ لم يعتنِ بها أَهلُ المذاهِبِ الإسـلامِيَّةِ المُتنازِعَةِ، بل رُبَّما لم يُولُوا هذا المُسَـمَّى أيَّ أَهَمِّيَّةٍ شـرعِيَّةٍ حتـى اندرَجَ في مواقِفِ آلِ البَيتِ غُلاةُ الرَّافِضَةِ والسَّـبَئِيَّةُ ومَن كان له إفراطٌ وغُلُوٌّ طَبعِيٌّ أو تَعَصُّبٌ مقيتٌ في الاستدلالِ الشَّرعِيِّ ..

مـع العِلـمِ أنَّ أتباعَ الأئِمَّـةِ الأطهارِ مِمَّـن نَهَجَ مَنهَـجَ «النَّمَطِ الأوسَـطِ» التزموا مـا التزمَـهُ الأئِمَّـةُ رَضِيَ اللهُ عَنهُم وأرضاهم، وهـذا ما يُفصِحُ عـن تقريرِهِ وتأكيـدِهِ «فِقهُ التَّحوُّلاتِ»، ولآلِ البَيتِ باعٌ طويلٌ في الأخذِ به والاطّلاعِ على نُصوصِهِ.

مواقِفُ النَّمَطِ الأوسَطِ مِن طَرَفَي الإفراطِ والتَّفريطِ

القدوة والأسوة في سلوك أهل النمط الأوسط

كان موقِفُ أهلِ الإفراطِ أو التَّفريطِ منازَعَةُ (أهلِ النَّمَطِ الأوسَطِ) في اعتدالِهم وتَوسُّطِهم المشروعِ، ولهذا كان لابُدَّ لِرجالِ النَّمَطِ الأوسَطِ من اتِّخاذِ مواقِفَ شرعِيَّةٍ تَحفَظُ دِماءَ المُسلِمين ومَقامَ النُّبُوَّةِ من الفسادِ والإفسادِ، وهذا ما فَعَلَهُ هؤلاءِ الرِّجالُ المُعبَّرُ عنهم في فِقهِ التَّحوُّلاتِ بـ(النَّمَطِ الأوسَطِ)، والذين انطبَقَ عليهم معنى الحديثِ الذي أخرجَهُ ابن ماجَه في «سُنَنِه» عن أبي موسى قال حدثنا النَّبيُّ ﷺ قال: «**إنَّ بين يدي السّاعَةِ لهَرَجاً**» قال قلت: وما الهَرَجُ؟ ونرى أنَّه الكَذِبُ، قال: «**القَتلُ**»، قالوا: وما يكفينا أن نقتُلَ كُلَّ عامٍ كذا وكذا من المشركين؟ قال: «**ليس ذلك، ولكن قتلَكُم أنفُسَكُم**»، قالوا: وما عُقولُنا قال: «**إنَّها تُختَلَسُ عامَّةُ عُقولُ أهلِ ذلك الزَّمانِ، ويُؤَخَّرُ لها هَباءٌ من النّاسِ يَرَون أنَّهم على شيءٍ**» وما أُرَاهُم إلا سَتُدرِكُني وإيّاكم، وما المخرَجُ لي ولكم منها فيما عَهِدَ إلينا نَبيُّنا ﷺ إلا أن نخرُجَ منها كيومَ دَخَلْنا فيها» قال الحَسَنُ: (وما الخُروجُ منها كيومَ دخلوا فيها إلا السَّلامَةُ فسَلِمَت قُلُوبُهم وأيديهم وألسِنَتُهم)[1]. وبهذا يتميَّزُ رِجالُ النَّمَطِ الأوسَطِ بالمَواقِفِ الأخلاقِيَّةِ الشَّرعِيَّةِ والالتزامِ بِمَنهَجِ السَّلامَةِ في كُلِّ الظُّروفِ، وتتلَخَّصُ أهَمُّ مواقِفِهم بما يلي:

ملخص مواقف أهل منهج السلامة

- مواقِفُ أهلِ البَيتِ في عَصرِ الخِلافَةِ الرَّاشِدَةِ في مسألَةِ الحُكمِ، والموافَقَةِ على ما أجمَعَ عليه أهلُ الحَلِّ والعَقدِ، وعَدَمِ المُنازَعَةِ في ذلك، والرِّضى بما رَضِيَ به المسلمون، وتجاوُزِ ما اعترى البَعضَ منهم مِن عَدَمِ الرِّضى

---

(١) «السنن الواردة في الفتن» للداني ونحوه في «سنن ابن ماجه» (٣٩٥٩).

فـي بِدايَةِ الأمرِ إلـى المُوافَقَةِ ودَعمِهم التَّامِّ لمراحلِ الخِلافَةِ الرَّاشِـدَةِ حتّى تنازُلِ الإمامِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ [1].

الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في عهد الخلافة

- قبـولُ الإمامِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ المُشـارَكَةَ الدَّائِمَةَ في بناءِ دولَةِ الإسـلامِ والنُّصحِ لها طِيلَةَ مرحَلَةِ خِلافَةِ سَيِّدِنا أبي بكرٍ وعُمَرَ وعُثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، وقَبولُهُ البَيعَةَ بعدَهُم لإنقاذِ ما يُمكِنُ إنقاذُهُ مِن مَنهَجِ النَّمَطِ الأوسَطِ في مرحَلَةِ خِلافَتِهِ، وهـذا مَوقِفٌ يُقتَدَى به بِصَرفِ النَّظَرِ عَمَّن يُشيرُ إلى مسـألَةِ النُّصوصِ التي تَجعَلُ الحَقَّ له في الخلافَةِ.

الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إمام القرار

- موقِـفُ الإمامِ الحَسَـنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الفِتَـنِ والتَّنافُسِ على القـرارِ وتنازُلِهِ عنه فـي أَشَـدِّ حاجَةِ النَّاسِ إلـى وُجودِهِ، حِفاظاً على دِماءِ المُسـلِمين وسـلامَةِ وِحدَتِهـم، وانتِقالِـهِ مـعَ أهـلِ بَيتِـهِ مـن العـراق إلـى المدينـةِ حتـى وفاتِـهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دون خُـروجٍ أو مُنازَعَةٍ، مُحافَظَـةً منه على الدِّيانَةِ والأمانَةِ، وتَجنِيباً لِحَمَلَتِهـا مِن الهلاكِ والمُنافَسَـةِ، بِرَغـمِ نَكثِ الجانِبِ الآخَـرِ عَهدَ الاتِّفاقِ والتَّآمُرِ على حياةِ الإمامِ الحَسَنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِدَسِّ السُّمِّ.

الإمام الحسين الشهيد ذكر الموقف

- موقِفُ الحُسَينِ عَلَيْهِ السَّلَامُ والتزامُهُ السُّكونَ في المدينةِ مِثلَ غَيرِهِ مِن أهلِ البَيتِ حتّى ابتعاثِ أهلِ العِراقِ له بِالبَيعَةِ وتحميلِهِ مَسؤُوليَّاتِها وإخراجِهِ مِن أجلِها من المدينةِ إلى ما قضاه اللهُ وقَدَّرَهُ من استشهاده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِكَربلاءَ.

- موقِـفُ الإمـامِ علـيٍّ زينِ العابِديـن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وهو الذي شَـهِدَ معركَـةَ كربلاءَ

---

(١) وعلى هذا الموقف يلتزم أهل النمط الأوسط ما التزمه سلفهم الصالح من عدم الخوض أو الطعـن فـي الخلافة الراشـدة إلى يوم الدين، ومن طعن فيها أو نـازع بعلم أو بغير علم فقد خالف منهج النمط الأوسط ونحى إلى الإفراط والتفريط.

وكان الرَّجُلَ الوحيدَ النّاجِي من المعركَةِ ، واتخاذُهُ فيما بعدُ طريقَ السَّـلامَةِ والالتـزامَ بِمَنهَـجِ النَّمَـطِ الأوسَـطِ ، والاعتنـاءَ في إقامـةِ مَنهَجِ النُّبُـوَّةِ دون المُطالَبَةِ بالقَرارِ أو الاقتتالِ من أجلِهِ أو الوَصِيَّةِ بذلك .

موقف الإمام علي زين العابدين

وقد تفرَّعَ عن هذا الموقِفِ مَنهَجُ الزُّهدِ المعروفُ بالتَّصَوُّفِ وانتشرَ بعد ذلك في صورتِهِ المُعتَدِلَةِ كنَموذَجٍ مِن نماذِجِ السَّـلامَةِ لِكُلِّ من اتَّبَعَ رِجالَ النَّمَطِ الأوسَطِ . سَـلَكَ هذا المَسـلَكَ الذي سَـلَكَهُ هؤلاءِ الأئِمَّـةُ أغلَبُ مَن جاء مِـن بعدِهِم مِن آلِ البَيتِ الكِرامِ وأتباعِهِم وتلاميذِهِم ومَن أخذَ عنهم، وهم قَومٌ كُثرٌ ، ولم يخرُج عن هـذه القاعِدَةِ إلا أفـرادٌ ، وكان خروجُهم لاجتهادٍ يتلاءَمُ مع أزمِنَتِهِم ومَن فيها ولم يستَقِم لِأَحَدٍ منهم أَمرٌ ، بل قُتِلوا واستُشهِدوا في سبيلِ اللهِ، ولا يُطعَنُ في مَواقِفِهِم ولا في خُروجِهِم ، بل هي مواقِفُ استفادَ منها رِجالُ النَّمَطِ الأوسَطِ خِلالَ مرحَلَةِ المُلـكِ العَضـوضِ وثَبَتَـتْ بها مَواقِـفُ السَّـلامَةِ ، ولا يَحِقُّ لِأَحَدٍ مِـن بعدهم أن يَتَّخِذَها قُدوَةً للخُروجِ وإثارَةِ الصِّراعِ ، ويُؤَيِّدُ هذا المعنى ما أورده الإمام القرطبي في تفسيره قال رسولُ الله ﷺ : «يَكُونُ بَينَ نَاسٍ مِن أصحَابِي فتنةٌ يَغْفِرُهَا اللهُ لَهُم بِصُحبَتِهِم إِيايَ ، يَستَنُّ بِهِم فِيها نَاسٌ بَعدَهُم يُدخِلُهُمُ اللهُ بِهَا النَّارَ» [1].

التصوف ناتج عن مواقف أهل البيت

لا يحق لمن بعدهم أن يتخذوا اجتهادهم قدوة لإثارة الصراع إلا بشروط

(١) «تفسير القرطبي» (٧: ٣٩١) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي (١:١١٠٦).

عُلَماءُ فِقهِ التَّحوُّلاتِ وعلاماتُ السّاعَةِ

علماء فقه التحولات

تُشيرُ النُّصوصُ الوارِدَةُ في كُتُبِ الحديثِ إلى اخْتِصَاصِ بعضِ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في شأنِ هذا العِلمِ كالإمام عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وحُذَيفَةَ بنِ اليمانِ وأبي هُريرَةَ وعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ وغيرِهم[1]، كما تميَّزَ هذا العِلمُ المبثوثُ في أحاديثِ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن علاماتِ السّاعَةِ بمواقِفَ مُتَنَوِّعَةٍ ساعةَ إبلاغِهِ للأشراطِ والعلاماتِ، فمِنها ما تحدَّث عنه مرَّةً أو مرَّتينِ، ومنها ما ذكرَهُ في يومٍ واحِدٍ، وإلى ذلك يُشيرُ حديثُ

أحاديث العلم بالساعة

حُذيفَةَ بن اليمانِ الذي أخرجه مسلم في «صحيحه» من قوله: «قام فينا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مقاماً ما ترك شيئاً يكونُ في مقامه ذلك إلى قيامِ السّاعة إلا حدّث به، حَفِظَهُ مَن حَفِظَهُ ونَسِيَهُ مَن نَسِيَ»[2]. وحديثُ عمرِو بنِ أخطَبَ الأنصاريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال:

---

(١) وهذا لا يعني أن غيرهم لم يسمعوا الحديث وإنما كانوا هم أكثر حفظاً وسؤالاً عن العلامات، كما في قول حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ما أخرجه مسلم في الفتن وغيره قال: «والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة وما بي أن يكون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أسر إلي في ذلك شيئاً لم يحدث به غيري ولكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حدث مجلساً أنا فيه عن الفتن فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو يعد الفتن: «**منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف التي يكون منها صغار ومنها كبار فذهب أولئك الرهط كلهم غيري**» رواه مسلم (٢٨٩١)، وفي رواية أخرى قال: ما من صاحب فتنة يبلغون ثلاثمائة إنسان إلا ولو شئت أن أسميه باسمه واسم أبيه ومسكنه إلى يوم القيامة كل ذلك مما علمنيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قالوا: بأعيانها؟ قال: وأشباهها، يعرفها الفقهاء ـ أو قال: العلماء ـ إنكم كنتم تسألون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الخير وأسأله عن الشر، وتسألونه عما كان وأسأله عما يكون) «الفتن لنعيم بن حماد» (١٦) «إتحاف الجماعة» للتويجري (١: ١٥) وعزاه لنعيم بن حماد في «الفتن» وقد سبق تخريجه في مطلع الكتاب.

(٢) «صحيح مسلم» (٢٨٩١) و«صحيح ابن حبان» (٦٦٣٦) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٤٩٩).

(صلَّـى بنا رسـولُ اللهِ ﷺ الفجرَ وصعد المِنبرَ، فخطَبَنـا حتى حضرت الظُّهرُ، ثم نـزل فصلَّى ثم صعـد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصرُ ثـم نزل فصلَّى ثم صعد فخطبنا حتى غربت الشمسُ فأخبَرَنا بما كان وبما هو كائِنٌ فأعلَمُنا أحفظُنا)[1] .

وروى أبو يعلى عن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «لقد تَرَكَنا رَسـولُ اللهِ ﷺ وما في السَّماءِ طَيرٌ يطيرُ بِجَناحَيهِ إلا ذكر لنا منه عِلماً»[2].

الصمت المطبق عن علامات الساعة وما ترتب على ذلك

ولعـلَّ صَمتَ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ومَـن بعدهم عن الإفصاحِ التَّـامِّ جَعَلَ العُلماءَ مِن بعدِهم يسـكُتُون عن تفصيلِ هذا العِلمِ وإشـاعَتِهِ حتى صار غريباً على الأذهانِ وغريبـاً حتّـى بين أهلِ العِلمِ، وهذا ما يُفسِّـرُهُ حديثٌ رواه مسـلمٌ عـن أبي هريرةَ من قولِهِ ﷺ: «**بدأَ الإسـلامُ غريباً وسـيعودُ كما بدأ غريباً فطوبى للغُرَباءِ**»[3] وفي روايةٍ: «**بَدَأَ غَرِيبًا وَيَرْجِعُ غَرِيبًا فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَـدَ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي**»[4].

بدأ الدين غريبا وسيعود غريبا كما بدأ

ولو تأمَّلنا هذا الحديثَ ورَبَطناهُ بِفِقهِ التَّحوُّلاتِ لوَجدنا أنَّ الدِّينَ بأركانِهِ الأربَعَةِ بدأ غريباً، وحتى عند إعادَتِهِ ورَبطِهِ بِمَوقِعِه مِن رُباعِيَّةِ الأركانِ سَيَظَلُّ غريباً كما بدأ، وفـي هذا يقولُ ﷺ ـ لِأَهَمِّيَّةِ إبرازِ هذا العِلـمِ: «**فطوبى للغُرَباءِ الذين يُحيُون**»[5]،

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٩٢) وقد تقدم ص ١٠٠.

(٢) «مسـند أبـي يعلـى» (٥١٠٩) و«المعجـم الكبيـر» للطبرانـي (١٦٤٧) و«مسـند أحمـد» (٢١٣٦١) و«إتحاف الجماعة» للتويجري (١: ١٨).

(٣) «صحيح مسلم» (١٤٥).

(٤) «سـنن الترمـذي» (٢٦٣٠)، وفي «مسـند أحمـد»: «**طوبى للغرباء**»، فقيـل: من الغرباء يا رسول الله؟ قال: «**أناسٌ صالحون في أناسِ سوءٍ كثير، من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم**».

(٥) «مسـند الشـهاب» القضاعي (١٠٥٢) (١٠٥٣)، و«شـرف أصحـاب الحديث» للخطيب البغـدادي (١: ٢٣) و«إتحـاف الجماعة» للتويجـري (١: ٣٣٦) (٢: ٦٥) وآخره: «**الذين**

أي : يُعيدون شَرَفَ رُباعِيَّةِ الأركانِ التي أماتها النَّاسُ من سُنَّةِ النَّبيِّ ﷺ ، وهذا التعليلُ خاصٌّ بفِقهِ التَّحوُّلاتِ فقط ، حيثُ إنَّ كثيراً من العُلَماءِ قد فَسَّروا غُربَةَ الدِّين بِمَعانٍ أخرى ، ولا خلافَ على ذلك .

وقد اجتهد عُلَماءُ المسلمين في خِدمَةِ هذا العِلمِ مُنفَرِداً عن الأركانِ الثَّلاثةِ، ومِن ذلك ما جَمَعَهُ صاحب كتابِ «السُّنَنِ الوارِدَةِ في الفِتَنِ» أبوعمرو عثمانُ بن سعيدٍ المُقرِئُ الدّانِيُّ ، وقد افتتحَ كتابَهُ بالمُقَدِّمَةِ فقال فيها : مَعشَرَ إخوانِنا المسلمين جَعَلَنا الله وإيَّاكم على النِّعَمِ شاكرين وعند البَلوى والمِحَنِ صابرين ، فقد ظهر في وقتِنا وفشا في زَمَنِنا من الفِتَنِ وتغييرِ الأحوالِ وفسادِ الدِّين واختلافِ القُلوبِ وإحياءِ البِدَعِ وإماتَةِ السُّنَنِ ما دَلَّ على انقراضِ الدُّنيا وزوالِها ، ومَجيءِ السّاعَةِ واقترابِها ، إذ كُلُّ ما قد تواتر من ذلك وتتابَعَ وانتشَرَ، وفشا وظهَرَ ، قد أعلَمَنا به نَبِيُّنا ﷺ وخوَّفَناهُ وسَمِعَهُ منه صحابَتُه رضوان الله عليهم ، وأدَّاهُ عنهم التَّابعون رحمةُ الله عليهم ، ونقلَهُ أئِمَّتُنا إلينا عن أسلافِهم ، ورَوَوهُ لنا عن أَوَّليهم ، وقد بَعَثَني ما أخذَهُ اللهُ عَزَّ وجلَّ من الميثاقِ والعَهدِ على أهلِ العِلمِ والرِّوايةِ في نَشرِ ما عَلِموه وأداءِ ما سَمِعُوه أن أجمَعَ في هذا الكتابِ جُملَةً كافِيَةً من السُّنَنِ الوارِدَةِ في الفِتَنِ وغوائِلِها والأزمِنَةِ وفسادِها والسّاعَةِ وأشراطِها لكي يَتَأَدَّبَ بها المؤمِنُ العاقِلُ ، ويأخُذَ نَفسَهُ بِرِعايَتِها ويُجهِدَها في استعمالِها والتَّمَسُّكِ بها، ويتبيَّنَ له بذلك عظيمُ ما حَلَّ بالإسلامِ وأهلِهِ من سَفكِ الدِّماءِ ونَهبِ الأموالِ واستباحة (الحُرَمِ) وغيرِ ذلك ممّا يُذهِبُ الدِّين ويُضعِفُ الإيمانَ ، فيُعمِلُ نفسَهُ في إصلاحِ شأنِهِ خَوفاً منه على فسادِ دينِهِ وذهابِهِ ، وما توفيقُنا إلا باللهِ عليه نتوَكَّلُ وهو حسبُنا وإليه نُنيبُ ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

مقدمة الداني صاحب كتاب «السنن الواردة في الفتن» المتوفي عام ٤٤٤هـ في القرن الرابع الهجري

يحيون سنتي من بعدي ويعلمونها عباد الله» .

مقدمة البرزنجي لكتابه «الإشاعة»

وكتـب الشَّـيخُ العلاّمـةُ محمَّدُ بنُ رَسـولٍ البَرزَنجِيُّ الحُسَـينِيُّ فـي مُقَدِّمَةِ كتابه «الإشـاعة» قولَه (ص٢٦) : ولما كانت الدُّنيا لم تُخلَق للبَقاءِ ولم تَكُن دارَ إقامَةٍ ، وإنما هي مَنزِلٌ من منازِلِ الآخِرَةِ جُعِلَت للتَّزَوُّدِ منها إلى الآخِرَةِ ، والتَّهَيُّؤِ للعَرضِ على اللهِ ولِقائِهِ ، وقد آذَنَت بالانصِرامِ وولَّت ، لذا كان حَقّاً على كُلِّ عالِمٍ أن يُشيعَ أشراطَها ويَبُثَّ الأحاديثَ والأخبارَ الوارِدَةَ فيها بين الأنامِ ويَسرُدَها مَرَّةً بعد أخرى على العَوَامِّ فعسى أن يَنتَهوا عن بعضِ الذُّنوبِ وتَلينَ منهم بعضُ القُلوبِ ويَنتَبِهوا من سِنَةِ الغَفلَةِ ويَغتَنِموا المُهلَةَ قبل الوَهلَةِ .

فدعاني ذلك إلى أن أبسُطَ فيها القَولَ بَعضَ البَسطِ ولو أدَّى إلى التَّكرارِ لا كَمَن جَمَعَ فيهـا أوراقاً على سـبيلِ الاختصـارِ ، تبصِرَةً لأهـلِ الاغترارِ وتذكِـرَةً لأولي الأبصـارِ ، ووَسـيلةً إلـى رِضـى الجَبَّارِ ، وذَريعَـةً إلى دار القَـرارِ . واللهَ أسـأَلُ أن يُخلِـصَ نِيَّتي ويُحسِـنَ طَوِيَّتـي فإنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ ، وإنَّما لُـكِلِّ امرِئٍ ما نوى ، وأن ينفَـعَ به عامَّة المؤمنين ، وأن يغفِرَ لي ولآبائي ولإخواني ولأولادي دِيناً ودُنيا أجمعين آمين .

وكتبَ الشَّـيخُ العلاَّمَةُ المُجتَهِدُ الحافِظُ أبوالفَيـضِ أحمدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ الصِّدِّيقِ الغُمارِيُّ الحَسَنِيُّ ص٢ في مُقَدِّمَةِ كتابه «مُطابَقَةِ الاختراعاتِ العَصرِيَّةِ لما أخبر به سَيِّدُ البَرِيَّةِ» :

أما بعدُ ، فإنَّ عِلمَ النَّبيِّ ﷺ بالغَيبِ وإطلاعَ اللهِ تعالى إيَّاهُ على ما كانَ وما يكونُ إلـى قِيـامِ السّـاعَةِ وإلى أن يَصيرَ الفريقـانِ إلى منازِلهم من الجَنَّـةِ أو النَّار ، بل وما بعـد ذلك إلى ما لا نِهايَةَ له من الأزمانِ ؛ معلـومٌ بالضَّرورَةِ لأهلِ العِلمِ والإيمانِ، مقطـوعٌ بـه عِندَ المعرِفَـةِ والإيقانِ ، لا يختَلِفُ في ذلك منهم اثنانِ ، ولا يَشُـكُّ فيه

منهـم فضلان ، لِتَظافُرِ الأَدِلَّةِ بذلك، وتكاثُرِ البراهينِ على ما هنالك ، ويكفي قولُ اللـه تعالى : ﴿ عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٧] مـع الإجمـاعِ المُتيَقَّـنِ المقطـوعِ بـه علـى أنَّ أفضـلَ المُرتَضَينَ منهم وسـيِّدَهم على الإطلاقِ هو سَـيِّدُنا مُحَمَّدٌ ﷺ بدون نِزاعٍ ولا شِـقاقٍ ، فهو أفضَلُ مَـن أظهَـرَهُ اللهُ على غَيبِهِ بإخبارِ اللهِ تعالى ثُمَّ بإخبارِهِ هو ﷺ أنَّ اللهَ تعالى أطلَعَهُ على كُلِّ شـيءٍ وآتاهُ عِلمَ كُلِّ شَـيءٍ ، وجَلَّى له كُلَّ شَـيءٍ ، وتجلَّى له فَعَلِمَ ما بين السَّـماواتِ والأرضِ ومـا كان وما هو كائِنٌ إلى غير ذلـك مِمَّا صَحَّت به الأخبارُ، وتواتـرت بِمَجموعِهِ الأحاديـثُ والآثارُ ، وأَيَّدَهُ الواقِعُ وصَدَّقَـه العَيانُ ، في وُقوعِ كُلِّ مـا أخبرَ به ﷺ مِمَّا سـيأتي بعـدَهُ وَفقَ ما قال وطِبقَ ما أخبر به على مَرِّ السِّـنينِ والأعـوامِ وكَـرِّ الدُّهورِ والأزمـانِ ، وقد قام ﷺ خطيباً فأخبـرَ أصحابَهُ بِكُلِّ ما هو كائِنٌ كما صَحَّ عن طريقِ جماعَةٍ من الصَّحابَةِ رضي الله عنهم كَعُمَرَ بنِ الخَطَّابِ وحُذيفَةَ بنِ اليمانِ وأبي زيدٍ الأنصاريِّ وأبي سعيدٍ الخُدريِّ وابن مسعودٍ وغيرهم .

ثم قال ص٣: **فصلٌ** ، ولهذا قال أبوذَرٍّ رضي الله عنه : لقد تَرَكَنا رسولُ اللهِ ﷺ وما يحرِّكُ طائِرٌ بِجَنَاحَيهِ في السَّـماءِ إلا ذكر لنا منه عِلماً . رواه أحمدُ وابنُ سـعدٍ في الطَّبقاتِ ، وكذلك قال أبوالدَّرداءِ رضي الله عنه فيما رواه عنه أبويعلى والطَّبرانِيُّ في الكبير .

والمقصودُ أنَّ النَّبيَّ ﷺ أخبر أصحابَهُ بِكُلِّ ما هو كائِنٌ بعده مما أطلَعَهُ الله عليه، وحدَّث بذلك أصحابَهُ رضي الله عنهم وظهر مِصداقُ كُلِّ ما أخبر به مِمَّا سيأتي بعده إلى يومِنا هذا .

فأمـا مـا ظهر فـي القُرونِ الماضِيَـةِ فتكفَّـلَ بِذِكرِهِ جماعَـةٌ مِمَّن أَلَّفوا في سِـيرَتِهِ وفضائِلِهِ ومُعجِزاتِهِ وخصائِصِه ﷺ ، وبَيَّنوا ذلك وشَرَحوه وعَيَّنوه وحَقَّقوه .

وأما ما وقع في زمانِنا هذا من انقلابِ الأحوالِ وتَغَيُّرِها وفسادِ الأخلاقِ وتَبَدُّلِها وما ظهر من الأُمورِ العظيمةِ والحوادثِ الجسيمَةِ والمختَرعاتِ العجيبةِ فلم أَرَ أحداً تَصَدَّى لجمعِهِ واستخراجِ ما يَنُصُّ أو يُشيرُ من الآياتِ القرآنيَّةِ والأحاديثِ النَّبويَّةِ إليه ، وإن كان جُلُّ ذلك مذكوراً في كُتُبِ أشراطِ السّاعَةِ وأبوابِها من دَواوينِ السُّنَّةِ ؛ لكنَّها مسرودَةٌ سَرداً لا يهتدي غالِبُ النَّاسِ مَعَهُ إلى تطبيقِها على ما وردت فيه ، ولا تنزيلِها على ما أُشيرَ بها إليه .

فإنَّه ﷺ أخبر بذلك مَرَّةً بِطريقٍ صريحٍ ، وأخرى على جِهَةِ التَّشبيهِ والتَّمثيلِ والإشارَةِ والتَّلويحِ ، حسبما يقتضيه المقامُ ويفهَمُهُ أهلُ كُلِّ زمانٍ ، لأنَّه ﷺ أوتي جوامِعَ الكَلِمِ واختُصِرَ له الكلامُ اختِصاراً .

ولذلك خاض العُلماءُ في تفسيرِ تلك الأحاديثِ وشَرَحُوهَا بِحَسَبِ ما أدركَتهُ عُقولُهم ووصلت إليه أفهامُهم ، وحملها أهلُ كُلِّ زمانٍ على ما قد كان في زمانِهم وطبَّقوها على ما ظهر فيه من الحوادثِ والتَّغيُّراتِ والأحوالِ المُبتَدَعات ، وهي وإن كان فيها ما هو صالحٌ لذلك إلا أنَّ أكثَرَها في الحقيقةِ وارِدٌ في هذا الزمانِ ، فهو في أحوالِه وحوادثِه كالنَّصِّ ، وفيما ذكروه كالظَّاهِرِ والمُؤَوَّلِ ، بل فيها ما هو نَصٌّ قاطِعٌ في حوادثِ زمانِنا لا يقبَلُ حملَهم ولا يحتَمِلُ التَّأويلَ .

فصلٌ : وهذا جُزءٌ ذكرتُ فيه ما وقع لي من الأحاديثِ التي أشار بها ﷺ إلى حالِ هذا الزَّمانِ وأهلِهِ وما ظهرَ من الأُمورِ العظيمةِ والمُختَرَعاتِ العجيبةِ فيه وذلك على حَسَبِ ما بَلَغَهُ عِلمي ووصل إليه إدراكي وفَهمي ، وقد يفتَحُ اللهُ على غيري بما هو أوسَعُ من ذلك ، وأَدَلُّ على ما هنالك. وسمَّيتُهُ «مطابَقَةَ الاختراعاتِ العصرِيَّةِ لما أخبر به سَيِّدُ البَرِيَّةِ» .

ما هو سَبَبُ سكوتُ العُلَماءِ عن الإفصاحِ الواضحِ لِعلاماتِ السّاعةِ كرُكنٍ من أركانِ الدِّينِ؟

سبب سكوت العلماء عن الإفصاح بالعلامات

كان الصَّحابَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ على عِلمٍ واسِعٍ بهذا الرُّكنِ الخطيرِ من حيثُ أحداثُهُ وشُخوصُهُ، ولكنَّهم كانوا يكتُمون سِرَّهُ وخَبَرَهُ عن العامَّةِ والدَّهماءِ، لما يترتَّبُ على نَشرِهِ في العُصورِ الأولى مِن كَشفٍ عن الأحداثِ المُعاصِرَةِ ورجالِها، ممّا قد يُؤَدِّي إلى دِمارٍ مُحَقَّقٍ عند الإفصاحِ، وفي هذا الشَّأنِ يقولُ أبو هريرةَ في ما رواه في الصَّحيحِ: «حَفِظتُ من رسولِ اللهِ ﷺ وِعاءَينِ، فأمّا أحدُهما فَبَثَثتُهُ، وأمّا الآخَرُ فلو بَثَثتُهُ قُطِعَ هذا البُلعومُ»[1]، وفي «معرِفَةِ الصَّحابَةِ» لأبي نُعَيمٍ الأصبهانِيِّ[2] بلفظ: «حَفِظتُ مِن رَسولِ اللهِ ﷺ خمسَ جُرَبٍ، فأخرجتُ منها جِرابَينِ، ولو أخرجتُ الثّالِثَ لرَجَمتُموني بالحِجارَةِ».

وفُهِمَ من هذا ومن غَيرِهِ أنَّ المقصود بهذا الكِتمانِ هو ما يَتعلَّقُ في أهمِّ مَعَانيهِ بعلامَاتِ السّاعةِ أو ما عُرِفَ بِفقهِ التَّحوُّلاتِ، ويُؤيِّدُ هذا المَعنى ما قاله أبو هريرةَ مِن روايةِ الإسماعيليِّ في قولِهِ: (وكأنَّ أباهريرةَ يعرِفُ أسماءَهُم (من بني فُلانٍ وفُلانٍ) وكان ذلك من الجِرابِ الذي لم يُحدِّث به)[3].

ولما جاء عَصرُ التَّدوينِ، ووضع العُلماءُ قواعِدَ الأُصولِ سكتوا عمّا سكت عنه

(١) «صحيح البخاري» (١٢٠).

(٢) «معرفة الصحابة» (٤٧٥٣).

(٣) «فتح الباري» لابن حجر (١٣: ٦٢).

بعـضُ الصَّحابَةِ رَضِيَالِلَّهُعَنْهُمْ لِبَقاءِ المحاذيرِ التي أشـار إليها حديـثُ أبي هريرةَ وغيرُهُ في ذلك العَصرِ ، واكتَفَوا بِتَدوينِ معلوماتِهِ في الصِّحاحِ والسُّنَنِ والمسانيدِ وذكرِهِ عَرَضـاً في سَـردِهم للعلاماتِ عنـد ذِكرِ مواقِعِ أخبارِها في مبسـوطِ فِقهِ الإسـلامِ والإيمانِ والإحسانِ .

مقولة للإمام الشاطبي حول جديد العلم

واعتبَرَهُ بعضُ عُلماءِ الأُصولِ من شَاذِّ العِلمِ لِسُكوتِ العُلَماءِ عن إظهارِهِ رُكناً من أركانِ الدِّين ، حتَّى قال الشّاطِبيُّ رحمه الله : (قَلَّما تَقَعُ المُخالَفَةُ لِعَمَلِ المُتَقَدِّمين إلا مِمَّن أدخَلَ نفسَـهُ في أهـلِ الاجتهادِ غَلَطاً أو مُغالَطَـةً)[1]، وأُثِرَ عن الإمامِ عَليِّ بـن الحُسَـينِ رَضِيَالِلَّهُعَنْهُ قولُهُ : (ليس العِلمُ ما لا يُعـرَفُ من العِلمِ ، إنَّما العِلمُ ما عُرِفَ وتواطأت عليه الألسُنُ) ، وقال بعضُهم : والانفِرادُ عن أهلِ العِلمِ بِرَأيٍ في الشَّرعِ والقـولُ بمـا لـم يَقُل به أَحَدٌ فيـه يُنبِئانِ عن خَلَلٍ في العَقـلِ)[2] ، ومثلُ هذه الأقوالِ مـن رِجالِ العِلمِ وتشـدُّدِهم في هذا الأمرِ حَجَبَ الكلامَ في أمرِ السّـاعةِ وإلحاقِها بـالأركانِ ـ كما نَعتَقِـدُ واللهُ أعلَمُ ـ مع أنَّ القَولَ بِرُكنِيَّةِ علاماتِ السّـاعةِ وإلحاقِها بالموضـوعِ لا علاقَـةَ له بما ذَكَرَهُ أهـلُ العِلمِ من عباراتِ التَّرهيـبِ ، وإنَّما علاقَتُهُ بقـولِ مَن لا ينطِقُ عن الهوى صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : «أتاكم جِبريـلُ يُعَلِّمُكم دينكم» وبكتمانِهِ يُؤثَمُ العالِـمُ بعـد أن ثبت عن النَّبيِّ صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ تقريرُهُ وتأكيدُهُ ، أما فِقهُ عِلمِ السّـاعةِ فقد تناولَتهُ كافَّـةُ كُتُـبِ الحديثِ ومنها صحيـحُ البخاريِّ الذي بَـوَّب لأركانِ الدِّينِ وكتب في تبويبه : (والسّاعةُ جُزءٌ من الدِّينِ).

ركنية فقه التحولات مقولة عمن لا ينطق عن الهوى صَلَّىاللهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ وليس اجتهاد العلماء

وتنـاولَ العَديـدُ من العُلَماءِ هذا الفِقـهَ في مُؤلَّفاتٍ عامَّةٍ أو خاصَّـةٍ كمادَّةٍ عِلمِيَّةٍ شَـرعِيَّةٍ ذاتِ ارتباطٍ بالقيامةِ والآخِرَةِ فقط، حتى صار لدى بعضِ المُتأخِّرين ـ في

(١) «الموافقات» للشاطبي (٣: ٢٨٦) .

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١: ٣٧٦) .

فَترَةٍ زَمَنِيَّةٍ ـ قدحُ المُتكَلِّمِ في علاماتِ السّاعةِ واتِّهامُهُ بالجَهلِ أو الإثارَةِ للمُسلِمين ، وخاصَّةً عندما يُخاضُ في أخبارِ الإمامِ المُنتَظَرِ وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والدَّجّالِ وغيرِها ..

وعمَّ الجَهلُ بهذا الرُّكنِ ومعلوماتِهِ حتى صار غريباً ومجهولاً ، بل صار في بعضِ بلادِ العَرَبِ والمسلمينَ عِلماً ممنوعاً نشرُهُ على المنابِرِ والمؤلَّفاتِ ، نتيجةَ الجَهلِ به أوّلاً ، ثُمَّ عَدَمُ خِدمَتِهِ خِدمَةً تتناسَبُ مع المراحِلِ وتقلُّباتها ، ثُمَّ لاشتمالِهِ على بعضِ أحوالِ المُفسدين في الأرضِ من الحُكّامِ والعُلماءِ والظَّلَمَةِ ومَن له نُفوذٌ في الواقِعِ ، فسادَ بذلك الصَّمتُ والسُّكونُ عن ذِكرِهِ كما قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «لو بثثتُهُ لَقُطِعَ مِنِّي هذا الحُلقوم» ، وأمّا إظهارُنا له بعد أن تهيَّأَ لنا بِفَضلِ اللهِ فَهمُ موقِعِه من الأركانِ فلا يدخُلُ تحت مُخالَفَةِ مَن سَبَقَ ولا مُعارَضَةِ أهلِ الأُصولِ والحديثِ ، وإنما هو إتمامٌ وإكمالٌ لما هم وأتباعُهُم وتلامِذَتُهم في حاجَتِه قبل غَيرِهم من عوامِّ النّاسِ ، وتجديدٌ واعٍ لقولِ الإمامِ عَليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «إنِّي فقأتُ عَينَ الفِتنَةِ»[1] .

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٧٣٤) ، «السنن الكبرى» للنسائي (٨٥٢١) .

سَلَامَةُ الأُمَّةِ قَضِيَّةٌ مَرْهُونَةٌ بِدِرَاسَتِنَا الوَاعِيَةِ لِلرُّكْنِ الرَّابِعِ

لكلِّ أُمَّةٍ قَضِيَّةٌ، ولكلِّ جيلٍ وظائفُ، وبمقدارِ تربيةِ الجيلِ على وظائفهِ المنبثقةِ من شرفِ القضايا يَسْطُعُ التفاؤلُ في فمِ الزمان المبتسمِ. ومن قضايانا المصيريةِ معرفةُ هُويَّتِنَا التاريخيةِ مربوطةً بِرباطِ الديانةِ الإسلاميةِ. فالقوميةُ العربيةُ والقبَليةُ والأسرةُ ليستْ رابطَنا العالميَّ وهويتَنا الشرعيةَ، وإنما هي الحدُّ الأدنى من لغةِ التعارفِ. أما الهويةُ التي صَنَعَها الإسلامُ لنا ودعانا إلى تَبَنِّيهَا وإشاعةِ خَبَرِهَا وأثرِها إنما هي (الديانةُ الإسلاميةُ).. تِلكُمُ الديانةُ التي رَضِيَهَا لنا رَبُّنا وَدَعَانَا إليها بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فكيفَ ضاعتْ هذه الهويةُ العالميةُ وبقيتْ لنا جزئياتُ التعريفاتِ والتعارف؟

إِنَّهَا (غُرْبَةُ الدِّينِ)، وغربةُ الدِّين فينا متنوعةٌ ومتعددةٌ، ومن أهمِّها وأعظمِها:

❁ فُقْدَانُ القَرَارِ

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٦-٢٧]، «لَتُنْقَضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةً عُرْوَةً كُلَّمَا انتقضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بالَّتِي تَلِيهَا، أَوَّلُهُنَّ نَقْضاً الْحُكْمُ وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»[1].

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢١٦٠)، وكتاب «السنة» لعبد الله بن أحمد بن حنبل (٧٦٤) و«صحيح ابن حبان» (٦٧١٥).

لَقَدْ فَقَدَتِ الأمةُ قرارَها العالميَّ فتحوَّلَتِ "**الكلمةُ الطيبةُ**" إلى "**كلمةٍ خبيثةٍ**" .. ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾، ولعلَّ كثيراً من أشباهِنا وأمثالِنا لا يَرَوْنَ مـا نَرَاهُ ولا يرغبونَ في صُوَرِ التشاؤمِ التي نتناولُها عن الأمـةِ وعن الكلمةِ الطيبةِ، إذ إِنَّهُـمْ يَرَوْنَ الأمورَ لا تتجاوزُ المألوفَ والناسَ بخيـرٍ والحياةَ جميلةً ومتفائلةً.. فلماذا هذا التحليلُ الغريبُ المريبُ؟

والتحليلُ الغريبُ المريبُ عندهم راجعٌ وعائدٌ إلى فقدانِ قراءتِهم للركنِ الرابعِ من أركانِ الدينِ ، ولو قرؤُوه كما قرأه رسولُ الله ﷺ وكما قَالَهُ وَأَثْبَتَهُ وكما آمَنَ به صدورُ الصحابةِ وأئمةِ آلِ البيتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ؛ لَعَرفُوا سرَّ قوله ﷺ : «**وَاللَّهِ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَـىٰ الصُّعُـدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ**»[1]؛ لأنَّ رسـولَ اللهِ ﷺ عَلِمَ مـا لم يَعْلَمْهُ غيرُه، وصحابتُـه وأهـلُ بيتِه علموا مـن عِلْمِهِ ما رَفَعَ لديهمْ مسـتوى الاسـتعدادِ واليقظةِ فعاشـوا فـي قلق وراحة به ، حتـى هانتِ الدنيا وما عليها، أمـا قضيتُهم المصيريةُ : وحدةُ القرارِ .. وسرُّ الاستقرارِ .. وضمانُ الاستمرارِ ..

وبفقدانِ القرارِ ذهب الاسـتقرارُ ، وتعذَّر الاسـتمرُ ، وجاء أمر الله .. ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[النحل:١] .. ولسـنا في معرِضِ محاكمـةِ المراحلِ وإدانةِ الأفرادِ، وإنما نحن في تقريرِ الحالِ وتشخيصِ الحالةِ .. فلعل وعسى .

(١) «سنن الترمذي» (٢٣١٢) «المستدرك على الصحيحين» (٣٨٨٣) (٦٢٧٨) قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

❁ فُقْدَانُ الهُوِيَّة

وبفقـدانِ القـرارِ العالميِّ ظلـتِ القوميةُ والقبليـةُ والعصبيةُ والطائفيـةُ والعائليةُ تعبثُ بالاستقرارِ وتدمِّرُ أبنيَتَه وتحرقُ أشجارَه وأفكارَه.. ومَن خَلْفَهَا؟.. الشيطانُ والعقـلُ الكافـرُ الممسـوخُ، حتى أُصيـبَ حَمَلَـةُ قَرَارَيِ الحكـمِ المُجَـزَّأِ والعلمِ المقبـوضِ بِـداءِ الأمـمِ، ومِـن داءِ الأمـمِ فُقـدانُ الهُوِيَّـاتِ، والاعتـدادُ بالذواتِ والهيئـاتِ والمؤسسـاتِ والجماعـاتِ والجمعيـاتِ .. ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الحشر:١٩].

واستأسـدَ العـدوُّ المجتمِع، ونال من القـرارِ والهويةِ، وامتلـكَ عواملَ الإعادةِ والترتيـبِ، فأعـادَ الصياغـةَ الدجَّاليـةَ للقـرارِ، وحقَّـقَ معنـىً مـن معانـي مظاهرِ الاسـتقرارِ، وكسـب جولـةَ الاسـتمرار، حتى تمكنَ مـن صنعِ قوالبِ الهيشـاتِ ومطموسـي القـرارِ والهُوِيَّـاتِ ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ [الروم:٧].

ففَصَلَ التعليمَ عن التربيةِ، والدعوةَ عن الحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، والتصوفَ عن المذهبيةِ، والمذهبيةَ عن الإسلامِ، وسادَ برنامجُ الشَّكِّ والظنِّ بالإثم .. حتى غدا المسـلمُ عدوَّ المسـلمِ بعد أنْ كانَ «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْـلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِـيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْـبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»[1].

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٥٦٤).

❁ فُقْدَانُ الكَرَامَةِ

يقـولُ المثـلُ المعـرَّبُ : (الشَّـرَفُ شَـمْعَدَانٌ تَكْسِـرُهُ الحَاجَـةُ) ، والشـرفُ هو الكرامـةُ ، وهـو العـزةُ، والعـزةُ: غَيْـرَةٌ شـرعيةٌ علـى الحـقِّ ومُقَوِّمَاتِـهِ.. وبالعـزةِ والكرامةِ فُتِحَ العالمُ الإنسـانيُّ بأيدي الحفاةِ العراةِ بسـطاءِ الأمـةِ .. الذاكرينَ اللهَ كثيـراً والذاكرات. وفُقِدتِ العـزةُ والكرامةُ بأيدي الحفاةِ العراةِ العالةِ رعاءِ الشـاءِ يتطاولـون في البنيانِ .. تَطَـاوُلاً في المادياتِ والمظاهرِ الزائفةِ مع فشـلٍ ذريعٍ في العـزةِ والكرامةِ والهويةِ والقرارِ . وتعظيمٌ لما لا يسـتحقُّ التعظيمَ أَوْرَثَنَا خدمةَ مَن لا يسـتحقُّ الخدمةَ، فتحولَ المجتمعُ إلى عبوديةٍ مقنَّعةٍ ومجتمعِ خدماتٍ.. «يَبِيعُ قَوْمٌ دِينَهُمْ بِعَرَضٍ مِنْ الدُّنْيَا قَلِيلٍ»[1].

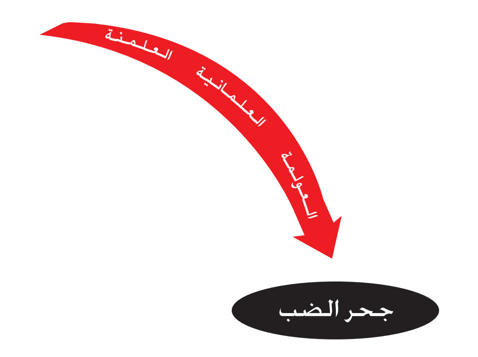
وبِضَيَـاعِ الكرامةِ من الأمـةِ وهي جزءٌ من (الأمانةِ) اسـتبدل الجاهلونَ كرامتَهم باسـتتباعِ سُننِ اليهودِ والنصارى ، وعزَّزُوا حالَ المهانةِ بابتداعِ الصراعِ الاعتقاديّ عنـد قـومٍ ، والصراعِ المذهبيِّ عنـد قومٍ ، والصـراعِ الطائفيِّ عند قـومٍ ، والصراعِ الطَّبَقِـيِّ عند قومٍ ، والصراعِ الاقتصاديِّ لدى قومٍ ، والصراعِ السياسـيِّ لدى قومٍ ، وهلمَّ جَرّاً ..

وحقّقَ الجميعُ من المُوَحِّدِين قولاً والفرقاءِ حالاً وصفةً وعقيدةً ومواقفَ مطلبَ الشـيطانِ وسياسةَ الدجالِ .. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩] ، وحلَّ بهم ما حلَّ بالأممِ السابقة «لَتَتَّبِعُنَّ سَننَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ»[2].

---

(١) «مسند أحمد» (٩٠٧٣) .

(٢) «صحيـح البخـاري» (٣٤٥٦) بلفـظ : «لـو سـلكوا ... لسـلكتموه» و «المسـتدرك علـى



فُقْدَانُ الأَجْيَالِ

وكَبُرَ الجيلُ تلوَ الجيلِ تحت ظلِّ التنافساتِ الإعلاميةِ والشهواتِ الأفلاميةِ والمغالطاتِ الأقلاميةِ ، لينفصمَ تماماً عن كلِّ شيءٍ يَمُتُّ إلى أمةِ الأخلاقِ والقِيَمِ بِصِلَةٍ ، ويصيرَ المنكرُ معروفاً والمعروفَ منكراً .. وصار أسعدُ الناس بالدنيا لُكَعُ بنُ لُكَعٍ.

واحتشدَ الأبناءُ والبناتُ تحت مظلةِ الأغلاطِ والاختلاطِ، ليستثمروا القلقَ والإحباطَ ، عِلماً وتعلماً وإعلاماً وثقافةً واقتصاداً وحياةً اجتماعيةً ، فَرِحِينَ بما لا ينبغي الفرحُ به ، مستنكفينَ عما لا يصحُّ الاستنكافُ عنه ، مندفعين إلى ما يَهْتِكُ الشرفَ والفضيلةَ ويحرقُ الزهراتِ الجميلةِ .. إنه سوقُ العرضِ والطلبِ ، المتدرجُ من العلمانيةِ إلى العلمنةِ إلى العولمةِ ، على الطريقِ الإجباريِّ أو الاتجاهِ الإجباريِّ المشار إليه (إِلَىٰ جُحْرِ الضَّبِّ) .

الصحيحين» (١٠٦) بهذا اللفظ .

الفرقُ بين السّاعةِ وعلاماتِها

الفرق بين الساعة وعلاماتها

جاء في حديثِ جِبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي رواهُ سيِّدُنا عُمَرُ قولُه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُجيباً على جِبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما سألَهُ: أخبرني عن السّاعةِ، قال: «ما المسؤولُ عنها بِأعلمَ مِن السَّائلِ». وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ النَّبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَهِمَ من سُؤالِ جبريلَ ما يتعلَّقُ باليومِ الآخِرِ، وهو النَّفخُ في الصُّورِ وما بعدَهُ، فكان جوابُهُ أنَّ هذا الأمرَ لا يعلَمُهُ إلا اللهُ، فسألهُ جِبريلُ مرَّةً أخرى عن الأمرِ المقصودِ من السُّؤالِ وهو ما يتعلَّقُ بتحوُّلاتِ ما قبلَ اليومِ الآخِرِ حيثُ قال: أخبرني عن أماراتِها؟ فأجابَ النَّبيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن هذه الجُزئيَّةِ بِعَلامَتَين:

إذا ولدت الأمة ربتها / ربها

- «أن تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَها أو رَبَّها»[1].
- «أن تَرى الحُفاةَ العُراةَ العالَةَ رِعاءَ الشَّاءِ يتطاولون في البُنيانِ».

وبهاتَينِ العلامَتَينِ وما دار في معناها تقرَّرَ مفهومُ العِلمِ بما بين يَدَي السّاعةِ من تحوُّلاتٍ وأشراطٍ من جهةٍ، فالعلامَةُ الأولى هي ما عَبَّرَ عنه صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن تَلِدَ الأَمَةُ ربَّتَها، وفي الرِّوايَةِ الأخرى «رَبَّها»، ولمعنى هذه العبارةِ كلامٌ وشرحٌ طويلٌ مُفَصَّلٌ يختَصُّ بمفهومِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ، ومُجمَلُهُ:

الأَمَة في فقه التحولات

أنَّ لفظةَ الأمَةِ لفظٌ يُطلَقُ على كُلِّ امرأةٍ، ولفظَةُ «رَبَّتَها» يُطلَقُ على كُلِّ امرأةٍ تمتلِكُ السِّيادَةَ والقرارَ سواءً في المنزلِ أو الامتلاكِ للمالِ أو رِئاسَةِ المؤسَّساتِ أو غيرِ

---

(١) متفق عليه، «صحيح البخاري» (٥٠) بلفظ: «إذا ولدت الأمةُ ربَها»، وباب أم الولد قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من أشراط الساعة أنه تلد الأمة ربها». وفي رواية الجمع بين «ربها» و«ربتها»: «وإذا رأيت الأمة تلد ربها وربتها فذلك من أشراط الساعة... الحديث». «السنن الصغرى» للبيهقي (١٠).

ذلك، وفي هذا المعنى إشـارَةٌ واضحةٌ إلى أنَّ مفهـومَ الحديثِ يُبرِزُ أوَّلَ خطرٍ يظهَرُ فـي أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ وهو ما يتعَلَّقُ بشـأنِ المرأةِ والرَّجُلِ وانحرافـاتِ التَّربيَةِ والتَّعليم والإعلامِ الذي يُصيبُ كلا الجنسَـينِ في لاحقِ الزَّمانِ حتى تختَلِفَ أساليبُ العِلاقَةِ بيـنَ الأُمِّ وابنتِها والأبِ وابنِهِ، ويحصُلَ الصِّـراعُ الفِكرِيُّ والثَّقافِيُّ والاجتماعِيُّ ... إلـخ بين وعيِ الأبِ والأُمِّ المُرتبطِ بالثَّقافةِ التَّقليدِيَّةِ ووَعيِ الابنِ والبنتِ المُرتَبِطَينِ بالثَّقافـاتِ الحديثةِ، وفي شَـرحِ هذا الحديـثِ دَلالَةٌ واضِحَةٌ علـى أنَّ القصدَ الذي تناولَـهُ رَسـولُ اللـهِ ﷺ في أَحَدِ معانيـه عن أَوَّليـاتِ الانحرافِ في الأمَّـةِ بانحرافِ المرأةِ، وله ما يُؤَكِّدُهُ من كلامه ﷺ فيما تتشابه فيه الأُمَمُ، فقد ورد في الصَّحيحِ قولُه ﷺ: «**إنَّ أوَّلَ فِتنَةٍ كانت في بني إسرائيلَ من النِّساءِ، فاتَّقوا الدُّنيا واتَّقوا النِّساءَ**»[1].

(أن تلد الأمة ربتها) المقصود التغييرات الاجتماعية

وهذا الحديثُ يجمَعُ نَفسَ المفهومِ الذي في حديثِ جبريلَ، فقولُه ﷺ: «**اتَّقوا الدنيـا**» يقابلُـه فـي المعنى قولُـه ﷺ: «**وأن تـرى الحُفاةَ العُـراةَ العالةَ رِعاءَ الشَّـاةِ يتطاولون في البُنيانِ**»[2] كما سيأتي شرحُه.

«**واتَّقوا النِّساءَ**» يقابِلُه قولُه ﷺ في حديث جبريل: «**أن تَلِدَ الأمَةُ ربَّتَها**»، ويندَرِجُ تحـتَ هذا المعنـى كافَّةُ الأحاديثِ التي تختَصُّ في الصِّحاحِ والسُّـنَنِ والمسـانيدِ بالمرأةِ وعلاقَتِها بالعلاماتِ.

معنى «وأن ترى الحفاة.. الحديث»

قولُـهُ ﷺ: «**وأن تـرى الحُفـاةَ**» الحُفـاةُ جمعُ حـافٍ ـ وهي كنايةٌ عن السَّـيرِ بلا نِعـالٍ ـ وهـي ظاهِرَةٌ معروفـةٌ كانت لـدى العرب لِفَقرِهـم، و«**العُـراةُ**»: الذين لا تكتَمِـلُ ألبِسَـتُهم على أجسـادِهم إلا ما يستُرُ العَـورَةَ، وهذه إحـدى ظواهرِ الزِّيِّ

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٧٤٢)، وانظر «إتحاف الجماعة» التويجري (١: ٧٧٣).

(٢) وفـي روايـة: «**إذا رأيـت العالة الحفـاة العراة يتطاولون فـي البناء وكانوا ملـوكاً**» **قال: وما الحفاة العراة؟ قال:** «**العرب**». رواه البيهقي في «السنن الصغرى» (١٠).

البَـدَوِيِّ العربـيِّ ، «العالَةُ» الرَّجُلُ الفَقيرُ ، مُشْـتَقٌّ من (العيلـة) في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً ﴾ [التوبـة: ٢٨] أي : حاجـةً وفقـراً «رِعاءَ الشَّـاءِ» إشـارةً إلى ظاهِرَةِ الرَّعيِ التي يُمارِسُـها البداوَةُ في صحاريهم، وأنَّ هؤلاءِ الأعرابَ الذين كانوا على هذه الصِّفاتِ تنفَتِحُ لهم أسبابُ الحياةِ والحضارَةِ والتَّطوُّرِ المادِّيِّ، فيتحوَّلُ الأمرُ مـن الحياةِ البائِسَـةِ إلى حياةِ التَّرفِ والمنافسـةِ علـى الدُّنيا والتَّطاوُلِ فـي البُنيانِ ، وفـي مرحلةٍ مُفاجِئَةٍ تربِطُ الرَّاعـيَ والحافيَ بالحضارَةِ المادِّيَّـةِ ومُخرجَاتِها، وفي قولِه ﷺ : «يتطاولون» مَلحَظٌ هامٌّ إلى الجهلِ المُطبِقِ على مُلَّاكِ الأموالِ في آخِرِ الزَّمـانِ بحيـثُ يصرِفون أموالهم في ما لا داعي له ، وانشـغالُ هؤلاءِ الحُفاةِ العُراةِ بجَمـعِ رُؤوسِ الأمـوالِ من الحـلالِ والحرامِ والشُّـبَهِ وصرفِها في الاسـتثماراتِ والمُنافسـاتِ والتَّطاوُلِ ، بينما تكونُ حاجةُ الأُمَّةِ للمالِ فيما هو أَهَمُّ من ذلك مثلَ إقامـةِ الاقتصادِ الشَّـرعِيِّ المُؤَدِّي إلـى الاكتفاءِ الذاتيِّ في الشُّـعوبِ، وإلى صرفِ الأمـوالِ في الدِّفاعِ المُشـتَرَكِ عـن قضايا الأُمَّةِ، واسـتغلالِ عائـداتِ الثَّرَواتِ في بناءِ التَّكافُلِ الاجتماعيِّ، وتشـجيعِ الأعمالِ الزِّراعيَّةِ والصِّناعِيَّةِ الكفيلَةِ بتحسـينِ المعيشَةِ للأُمَّةِ، إلى غير ذلك ممَّا هو مطلوبٌ وواجِبٌ في الحياةِ .

وقوع الظاهرة حقيقة في مرحلتنا المعاصرة

وقـد تبيَّـنَ مـن حديثِه ﷺ في الأماراتِ وقـوعُ الأُمَّةِ في كثيرٍ من هذه الأشـراطِ واشـتغالُ الجُلِّ الأوسَعِ من المسلمين بهذه الظَّاهِرَةِ السَّلبيَّةِ وللأسفِ[١] ، ويندَرِجُ

---

(١) كمـا أن مـن معاني التطاول دفع الأمـوال والمخصصات المادية لإذكاء الصراع الشـيطاني بيـن الشـعوب (ظاهرة التحريـش) الطبقي والاعتقادي والطائفي وهلم جـرا . فترى كثيرا من هـؤلاء التجار وحملة رؤوس الأموال ينفقون علـى الجماعات والأحزاب والفئات ما يمكنهم من زرع الفتن وتفريق الشعوب وإسالة الدماء ، وهم يظنون أنهم يخدمون الديانة ؛ لجهلم بثوابت الدين من جهة وجهلهم بالفتن ومضلاتها من جهة أخرى ، ولو علموا ذلك لما فعلوا، وحاشا أن يفعل مسلم ما يضره في دينه وآخرته وهو يعلم ذلك يقينا ولكنها الفتنة

تحـت الجزئِيَّـةِ الثَّانِيَةِ من علاماتِ السّـاعةِ جُملـةُ الأحاديثِ النَّبوِيَّـةِ في الصحاحِ والسُّننِ والمسانيدِ وغيرِها حول علاقَةِ الأُمَّةِ بالدُّنيا والمالِ وما تفرَّعَ عن ذلك .

والتحريش ، نسأل الله السلامة .

موقِعُ الأمثِلَةِ والرُّموزِ والشِّعاراتِ والشّاراتِ والألوانِ في فِقهِ التَّحوُّلاتِ

الرموز والإشارات سلبية وإيجابية ولا تختص بالمسلم وحده

عنـد النَّظَـرِ العميقِ في فِقـهِ التَّحوُّلاتِ ذاتِهـا نَجِدُها تحمِلُ معنىً إشـارِيّاً ، فكُلُّ اسـمٍ منها أو فيها يُخفـي أكثَرَ من هَدَفٍ وغَرَضٍ مقصـودٍ، فإمّا أن يكون المقصودُ سَـهلَ الفَهـمِ مُمكِنَ التَّحليـلِ وإمَّا أن يكـون صَعبَ الفَهـمِ مُعَقَّدَ التَّحليلِ ، وسِـرُّ الإخفـاءِ للمعانـي يرجِعُ إلى مُقتَضَـى أمرِ اللهِ في سَـيرِ قضائِهِ وقَـدَرِه، كما أنَّ في نماذِجِ التَّورِيَةِ لِبَعضِ الأمورِ سلامةً للعِبَادِ المؤمنين مِن بَطشِ بعضِ الطُّغاةِ والبُغاةِ والحُكّامِ والمُفسِدين في الأرضِ .

والرُّموزُ والإشـارَةُ بِـكُلِّ أنواعها ونماذِجِها لا تَخُـصُّ الجانِبَ الإيجابيَّ وحدَهُ، أي : إنَّها ليست خاصَّةً باختِزالِ المعلوماتِ والدِّلالاتِ لِزيادَةِ عِلمِ المُسلمِ وحِفظِ المُؤمِـنِ وحـدَهُ ، وإنَّمـا هي لُغـاتُ التَّفاهُمِ فيما يسـتَحِقُّ فيـه التَّفاهُـمُ بين الناس الأخيارِ بما يناسِـبُ لُغَةَ العَمَلِ المُمارَسِ ، وكذلك بين النَّاسِ الأشـرارِ بما يُناسِبُ لُغَةَ العَمَلِ المُمارَسِ بينهم أيضاً .

السحر والتنجيم والطلاسم وقراءة الكف والأبراج علوم سلبية

فالسِّـحرُ والتَّنجيمُ والكَهانَةُ والشَّـعوَذَةُ أعمالٌ ذاتُ ارتباطٍ كبيرٍ بالرَّمزِ والطِّلَّسْمِ والعَقـدِ والنَّفـثِ وغيرهـا ، وكَقِراءَةِ الأبـراجِ والطَّوالِـعِ والنُّجومِ وما يُعـرَفُ بِعِلمِ الكَـفِّ والحَرفِ ، وما يترتَّبُ على هذه الانفعالاتِ والتَّحضيراتِ مِن ضَرَرٍ وخَطَرٍ وفَسـادٍ في الأرضِ وإفسادٍ ، كُلُّها عُلومٌ سَـلبِيَّةٌ ذاتُ ضَرَرٍ خطيرٍ وشَـرٍّ مُسـتطيرٍ ، وصَفَـهُ اللـه فـي كتابِـهِ بقولـه : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ

﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[البقرة: ١٠٢] .

الرمز بالأفعى والشمس

ومن سَلبيّاتِ الرَّمزِ والإشارَةِ ما نراه في بَعضِ الصُّوَرِ المُجَسَّمَةِ والتَّماثيلِ المنحوتَةِ والنُّقوشِ القديمةِ المُعَبِّرَةِ عن معانٍ خاصَّةٍ ورُموزٍ وشاراتٍ ذاتِ مَعنىً ، كالرَّمزِ بالأفعى عند البَعضِ والرَّمزِ بالشَّمسِ والرَّمزِ بالزَّهرَةِ واختلاطِ بَعضِ هذه الرُّموزِ في بَعضٍ ، بل إنَّ قَضِيَّةَ الرَّمزِ قد بلغت في عالَمِ السِّياسَةِ مبلَغاً خطيراً لا يَعرِفُ مدى خُطورَتِهِ إلا بعضُ المُختَصِّين في قراءَةِ رُموزِ السِّياسَةِ المُتَحوِّلَةِ ، ويدخُلُ في هذا الأمرِ ما نراهُ ونشهَدُهُ من رُموزِ العُملاتِ والرَّاياتِ والمُنظَّماتِ والأنظِمَةِ والدُّوَلِ ، وكُلُّها تَنُمُّ عن أمرٍ مُعَيَّنٍ وفِكرَةٍ مُحَدَّدَةٍ ذاتِ مغزى في عالَمِ الكُفرِ أو عالمِ السِّحرِ أو عالَمِ عِبادَةِ الشَّيطانِ أو مغزى من مغازي الانتقامِ أو العُنفِ أو التَّطَرُّفِ أو القَتلِ أو غيرِ ذلك .. بل أُدخِلَ الحَيَوانُ في هذه اللُّغَةِ لِيُعَبِّرَ كُلُّ نَوعٍ منها عن مغزىً وهَدَفٍ وغايَةٍ .

رموز العملات وأعلام الدول والمنظمات

وكلُّ هذا يُعيدُنا إلى ما سبقت الإشارَةُ إليه في أوَّلِ كتابِنا عن انقسامِ القِراءَةِ في العالَمِ الإنسانيِّ إلى مدرَسَتَينِ :

المدرستان الأنوية والأبوية لكل منهما لغته ورموزه

١ – مدرسةٍ أَنَوِيَّةٍ إبليسِيَّةٍ وَضعِيَّةٍ لها لُغَتُها ورُموزُها وشاراتُها ومعانيها[1] .

---

(١) ومن هذه الإشارات والرموز ما نشهده في بعض شعارات الدول والمنظمات الكافرة وفي ألويتهم وعملاتهم وشارات شركاتهم ومؤسساتهم، ومنها شارة الصليب كرمز اتخذ لعقيدة التثليث وصلب المسيح ومجسم مريم العذراء لدى النصارى .

٢- ومدرسةٍ نَبَوِيَّةٍ أَبَوِيَّةٍ شَرعِيَّةٍ ولها لُغَتُها ورُموزُها وشاراتُها ومعانيها.

دراسة هذه الرموز من فروع فقه التحولات

ومِن مُهِمَّاتِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ دراسَةُ هاتَينِ اللُّغَتَينِ بِعُمقٍ وتَدَبُّرٍ لِيتَمَكَّنَ المُختَصُّ في هذا العِلمِ من معرِفَةِ الدِّلالةِ بالعلامةِ والسِّمَةِ والشَّارَةِ، بل وبها يستطيعُ معرِفَةَ رُموزِ التَّحالُفِ السَّلبِيِّ في العالم ورُعاةَ الشَّرِّ مِن رُعاةِ الخَيرِ، وبهذا العِلمِ وحدَهُ يُعرِفُ مَوقِعُ الشَّيطانِ والدَّجَّالِ وسَماسِرَتُهُ وعساكِرُهُ ورُموزُهُ وأتباعُهُ وجُنودُهُ سواءً كانوا في صُفوفِ الجُيوشِ المُقاتِلَةِ .. أو كانوا فوق منابِرِ الدِّيانَةِ العادِلَةِ، كما ورد مِثالُ ذلك في حديثِ مَن لا ينطِقُ عن الهوى ﷺ .. وقد رأى في المنامِ ما أحزَنَهُ وأبكاه ﷺ .. فقال : «**رأيتُ القِرَدَةَ والخنازير ينزون على منبري كما تنزو القردة**»[1] ، وفي نزول سورة القدر قام رجل إلى الحسن بن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فقال : يا مسود وجه المؤمنين ، فقال الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «لا تؤنبني رحمك الله ، فإن رسول الله ﷺ قد رأى بني أمية يخطبون على منبره رجلاً رجلاً ، فساءه ذلك فنزلت ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ نهر في الجنة ، ونزلت ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ تملكها بنو أمية فحسبنا ذلك ، فإذا هو لا يزيد ولا ينقص »[2].

رمزية القردة والخنازير على المنبر النبوي

رمزية النصر والفتح

ولما نزلت سورةُ النَّصرِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[النصر: ١] اختلف الصَّحابَةُ في تفسيرِها ، وسألَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ ابنَ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وفي مجلِسه

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٨٤٨١) قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وأقره الذهبي ، وفي «تفسير ابن أبي حاتم» (١٣٣٢٤) رواية فيها تتمة لتفسير الرؤيا: فقيل له : إنما هم بنو فلانٍ ، وإنما هي دنيا أُعطوها، فَسُرِّيَ عنه ﷺ» .

(٢) «سنن الترمذي» (٣٣٥٠) و«المستدرك على الصحيحين» (٤٧٩٦) وقال أبو عبد الله : هذا إسناد صحيح و«المعجم الكبير» (٢٧٥٤) .

الأشياخُ عن مغزى السُّورَةِ فقال: «هو أَجَلُ رَسولِ اللهِ ﷺ»[1].

رمزية الرجل الذي خير بين الدنيا والآخرة في خطبة النبي ﷺ

وخطب النَّبيُّ ﷺ يوماً وقال عن رجلٍ خُيِّرَ بين ما في الدُّنيا وبين ما عند اللهِ فاختار ما عند اللهِ، فبكى أبوبكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حتى قال عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ما بالُ هذا الشَّيخ يبكي؟[2] وقد فَهِمَ أبوبكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الإشارَةَ والرَّمزَ في العِبارَةِ أنَّ الرَّجُلَ الذي خُيِّرَ هو رسولُ الله ﷺ فاختارَ الآخِرَةَ على الدُّنيا.

فقه التحولات يدرس العلامات والإشارات في نصوص المعصوم ﷺ وما انطوت عليه من المواقف والدلالات

وقام فِقهُ التَّحوُّلاتِ الذي نحن بِصَدَدِ دِراسَتِهِ على العلاماتِ والرُّموزِ والإشاراتِ بدءاً من حديث جبريلَ وما فيه من مادَّةِ الرُّكنِ الرَّابعِ المسكوتِ عنه ونهايَةً بالعلاماتِ الكُبرى والوُسطَى والصُّغرى وما انطوت عليه من العُلومِ والفُهومِ والدِّلالاتِ والمواقف، ومنها متابَعةُ الرَّسولِ ﷺ لابن صَيَّادٍ وملاحَقَتُهُ ليعرِفَ حقيقَتَهُ عن طريقِ الرُّموزِ والإشارَةِ، وقد ورد في الصَّحيحِ: «ذهابُهُ ﷺ مع بَعضِ الصَّحابَةِ نحو طائِفَةِ النَّخلِ، فلمّا كان قريباً منه رأتهُ أُمُّ ابنِ صَيّادٍ فصاحت: هذا مُحَمَّدٌ، فقام ابنُ صيادٍ من مرقَدِهِ وقال ﷺ: لو تركتِهِ لبَيَّنَ، وسألَه رَسولُ اللهِ ﷺ: ماذا ترى؟ قال: أرى عَرشَاً على الماءِ، فقال ﷺ: ذاك عَرشُ إبليسَ، ثُمَّ قال له: خَبَأتُ لك خبيئاً فقال: هو الدُّخُّ، وكان النَّبيُّ ﷺ قد خَبَأَ له كَلِمَةَ (الدُّخانِ) أو

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٢٩٤) (٤٩٧٠)، «الدر المنثور» (٨: ٦٦٢) ولا زالت كتب التفسير ترمز لأوائل السور المستعجم فهمها على العلماء والمفسرين بقولهم: الله أعلم بالمراد به، لما في الرسم والاسم من دلالة مجهولة المعنى والهدف، مع أن بعض المفسرين اجتهدوا في فك الرمز المقصود ولم يقطع أحد بصحة المعنى المستنبط فهمه، بل كان التفسير مجرد محاولة وتقريب لمعنى يعتقد فيه الصواب وعدمه، ويدخل في هذا المعنى الرمزي الألوان والأرقام والرايات والأعلام والملابس والعمامة والسيوف وغيرها من الوسائل.

(٢) «صحيح البخاري» (٤٦٦).

معنى ما في سورَةِ الدُّخانِ، فقال له ﷺ: «**اِخسَأ فلن تَعدُوَ قَدرَكَ**»[1].

رمزية طول اليد

وفي الجانبِ الإيجابيِّ قال رسولُ اللهِ ﷺ لِنسائِهِ: «**أوَّلُكُنَّ لَحاقاً بي أَطوَلُكُنَّ يداً**»[2] فذهبت النِّساءُ يَنظُرنَ في الطُّولِ الحِسِّي للأيدي كما فَهِمنَهُ من المعنى الظّاهِرِ للعِبارَةِ، وكان الأمرُ غيرَ ذَلِكَ إنَّما طولُ اليَدِ رَمزُ للإنفاقِ وكَثرَةِ الإحسانِ.

علم الإحسان يزيد الفهم الذوقي والوعي الإشاري

ويرتَبِطُ الرَّمزُ والإشارَةُ في الإسلامِ بِسَلامَةِ الذَّوقِ، بل هو فَرعٌ من فروعِ عِلمِ الإحسانِ وثَمَرَةٌ من ثَمَراتِهِ، وبِمِقدارِ تَرَقِّي المسلِمِ في هذا العِلمِ الخاصِّ يزدادُ فَهمُهُ الذَّوقِيُّ ويرتقي وعيُهُ الإشارِيُّ، وهذا ما يُمَيِّزُ المُسلِمِين في عِلمِ الإحسانِ بالعِلمِ اللَّدُنِّيِّ الخاصِّ، ومنه سلامَةُ الذَّوقِ في الفَهمِ الباطِنِ والظَّاهِرِ، وكُلَّما ارتقى المُطَّلِعُ على العِلمِ اللَّدُنِّيِّ في ثنايا الرُّموزِ والإشارَةِ والعلامَةِ كَتَمَ ما يظهَرُ له من سِرِّ المعاني حتى يقال له: عارِفٌ بالله، أو (من العارفين باللهِ)، وفي هذا المعنى يأتي ما يُسمَّى بِمَرتَبَةِ العِرفانِ[3].

---

(١) متفق عليه، «صحيح البخاري» (٣٠٥٥) و«صحيح مسلم» (٢٩٣٠).

(٢) «صحيح البخاري» (١٤٢٠) ونصه: أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن للنبي ﷺ أينا أسرع بك لحوقاً؟ قال: «**أطوَلُكُنَّ يَدَاً**».

(٣) كتب عن هذا الأمر الدقيق الخاص الإمام العلامة عبدالرحمن بن عبدالله بلفقيه العلوي الشافعي الحضرمي رسالة سماها: فتح بصائر الإخوان في شرح دوائر الإسلام والإيمان والإحسان والعرفان، وكأني بهذا السيد العلامة الذي أطلق عليه الحبيب عبدالله بن علوي الحداد (علامة الدنيا) قد أدرك المعنى الإشاري في العلم بعلامات الساعة وفقه التحولات وما يترتب على هذا العلم من ضرورة الكتمان وعدم الكشف والإيضاح لمنافذ النفس والهوى والدنيا والشيطان، فحلق بالمريدين فوق مستوى العيوب والنقائص إلى الحكمة التي أجرى الله بها سر الدفع والجلب والنفع والضر والخير والشر وأطلق على ثمرات المزيج الحالي من علم الإسلام والإيمان والإحسان (العلم العالي: علم مرتبة العرفان) فهاهو يمهد لهذا العلم اللدني بقوله:

وهـي مرتَبَةُ الكَمالِ النِّسـبِيِّ التي يبلُغُهـا العارفون المُتَدَرِّجـون بالعُلومِ الثَّلاثَةِ : عِلـمِ الذِّكرِ وعِلمِ الفِكرِ وعِلمِ الشُّـكرِ، على أُسُـسِ اليقينِيّاتِ الثَّلاثَـةِ: عِلمِ اليقينِ

فإن العبد إذا تمكن في الإسلام والإيمان ، وأخذ طرفا صالحا من العلوم الشرعية الواردة فـي السـنة والقرآن ، فاتسـع علمـه ، وانفتح فهمه ، وانشـرح صدره ، عرف نفسـه ، فعرف ربه، وطلب رضاه وقربه . فإنه يشـهد عجزه ، وذله ، وشـدة افتقاره وجهله . فإنه كغيره من الأكوان، خلق من عدم وراجع إلى عدم ، في غاية الاحتياج والاضطرار ، ليس له استقلال بقدرة ولا اختيار ، ولا وجود ولا بقاء ، ولا فضل ولا جود ، إلا بواجب الوجود، في جميع الشـان . فـإن وجوده ودوامـه ، وكل كماله فيـه ، وفعله وانفعاله ، حتى قعـوده وقيامه ، من فضل الله وإنعامه . فيعرف نعمة الله عليه ، وأن المنة لله – سبحانه – إذ وفقه لشكره وذكره فـي كل طاعة وإحسـان ، فلا يطالب جزاء فيهـا ، ولا ينظر إليها ، بل يخاف من وجودها مع القلة والتقصير في شكرها . وما شكرها إلا الاعتراف وشهود المنة فيها .

إلـى أن قال: فعند ذلك تسـطع عليه أنوار الحقيقة ، ويـذوق جنى معاني الوحي والنبوة ، في مقامات القرب والولاية والفتوة ، فيشهد حقائق التنزيل على التفصيل ، ويعرف معارف التفريع والتأصيل ، ويفهم بالله عن الله كل مشـكلة ، ويتضح له بنور الله حل كل معضلة ؛ وذلك ثمرة التقوى ، واليقين، وصحبة أهل الله المتقين .

قـال اللـه تعالى : ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ أي من كل مشـكل ومعضل ، ﴿وَيَرۡزُقۡهُ﴾ علما وفهما ، ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾[الطلاق:٢-٣] .

وقال أيضا : وقال أيضا : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة:٢٨٢] .

وقـال تعالـى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا ﴾[الأنفال:٢٩] وباللــه التـوفــيق ، وذلك ثمرة الطريق ، وزبدة التحقيق .

وفي ثنايا الرسـالة عبارات لا يتسـع لها فهم المتأخرين تجاوزنا ذكرها، لعدم الحاجة لها فيما نحن بصدده .

وقـد تناول العلامة المذكور في رسـالة خاصة سـماها «عمدة المحقق فـي العقائد» ـ لا زالت مخطوطة ـ في الفصلين السـابع والثامن موضوعي الحشـر والنشر ، وجعل موضوع الحشـر فصلا منظوما بكل ما يختص بعلامات السـاعة والنفخة الأولى حتى انتهاء الكون، وأمـا النشـر فهو كل ما يخص الأمـور الآتية بعد النفخـة الثانية ، وما يترتـب على ذلك من مسائل الإيمان والبعث والنشور والقبر ونعيمه وما إلى ذلك .

وعَينِ اليقينِ وحَقِّ اليقينِ ، ولأنَّ هذه العُلومَ عُلومُ القَومِ الرَّاسِخين فَخيرٌ لنا ولمن رَغِبَ المعرفَةَ من معدِنها ألا يَشْـتَطَّ به الخيالُ ولا صُروفُ الاحتمالِ ، فيرجِعُ إلى مـا نحن بِصَدَدِهِ من قراءَةِ الأركانِ الأربَعَةِ بِلُغَةِ الوُضوحِ البَيِّنِ التي لا غُموضَ فيها ولا إشـكالَ مع شـرطِ الأَدَبِ التَّامِّ في كُلِّ حالٍ، فإنَّ الزَّلَلَ الذي وقع فيه المُثَقَّفون والمُتعلِّمـون وقُرَّاءُ الحُروفِ سَـبَّبَ لهم شَـطحَاً في الحُكمِ علـى الرِّجالِ أكبَرَ من شَطحِ الرِّجالِ في ذوقِهم النِّسبِيِّ من وارِدِ الكمالِ .

علم الإشارة والرمز معركة أبدية بين الأخيار والأشرار

والمعرَكَـةُ الإشـارِيَّةُ الرَّمزِيَّةُ بين أهلِ اللهِ من الأوليـاءِ والأصفياءِ والأتقياءِ على طريـقِ الجَنَّةِ وبين عَبَدَةِ الشَّـيطانِ من السَّـحَرَةِ والمُنَجِّميـن والكذَّابين على طريقِ الباطلِ مُستَمِرَّةٌ أَبَدَ الآباد .

وهي وحدَها فِقهٌ يختَصُّ بما هو معلومٌ له من التَّحوُّلاتِ والعلاماتِ والأماراتِ ومن لم يَفهم المعنى يصعُبُ عليه الحديثُ بهذه اللُّغةِ مَعَنا، وخيرٌ لنا وله ولأمثالِنا وأشـباهِنا أن نخوضَ البَحرَ بالوَسـائِلِ ، والغاية تُقَرِّرُ الوسـيلَةَ كما هو في شعاراتِنا النَّبوِيَّةِ الأَبوِيَّةِ .

عندهم : الغاية تبرر الوسيلة وعندنا: الغاية تقرر الوسيلة

أمـا في شـعاراتِ المدرَسَـةِ الأَنوِيَّةِ الإبليسِـيَّةِ فالغايَـةُ تُبَرِّرُ الوسـيلَةَ ، وفرقٌ بين شعاراتِ المدرَسَتَينِ ، ومَن لم يَطَّلِع على شعارِ مدرسَتَهِ ولم يفهَم رَمزَ هُوِيَّتِهِ فخيرٌ له أن يسـتَمِعَ الحكمَةَ من أهلِها ، ويسـيرَ في ركبِ أساطينِها لِيَسـلَمَ من الغَرَقِ في طوفانِ الأَنوِيَّةِ المُهلِكِ الفاتِكِ .

عندهم : العقل السليم في الجسم السليم وعندنا : العقل السليم في القلب السليم

وأنَّى لقارئٍ ذلك وهو بعدُ لم يعرِف حقيقةَ المعنى القائِلِ : العَقلُ السَّليمُ في القلبِ السَّـليمِ، فهل هذا الشِّـعارُ حقيقـةٌ ؟ أم أنَّ الحقيقَةَ لديك : العقلُ السَّـليمُ في الجِسـمِ السَّـليمُ ، إذن فالرَّمـزُ والإشـارَةُ والعلامةُ مدرسَـةٌ عظيمةٌ في الإسـلامِ ، فتعرَّف على

رجالِها تَسلَم ، وإياك من مدرسةِ الأعوَرِ الدَّجَّالِ ، مدرسَةِ الذَّوقِ الممسوخِ والوَعيِ المنسوخِ ، فلها في عالَمِ الإشارَةِ والرَّمزِ واللَّونِ والشَّارَةِ مكانٌ ، وأَثَرٌ وتأثيرٌ ، ومتى ما تأمَّلَ المُتَأَمِّلُ في رُموزِ العُملاتِ النَّقدِيَّةِ ، والرَّاياتِ والبُنودِ والألوِيَةِ العَسكَرِيَّةِ والشَّاراتِ والشِّعاراتِ المنسوبَةِ لِبَعضِ الدُّوَلِ والإمبراطوريَّاتِ لَرَأى العَجَبَ العُجابَ .

صليب النصارى ونجمة اليهود شعاران دينيان وسياسيان

بل إنَّ أتباعَ الدِّيانَتَينِ اليهودِيَّةِ والمسيحِيَّةِ جعلوا لهما شعاراتٍ وشاراتٍ لم يُنزِلِ اللهُ بها من سُلطانٍ ، كالصَّليبِ عندَ النَّصارى ، ونَجمَةِ داوُدَ عندَ اليهودِ ، وكُلُّها شِعاراتٌ وضعِيَّةٌ ذاتُ هَدَفٍ سِياسيٍّ ودينِيٍّ مُعَيَّنٍ .

أمَّا شعاراتُ الإسلامِ وخاصَّةً على عَهدِ الرِّسالَةِ على صاحبِها أفضلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ فكانت قليلةً ومحدودةً ، وتتلَخَّصُ فيما يلي :

١- شِعاراتٌ وألفاظٌ تُرَدَّدُ في الحَربِ .

٢- راياتٌ وألوِيَةٌ ترمُزُ إلى المهاجرين والأنصارِ .

وكم سَنَجِدُ من رُموزِ الشِّعاراتِ الأَنَوِيَّةِ والشِّعاراتِ النَّبوِيَّةِ الأَبَوِيَّةِ من ملامحَ وأهدافٍ وغاياتٍ ، وخُذ على هذا أمثِلَةً مُصَوَّرَةً .

خاتم عرش بريطانيا
للاستزادة انظر مراجع المادة في موسوعة wikipedia.org تحت مسمى
Royal coat of arms of the United Kingdom



الشعار المسمى (خاتم أمريكا الأعظم) ، وهو موجود خلف الورقة فئة الدولار الواحد
للاستزادة انظر مراجع المادة في موسوعة wikipedia.org تحت مسمى
Great Seal of the United States





شعار الخلافة العثمانية

انظر شرح تفاصيله ص ٢١٤



الأسس والمنطلقات

في

تحليل وتفصيل غوامض فقه التحولات
وما يرتبط به من سنن المواقف والدلالات
المستنبطة من علامات الساعة وأحاديثها البينات

الجزء الثاني

بقلم خادم السلف
أبي بكر العدني ابن علي المشهور
عفا الله عنه

التَّفصيلُ الجامِعُ لأقسامِ العِلمِ بعلاماتِ السّاعةِ

عُلِمَ مِمَّا تَقَدَّمَ أنَّ أقسامَ العِلمِ بِعلاماتِ السّاعةِ ثلاثَةٌ :

الأوَّلُ : العِلمُ الواجِبُ بالعلاماتِ الكُبرَى .

الثَّاني : العِلمُ اللّازِمُ بالعلاماتِ الوُسطَى .

الثَّالِثُ : العِلمُ المُطلَقُ بالعلاماتِ الصُّغرَى .

ونَضَعُ التَّفصيلَ الكامِلَ للعلاماتِ الكُبرَى آخِرَ البَحثِ باعتبارِ موقِعها في آخِرِ الزَّمانِ .

أما العلاماتُ الوُسطَى والصُّغرَى فسنَذكُرُها حَسَبَ التَّرتيبِ الاستِقرائِيِّ الذي فَهِمناهُ من واقِعِ فِقهِ التَّحوُّلاتِ مُستَفيدِين من بعضِ ما سَبَقَت خِدمَتُه على أيدي العُلَماءِ والباحِثِين الذين تناوَلوا موضوعَ العلاماتِ والأشراطِ ؛ إلا أنَّنا فَرَّقنا بين العلاماتِ الوُسطَى والصُّغرَى بقاعِدَةٍ مُختَلِفَةٍ عمَّا سَبَقَ التَّناوُلُ له عند أهلِ هذا العِلمِ .

القِسْمُ الأَوَّلُ العِلمُ اللّازِمُ بالعلاماتِ الوُسطىٰ

الاستقراء الزمني هو الذي حدد توسط العلامات

وقد اعتَمَدنا في تحديدِها على استقراءِ المعنى المقصودِ بالوُسطى ، أي : التَّوسُّط الزَّمَني لمُجرَياتها بين الصُّغرى ابتداءً والكُبرى اختِتاماً ، وارتباطِ هذه العلاماتِ بالقرارَينِ قرارِ الحُكمِ وقرارِ العِلمِ وما يترتَّبُ عليها من ثوابتَ ونواقِضَ ، كما أضفنا إلى العلاماتِ الوُسطى علاماتٍ وضَعَها البعضُ في الصُّغرَى فوضعناها في الوُسطى لمُناسَبَةِ موقِعِها المتلائِمِ من مُجرياتِ الأحداثِ والزَّمَنِ الُمشارِ إليه بالقرارَين : قرارِ الحُكمِ وقَرارِ العِلمِ ، بل واستَقرَأنا من الأحاديثِ النَّبوِيَّةِ علاماتٍ إضافيَّةٍ وضعناها في العلاماتِ الوُسطى لأهمِّيَّةِ علاقَتِها بالتَّحوُّلِ السِّياسِيِّ والاجتماعيِّ ما بين بَعثَةِ النَّبيِّ ﷺ وبِدايَةِ العلاماتِ الكُبرى بالإمامِ المُنتَظَرِ .

وسنبدأُ بالعلاماتِ الوُسطى مجموعةً كما استقرأناها من مصادِرِها . وكُلُّها تندَرِجُ تحت قِسمِ العلاماتِ المُرتَبِطَةِ بِمرحلَةٍ واحِدَةٍ ولا تتكرَّرُ ما عدا علامَتَي فِتنَةِ الخوارِجِ ، والفِتَنِ الفِكرِيَّةِ المُتلاحِقَةِ .

أهميةُ العلاماتِ الوُسطى

تعتبـر العلامات الوسـطى في فقه التحـولات من أهم العلامـات تقريراً ومكانة وقواعد، لأنها ارتبطت بمرحلة التأسيس الأول للدولة الإسلامية، وتكاد أن تكون هـي القاعدة الشـرعية، وخاصة مرحلة الرسـالة المحمدية الحاوية على قسـميها الهاميـن: المرحلة المكية والمرحلة المدنية، ففي هاتين المرحلتين تأسـس علم فقه التحولات كما تأسسـت بقية العلوم الشـرعية، وتبدأ مراحلها ببعثة النبي ﷺ كما سيأتي.

بَعْثَةُ النَّبِيِّ ﷺ

بعثة النبي محمد ﷺ علامة وسطى

أُولَـى عَلَامَاتِ السَّـاعَةِ الوُسْـطَى بَعْثَةُ النَّبِـيِّ ﷺ، وفيها يقـولُ ﷺ: «**بُعِثْتُ أنا والسّـاعَةُ كهاتَيـنِ**»[١].. قال القُرطُبِيُّ: (أوَّلُها بَعثَةُ النَّبـيِّ ﷺ لأنَّه نَبِيُّ آخِرِ الزَّمانِ، وقـد بُعِـثَ وليس بينـه وبين القيامة نَبِـيٌّ يُوحَى إليه بِشَـرعٍ)[٢]، وقـال البَغَوِيُّ في «تفسـيره»: (وكان النَّبِـيُّ ﷺ مـن أشـراطِ السّـاعةِ)[٣]. وفي «السـننِ الـوارِدَةِ في الفِتَـنِ» لأبـي عمرٍو الدانـيِّ: عن أبي عِمـرانَ الجُونِيِّ قال: قال رسـول الله ﷺ: «**حين بُعِثَ إليَّ بُعِثَ إلى صاحب الصُّورِ فأهوى به إلى فِيهِ وقَدَّمَ رِجلاً وأَخَّرَ رِجلاً ينتَظِرُ متى يُؤمَرُ فينفُخُ، ألا فاتَّقوا النَّفخَةَ**»[٤]. وفيما بين البَعثِ ومَوتِهِ ﷺ تأسَّسَ

---

(١) «صحيح البخاري» (٦٥٠٤) (٦٥٠٥) و«صحيح مسلم» (٢٩٥١).

(٢) «التذكـرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» ص (١: ١٢١٩)، ونقل بتصرف بإضافة (نبي يوحى إليه بشرع) لتمام الإفادة.

(٣) «تفسير البغوي» (٣: ٧١).

(٤) «السنن الواردة في الفتن» لأبي عمرو الداني بتحقيق المباركفوري (٣٧٧) (٧١٨).

أمرُ الدَّعوَةِ إلى اللهِ فيما بين مَكَّةَ والمدينَةِ .

ولأنَّ ما بين هاتَينِ العلامَتَينِ تأسَّسَ الدِّينُ كُلُّهُ فَهِيَ مرحلَةٌ هامَّةٌ من كُلِّ الوُجوهِ، بـل هي قاعَـدِةُ التّأصيلِ للعُلومِ الشَّـرعِيَّةِ كُلِّها ولأركانِ الدِّينِ الأربَعَـةِ مُجتَمِعَةً أو مُتَفَرِّقَـةً حيثُ كان النَّبيُّ ﷺ يسـوسُ أمرَ الأُمَّة (بالوَحـيِ والعِصمَةِ) ويضَعُ ثوابِتَها ويرسُـمُ مَنهَـجَ الخَيريَّـةِ بِشُـروطِهِ، ويحـذِّرُ ويبيِّنُ مواقِعَ الشَّـرِّ سـواءً فـي مرحَلَتِهِ المُبارَكَةِ أو فيما يتلوها من المراحِلِ إلى يومِ الدِّينِ .

وتنقسم دراسة هذه المرحلة إلى قسمين :

الأولـى المرحلـة المكيـة : وهـي المرحلة الأولى مـن تحمل مسـؤولية الدعوة وممارسـة قواعدها الشـرعية علماً وحالاً، فالعلم هو الوحـي المنزل والحال هي صفـة الأخـلاق النبوية التي عالـج بها جفاة المرحلة واسـتجلب الأتبـاع ، ولكلا الأمديـن (العلـم والحـال) فقه شـرعي خاص أصل أسـلوب الدعوة إلـى الله في الأمم والشعوب الكافرة ورسم قواعد العلم والمعاملة إلى يوم الدين .

الثانيـة المرحلـة المدنية : وهي المرحلة الثانية والأخيـرة من مراحل فقه الدعوة وممارسـة قواعدهـا وتطبيقاتها الشـرعية قـولاً وفعـلاً وتقريراً وحـالاً ، وكان من مظاهِرِ هـذه المرحلَةِ تحصينُ الصَّحابَةِ العُـدولِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم بالنُّصوصِ والمواقِفِ ، مع بروز ظاهرة النفاق لدى آخرين ليميز الخبيث من الطيب .

أهمية التحصين الشرعي للصحابة وما يترتب عليه

ومعنـى (النُّصـوصِ) أي : بتحصيـنِ النَّبيِّ ﷺ لمـن صَحِبَه مِن أتباعِـهِ وتعديِلِه إيّاه كَبَشـارَتِه بالجَنَّةِ للخُلَفاءِ الرَّاشِـدِين وغيرِهم ، جاء فـي الفتح (٦/ ٤٥١) باب الجاسـوس : «**وما يدريك لعل الله أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما**

شـئتم فقد غفـرت لكم[1]» ، ودَفعِ تُهمَةِ النِّفاقِ والخِيانَـةِ بذلك عن حاطبِ بن أبي بَلتَعَةَ في قِصَّتِهِ المشـهورَةِ عامَ الفَتحِ ، وقولِهِ في أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «لو كنتُ مُتَّخِذاً خليـلاً لاتَّخـذتُ أبا بكر»[2] ، وقوله في عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «والَّذي نَفْسِـي بيدِه ما لَقِيَكَ الشَّـيطانُ قَطُّ سـالكاً فَجًّا إلاّ سَـلَكَ فَجًّا غيرَ فَجِّكَ»[3] ، وقوله في عُثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «تسـتحي منـه الملائِكَةُ»[4] و«بَشِّـرهُ بالجَنَّةِ على بلوى تُصيبُـهُ»[5]، وقولِهِ في عَليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «أنت مِنِّي بِمَنزِلَةِ هارون من موسى»[6] وقوله في جَعفرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «أشبَهتَ خَلقِي وخُلُقي»[7] ، وقولِه في أبي عُبيدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «لِكُلِّ أُمَّةٍ أمينٌ ، وأمينُ هذه الأمَّةِ أبوعبيدةَ بنُ الجرَّاحِ»[8]، وقولِهِ في عُمومِ الصّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ : «لا تَسُبُّوا أَصحابي ، فلو أنَّ أَحَدَكُم أَنفَقَ مِثلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِم ولا نَصِيفَه»[9].

وأمّا تحصينُهُ بالمواقِفِ فعَدَمُ قَدحِهِ في بَعضِ أصحابِهِ رَغمَ اتِّخاذِهم رأياً خاصّاً

---

(١) «صحيح البخاري» برقم (٣٠٠٧) و«صحيح مسلم» (٢٤٩٤) .

(٢) «صحيح البخاري» (٤٦٦) (٤٦٧) و«صحيح مسلم» (٥٣٢) .

(٣) «صحيح البخاري» (٣٢٩٤) (٣٦٨٣) و«صحيح مسلم» (٢٣٩٦) .

(٤) «صحيح مسلم» (٢٤٠١) .

(٥) «صحيح البخاري» (٣٦٧٤) و«صحيح مسلم» (٢٤٠٣) .

(٦) «صحيح مسلم» (٢٤٠٤) .

(٧) «صحيح البخاري» (٢٦٩٩) (٤٢٥١) .

(٨) «صحيح البخاري» (٤٣٨٢) .

(٩) «صحيح البخاري» (٣٦٧٣) و«صحيح مسلم» (٢٥٤١) ، وذلك لأن فِقه التَّحوُّلات يُعدِّل المرحلـة وما اجتهـده فيها الصحابة العدول رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، بما أثر عـن النبي ﷺ من النص في سـلامة المرحلـة ورجالها، وهذا لا يتعـارض مع فقه المناقـب والخصوصيات، فالمناقب تبـرز حقائق مراتب الرجال، ولا يصدر بها حكم مخالف على مجتهد معدل بنص مشـابه، ويلتزم فيها بما التزمه الخلفاء العدول .

فـي بعضِ الأحـوالِ كمَوقِفِ عُمَرَ بـنِ الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في عَدَمِ الصَّـلاةِ على ابنِ أُبَيٍّ ، ثُمَّ وافَقَهُ القُرآنُ بذلك .

القدح في معنى الصحبة إما أن يحصل بقول لفظي أو موقف ذاتي

إنّ القَدحَ في بعضِ الأتباعِ والصَّحابَةِ الحامِلين اسمَ الصُّحبَةِ دون معناها العَمَلِيِّ وانقطاعَ الحصانَةِ عنهم نِسبيّاً يَتَحَقَّقُ بواحِدٍ من سَبَبَينِ :

- القَدحُ اللَّفظِي .
- الموقِفُ الذّاتيِّ .

ومَثَـلُ القَـدحِ اللَّفظِـيِّ تَكْنِيَتُـهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ لعامِـرِ الرَّاهِبِ "بأبـي عامرٍ الفاسِـقِ". ومَثَلُ الموقِفِ الذّاتيِّ نَفيُهُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ إلى الطائفِ ذلك الشّابَّ الذي وصف بِنتَ غيلانَ لِنِسائِهِ فأمَرَهَنَّ بالاحتِجابُ منه .

مَوْتُ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ

موت النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ علامة وسطى

وَمِنْ عَلامَاتِ السَّـاعَةِ الوُسْـطَى موتُ النَّبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ لقولِهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : « **أُعدُد سِتّاً بين يَدَيِ السّـاعَةِ : موتي...** الحديث »[1]. قال في «الإشاعة» : وهو من أعظَمِ المصائِبِ في الدِّين ، بل أعظَمُها ، ومن ثَمَّ قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : «**إذا أُصيبَ أَحَدُكم بِمُصيبةٍ فليذكُرْ مُصيبتَه بـي فإنَّها من أعظـمِ المصائِبِ**» رواه ابنُ سَـعدٍ عن عطاءِ بن رباحٍ[2]، وعن عائِشَـةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا : أنَّ رسـولَ اللـهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ قـال : « **أَيُّمَـا أحدٌ من الناسِ أو مـن المؤمنينَ أُصِيبَ بمصيبـةٍ فَلْيَتَعَزَّ بمصيبتِـه بي عن المصيبةِ التي تُصِيبُهُ بغيري ، فإنّ أحداً من أُمَّتي لن**

---

(١) «صحيح البخاري» (٣١٧٦) .

(٢) «سـنن الدارمـي» (٨٥) ، قـال الألبانـي في «سلسـلة الأحاديث الصحيحة» : وهذا إسـناده صحيح إسناده صحيح (١١٠٦) .

يُصابَ بمصيبةٍ بعدي أَشَدَّ عليهِ مِن مصيبتِي»[1].

المواقف المطلوبة بعد موت النبي ﷺ

وقد أشار ﷺ إلى أنَّ ما بعد موتِهِ مصدَرٌ من مصادِرِ التَّحوُّلِ الذي يَجِبُ فيه الالتزامُ بِضَوابطِ السُّلوكِ المُوجِّهِ منه وخاصَّةً لأصحابِهِ وآل بَيتِهِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمْ، ومن ذلك قولُهُ ﷺ: «ستكونُ أَثَرَةٌ وأمورٌ تُنْكِرُونَها» قالوا: يا رسولَ اللهِ فما تأمُرُنا؟ قال: «تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ»[2].

وهذا الحديثُ يضبِطُ سُلوكَ الأفرادِ في مسأَلَةِ السُّلطَةِ والقَرارِ والمَوقِفِ منها بعد موتِهِ ﷺ، وفي الحديثِ الآخَرِ: «إنَّكم سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً فاصبِروا حتى تلقَوْني»[3].

وهذه الأحاديثُ وأمثالُها جعلت الجَميعَ يقبَلُ سَيرَ التَّحوُّلاتِ ويرضى بها ويشارِكُ الأُمَّةَ في سلامَتِها، خلافاً لمن جاء من المسلمين عُلماءَ ودَهماءَ فيما بعدُ، وخاصَّةً ما ابتُلِيَ به المسلمون في نهايَةِ مرحلةِ الخلافَةِ الرّاشِدَةِ وبَدءِ مرحلَةِ المُلكِ العَضوضِ وما شاع وذاع من الفِتنَةِ بينهم.

وأخرج مسلمٌ من حديث أُمِّ سَلَمَةَ مرفوعاً: «سيكونُ بعدي أُمراءُ فتعرفون وتنكرون، فمن كَرِهَ بَرِئَ، ومن أنكر سَلِمَ، ولكن مَن رَضِيَ وتابَعَ» قالوا: أفلا

---

(١) «سنن ابن ماجه» (١٥٩٩)، قال الألباني: إسناده صحيح، «صحيح ابن ماجه» للألباني (٨٣١).

(٢) «صحيح البخاري» (٣٦٠٣) و«صحيح مسلم» (١٨٤٣)، وانظر تحقيق المباركفوري «لفتن الداني» (١٣١).

(٣) «صحيح البخاري» (٣٧٩٣) (٤٣٣٠) و«صحيح مسلم» (١٠٦١) (١٨٤٥)، وانظر تحقيق المباركفوري «لفتن الداني» (١٠).

نقاتِلُهم؟ قال: «لا.. ما صَلَّوا»[1]، وفي روايةٍ: «وإذا رأيتم من وُلاتِكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عَمَلَهُ ولا تنزِعوا يداً من طاعَةٍ»[2].

وهذه الأحاديثُ كما أشرنا ومثلُها هي ضوابطُ المواقِفِ أمامَ التَّحوُّلاتِ السِّياسِيَّةِ بعد موتِهِ ﷺ، وأشدُّ ما في المعارَضَةِ السِّياسِيَّةِ قولُهُ ﷺ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[3]، وقولُهُ في حديثٍ آخَرَ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[4] قال الكِرمانِيُّ: أي: ما فارق الجماعةَ أَحَدٌ إلا وقع له كذا وكذا.

ومنه حديثُ: «مَن فارَقَ الجماعة شِبراً فقد خَلَعَ رِبقَةَ الإسلامِ من عُنُقِهِ»[5]، وقيَّدَ الرَّسولُ ﷺ الطَّاعَةَ والصَّبرَ في أحاديثَ أُخرَى بطاعَةِ اللهِ وعدمِ المُخالَفَةِ الصَّريحَةِ للدِّين، كحديثِ: «سَيَلِي أُمورَكُم من بعدي رِجالٌ يُعرِّفونَكُم ما تُنكِرون، ويُنكِرون عليكم ما تعرِفون، فلا طاعةَ لمن عصى اللهَ»[6]، وفي روايةٍ: «فليس لأولئك عليكم طاعةٌ»[7].

---

(١) «صحيح مسلم» (١٨٥٤).

(٢) «صحيح مسلم» (١٨٥٥).

(٣) «صحيح البخاري» (٧٠٥٣) و«صحيح مسلم» (١٨٤٩).

(٤) «صحيح مسلم» (١٨٥١).

(٥) «سنن أبي داود» (٤٧٥٨) و«سنن الترمذي» (٦٣).

(٦) «مسند أحمد» (٢٢٧٨٦) و«المستدرك على الصحيحين» (٥٥٣٠) وقال: وقد روي هذا الحديث بإسناد صحيح على شرط الشيخين.

(٧) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٧٢١).

الخِلافة الرَّاشِدَةُ

الخلافة الراشدة علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ الخِلافة الرَّاشِدَةُ ، وتبدأ الخلافةُ الرَّاشِدَةُ بخلافَةِ أبـي بكـر الصِّدِّيـقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كأوَّلِ لَبنةٍ من لَبنـاتِ البنـاءِ لمرحلةِ الخلافةِ الراشـدةِ المدعومـةِ بالنَّـصِّ الشَّـرعِيِّ ، ومواقِفِ الصَّحابـةِ والآلِ الكـرام رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، المُثبتَةِ لانتقـال الأمانةِ من مرحلةِ الرِّسـالةِ الى مرحلةِ الخلافةِ بِشُـروطِها المُعتبَرة ، وهي «سـلامةُ الخُلفاءِ» بالاجتهادِ المشروعِ ، وبالصَّحبةِ المحصَّنَةِ بالنَّصِّ النَّبَوِيِّ خلال مرحلـةِ الرسـالةِ ، وبسـلامةِ المرحلـةِ ـ أي : مرحلـةِ الخلافةِ ـ ذاتِهـا بالنَّصِّ أيضاً ومواقِـفِ الصَّحابَـةِ وإجماعِهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ، وفيها يقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**خِلافـةُ النُّبُوَّةِ ثلاثون سنةً ، ثُمَّ يؤتي اللهُ المُلكَ ـ أو: ملكه ـ مَن يشاءُ**»[1].

نصوص عدالة مرحلة الخلافة الراشدة ورد شبه القدح في سلامتها

وفي ذلك ورد ما أخرجَه التِّرمِذيُّ من قول سفينةَ مولى الرَّسولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقولُ : قال رسـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**الْخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَـنَةً ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذَلِكَ**»[2] ، وفي روايةٍ عن حُذيفَةَ بنِ اليمانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رَسـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**أَوَّل دِينكُمْ نُبُوَّة وَرَحْمَة ، ثُمَّ يكونُ خِلَافَةً وَرَحْمَةً ، ثُمَّ مُلْكٌ وَرَحْمَةٌ ، ثُمَّ يكونُ مُلْكاً وَجَبْرِيَّةً**»[3] وورد : لمَّا بنى رسـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مسجِدَ المدينَةِ جاء أبو بكر بِحَجَرٍ فوَضَعَه ثُمَّ جاء عُمَرُ بِحَجَرٍ فوَضَعَه ثُمَّ جاء عُثمانُ بِحَجَرٍ فوَضَعَه فقالَ رسـولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**هؤلاء يَلُون الخِلافَةَ**

---

(١) «سـنن أبي داود» (٤٦٤٦) (٤/ ٢١١) قال الألباني في «صحيح الجامع الصغير» : صحيح (٣٢٥٧ـ١٣٩٣) (١/ ٦١٩) .

(٢) «سـنن الترمذي» (٢٢٢٦) ، وفيه: ثم قال لي سـفينةُ: أمسِـك.. خلافةُ أبي بكـر.. ثُمَّ قال : وخلافةَ عُمَرَ وخلافةُ عثمانَ.. ثُمَّ أمسِك.. خلافةُ عليٍّ.. فوجدناها ثلاثين سنةً . وللحديث تتمةٌ .

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (٥٩١) (٢٢: ٢٢٣) .

بعدي»[1].

قال ابنُ كثيرٍ : كانت خلافةُ أبي بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ سَـنَتَينِ وأربعَةَ أشـهُرٍ إلا عَشـرَ لَيالٍ. وكانت خِلافةُ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَشـرَ سِـنينَ وسِـتَّةَ أشـهُرٍ وأربعَةَ أيّامٍ . وخلافَةُ عُثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ اثنتـا عَشـرَةَ سَـنَةً إلا اثنَي عَشَـرَ يوماً . وكانـت خِلافةُ عليٍّ بـن أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ خمسَ سِـنينَ إلا شَـهرَينِ . ثم قـال : وتكمِيلُ الثَّلاثينَ بخِلافَةِ الحَسَـن بن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نحواً من سِتَّةِ أشهُرٍ حتى نزل عنها لِمُعاوِيَةَ عامَ أربعينَ من الهِجرَةِ .

وبصـرف النظـر عن اختلاف العلماء من شـتى المذاهب الإسـلامية في مسـألة الخلافة فإن فقه التحولات يقرأ الأمر من النصوص لا من سير الحوادث والحكم عليها ، وتنقسم النصوص في هذه المسألة إلى قسمين :

- **نصـوص مناقب** ، وهي مجمل الفضائـل التي نطق بها صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ في حق صحابته وآل بيته وأدخلهم بها في مستوى الحصانة الشرعية .
- **نصـوص تحولات** ، وهي المقولات التي حصن بهـا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ المراحل وحملة قرارها بعموم اللفظ الدال على سـلامة قرار المرحلة أو سـلامة جزء منها ، أو سلامة المرحلة دون حامل القرار وهكذا .

والحصانة في فقه التحولات تأتي على ثلاثة أنماط :

١- حصانة حامل قرار ومرحلة ، كحصانة أبي بكر وعمر في مرحلتيهما .

٢- حصانـة مرحلـة دون حامـل القرار ، كعصـر معاوية وبعض خلفـاء بني أمية وبني العباس، بما فيها حفظ بيضة الإسلام وقيام شعيرة الجهاد في سبيل الله .

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٢٥٨) (٢٥٩) .

٣- حصانة حامل قرار دون مرحلة، كحصانة الخليفة السادس عمر بن عبدالعزيز في مرحلة الملك العضوض، وحصانة سيدنا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في مرحلتي الاضطراب والتحول.

وهناك مراحل لا حصانة لها من النص كمرحلة الغثاء، وعلينا أن ندرس كل مرحلة بما كان فيها من الاستقرار والعدل النسبي بما يحمد عليه، وهو مما يدخل في معنى التنفسات المرحلية، وفي مثل هذه الحالة ينظر في (المواقف والدلالات) وهي من سنن فقه التحولات، فيعدل حامل القرار أو المرحلة بهما أو بأحدهما وفق الاستقراء للدلالة من النص الشرعي ـ كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**اسمعوا وأطيعوا ما أقاموا الصلاة فيكم**»[1] ـ درءاً للفتنة وجمعاً للكلمة وربطاً بالمصير.

فَتحُ بَيتِ المقدِسِ

فتح بين المقدس علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ فَتحُ بَيتِ المقدِسِ، لقولهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**أُعدُد ستّاً بين يَدَي السّاعةِ** .. الحديثَ»[2]، وذكر فيه: «**فَتحَ بَيتِ المَقدِسِ**»، وقد فُتِحَ بَيتُ المقدِسِ على عَهدِ الخليفةِ عُمَرَ بن الخطّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سنة سِتٍّ من الهِجرَةِ، وذهب عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إليها بنفسِه وصالحَ أهلَها وفتحها وطهَّرها من اليهودِ والنَّصارى وبنى بها مسجداً في قِبلَةِ بيتِ المقدِسِ.

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٣٨٢) و«المعجم الكبير» (١٨: ٦٣) (١١٦) (١١٧).

(٢) «صحيح البخاري» (٣١٧٦)، وذكر هذه العلامة د. يوسف الوابل في «فقه أشراط الساعة» ص٨٥.

طاعونُ عِمواسَ

طاعون عمواس علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ طاعونُ عِمواسَ ، وقد أدرَجَه البرزِنجِيُّ وغيرُهُ في العلاماتِ الوُسطى ، وقد وقع في سنةِ ثمانيَةَ عَشرَ للهِجرَةِ في خلافةِ عُمَرَ بن الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومات فيه من المسلمين خمسَةٌ وعشرون ألفاً منهم عَدَدٌ من الصَّحابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، ومنهم أبو عُبَيدَةَ بن الجَرَّاحِ أمينُ هذه الأُمَّةِ[1] .

مقتَلُ عُمَرَ بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مقتل الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ مقتَلُ الخليفةِ الثَّاني عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (غَلَقِ الفِتنَةِ) وإليها يُشيرُ حديثُ البُخارِيِّ : (أنَّ عُمَرَ سأل حُذيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن الفِتنَةِ التي تموجُ كمَوجِ البَحرِ ، قال : يا أميرَ المؤمنين لا بأسَ عليك منها إنَّ بينك وبينها باباً مُغلَقاً .. قال : يُفتَحُ البابُ أم يُكسَرُ ؟ قال : لا بل يُكسَرُ ، قال : ذاك أحرى أن لا يُغلَقَ .. وفيه أنَّ البابَ هو عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ)[2] ، وحديثُ أبي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : لقي عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأخذ بيده فغمزها فقال له أبو ذر : (أرسل يدي يا قفل الفتنة ...الحديث) وفيه أن أبا ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : (لا تُصيبُكم فِتنَةٌ ما دام هذا فيكم ، وأشار إلى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3]) .

وحديثُ : «ما بينكم وبين أن يُرسَلَ عليكم الشَّرُّ فراسِخَ إلا مَوتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ» عن حذيفة[4].

---

(١) ذكر هذه العلامة د. يوسف الوابل في «فقه أشراط الساعة » ص٦٨.

(٢) «صحيح البخاري » (٣٥٨٦) .

(٣) «المعجم الأوسط» للطبراني (١٩٤٥)، إسناده صحيح ، «در السحابة» للشوكاني (١٠٣) .

(٤) «الفتن» لنعيم بن حماد (٥٢) بهذه اللفظة «موت عمر». وفي «المصنف لابن أبي شيبة» :

مَقتَلُ عُثمانَ بن عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ

مقتل الخليفة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنهُ علامة وسطى وهو اختراق لموقع القرار وبه تكوّن أول قرن من الخوارج

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ مَقتَلُ الخليفةِ الثَّالِثِ عُثمانَ بن عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ :
وفيها يقول ﷺ : «**أَوَّلُ الفِتَنِ قَتلُ عُثمانَ ، وآخِرُها خُروجُ الدَّجَّالِ..والذي نفسي بِيَدِهِ ما مِن أَحَدٍ في قَلبِهِ مِثقالُ حَبَّةٍ من مقتَلِ عُثمانَ إلا حُشِرَ مع الدَّجَّالِ إن أدرَكَه ، وإن لَم يُدرِكْهُ آمَنَ به فِي قَبرِهِ**»[1] .

روى أحمد من طريق كليب بن وائل عن ابن عمر قال : ذكر رسول الله ﷺ فتنة ، فمر رجل فقال : «**يقتل فيها هذا ظلماً**» . قال فنظرت فإذا هو عثمان رَضِيَ اللهُ عَنهُ)[2]
إسناده صحيح كما قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٣٨) .

وفي مقتَلِهِ علاقَةٌ وطيدَةٌ بِمَبدأ سِياسةِ التَّمهيدِ للدَّجَّالِ في الأُمَّةِ ، بِنجاحِ المُنافِقِين في اختِراقِ موقِعِ القَرارِ والتأثيرِ عليه ، وتكوُّنِ أوَّلِ قَرنٍ من قُرونِ الخوارِجِ .

موقِعَةُ الجَمَلِ

موقعة الجمل وصون أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنهَا علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ موقِعَةُ الجَمَلِ وفيها جُملَةٌ من الفِتَنِ المنصوصِ عليها في علاماتِ السّاعةِ ،كخُروجِ عائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا ومقتَلِ الزُّبَيرِ وطَلحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا .
فعن مُطَرِّفٍ قال : قُلنا للزُّبَيرِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ : يا أبا عبدَ اللهِ ما جاء بِكُم ؟ ضيَّعتُم الخليفَةَ حتى قُتِلَ ثُمَّ جِئتُم تطلُبون بِدَمِهِ ؟ قالَ الزُّبَيرُ : «إنا قَرَأناها على عَهدِ رَسولِ الله

«**إلا مَوتَةٍ فِي عُنُقِ رَجُلٍ يَمُوتُهَا وهُو عُمَر**» (٣٧٢٩٠) .

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٤٤٧) وذكره الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٧:١٩٢) .

(٢) «مسند أحمد» (٥٩٥٣) .

ﷺ وأبي بَكـرٍ وعُمَرَ وعُثمـانَ ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ [الأنفال: ٢٥] لم نكن نحسِبُ أنّا أهلُها حتى وقعت مِنّا حيثُ وقعت..»[1].

ومنهـا حديـثُ النّبيِّ ﷺ مع الزُّبيرِ وقولُه له عـن عليٍّ رضي الله عنه: «لَتُقاتِلَنَّه وأنت له ظالِمٌ»[2] وكانت هذه المقولَةُ سَـبَباً في اعتزالِ الزُّبَيـرِ لجيشِ الجَمَلِ، ثُمَّ لَقِيَهُ أحَدُ أصحـابِ الإمـامِ عَلـيٍّ رضي الله عنه فقتَلَه ـ باعتبارِهِ مـن الجيشِ المُعادي ـ وجاء يُبَشِّـرُ الإمامَ بِقَتلِهِ للزُّبَيرِ، فغَضِبَ الإمامُ عليٌّ رضي الله عنه وقالَ: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**بَشِّر قاتِلَ ابنِ صَفِيَّةَ بالنَّارِ**»[3]، وأقام عليه الحَدَّ وقتَلَه الإمامُ عَلِيٌّ بالزُّبَيرِ رضي الله عنهما[4].

خروج عائشة رضي الله عنها وموقف الإمام علي رضي الله عنه وأهميته في فقه التحولات

وفـي خُروجِ عائِشَـةَ رضي الله عنها علـى الإمامِ علـيٍّ رضي الله عنه نُصوصٌ مِثـلُ قولِهِ ﷺ لِنِسـائِهِ: جاء في الفتح (١٣/ ٦٢) حديث عائشـة رضي الله عنها قالت: إن النبي ﷺ قال لنا ذات يوم: «**كيف بأحدكن تنبح عليها كلاب الحوأب**»[5] قال الحافظ ابن حجر أخرج هذا أحمد وأبو يعلى والبزار وصححه ابن حبان والحاكم وسنده على شرط الصحيح.

وعن زيدِ بنِ وَهبٍ قال: بينما نحنُ حولَ حُذيفَةَ رضي الله عنه إذ قالَ: «كيف أنتم وقد خرج أهلُ بَيتِ نَبيِّكم ﷺ فِرقَتَينِ يَضرِبُ بعضُكم وُجوهَ بعضٍ بالسَّـيفِ؟!» قُلنا:

---

(١) «مسند أحمد» (١٤١٤) «مجمع الزوائد» (٧: ٢٧) (١١٠٢٧)، وقال الهيثمي: رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح.

(٢) «دلائل النبوة» للبيهقي (٦: ٤١٥)، «المطالب العالية» لابن حجر (٤٤٠٤).

(٣) «مسـند أحمد» (٦٨١) و«المسـتدرك علـى الصحيحين» (٥٥٨٠) قال أبـو عبد الله: هذه الأحاديث صحيحة عن أمير المؤمنين علي وإن لم يخرجاه بهذه الأسانيد.

(٤) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢: ٦١٠).

(٥) «مسـند أحمـد» (٢٤٦٥٤)، «صحيـح ابن حبـان» (٦٧٣٢)، «مسـند البـزار» (٤٧٧٧)، «المستدرك على الصحيحين» (٤٦١٣)، «مسند أبي يعلى» (٤٨٦٨).

يـا أبـا عبد الله فكيفَ نَصنَـعُ إن أدرَكنا ذلك؟ قال: «انظُرُوا إلـى الفِرقةَ التي تدعو إلـى أمر عَلِيٍّ فإنَّها على الهُـدى»[1]. وفي رواية أخرى للبزار أيضاً كما في «الفتح» (١٣/ ٨٥) بلفـظ: «وقـد خرج أهـل دينكم ـ ويضرب بعضهم ـ قالـوا فما تأمرنا» إلـى قولـه: «فَالزَمْهَا فَإنّهَا عَلى الحَقّ». وعن أبي رافعٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّ رَسـولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ قـال لعلـيِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «إنَّه سـيكونُ بينَكَ وبينَ عائِشَـةَ أمرٌ» قال: أنا يا رسـولَ اللهِ؟!! قال: نعم، قال: أنا أشـقاهم يا رسـولَ اللهِ؟ قال: «**لا، ولكن إذا كان ذلك فارْدُدها إلى مأمَنِها**»[2]، وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالَ: قالَ رَسـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ لِنِسـائِهِ: «**ليت شِـعري أيَّتُكُـنَّ صاحِبَةُ الجَمَلِ الأدبَبِ، تخـرُجُ فتنبَحُها كِلابُ الحَوأَبِ، يُقتَلُ عن يمينِها وعن يسارِها قَتلى كثيرٌ، ثُمَّ تنجو بعد ما كادت**»[3].

خروج عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا لا يقدح في عدالتها

ولا يقـدَحُ هـذا الأمـرُ فـي أُمِّ المؤمنين عائِشَـةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا ولا يجـرَحُ عدالَتَهـا كَأُمٍّ للمُؤمِنين وزَوجَةٍ لِرَسـولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ لِحَصانَتِها بالنُّصوصِ، وأنها زوجَةُ رسـولِ اللهِ فـي الدُّنيـا والآخِرَةِ، ولمـا ترتَّبَ على اعتذارِهـا فيما بعدَ الجَمَلِ مـن الإمام عَليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ[4].

---

(١) «مسند البزار» (٢٨١٠).

(٢) «مسند أحمد» (٢٧١٩٨) و«المعجم الكبير» للطبراني (٩٩٥) و«مسند البزار» (٣٨٨١).

(٣) «مسند البزار» (٤٧٧٧) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٧٨٥).

(٤) وهذا ما يميز فقه التحولات عن غيره، فالظالمون لعائشـة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا سـاقوا في كتبهم ما ينتقد مـن سـلوك طبعي جرى مـن أم المؤمنيـن، وجعلوا مـن حصيلة هـذا فقها يؤيد مـا حملته نفوسـهم الطبعيـة نحوها، وهـم لا يعلمون الفرق بيـن أم المؤمنين وبين غيرها من النسـاء اللاتـي ليـس لهن مناقـب أو حصانة من النبـي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، أما الذي كان يعلم ذلـك كالإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فقـد كانـت معاملته لها وفق النصوص ووفق الأدب مع من سـماها عمار بن ياسـر (زوجـة النبي فـي الدنيا والآخرة) كما في البخـاري (٣٤٨٨)؛ لأن الإمام عليا رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ من رجـال فقـه التحـولات بل حتى حديثـه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن «الخـوارج» يدل على سـلامة قلبه عن

موقِعَةُ صِفِّينَ

موقعة صفين علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ موقِعَةُ صِفِّينَ ، وفيها يقولُ ﷺ: «**شَرُّ قتيلٍ بين صَفَّين، أحدُهما يطلُبُ المُلكَ**»[1]، وفيها قَتلُ عَمَّارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الذي قال فيه ﷺ: «عَمَّارٌ تقتُلُه الفِئَةُ الباغِيَةُ»[2] ، وفيها خُدعَةُ التَّحكيم ، وفي هذا الشَّأنِ ذَكَرَ نُعيمُ بنُ حَمَّادٍ عن أبي سالمٍ الجَيشانِيِّ قالَ: سَمِعتُ عَلِيّاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالكوفَةِ يقول: «إنِّي أُقاتِلُ على حَقٍّ لا يقومُ ولن يقومَ ، والأمرُ لهم». قال: فقُلتُ لأصحابي: ما المقامُ هاهنا ، وقد أخبَرَنا أنَّ الأمرَ ليس لهم فاستأذَنَّاهُ إلى مِصرَ ، فأَذِنَ لمن شاءَ مِنَّا وأعطى كُلَّ رَجُلٍ مِنّا ألفَ درهم ، وأقام معه طائِفَةٌ منا[3].

وكان من نتائجها انقِسامُ المسلمين إلى :

١- أتباعِ النَّمَطِ الأوسَطِ، وهم الإمامُ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وآلُ بَيتِهِ .

٢- شِيعَةِ التَّحكيم ، وهم الذين ألزَمُوا الإمامَ عَلِيّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِقَبولِ التَّحكيمِ .

٣- الخوارِجِ ، وهم الذين خَرَجوا على الإمامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لمّا رَضِيَ التَّحكيمَ .

واتَّسعَت دائِرَةُ هذه الفِتَنِ وكانت سَبَباً في الحوادِثِ اللّاحِقَةِ وفِتنَةِ الفِئَةِ المارِقَةِ .

الضغينة والحقد والتشفي، وهذه هي مواقف الرجولة لدى رجال النمط الأوسط رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

(١) «المعجم الأوسط» (٦٤٦٩) .

(٢) «صحيح البخاري» (٤٤٧) .

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (٣٠٤) .

ظُهورُ الخوارِجِ ووَقعةُ النَّهروانِ

ظهور الخوارج ومقتلة النهروان علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ ظُهورُ الخوارِجِ ووَقعَةُ النَّهروانِ واستمرارُ فِتنَتِهم إلـى عَصرِ الدَّجَّالِ، وهم أوَّلُ مَن كفَّرَ المُسلِمين بالذُّنوبِ ويُكفِّرون مَن خالَفَهم فـي بِدعَتِهم ويستَحِلُّون دَمَهُ ومالَهُ، قال البُخارِيُّ في صحيحه: وكانَ ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يراهم شِرَارُ خَلقِ اللهِ، وقالَ: إنَّهم انطَلَقوا الى آياتٍ نزلت في الكُفَّارِ فجعَلوها على المؤمنينَ[1].

فتنة الخوارج تجاوزت الزمان والمكان

وفِتنَتُهم من الفِتَنِ التي تجاوزت الأزمِنَةَ وامتدَّت جيلاً بعد جيلٍ وصارت مدرسةً مُنحَرِفَةً في الإسلامِ عَبرَ التّاريخِ الإسلاميِّ كُلِّهِ إلى اليومِ وما بعده، ويُعرَفون بالعلاماتِ، وبِدعَتُهم كانت أوَّلَ بِدعَةٍ حَدَثَت في الإسلامِ، وأوَّلُ قَرنٍ ظَهَرَ فيهم على عَهدِ رَسولِ اللهِ ﷺ كان ذا الخُوَيصِرَةِ التَّميمِيَّ[2] الذي طعَنَ في قِسمَةِ غنائِمِ هَوازِنَ، وقال لِرَسولِ اللهِ ﷺ: اتَّقِ اللهَ واعدِل فإنَّك لم تَعدِل، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**وَيلَكَ أو وَيحَكَ، ومَن يَعدِلُ إذا لم أَكُن أعدِلُ؛ قد خِبتُ وخَسِرتُ إن لم أعدِل**» فقال عُمَرُ بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا رَسولَ اللهِ ائذَنْ لي فيه أضرِبْ عُنُقَهُ، قالَ رسولُ الله ﷺ: «**دَعهُ، فإنَّ له أصحاباً يحقِرُ أحدُكم صلاتَهُ مع صلاتِهم، وصيامَهُ مع صِيامِهم، يقرَؤُون القُرآنَ لا يُجاوِزُ تراقِيهم، يمرُقُون من الإسلامِ كما**

المدرسة الحرقوصية التميمية

---

(١) «صحيح البخاري» (باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم) و«الفتح» (١٢: ٢٨٦)، وقد وصل الطبري هذا التعليق في مسند علي من «تهذيب الآثار»، وسنده صحيح كما قال الحافظ في «الفتح» (١٢: ٢٨٦).

(٢) ذوالخويصرة التميمي هو ذاته حرقوص بن زهير السعدي كما أشارت إلى ذلك بعض المصادر منها «أسد الغابة» (١٥٤١)، و«المستفاد» لأبي زرعة (٢: ١٢٩٢)، وهذا يجمع المدرستين في هدف واحد: المدرسة الحرقوصية.. ومدرسة ذي الخويصرة التميمية.

يمرُقُ السَّهمُ من الرَّمِيَّةِ»[1].

بدء ظهور مدرسة الخوارج

وأما انتشارُها وظُهورُها فقد كان بعد الانتهاءِ من معرَكَةِ صِفِّينَ واتِّفاقِ أهلِ الشَّامِ والعِراقِ على التَّحكيمِ بين الطَّائِفتَينِ، وكانت أوَّلَ نموذَجٍ للمُعارَضَةِ السَّلبيَّةِ ضِدَّ القرارِ الحاكِمِ، وقد بَلَغَ عددُهم في هذه المرحلةِ ثمانيةَ آلافٍ ـ وقيل: سِتَّةَ عَشَرَ ألفاً ـ نزلوا مكاناً يُسَمَّى (حروراءَ) وهي قريةٌ على بُعدِ مِيلَينِ من الكوفَةِ ونُسِبَ الخوارِجُ إليها فسُمُّوا بالحَرورِيَّة.

الامتداد الطبيعي للمدارس الخارجية حتى يظهر في أعراضهم الدجال

وجُملةُ هذه الأحاديثِ منها ما يبرِزُ سُلوكَ ومواقِفَ الخوارِجِ إبّانَ مرحلةِ الرِّسالَةِ ذاتَها كما هو في ذي الخُوَيصِرَةِ، ومنها ما يُشيرُ إلى الخوارِجِ فيما بعد وفاتِهِ ﷺ وامتدادِ فِتنَتِهم في عُصورِ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم والتّابِعين، ومنها ما يُشيرُ إلى عَودَةِ بِدعَتِهم في آخِرِ الزَّمانِ بِصُوَرٍ شتَّى حتى يكونَ آخرُهم مع الدَّجَّالِ.. وفيهم يقولُ ﷺ فيما رواهُ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنهُما: «**يخرُجُ من أُمَّتي قومٌ يُسيؤون الأعمالَ، يقرؤون القُرآنَ لا يُجاوِزُ حناجِرَهم، يحقِرُ أَحَدُكم عمَلَهُ مع عَمَلِهم، يقتُلون أهلَ الإسلامِ، فإذا خرجوا فاقتُلوهم، فطوبى لمن قتَلَهم وطوبى لمن قتَلوه، كُلَّما طلع منهم قَرنٌ قَطَعَه اللهُ**»، فردَّدَ ذلك رسولُ اللهِ ﷺ عِشرين مَرَّةً أو أكثَرَ وأنا أسمَعُ[2]. رواه أحمد، وفي رواية ابن ماجه يقول: «كُلَّما خَرَجَ قَرنٌ قُطِعَ - أكثَرَ مِن عِشرِينَ مَرَّةً - حتى يَخرُجَ في عِراضِهم الدَّجَّالُ»[3].

وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال: «بعثَ عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ من اليَمَنِ بِذُهَيبَةٍ في أَديمٍ مقروظٍ لم تُحصَّل من تُرابِها، قال:

(١) «صحيح البخاري» (٣٦١٠) «صحيح مسلم» (١٠٦٤).
(٢) «مسند أحمد» (٥٥٦٢).
(٣) «سنن ابن ماجه» (١٧٤).

فقَسَّـمَها بين أربَعةِ نَفرٍ بين عُيَينَةَ بنِ بَدرٍ ، وأقرعَ بنِ حابِسٍ ، وزيدِ الخَيلِ ، والرَّابعِ إمّـا عَلقَمَةَ بنِ عُلاثَةَ وإمّا عامِرَ بنَ الطُّفَيلِ ، فقالَ رَجُلٌ من أصحابِهِ : كُنَّا نحن أحَقَّ بهـذا مـن هؤلاء ، قال : فبلَغَ ذلـك النَّبيَّ ﷺ فقال : «أَلَا تَأمَنُونِـي وأنَا أَمِينُ مَن فِي السَّـمَاءِ ، يَأتيني خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحَاً ومَسَـاءً» قال : فقامَ رَجُلٌ غائِرُ العَينَينِ مُشرِفُ الوَجنَتَينِ ناشِـزُ الجَبهَةِ كَثُّ اللِّحيَةِ محلوقُ الرَّأسِ مُشَـمِّرُ الإزارِ فقال : يا رَسـولَ اللـهِ اتَّـقِ اللهَ ، قـال : «وَيلَكَ أَوَلَسـتُ أحَقَّ أهـلَ الأرضِ أن يَتَّقِيَ اللـهَ» ، قال : ثُمَّ ولّى الرَّجُلُ ، قال خالِدُ بنُ الوليدِ : يا رَسـولَ اللهِ ألا أضرِبُ عُنُقَهُ قال : «لا ، لعلَّه أن يكـونُ يُصلّـي» ، فقال خالدٌ : وكم من مُصَلٍّ يقولُ بِلِسـانِهِ ما ليس في قلبِهِ ، قال رَسولُ اللهِ ﷺ : «إنِّي لم أُؤْمرُ أن أَنْقُبَ عن قُلوب النّاسِ ولا أَشُقَّ بُطونهم» ، قال : ثُـمَّ نظـر إليه وهـو مُقفٍّ فقـال : «إنَّه يخرُجُ من ضِئضِـئِ هذا قَومٌ يتلـون كتابَ اللهِ رَطباً لا يُجاوِزُ حناجِرَهم ،يمرُقون من الدِّين كما يمرُقُ السَّـهمُ من الرَّمِيَّةِ – وأظنُّه قال–: لَئِن أدركتُهـم لأقتُلَنَّهم قتلَ ثَمودَ»[1]. وورد بِرواياتٍ عِدَّةٍ فيها زياداتٌ، قال الخَطَّابـيُّ وابـنُ الأثيـرِ وغيرهما : (الضِّئضِئُ) الأصـلُ ، قال الخَطَّابِـيُّ : (يريد أنَّه يخـرُجُ من نسـلِهِ الذين هو أوَّلُهم أو يخـرُجُ من أصحابِهِ وأتباعِـهِ الذين يقتَدون به ويَبنُون رأيَهُم ومَذهَبَهم على أصلِ قَولِهِ) .

قـال مُؤَلِّفُ «إتحاف الجماعة» تعليقاً : قلتُ : وهذا الأخيرُ أرجَحُ ، ويؤيِّدُهُ قولُهُ ﷺ : «إنَّ لـه أصحابـاً يحقِـرُ أحدُكم صلاتَه مـع صلاتِهم وصيامَه مـع صيامِهم» ، وقولُهُ في الحديثِ الآخَرِ : «إنَّ له شـيعَةً يتعَمَّقون في الدِّين حتى يخرُجوا منه»[2]. وفي روايةٍ أُخرَى : «سـيماهُم التَّحليقُ ، لا يزالـون يخرُجون حتى يخرُجَ آخِرُهم ،

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٣٥١) و«صحيح مسلم» (١٠٦٤) .

(٢) «إتحاف الجماعة» للتويجري (١/ ٢٨٠) والحديث في «مسند أحمد» (٧٠٣٨) .

فـإذا رأيتُموهم فاقتُلوهم (قالها ثلاثا) شَـرُّ الخَلقِ والخليقَـةِ (قالها ثلاثا)»[1]. وفي روايـةِ أحمدَ: «لا يزالون يخرُجون حتى يخرُجَ آخِرُهـم مع الدَّجَّالِ»[2]. ورواه أبو داود والطيالسي والنسائي بنحوه [3].

وعن أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ذُكِرَ لي أنَّ رسـولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال –ولم أسـمَعْهُ منه–: «إنَّ فيكم قوماً يتعبَّدون فيَدأَبون حتى يُعجَبَ بهم النَّاسُ وتُعجِبُهم أنفُسُهم يمرُقون من الدِّين مُروقَ السَّهمِ من الرَّمِيَّةِ»[4].

وعن مُسلمِ بن أبي بَكرَةَ عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «سيخرُجُ قومٌ أحداثٌ أحِدَّاءُ أشِدَّاءُ ذليقةٌ ألسِنَتُهم يقرؤون القُرآنَ لا يُجاوِزُ تراقِيهم فإذا لَقِيتُموهم فأنيموهم ثُمَّ إذا لقيتُموهم فاقتُلوهم فإنَّه يُؤجَرُ قاتِلُهم»[5]، والإنامةُ القتلُ.

موقف الإمام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من الخوارج في النهروان

وقد قاتل الإمامُ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الخوارِجَ في عهدِهِ وهَزَمَهم في وَقعَةِ النَّهرَوانِ وفيها قال الإمامُ عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أُمِرنا بِقِتالِ ثلاثَةٍ: النّاكِثين والقاسِطين والمارِقين، فقد قاتَلتُ النَّاكِثين والقاسِطين، وأنا مُقاتِلٌ إن شاء اللهُ المارِقين»[6]، وفيها مَقتلُ ذي الثَّدِيَّتَينِ وهو علامةٌ ممّا ذَكَرَه رَسـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وآيةُ ذلك أنَّ فيهم رَجُلاً له عَضُدٌ ليـس فيـه ذِراعٌ علـى رأسِ عَضُدِهِ مِثـلُ حَلَمَةِ الثَّدي عليه شَـعَراتٌ بِيـضٌ»[7] وعن

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٩١٧) و«مسند أحمد» (١٩٧٨٣).

(٢) «سـنن النسائي المجتبى» (٤١٠٣) و«مسند أبي داود» الطيالسي (٩٦٥) و«سنن أبي داود» (٢٤٨٤) و«مسند أحمد» (١٩٨٠٨).

(٣) «إتحاف الجماعة» (١/ ٢٩٠).

(٤) «مسند أحمد» (١٢٨٨٦).

(٥) «مسند أحمد» (٢٠٣٨٢).

(٦) «المعجم الكبير» (٤٠٤٩).

(٧) «صحيح مسلم» (١٠٦٦).

أبـي سـعيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : «**تمرُقُ مارِقةٌ عند فِرقَةٍ من المُسـلِمين فيَقتُلُهـا أَولَى الطَّائِفتَينِ بالحَقِّ**»[1] ولمـا فـرغ من قَتلِهـم الإمامُ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قـال رجلٌ : الحمـدُ لله الذي أبادَهُـم وأراحنـا منهم ، فقال عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : «لا والذي نفسـي بِيَـدِهِ ، إنَّ فيهم لَمَن في أصلابِ الرِّجالِ لم تحمِلهُ النِّساءُ بعدُ ، وليكونَنَّ آخِرُهم ألصَاصَاً حرادينَ»[2].

مسمى الحرورية نسبة إلى حروراء

وحديثٌ رواه أبو سـعيدٍ الخُدريُّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال : قال رسـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : «**تمرُقُ مارِقةٌ عند فِرقَةٍ من المُسلِمِين يقتُلُها أَولَى الطَّائِفتَينِ بالحَقِّ**» [3] .

وعنـه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه لما سُـئِلَ عـن الحرورِيَّةِ قال : لا أدري ما الحرورِيَّةُ ؟ سَـمِعتُ النَّبـيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ يقـولُ :«**يخرُجُ في هـذه الأُمَّةِ – ولم يَقُل منها – قـومٌ تحقِرون صلاتَكم مـع صلاتِهم ، يقرؤون القُرآنَ لا يُجـاوِزُ حُلُوقَهم أو حناجِرَهم ، يمرُقون من الدِّين مُروقَ السَّـهمِ من الرَّمِيَّةِ ..**» [4]، ولما قاتَلَ الإمامُ عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ طلائِعَهم في عَصرِهِ وقـال لأصحابِهِ: «اطلُبـوا رَجُلاً صِفَتُهُ كذا وكذا» ، فطلَبوه فلـم يَجِدوه ، ثُمَّ طلبوه فوجـدوه علـى النَّعتِ الذي ذكرَهُ رسـولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ ، فقالَ رَجُـلٌ : الحمدُ للهِ الذي أبادَهم وأراحَنا منهم .. فقال عليٌّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : «كلا .. والذي نفسي بيده إنَّ منهم لمن في أصلابِ الرِّجالِ لم تحمِلهُ النِّساءُ بعدُ وليكُونَنَّ آخِرُهم لِصاصاً وحرادينَ»[5] .

تحديد هوية الخوارج على لسان الإمام علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ

وعن طَارِقِ بْنِ شِـهَابٍ ، قَالَ :كُنْتُ عِنْدَ عَلِي ، فَسُئِلَ عَنْ أَهْلِ النَّهَرِ : أَمُشْـرِكُونَ هم؟

---

(١) «صحيح مسلم» (١٠٦٤) .

(٢) «مسند عبدالرزاق» (١٨٦٥٥) .

(٣) «صحيح مسلم» (١٠٦٤) ، وهي إشارة إلى معركتهم مع الإمام علي في وقعة النهروان .

(٤) «صحيح البخاري» (٦٩٣١) .

(٥) «مسند عبدالرزاق» (١٨٦٥٥) .

قَالَ: مِنَ الشِّرْكِ فَرُّوا،

قِيلَ: فَمُنَافِقُونَ هُمْ ؟

قَالَ: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً،

قِيلَ لَهُ: فَمَا هُمْ ؟

قَالَ: قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا[1].

وكان أغلَبُ الخوارِجِ مِمَّن لم يصحَب النَّبيَّ ﷺ وفيهم وفي أمثالِهم يقولُ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «قد علِمتُ وربِّ الكَعبةِ متى يهلَكُ العَرَبُ !! إذا وَلِيَ أمرَهُم مَن لم يصحَب الرَّسولَ ﷺ ولم يُعالِج أمرَ الجاهِلِيَّةِ»[2].

ومما يُؤَكِّدُ نَصّاً استمرارَ ظاهِرَةِ الخوارِجِ تاريخياً حتى يُدرِكَ آخِرُهم الدَّجَّالَ ما رواهُ ابنُ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ينشَأُ نَشءٌ يقرأون القُرآنَ لا يجاوِزُ تَرَاقِيهم كُلَّما خَرَجَ قَرنٌ قُطِعَ**» قال ابنُ عُمَرَ: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**كُلَّما خرجَ قَرنٌ قُطِعَ (أكثَرَ من عِشرين مَرَّةً) حتى يخرُجَ في أعراضِهم الدَّجَّالُ**»[3]، وفيهم أيضاً يقولُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «ما أخافُ على هذه الأُمَّةِ من مُؤمِنٍ ينهاه إيمانُه ولا مِن فاسِقٍ بَيِّنٍ فِسقُهُ، ولكن أخافُ عليها رَجُلاً قرأ القُرآنَ حتى أزلَقَه بِلِسانِه ثُمَّ تأوَّلَه على غير تأويلِه»[4].

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٩٤٢).

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٨٣١٨) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٢٤٧٢).

(٣) «سنن ابن ماجه» (١٧٤).

(٤) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢٣٦٨) و«كنز العمال» (٢٩٤٠٤).

مقتَلُ الإمامِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

مقتل الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ مقتَلُ الإمامِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وفيه روى الطبرانيُّ عن جابرِ بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**يا عليُّ ، إنَّك مُؤَمَّرٌ مُستَخلَفٌ وإنَّك مقتولٌ ، وإنَّ هذه مخضوبةٌ من هذه**» يعني : لِحيَتَه من رأسِهِ[1] .

وكان مقتَلُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في يوم الجُمُعةِ سابعَ عشَرَ رمضانَ سنة أربعينَ من الهجرة ، قتَلَه عبدُ الرَّحمنِ بنُ مُلجِمٍ المُراديُّ من طائِفَةِ الخوارِجِ ، وقال في قَتلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**إنَّ الأُمَّةَ ستغدِرُ بك بعدي ، وأنت تعيشُ على مِلَّتي وتُقتَلُ على سُنَّتي ، ومن أحبَّكَ أحَبَّني ومن أبغَضَك أبغَضَني ، وإنَّ هذه ستُخضَبُ من هذا .. يعني لِحيتَهُ من رأسِهِ**» أخرجه الحاكم[2] .

صُلحُ الإمامِ الحَسَنِ بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

صلح الإمام الحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ صُلحُ الإمامِ الحَسَنِ بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وفيه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**إنَّ ابني هذا سَيِّدٌ ، وسيُصلِحُ الله به بين فِئَتَينِ من المسلمين**»[3].

وفي صُلحِ الإمامِ الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَلحَظٌ هامٌّ بإنهاءِ معركَةِ الصِّراعِ فيما بين المسلمين ، وهو ما قَصَدَهُ الإمامُ الحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في خُطبَةِ التَّنازُلِ في قولِه : «أيُّها النّاسُ ، إنَّ اللهَ هداكم بأوَّلِنا وحَقَن دِماءَكُم بآخِرِنا ، وإنّ مُعاوِيَةَ نازَعَني أمراً أنا

---

(١) «المعجم الأوسط» (٧٣١٨) و«المعجم الكبير» (٢٠٣٨) .

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٤٦٨٦) .

(٣) «صحيح البخاري» (٢٧٠٤) .

أَحَقُّ به ، وإنِّي تَرَكتُهُ حَقناً لِدِماءِ المُسلمين وطَلَباً لما عند اللهِ »[1].

وعـن عبـد الرَّحمنِ بنِ جُبَيـرِ بن نُفَيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن أبيه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قُلتُ للحَسَـنِ بن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا : إنّ النّاسَ يقولون إنّك تُريدُ الخِلافةَ ، فقال : «قد كانت جماجِمُ العَرَب في يدي : يحارِبون مَن حارَبتُ ويُسالِمون مَن سالمتُ . تركتُها ابتغاءَ وَجهِ اللهِ تعالى وحَقنِ دماءِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثم أَبْتَزُّهَا بِأَتْيَاسِ أَهْلِ الحِجَازِ؟! »[2] .

مُلكُ بني أُمَيَّةَ

ملك بني أمية علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّـاعَةِ الوُسْـطَىٰ مُلكُ بني أُمَيَّةَ (المُلكُ العَضوضُ) ، وفيه يقولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**بدأ هذا الأمرُ بِنُبُوَّةٍ ورَحمَةٍ**[3] **ثُمَّ خلافَةٍ ورَحمَةٍ ، ثم مُلكاً عَضوضاً ، ثم عُتُوّاً وجَبْرِيَّةً**» [4].

(١) «أسد الغابة» لابن الأثير (١ : ٢٦١) .

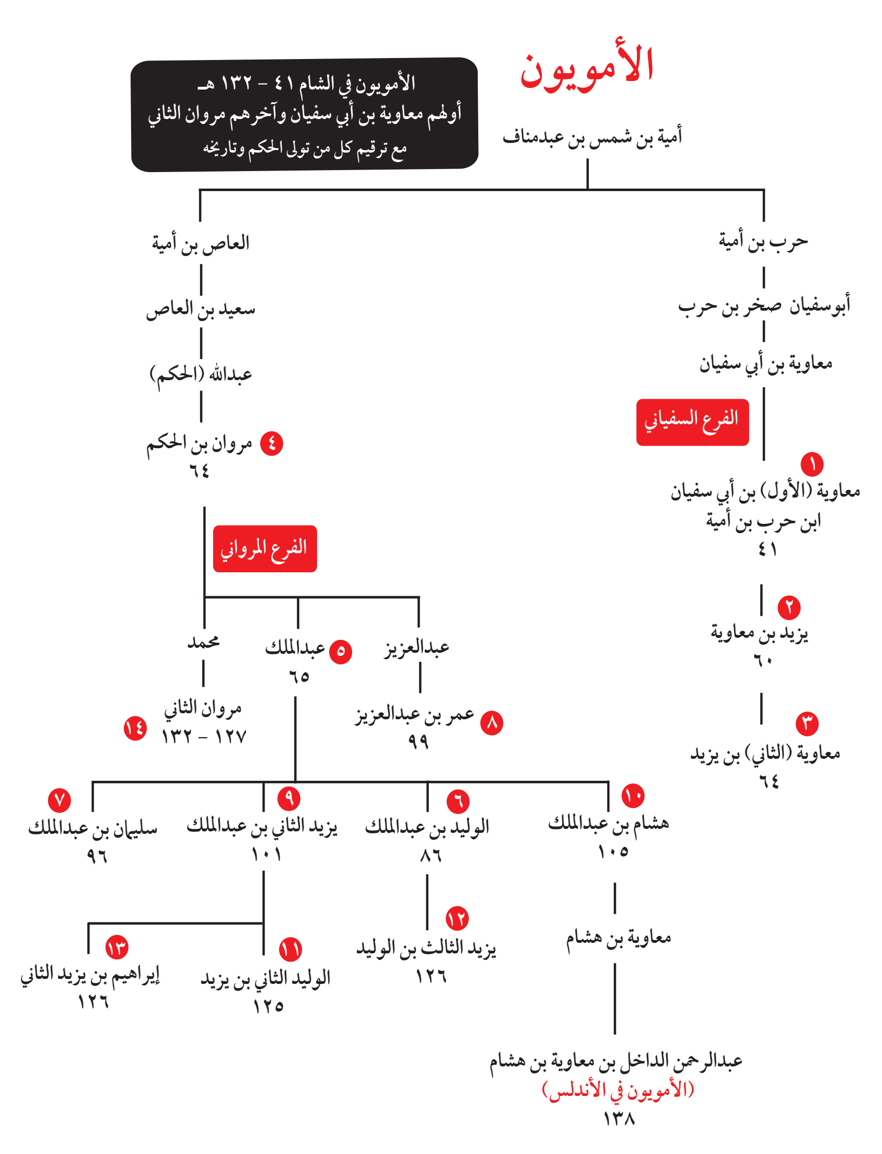
(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٤٧٩٥) قال الحاكم هذا إسناده صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، و«إتحاف الجماعة» (١ : ١٩٦) .

(٣) وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**خلافة ورحمة**» يشير إلى مرحلة تنازل الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وما يكون في تلك المرحلة من السكون والهدوء بعد القلق والاحتدام .

وكان من مظاهر الخلافة موقف الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الجامع بين خلافتي الحكم والعلم ، ومن مظاهر الرحمة حفظه لدماء المسلمين وتضحيته بصنمية الحكم التي يعبدها المقاتلون من أجلها .

ومن فوائد تنازل الإمام الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كشف حقيقة المطالبة بدم عثمان كذبا وزورا ، حيث إنهم بعد أن ملكوا الحكم بتنازل الحسن رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لم نسمع عن مطالبتهم بثأر عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بل اشترك جملة من قتلة عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقتلة الإمام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ترسيخ دولة الملك العضوض .

(٤) «مسند أبي يعلى» (٣٦٧) و«المعجم الكبير» (٨٧٣) و«الإشاعة»/ ٣٦٤ .



مشجر الأمويين ، تمت إعادة الرسم مع شيء من التصرف ، «أطلس تاريخ العرب» ص٤٦

وهذا الحديثُ يشمَلُ مرحلةَ بني أُمَيَّةَ وبني العَبّاسِ .

وحديثُ : «**خِلافةُ النُّبوَّةِ ثلاثون سنةً ثُمَّ يؤتي اللهُ المُلكَ ـ أو : ملكه ـ مَن يشاءُ**»[1]، وأما أحاديثُ الاختصاصِ بِبَني أُمَيَّةَ فمنها قولُهُ ﷺ : «**تعوَّذوا باللهِ من رأسِ السَّبعينَ ومن إمارةِ الصِّبيانِ**»[2] .

رؤيا النبي ﷺ للقردة والخنازير تتنزى على منبره

وعن أبي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «**رأيتُ بني الحَكَمِ يَنزُون على مِنبَري كما تنزُو القِرَدَةُ**» قال : فما رُؤِيَ النَّبيُّ ﷺ ضاحِكاً حتى تُوُفِّيَ[3] .

وعن ابن المُسَيَّبِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : رأى النَّبيُّ ﷺ بني أُمَيَّةَ على مِنبَرِهِ فساءَهُ ذلك ، فأوحِيَ إليه (إنَّما هي دُنيا أُعطوها) فَقَرَّت عينُهُ .[4]

وعن عُمَارَةَ بنِ أبي حَفصَةَ قال : سَمِعتُ عليّاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ : «عَجِبتُ مِن إخوانِنا بني أُمَيَّةَ ، إنَّ دَعوَتَنا دعوَةُ المؤمنين ، ودَعوَتَهم دَعوَةُ المُنافِقين ، وهم يُنصَرون علينا»[5].

وتنقَسِمُ هذه المرحلةُ إلى قِسمَينِ :

١- العَهدُ السُّفيانِيُّ الأُمَوِيُّ ، ويبدَأُ بِمُعاوِيَةَ وينتهي بِمَروانَ بنِ الحَكَمِ .

٢- العَهدُ المروانِيُّ الأُمَوِيُّ ، ويبدأ بِعَبدِالمَلِكِ بنِ مَروانَ وينتَهي بِمَروانَ بنِ مُحَمَّدٍ .

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٠٢٨) وقد تقدم ص١٨٢ .

(٢) «مسند أحمد» (٨٣١٩) (٨٣٢٠) (٨٦٥٤) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٢٣٥) .

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٨٤٨١) وقد تقدم ص١٦٢ .

(٤) «تفسير ابن أبي حاتم» حديث رقم (١٣٦٩٦) .

(٥) «الفتن» لنعيم بن حماد (٣٠٥) .

مقتَلُ الإمامِ الحُسَينِ بنِ عَليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا

مقتل الإمام الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنهُ

وَمِنْ عَلاَمَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ مَقتَلُ الإمامِ الحُسَينِ بنِ عَليٍّ [1] رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا ، ففي الأثر ورد عن أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنهَا قالت : قال رسولُ اللهِ ﷺ : «**إنَّ جِبريلَ أخبَرَني أنَّ ابني هذا -يعني الحُسَينَ- يُقتَلُ وأنَّه اشتَدَّ غَضَبُ اللهِ على مَن يقتُلُه**» رواه ابن عساكر[2].

وعن مُعاذِ بن جَبَلٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال : قال رَسولُ اللهِ ﷺ : «**أمسِك يا مُعاذُ وأَحصِ فلمَّا بَلَغَ خَمساً - يعني من الخُلَفاءِ - قال : يزيدُ ، لا باركَ اللهُ في يزيدَ ، نُعِيَ إليَّ حُسَينٌ وأُتيتُ بِتُربَتِه وأُخبِرتُ بقاتِلِه ، والذي نفسي بِيَدِه لا يُقتَلُ بين ظَهرانِي قومٍ لا يمنَعونه إلا خالفَ اللهُ بين صُدُورِهم وقُلُوبِهم وسَلَّطَ عليهم شِرارَهم وألبَسَهُم شِيَعاً**»[3] .

---

(١) قتل رَضِيَ اللهُ عَنهُ يوم عاشوراء بكربلاء وكان يوم السبت سنة ٦١ هـ وكان عمره يوم قتل ثمان وخمسين سنة رَضِيَ اللهُ عَنهُ .

(٢) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١٤ : ١٩٣) .

(٣) «المعجم الكبير» (٢٠ : ٣٨) قلت : وهذا الحديث ـ كما قال صاحب «الاشاعة» : ـ ذمٌّ للذين بايعوه وأخرجوه ثم أسلموه إلى العدو ولم يمنعوه .

وفيه إشارة لنتيجة مقتل الحسين رَضِيَ اللهُ عَنهُ بين تخاذل المحبين وبغض المبغضين وما يترتب على فعلهم من دمار فيما بينهم ، ولا شيء غير ذلك إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

وهذا ما حل بالقوم من المبغضين ومن المحبين المتخاذلين من ذلك اليوم حتى مرحلتنا المعاصرة، ومثل هذا النص درس لمن ألقى السمع وهو شهيد، والصراع كما هو في النص عقوبةٌ وليس نصرةً للإمام الحسين رَضِيَ اللهُ عَنهُ ولا لآل البيت كما يفيد الحديث الشريف .

وعن شهر بن حوشب قال : سمعت أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنهَا حين جاء نعي الحسين بن علي رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا لعنتْ أهل العراق وقالت : (قتلوه قتلهم الله ، غروه ودلوه لعنهم الله) . اهـ . رواه أحمد والطبراني قال الهيثمي : ورجاله موثوقون . وعن عائشة أو أم سلمة رَضِيَ اللهُ عَنهَا أن

وَقعَةُ الحَرَّةِ

وقعة الحرة علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ وَقعَةُ الحَرَّةِ ، وهي مرحلةُ فُقدانِ الصَّحابَةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم ، يومَ الأربعاءِ لثلاثٍ بَقِينَ من ذي الحِجَّةِ سنة ثلاثٍ وسِتِّين للهجرة، قال فيها ﷺ : «**والذي نفسي بيَدِه لَيَكونَنَّ بالمدينةِ مَلحَمَةٌ يقالُ لها (الحالِقَةُ) ، لا أقولُ حالِقَةَ الشَّعرِ ولكن حالِقَةُ الدِّينِ .. فاخرُجوا من المدينةِ ولو على قَدرِ بريدٍ ، ولَهَلاكُ أُمَّتي على يَدِ أُغَيلِمَةٍ من قُرَيشٍ**».

وأخرج البيهَقِيُّ عن الحَسَنِ قال : «لما كان يَومُ الحَرَّةِ قُتِّلَ أهلُ المدينةِ حتى كاد لا ينفَلِتُ منهم أَحَدٌ» ، وأخرجَ عن مالكِ بن أنَسٍ قال : «قُتِلَ يوم الحَرَّةِ سبعُ مئةِ رَجُلٍ من حَمَلَةِ القرآنِ منهم ثلاثُ مِئَةٍ من الصَّحابَةِ وذلك في خلافةِ يزيدَ» وفيه زيادة : «على رأسِ السِّتين» ، وفيها تولَّى يزيدُ[1]. وورد : «**لا تقومُ السّاعةُ حتى يُلتَمَسُ الرَّجلُ من أصحابي كما تُلتَمَسُ الضَّالَّةُ**»[2] .

وعن سعيدِ بنِ المُسَيِّبِ قال : (وقعت الفِتنَةُ الأولى -يعني مقتَلُ عُثمانَ- فلم تُبقِ من أصحابِ بَدرٍ أحداً ، ثُمَّ وقعت الفِتنَةُ الثّانِيَةُ -يعني الحَرَّةَ- فلم تُبقِ من أصحابِ الحُدَيبِيَةِ أحداً، ثم وقعت الثَّالِثَةُ فلم ترتَفِع ولِلنَّاسِ طَباخٌ)[3].

النبي ﷺ قال لإحداهما : «**لقد دخل عليّ البيتَ ملكٌ لم يدخل علي قبلها قال : إن ابنك هذا حسين مقتول وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها ، قالت : فأخرج تربة حمراء**» رواه الإمام أحمد قال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح . اهـ «إتحاف الجماعة» (١ : ٢٣٨) .

(١) «الإشاعة» ص٦٨ .

(٢) «مسند أحمد» (٧٢٠) .

(٣) «صحيح البخاري» (٤٠٢٤) .

قال الحافِظُ في قولِه : (لم تُبقِ من أصحابِ بَدرٍ أَحَداً) أي : إنَّهم ماتوا منذُ قامت الفِتنَـةُ بمقتَلِ عُثمانَ إلى أن قامت الفِتنَةُ الأخرى بِوَقعَةِ الحَرَّةِ ، وكان آخرَ مَن مات مِن البَدرِيِّين سعدُ بنَ أبي وقّاصٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ومات قبل وقعةِ الحَرَّةِ بِبِضعِ سِنينَ[1] .

فِتنَةُ ابنِ الزُّبَيرِ

فتنة ابن الزبير ومقتله علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّـاعَةِ الوُسْـطَىٰ فِتنَةُ ابنِ الزُّبيرِ ، فعن عُمَرَ بن دينارٍ قال : قال أبو هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : «فِتنَةُ ابنِ الزُّبَيرِ حَيصَةٌ مِن حَيصاتِ الفِتَنِ»[2] .

وعن أبي المنهالِ قالَ : لمّا كان ابنُ زيادٍ ومروانُ بالشَّـامِ ووَثَبَ ابنُ الزُّبَيرِ بِمَكَّةَ ووثَـبَ القُـرَّاءُ بالبَصرَةِ فانطلقتُ مع أبـي إلى أبي بَرزَةَ الأسـلَمِيِّ حتى دَخَلنا عليه في دارِهِ وهو جَالِسٌ في ظِلِّ عُلِّيَةٍ له من قَصَبٍ ، فَجَلَسـنا إليه فأنشـأَ أبي يَسـتَطعِمُه الحديثَ ، فقال : يا أبا بَرزَةَ ! ألا ترى ما وقع فيه النَّاسُ ؟ فأوَّلُ شـيءٍ سَـمِعتُهُ تَكَلَّم به : «إنِّي احتَسَبتُ عند اللهِ أنِّي أصبَحتُ ساخِطاً على أحياءَ قُرَيشٍ ، إنَّكم يا مَعشَرَ العَـرَبِ كُنتُم على الحالِ الذي عَلِمتُم من الذِّلَّةِ والقِلَّةِ والضَّلالَةِ ، وإنَّ الله أَنقَذَكُم بالإسلامِ وبِمُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ حتى بَلَغَ بكم ما تَرَونَ وهذه الدُّنيا التي أفسَدَت بينكم . إنَّ ذاك الذي بِالشَّامِ والله إن يُقاتِلُ إلا على الدُّنيا . وإنَّ هؤلاء الذين بين أَظهُرِكم واللهِ إن يقاتِلون إلا على الدُّنيا ، وإن ذاك الذي بِمَكَّةَ واللهِ إن يُقاتِلُ إلا على الدُّنيا»[3] .

وعـن نافِـعٍ عن ابنِ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّه قال لِرَجُلٍ يسـأَلُهُ عن القِتالِ مع الحَجَّاجِ أو

---

(١) «فتح الباري» (٧: ٣٢٥) .

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (٤٧٣) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٦١٩) .

(٣) «صحيح البخاري» (٧١١٢) .

مع الزُّبَيرِ فقال له ابنُ عُمَرَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا : «مع أيِّ الفَريقَين قاتلتَ فَقُتِلتَ في لَظَىً»[1] ، وما قال ابنُ عُمَرَ ما قال كراهِيَةً لابنِ الزُّبَيرِ وإنَّما يخافُ الفِتنَةَ وما يترتَّبُ على قِتالِ المُسلِمِ للمُسلِمِ ، وما ورد عن النَّبيِّ ﷺ في ذلك ، وفي قولِهِ إشارةٌ إلى أنَّ السَّلامَةَ من الفِتَنِ أولى من الوُقوعِ مع أَحَدِ الطَّرَفَينِ في النّارِ .

خِلافَةُ عُمَرَ بن عبدِ العزيزِ

خلافة عمر بن عبدالعزيز رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّـاعَةِ الوُسْـطَىٰ خِلافَةُ عُمَرَ بن عبدِ العزيزِ ، فعن نافعٍ قال : قال عُمَرُ بن الخَطَّابِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : «يكونُ رَجُلٌ من وَلَدِي بِوَجهِهِ شَينٌ يَلِي فَيَملَأُها عَدلاً» ، قال نافِعٌ : (ولا أحسَبَنَّه إلا عُمَرَ بن عبدَ العزيزِ)[2] .

وعن ضَمرَةَ بنِ شَوذَبٍ قال : (دخل عُمَرُ بن عبدِ العزيزِ اصطَبلاً لأبيهِ فَشَجَّهُ فَرَسٌ لأبيه فخرج والدِّماءُ تسيلُ على وجهِه ، فقال أبوه : لعلَّك تكونُ أَشَجَّ بني أُمَيَّةَ)[3] ، وقـد ورد في كُتُبِ السِّـيَرِ شُـمولُ عَدلِهِ وكَثـرَةُ إنفاقِهِ للمالِ في أوجُهِ الشَّـرعِيَّةِ[4] ، ومِمَّا يؤكِّدُ موقِعَ مرحلةِ خلافَةِ عُمَرَ بن عبدِ العزيزِ من العلاماتِ الوُسـطى للسّـاعةِ ، مـا ورد عن إبراهيمَ بنِ مَيسَـرَةَ قال : قُلتُ لِطـاووسَ : عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ المهدِيُّ ؟

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٨٤٥٢) . وانظر «إتحاف الجماعة» (٤٢٥) .

(٢) «الفتـن» لنعيم بن حمـاد (٣٣١) و«دلائل النبوة» للبيهقي (٦: ٤٩٢) «تاريخ دمشـق» لابن عساكر (٤٥: ١٥٥) .

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (٣٣٢) و«طبقات ابن سعد» (٥: ٢٥٤) .

(٤) وفـي «الفتـن» لنعيم بن حماد (١٠٣٣) مقارنة بين الخليفة عمر بـن عبد العزيز وبين الإمام المهدي فيما يشـير إلى كونهما من علامات السـاعة : حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر قـال : ذكـر عنده عمـر بن عبد العزيز فقال : بلغنا أن المهدي يصنع شـيئا لم يصنعه عمر بن عبد العزيز ، قلنا ما هو ؟ قال : يأتيه رجل فيسأله ، فيقول : ادخل بيت المال فخذ ، فيدخل فيأخـذ فيخـرج ، فيـرى الناسَ شـباعاً فينـدم ، فيرجع إليه فيقـول : خذ ما أعطيتنـي ، فيأبى ويقول : إنا نعطي ولا نأخذ .

قال : لا ، إنَّه لم يستكمِل العَدلَ كُلَّهُ[1] ، وعن إبراهيم بن ميسرة بن طاوس قال : (قد كان عُمَرُ بنُ عبد العزيزِ مَهدِيّاً وليس به ، إنّ المهدِيَّ إذا كان زِيدَ المُحسِنُ في إحسانِه وتِيبَ على المُسيءِ من إساءَتِه)[2] . ويُعَدُّ الخليفةُ عُمَرُ بنُ عبدِالعزيزِ الخليفَةَ السّادِسَ في سِلسِلَةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدين .

مُلكُ بني العَبَّاس

ملك بني العباس علامة وسطى

وَمِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ الوُسْطَىٰ مُلكُ بني العَبَّاس (المُلكُ العَضوض) ، فعن عليٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : «ويلٌ لِأُمَّتِي مِنْ بَنِي العَبَّاسِ»[3] ، وفي رواية أخرى : «إنَّ لبني العباسِ لرايةً لا تُرَدُّ»[4] ، وفي أخرى : أنَّ النبيَّ ﷺ جعل على العباسِ وولدِه كساءً ثم قال : «اللهمَّ اغفرْ للعباسِ وولدِه مغفرةً ظاهرةً وباطنةً ، ولا تغادرْ ذنباً ، اللهمَّ اخلُفْهُ في ولده»[5]، قال البرزنجيُّ : فتُحمَلُ الأحاديثُ الأُوَلُ - إن صَحَّت - على شرارِهم ، وهذا وأمثالُه على أخيارِهم[6] . وفي رواية أخرى : «ليكوننَّ في ولدِ العباسِ ملوكٌ»، ولعلَّ في مثلِ هذه الأحاديثِ إشارَةً إلى ما أُقِيم في بَعضِ عُصورِهم من الفُتوحاتِ الإسلامِيَّةِ وحِفظِ بَيضَةِ الإسلامِ.

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٠٤٢) .

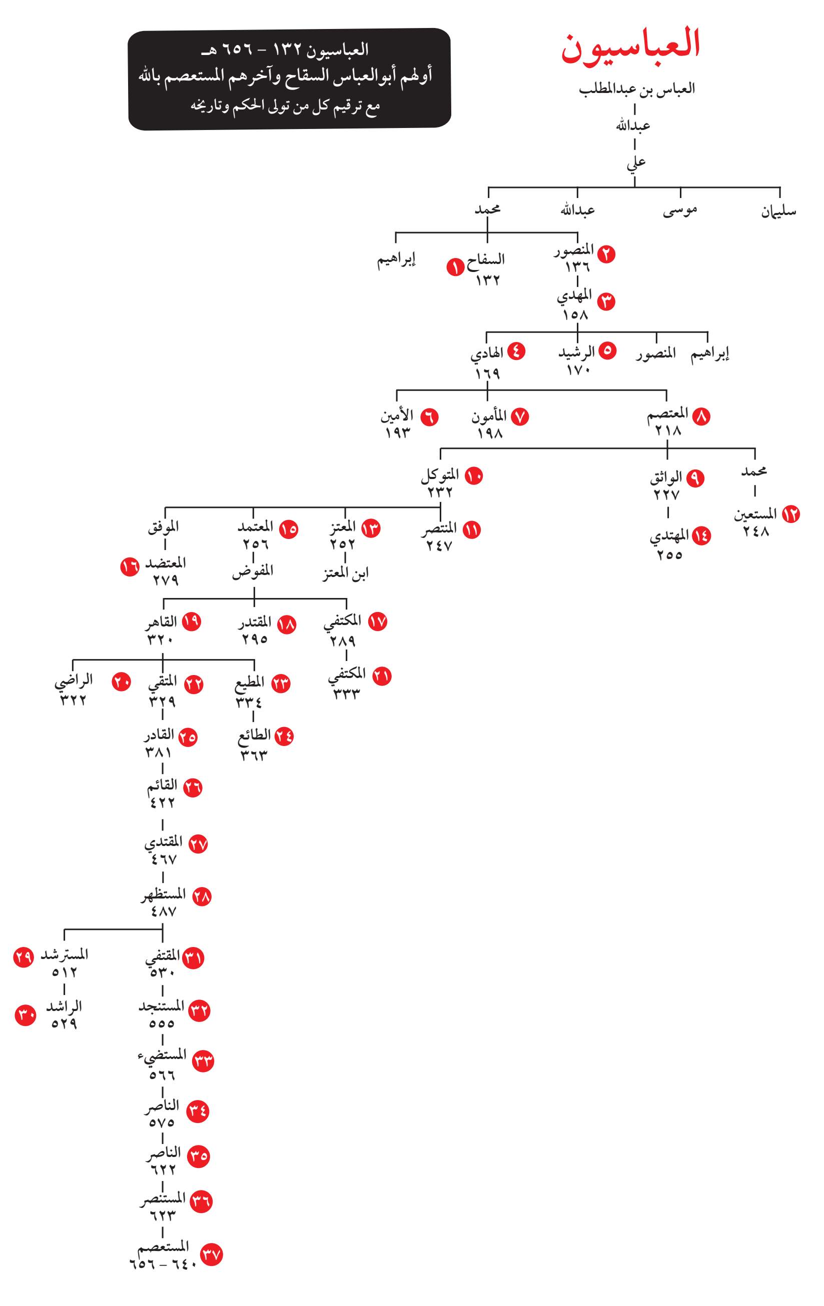
(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٦٥٢) .

(٣) ذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤: ٤٢٢) .

(٤) «لسان الميزان» (٢: ١٥٢) ، قال ابن حجر : فيه الحارث بن شبل ، قال العقيلي: ضعيف .

(٥) «سنن الترمذي» (٣٧٦٢) و«مسند البزار» (٥٢١٣) ذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء»(٢: ٨٩) وقال : إسناده جيد . ومع ذلك فقد ذكر جل أهل الحديث بأنه لم يصح في روايات بني العباس شيء واتهموا أكثر أسانيدها بالنكارة. وهذا مما ينبغي اعتباره لوجود عامل التسييس أيام الثورة ضد الأمويين والتي لم تخل من حركة الوضاعين .

(٦) «الإشاعة» ٧٨ .



مشجر العباسيين ، تمت إعادة الرسم مع شيء من التصرف، المصدر السابق ص٧٢

أقسامُ مرحلةِ المُلْكِ العَضوضِ

باستقراءِ النُّصوص النَّبوِيَّةِ حول مراحِلِ المُلْكِ العضوضِ وموقِعِها من الزَّمانِ تبيَّنَ أنّ مرحلةَ المُلكِ العضوض مُمتَدَّةٌ من عهدِ تنازُلِ الإمامِ الحَسَنِ بن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إلى عهدِ التَّداعي والوَهَنِ والغُثاءِ.

وهذه المراحِلُ طويلةُ المدى مُتباعِدَةُ الزّمانِ يجمَعُها حديثُ لَيثِ بنِ أبي سُلَيمٍ عن ابنِ سابطٍ عن النَّبيِّ ﷺ: «**إنّ هذا الأمرَ بدأ نُبُوَّةً ورحمَةً، وإنَّه كائنٌ رحمةً وخلافةً، وإنه كائنٌ مُلكاً عضوضاً، وعُتُوّاً وجَبريَّةً، وفساداً في الأُمَّةِ، يستَحِلُّون الخُمورَ والحريرَ والفُروجَ ويُرزَقون عليه حتى يلقَوُا اللهَ**»[1].

مناقشة لمعاني (الملك العضوض)

قلتُ ـ واللهُ أعلَمُ ـ: ويُنظَرُ إلى معنى (المُلكِ العضوضِ) بتفصيلٍ كما هو في نماذِجِ النُّصوصِ وتَنَوُّعِ عِباراتِها.

فالمُسمَّى العامُّ للمُلكِ العضوضِ يُطلَقُ على مَرحَلَتَي بني أُمَيَّةَ وبني العَبّاسِ عُموماً، ومَدَّ بعضَهم المعنى للمُلكِ العَضوضِ إلى عَهدِ الانهيارِ والغُثاءِ والتَّداعي.

والمعلومُ أنَّ تَنَوُّعَ الألفاظِ في النُّصوصِ تحمِلُ تَنَوُّعَ المعاني، ويصعُبُ أن تُنَزَّلَ الألفاظُ النَّبوِيَّةُ على المراحِلِ دون أن يُدرَكَ مقصودُ اللَّفظِ النَّبَوِيِّ على وَجهِهِ، وخاصَّةً أنّ هناك (خِلافةً ونُبُوَّةً) كما هو في ألفاظِ الأحاديثِ، وعلى اللَّفظَتَينِ مدارُ الأمرِ كُلِّه.

---

(١) الحديث صحيح بهذا اللفظ، أورده الداني في «السنن الواردة في الفتن» تحقيق أبي عمرو العبوشي (٣٣٤)، وكذلك رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٦٧). والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٦٦٣٠).

الفرق بين النبوة والخلافة

فالخِلافَـةُ يُقصَدُ بها الحُكمُ والقَرارُ ، والنُّبُـوَّةُ يُقصَدُ بها مَنهَجُ الدِّيانَةِ الصَّحيحِ ، والأصـلُ أن يجتَمِعا في حامِلِ القرارِ وفي سِياسَـةِ مرحلتِهِ وَفقَ مُرادِ اللهِ ، وعندما يتدخَّلُ الطَّمَعُ وحُبُّ الدُّنيا والرَّغبَةُ في الامتلاكِ فإنّ الرّاغِبَ في الخِلافَةِ والحُكمِ يتخَطّى مفهومَ الأمانَةِ في مُسَـمَّى النَّبوَةِ ومُـرادِ اللهِ في الأمرِ ، فيتعسَّـفُ المعاني ويتأمَّـرُ بذلـك على النّـاسِ ، فيكونُ بذلك المُلكُ ، أي : يخـرُجُ عن معنى الخلافةِ الشَّرعِيَّةِ إلى معنى الامتلاكِ الطَّبعِيِّ ، فيُسمَّى شرعاً مُلكاً عاضّاً أو مُلكاً عضوضاً ، ويُفَسِّرُ هذا المعنى مقولَةُ الإمامِ الحَسَنِ مع أخيه الإمامِ الحُسَينِ رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا وهو على فِـراشِ المَوتِ في سِـياقِ حديثِهِ : «وإنِّي لأرى ألا يجمَعَ اللـهُ لنا الخلافَةَ والنُّبُوَّةَ ، فلا أرى سُفَهاءَ الكوفَةِ يستَخِفّونكَ فيُخرِجوك...»[1] .

الخلافة في الحكم والنبوة في شرف الإرث للعلم

وهذه الرُّؤيَةُ من الإمامِ الحَسَـنِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قاعِدَةٌ شـرعِيَّةٌ تُفَسِّرُ معنى كلامِ رسـولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن معنى الخِلافَةِ في الحُكمِ وعن معنى النُّبُوَّةِ في شَرَفِ الإرثِ للعِلمِ .

وكفى بهذه الألفاظِ الصَّحيحَةِ ضابطاً شـرعِيّاً لِسَلامَةِ المراحِلِ وعَدَمِ سلامَتِها ، ومـن ذلك قَولُ حُذيفَةَ بنِ اليمانِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قال : قال رسـولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**تكونُ النُّبُوَّةُ فيكـم مـا شـاء الله أن تكون، ثـمَّ يرفَعُها إذا شـاء أن يرفعَها ، ثُمَّ تكـونُ خِلافَةٌ على مِنهاجِ النُّبُوَّةِ ، فتكونُ ما شـاء اللهُ أن تكونَ، ثُمَّ يرفَعُها إذا شـاء أن يرفَعَها ، ثُمَّ تكون مُلكاً عاضّاً ، فيكونُ ما شـاء اللهُ أن يكونَ ، ثُمَّ يرفَعُها إذا شـاء أن يرفَعَها ، ثُمَّ تكونُ مُلكاً وجَبرِيَّةً ، فتكونُ ما شاء الله أن تكونَ ، ثُمَّ يرفَعُها إذا شاء أن يرفَعَها ، ثُمَّ تكونُ خِلافَةٌ على مِنهاجِ النُّبُوَّةِ.. ثُمَّ سَكَتَ**»[2] .

---

(١) «الاستيعاب» لابن عبدالبر (١: ٣٩١) «أسد الغابة» (٢: ١٣) .

(٢) «مسند أحمد» (١٨٤٠٦) و«مسند البزار» (٢٧٩٦) .

فإن أُخِذَت هذه المعاني على ما فَهِمَهُ أولئك على عهدِ عُمَرَ بنِ عبدالعزيزِ فالفَهمُ مُنقَطِعٌ عن تلك العُصورِ حيثُ زاد في الرِّوايَةِ: قال حبيبٌ : فلمّا قام عُمرُ بن عبدُالعزيزِ وكان يزيدُ بنُ النُّعمانِ بنِ بِشرٍ في صحابَتِهِ فكتبتُ إليه بهذا الحديثِ أُذَكِّرُه إيَّاهُ ، فقلتُ له : إنِّي لأرجو أن يكون أميرُ المؤمنين يعني عُمَرَ بن عبدالعزيزِ بعد المُلكِ العاضِّ والجَبرِيَّةِ ، فأَدخل كتابي على عُمَرَ بن عبدِالعزيز ، فَسُرَّ به وأعجَبَهُ .

معاني حديث .. (لم تكون خلافة على منهاج النبوة)

وإن أخذنا المعنى على امتدادِ المراحِلِ المعنِيَّةِ بعد الخِلافَةِ الرَّاشِدَةِ فخاتِمَةُ الحديثِ تُشيرُ إلى خلافَةٍ على مِنهاجِ النُّبُوَّةِ في أُخرَياتِ الزَّمانِ ، ولعلَّ هذا هو ما فَسَّرَهُ الإمامُ السُّيوطِيُّ وغيرُهُ عن الاثنَي عَشَرَ أميراً من قُرَيشٍ ، يكونُ آخِرُهم الإمامُ المهدِيُّ في آخِرِ الزَّمانِ .

وفي معنى آخرَ فإنّ الخلافَةَ الأخيرَةَ على مَنهَجِ النُّبُوَّةِ هي مرحلَةُ الدَّولَةُ العُثمانِيَّةِ في رَفعِها شِعارَ الجِهادِ في سبيلِ اللهِ ، وخُصوصاً بعد فَتحِ القُسطَنطِينِيَّةِ إلى مرحلَةِ الانهيارِ ، وأمّا بعدَها فمراحِلُ لها ما يُناسِبُها من النُّصوصِ الأُخرَى .

وفي «المستدرك» عن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كان يقولُ : «إنّ اللهَ بدأ هذا الأمرَ حين بدأ بِنُبُوَّةٍ ورَحمَةٍ ، ثم يعودُ إلى خلافَةٍ ، ثم يعودُ إلى سُلطانٍ ورحمَةٍ ، ثم يعودُ مُلكاً ورحمَةً ، ثم يعودُ جَبرِيَّةً فتتكادَمون تكادُمَ الحميرِ»[1]، فالذي يظهَرُ ـ واللهُ أعلم ـ أنّ التّفصيلَ المُشارَ إليه فيما رواه الحاكمُ أنّ النُّبُوَّةَ والرَّحمَةَ عَصرُ صَدرِ الرِّسالَةِ ، ثُمَّ الخلافَةُ الرَّاشِدَةُ ، ثم يرجِعُ الأمرُ من مفهومِ اجتماعِ كَلِمَتِها إلى حِفظِ بَيضَةِ الإسلامِ واستمرارِ رايةِ الجِهادِ وإن كان القرارُ معلولاً بِعِلَّةِ المُلكِ

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٨٤٥٩) .

العضوضِ خلال العَهدِ الأُمَويِّ والعَبَّاسِيِّ، ففيها مرحلَةٌ تُدعَى (سُلطَانَاً ورَحمَةً) ثم تَعُودُ مُلْكَاً ورَحمَةً، تَشمَلُ آخِرَ المرحلَةِ الأُمَوِيَّةِ وأوَّلَ عَهدِ المرحلَةِ العَبَّاسِيَّةِ، ثم يعودُ جَبرِيَّةً، وفيها ورد قولُهُ: «ثم تتكادَمون تكادُمَ الحميرِ»، ثم تتحوَّلُ بعدُ إلى مرحلَةِ الانهيارِ وضَعفِ الدَّولَةِ.

وقد ربط سيِّدُنا عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بين هذا الحديثِ وبين (الجهادِ والغَزوِ في سبيلِ اللهِ) وكأنَّهُ يُشيرُ واللهُ أعلَمُ إلى أنَّ مَنهَجَ النُّبُوَّةِ في أحَدِ معانيه قائِمٌ بالجِهادِ في سبيلِ اللهِ، وفيه مَلحَظٌ لأهمِّيَّةِ الدِّفاعِ عن بَيضَةِ الإسلامِ في كُلِّ دولةٍ إسلاميَّةٍ ونظامٍ، وإلى أنَّ ضَعفَ الدَّولَةِ بِضَعفِ جِهادِها، أو ضَعفِ رِجالِ قَرارِها الشَّرعِيِّ، فَقِيامُ الجِهادِ كِشِعارٍ فِعليٍّ أمامَ الأعداءِ والأضدادِ مع حِفظِ كَيانِ بَيضَةِ الإسلامِ والمُحافَظَةِ على الشّعائِرِ واحترامِ المشاعِرِ يُقيمُ الحَدَّ المقبولَ من مِنهاجِ النُّبُوَّةِ في المرحلَةِ.

حديث (الأئمة بعدي اثناعشر كلهم من قريش)

وتتقيَّدُ بعضُ مراحِلِ المُلكِ العضوضِ بمعنى من معاني القَبولِ النِّسبِيِّ أيضاً كما هو في النَّصِّ بِوُجودِ أُمَراءِ قُرَيشٍ من قولِه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَزالُ أمرُ أُمَّتي صَالِحَاً حتَى يَمضِيَ اثنا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُم من قُرَيشٍ**»[1]. وفي روايةٍ: «**لا يزالُ هذا الأمرُ قائماً**»[2]، وفي روايةٍ: «**عزيزاً حتى يكون اثنا عشرَ خليفةً كُلُّهم من قُرَيشٍ**»[3]، وحديثُ: «**لا يزالُ هذا الأمرُ عزيزاً يُنصَرُون على من ناوَأَهم عليه اثنا عَشَرَ خليفةً**

---

(١) «مسند البزار» (٤٢٨٤) و«المعجم الأوسط» للطبراني (٦٢١١) و«المستدرك على الصحيحين» (٦٥٨٩).

(٢) «المعجم الكبير» (٢: ٢١٤) (١٨٧٦).

(٣) «صحيح مسلم» (١٨٢١).

كُلُّهم من قُرَيشٍ» متفق عليه[1].

وفي روايةٍ: «لا يزال هذا الأمرُ ماضياً»[2] وأخرى: «لا يزالُ الإسلامُ عزيزاً»[3] وفي روايةٍ: «لا يزالُ أمرَ أمتي صالحاً إلى اثني عَشَرَ خليفةً»[4]، وقد تناوَلَ الإمامُ السُّيوطِيُّ والقاضي عياضٌ وغيرهم شرحَ هذا الحديثِ وغيرِهِ واعتبروا الأمرَ قائماً من عصرِ الخلافَةِ الرّاشِدَةِ وما بعدَها[5]. وأنّ آخِرَ هؤلاءِ الأمراءِ هو الإمامُ المهدِيُّ في آخِرِ الزّمانِ. اهـ.

تحديد الأمراء الاثني عشر ومراحلهم

قلتُ ـ والله أعلم: لا يُستفادُ من الأحاديثِ معنى الأُمَراءِ الاثنَي عشر أنّ آخِرَهم الإمامُ المهديُّ لمُخالَفَةِ هذا الأمرِ واقِعَ النَّصِّ ذاتِهِ، فالأمَراءُ الاثنا عَشَرَ كُلُّهم من قُرَيشٍ خلال مراحِلِ الحُكمِ العضوضِ ويَنتَهي حَسَبَ الاستقراءِ للأحاديثِ بِهَجمَةِ التَّتارِ وإسقاطِ الخليفَةِ العَبَّاسيِّ على يدِ هولاكو، ويستَمِرُّ الأمرُ بعد ذلك عُتُوّاً وجَبرِيَّةً كما عبر عنه ﷺ: ثم يكونُ الهَرْجُ. و(العُتُوُّ) و(الجَبرِيَّةُ) و(الهَرْجُ) لا يستَقيمُ مع (بقاءِ أمرِ الإسلامِ عزيزاً). وينقَطِعُ الأمرُ عن أمَراءِ قُرَيشٍ لانقطاعِ نَسَقِ الدَّولَةِ الواحِدَةِ وتحوُّلِ الأمرِ إلى دُوَيلاتٍ مُمَزَّقَةٍ، فتكونُ مرحلةُ الخلافَةِ لأُمَراءِ قُرَيشٍ مُقَسَّمَةً على عهدِ الخِلافَةِ الرّاشِدَةِ وعهدِ بني أُمَيَّةَ وبعضِ عَهدِ بني

(١) «صحيح مسلم» (١٨٢١) «مسند أحمد» (٢٠٩٢٦) (٢٠٩٦٦) «صحيح ابن حبان» (٦٦٦٣) وفي «صحيح البخاري» (٧٢٢٢) بلفظ: «يكون اثنا عشر أميراً» فقال كلمة لم أسمعها، فقال أبي: إنه قال: «كلهم من قريش».

(٢) «صحيح مسلم» (١٨٢١).

(٣) «صحيح مسلم» (١٨٢١).

(٤) «المعجم الأوسط» (٦٢١١) و«المستدرك على الصحيحين» (٦٥٨٩).

(٥) قال القاضي عياض: لعل المراد بالاثني عشر في هذه الأحاديث وما شابهها أنهم يكونون في مدة عزة الخلا فة وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة.

العَبَّـاسِ ، بِصَـرفِ النَّظَرِ عن الأسـماءِ وسـلامَةِ التَّوجُّـه العَامِّ أو عدم سـلامَتِهِ، ثم مرحلة الَهَرْجِ الُمسَمَّاةِ في الحديث .

مرحلة الهرج والانفصام

وتأتي بعدها مرحَلَةُ الدَّولَةِ العُثمانِيَّةِ راعِيَةُ الخلافَةِ الإسـلامِيَّةِ الأخيرَةِ في بعضِ تَنَفُّساتِ المرحلةِ إلى عهدِ الخليفةِ عبدِالحميدِ الثّاني[1]، أما ما بعدها فمرحلَةُ غُثاءٍ

---

(١) ارتبطت الدولة العثمانية بالخلافة على مراحل :

الأولى : مرحلة استعادة شرف الدولة الإسلامية بالجهاد في سبيل الله من عهد المؤسس طغرل بك إلى عهد السلطان بايزيد .

الثانية : مرحلة حفظ بيضة الإسـلام وإقامة شـعيرة الجهاد في سـبيل الله والانطواء تحت راية الخلافة العباسـية وتبدأ بانتصار السـلطان بايزيد الأول في معركـة نيكوبولي في بلغاريا وفرنسـا ووصـول أخبـار الانتصار إلـى مصر ومنها إلـى الخليفة العباسـي المتـوكل والذي أرسـل جوابا وتشريفا وخلعة وسـيفا إلى بايزيد ، ومعناه الاعتراف ببايزيد سلطانا تحت إمرة الخليفة، وبذلك أصبح بايزيد أول عثماني يحمل لقب سلطان في آل عثمان باسم الخلافة .

الثالثة: عندمـا أمر السـلطان المملوكي (جقمق) باسـم الخلافة العباسـية أن يذكر اسـم السـلطان مراد الثاني في خطبة الجمعة ويدعى له بعد الخليفة العباسـي كما يدعى لشـهداء الجنود العثمانيين بعد انتصارات مراد الثاني على شـواطئ البحر الأسـود على الأوروبيين عام ٨٤٨ هـ (١٤٤٤م) .

الرابعة : بعـد انتصـار السـلطان محمـد الفاتـح عـام ٨٧٤ هـ (١٤٥٣ م) وفتـح مدينـة الفسـطنطينية وتسميته لها (إسلامبول) أي : مدينة الإسلام ، وإرساله الرسائل إلى عواصم بلاد الإسـلام بالانتصار ومنها رسـالة إلى شـريف مكة وقراءة الرسـالة أمام الكعبة ودعاء المسلمين للفاتح بالنصر والتأييد .

الخامسة : عنـد تولي السـلطان سـليم الأول مقاليد الدولة فـي ٩٣٣ هـ (١٥١٢ م) ومد نفوذ الدولة إلى كثير من البلاد الأوروبية ودفاعه المستميت عن البلاد العربية أمام هجمات البرتغال ثم مسـاندته للمماليك في ذلك ، واسـتقرت به الشـام ومصر حتى جرى الخلاف مجراه بين المماليك والسـلطان سـليم ونشـبت الحرب مع السـلطان الغوري وانتهت في رجـب ٩٢٢ هــ بمعركـة مـرج دابق التـي قتل فيهـا السـلطان المملوكي الغـوري وانتصر سـليم الأول وتوجه إلى مصر واسـتولى عليها وأنهى حكم المماليك واجتمعت له رايات

ووَهَنٍ وضَياعِ أمانَتَي قرارِ الحُكمِ والعِلمِ .

مرحلة المهدي مستقلة بذاتها عن مدلول مرحلة الأمراء الاثني عشر

أما مرحلَةُ الإمامِ المهدِيِّ فهي علامَةٌ مُستَقِلَّةٌ بِذاتِها لا تَرتَبِطُ بحديثِ الأُمَراءِ الاثني عَشَرَ من قُرَيشٍ لأنَّ مرحلَةَ الهَرَجِ الآتِيَةِ بين المرحلتَينِ قد فَصَلت بينَهُما، ويؤيِّدُ هذا المعنى حديثُ : «**لا يزالُ هذا الأمرُ قائماً حتى يَمضِي اثنا عَشَرَ أميراً كُلُّهم من قُريشٍ**»[1] وعند أبي داود زيادَةُ : «فلمّا رجع إلى مَنزِلِه ﷺ أَتَتهُ قُرَيشٌ فقالوا : ثم يكونُ ماذا ؟ قال : الهَرَجُ؟»[2]، وقد أشار السُّيوطِيُّ إلى أن مرحلَةَ الهَرْجِ هي الفِتَنُ المُؤذِنَةُ بِقيامِ السّاعةِ من خُروجِ الدَّجّالِ وما بعده .

مبتدأ مرحلة الهرج المنصوص عليه بالهجمات المغولية والصليبية

والأقرَبُ إلى فهمِ النُّصوصِ واللهُ أعلَمُ أنّ الهَرْجَ كان سابقاً لذلك بكثيرٍ ، ورُبَّما صَحَّ الاستقراءُ أن مُبتَدَأَ الهَرجِ بِهَجماتِ التَّتارِ وتيمورلنكَ والصَّليبِيِّين وانقسامِ العالَمِ الإسلامِيِّ إلى دُوَيلاتٍ مُتنازِعَةٍ ومُتَحارِبَةٍ ، أي : بدأت المرحلةُ بِسُقوطِ الخِلافةِ العَبّاسِيَّةِ على يَدِ التَّتارِ وانتهت بِفَتحِ القُسطنطينِيَّةِ ، وتبدأ مرحلَةُ حِفظِ

الجميع وأرسل شريف مكة أبونمي ولده إلى القاهرة ومعه مفاتيح مكة والمدينة (الكعبة والحجرات الشريفة) اعترافا بالخلافة العثمانية .

وعاد السلطان سليم الأول إلى إسلامبول ومعه الخليفة المتوكل وقاضي قضاة مصر وجملة من الوجهاء والعلماء، وأقيم حفل التنازل من الخليفة المتوكل وتولية الخليفة العثماني سليم الأول في جامع أبي أيوب الأنصاري ، وقام الخليفة المتوكل بإلباس الخليفة العثماني الخلعة وقلده السيف على مرأى ومسمع من علماء الدولة العثمانية وعلماء مصر والشام وانتقلت الخلافة رسميا من العباسيين إلى العثمانيين وأصبح سليم الأول أول خليفة عثماني يحكم دولة الخلافة الإسلامية ، واستمر من بعده الخلفاء بين القوة والضعف حتى عهد الخليفة عبدالحميد الثاني وكان آخر خلفاء الدولة العثمانية ، وأما بعده فكان ثلاثة سلاطين تحت إمرة الاتحاديين ومن معهم من يهود الدونمة .

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٢: ١٩٧) (١٨٠١) .

(٢) «سنن أبي داود» (٤٢٨١) .

بَيضَةِ الإسـلامِ وعُلُوِّ رايةِ الخلافَةِ الإسـلاميَّةِ مرَّةً أخرى على يَدِ السُّـلطانِ سـليمٍ الأوَّلِ عـام ٩٢٣ هــ / ١٥١٧ م ، واسـتمرت حتى نهايـةِ دَولةِ الخلافَـةِ العُثمانيَّةِ بِسُـقوطِ السُّـلطانِ عبدالحميدِ الثَّاني ، على ضَعفٍ ووَهَنٍ في بعضِ المراحلِ . أما عهـدُ الإمـامِ المهديِّ فَمُتَنَفَّسٌ مُسـتَقِلٌّ بذاتِهِ لـه أحاديثُهُ الخاصَّةُ وفِقهُهُ المُناسِـبُ والله أعلمُ .

ومـن أحاديثِهِ : «لو لـم يَبقَ من الدنيا إلا يـومٌ لطوَّلَ اللهُ ذلك اليومَ حتى يُبعَثَ فيه رَجُلٌ مِنِّي أو من أهلِ بَيتي يُواطِئُ اسمُهُ اسمِي واسمُ أبيه اسمَ أبي»[1] زادَ في حديثٍ آخَرَ : «يملأُ الأرضَ قِسطاً وعَدلاً كما مُلِئَت ظُلماً وجَوراً»[2].

سقوط قرار الخلافة على يد التتار علامة وسطى

سُقوطُ قرارِ الخلافةِ بِهَجمَةِ التَّتارِ

وهذه المرحلة من أشَدِّ المراحلِ في تاريخِ الإسلامِ ، حيثُ تجَزَّأ فيها قرارُ الأُمَّةِ إلـى دُوَيـلاتٍ وإماراتٍ صغيـرَةٍ ، وكان مُبتَدَأُ ذلك بِدُخولِ التَّتـارِ عاصِمَةَ الخِلافَةِ بغدادَ سنة ٥٦٥ هـ وقَتلِ الخليفةِ العبّاسِيِّ وحَرقِ البِلادِ وقَتلِ العُلَماءِ والصّالحين وتدميرِ المكتباتِ العِلمِيَّةِ والمسـاجِدِ وما تلاها من خرابٍ ودمارٍ ، قال السُّـيوطِيُّ فـي «تاريـخ الخُلفاءِ» عن هذا الخَبَـرِ المُفجِعِ : هو حديثٌ يـأكُلُ الأحـاديثَ وخبرٌ يطـوي الأخبـارَ وتاريـخٌ يُنسـي التَّواريخَ ونازِلَـةٌ تُصَغِّـرُ كُلَّ نازِلَـةٍ وفادِحَةٌ تطوفُ

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٨٢) .

(٢) «سنن أبي داود» (٤٢٨٥) ، وتتلخص حصانة هذه المراحل في ثلاثة أنواع :

١- حصانة مرحلة الخلافة الراشدة، بالنص «ثلاثون عاما» وبالاجتهاد وبالمواقف .

٢- حصانة مرحلة الملك العضوض، بحفظ بيضة الإسلام وقيام الجهاد في سبيل الله .

٣- حصانـة مراحـل الدويلات والغثاء، ليـس حصانة للقرار، وإنما بحفظ الإسـلام في الخويصة والخاصة، وبقاء الخير في الأمة .

الأرضِ وتملَؤُها ما بينَ الطُّولِ والعَرضِ . اهـ . وفي ذلك يقولُ ﷺ : «إنّ بني قنطورا أوّلُ من سَلَبَ أُمَّتي مُلكَهم»[1] أخرجه الطبرانيُّ من حديثِ مُعاوِيَةَ ، قال ابنُ حَجَرٍ في «الفتحِ» (٦/ ٦٦٩) : وكأنه يُريدُ بقوله : «أُمَّتي» أُمَّةَ النَّسَبِ لا أُمَّةَ الدَّعوَةِ . يعني العرب اهـ .

وفَتَحَت هذه المِحنَةُ والفِتنَةُ أبوابَ الفِتَنِ السَّابِقَةِ واللاحِقَةِ ، حتى عَودةِ القَرارِ الإسلاميِّ بِبَني عُثمانَ سنة ٨٧٤ هـ في مرحلة لاحقة .

وبينَ هاتَينِ المرحَلَتَينِ وقعت بعضُ الوقائِعِ الإيجابيَّةِ كانتصارِ صلاحِ الدِّينِ الأيُّوبِيِّ على الصَّليبيِّينَ وفتحِ بَيتِ المقدِسِ ، وكاجتماعِ أهلِ مِصرَ والشَّامِ على تعيينِ السُّلطانِ قُطزَ الذي لُقِّبَ بالمَلِكِ المُظَفَّرِ لمُقاوَمَةِ التَّتارِ[2] واستطاعَ بِحِكمَةِ قادَتِهِ واجتماعِ كَلِمَةِ العُلَماءِ والرَّعايا هَزيمَةَ التَّتارِ في معرَكَةِ عَينِ جالوتَ الشَّهيرَةِ في ١٥ رمضانَ سنةَ ٦٥٨ هـ، ثم تعيَّنَ السُّلطانُ بيبرسُ وتسمَّى بالمَلِكِ الظَّاهِرِ ، وقد تمكَّنَ بيبرسُ من قبلُ من أن ينتَصِرَ على جُيوشِ الصَّليبيِّين الذين تحالَفوا مع التَّتارِ واستردَّ منهم المُدَن العديدَةَ في الشَّامِ وأقام دَولةً قوِيَّةً للمماليكِ حتى وفاتِهِ سنة ٦٧٦ هـ (١٢٧٨ م) .

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (١٠: ١٨١) (١٠٣٨٩) .

(٢) أجمع المؤرخون على أن المماليك بقيادة السلطان قطز قد انتصروا على المغول انتصاراً عالمياً في معركة (عين جالوت) حيث عجزت كل من الدولة الخوارزمية والدولة العباسية عن مقاومتهم، وبهذا اكتسبت دولة المماليك مركز الصدارة بين دويلات العالم العربي والإسلامي آنذاك .



معركة عين جالوت ، المصدر أطلس التاريخ الحديث ص٨

وهكـذا ظلَّت بلادُ المسـلمين مُجَزَّأةَ القَـرارِ عديمَةَ الاسـتقرارِ تنخُرُها الآفاتُ والفِتَنُ الفِكرِيَّةُ القديمَةُ والجديدةُ كفِتنَةِ القرامِطَةِ والمُعتَزِلَةِ والباطِنِيَّةِ والزَّرادِشتِيَّةِ والمودِكيَّـةِ والمانَويَّـةِ والرافِضَـةِ والنَّواصِـبِ والسَّـبَئِيَّةِ والهندوسِـيَّةِ والقاديانِيَّـةِ والبهائِيَّةِ وغيرِها.

ويصـدُقُ فيهـا قَولُ مَـن لا ينطِقُ عن الهـوى ﷺ فيما ترويهِ عائِشَـةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا : أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرج ذاتَ يَومٍ نِصفَ النَّهارِ مُشتَمِلاً بِثَوبِهِ مُحمَرَّةً عَيْناهُ وهو يُنادِي بِأعلَـى صَوتِـهِ : «أيُّها النَّـاسُ ، أظلَّتكُم الفِتَنُ كقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِـمِ ، أيُّها النَّاسُ ، لو تعلمون ما أعلَمُ لبَكَيتُم كثيراً وضَحِكتم قليلاً»[1] .

وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال : «لو تعلمون ما أعلَمُ لبَكَيتم كثيراً ولضَحِكتُـم قليلاً ، يظهَرُ النِّفـاقُ ، وتُرفَعُ الأمانَةُ ، وتُقبَضُ الرَّحمَةُ ، ويُتَّهمُ الأمينُ ، ويؤتَمَنُ غيرُ الأمينِ ، أناخُ بكم الشُّرْفُ الجُونُ» قالوا : وما الشُّرفُ الجُونُ يا رسولَ اللهِ ؟ قال : «فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ» رواه ابن حبان[2] .

والشُّرْفُ - بِضَمِّ الشِّينِ وسُكونِ الرَّاءِ وبالفاءِ - جمعُ شارِفٍ وهي النَّاقَةُ الُمسِنَّةُ، والجُونُ : السُّـودُ ، قال ابنُ الأثيرِ : (شـبَّهَ الفِتَنَ في اتِّصالها وامتدادِ أوقاتِها بالنُّوقِ المُسِنَّةِ السُّودِ)[3] .

أحاديث الفتن

وحديثُ : «ستأتوني أفناداً يُفنِي بعضُكم بعضاً» وقد رواهُ ابنُ حِبَّانَ في صَحِيحِه ولفظُهُ قال : «كُنَّا جُلوساً عند رسولِ الله ﷺ وهو يُوحى إليه فقال : «إنِّي غيرُ لابِثٍ

---

(١) «مسند أحمد» (٢٤٥٢٠) .

(٢) «صحيح ابن حبان» (٦٧٠٦) .

(٣) ويُـروى هـذا الحديث بالقـاف ـ يعني الفتن التي تجـيءُ من جِهَةِ المشـرق ـ «النهاية» لابن الأثير (٢: ٤٦٣) .

فيكم ولستُم لابِثين بعدي إلا قليلاً ، وستأتوني أفناداً ، يُفني بعضُكم بعضاً ، وبين يدي السّاعةِ موتان شديدٌ ، وبعده سَنَواتُ الزَّلازِلِ»[1] .

قيام دولة الخلافة الإسلامية الأخيرة وفتح القسطنطينية قبيل المرحلة الغثائية

ومن العلاماتِ الوُسطى في آخِرِ مراحِلِ التَّمزُّقِ والدُّويلاتِ عودَةُ القرارِ الإسلامِيِّ العالَمي، وفتحُ مدينةِ القُسطَنطِينِيَّةِ التي وَعَدَ ﷺ المسلمين بِفَتحِها .

وكان مُبتَدَأُ عودَةِ القرارِ الإسلاميِّ على يدِ الأتراكِ العُثمانِيِّين الذين دخلَ آباؤُهم إلى الإسلامِ ، وفيهم ينطَبِقُ قَولُ النَّبيِّ ﷺ بعد ذكرِهِ لِقِتالِ التُّركِ قال : «وتَجِدون مِن خَيرِ النَّاسِ أشدَّهم كراهِيَةً لهذا الأمرِ حتى يَقَعَ فيه ، والنَّاسُ مَعادِنُ خِيارُهم في الجاهِلِيَّةِ خِيارُهم في الإسلامِ»[2]، وكان من خِيارِهم بلا شَكٍّ مُؤَسِّسُ الدَّولَةِ العُثمانِيَّةِ[3].

---

(١) «صحيح ابن حبان» (٦٧٧٧) .

(٢) «صحيح البخاري» (٣٥٨٨) .

(٣) عثمان بن طغرل الذي وصفته مراجع التاريخ بالعدل والحكمة والوفاء والصبر والشجاعة ، ولم يؤسس عثمان دولته حبا في السلطة وإنما حبا في نشر الإسلام ، ويقول أوغلو : لقد كان عثمان بن أرطغرل يؤمن إيماناً عميقاً بأن وظيفته الوحيدة في الحياة هي الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله ، وقد كان مندفعاً بكل حواسه وقواه نحو تحقيق هذا الهدف . اهـ . وفي «التاريخ العثماني المصور» عبارات هامة في وصية عثمان لأبنائه وأصدقائه تبرز مقومات دولته الإسلامية الثابتة ، فهاهو يقول : وارعوا علو الدين الإسلامي الجليل بإدامة الجهاد في سبيل الله ، أمسكوا راية الإسلام الشريفة في الأعلى بأكمل جهاد ، اخدموا الإسلام دائما، اذهبوا بكلمة التوحيد إلى أقصى البلدان بجهادكم في سبيل الله . وفي كتاب «مأساة بني عثمان» نجد وصية أخرى لولده يقول فيها : يا بني إني أنتقل إلى جوار ربي وأنا فخور بك بأنك ستكون عادلا في الرعية مجاهدا في سبيل الله لنشر دين الإسلام . يا بني .. أوصيك بعلماء

وفيها ـ أي : في مرحلةِ العُثمانيِّين الأتراكِ ـ تحقّقَ أيضاً وعدُ النَّبيِّ ﷺ بِفَتحِ القُسطَنطِينيَّةِ على يَدِ مُحَمَّدٍ الفاتِحِ ، السُّلطانِ العُثمانيِّ السَّابعِ في سِلسِلَةِ آلِ عُثمانَ، والذي تَمَكَّنَ بِفَضلِ اللهِ وحُسنِ إعدادِهِ للجُيوشِ وواسِعِ هِمَّتِهِ وقُوَّةِ عزيمَتِهِ من بَدءِ حَملَتِهِ العسكَرِيَّةِ في ١٣ رمضان سنة ٨٠٥ هـ مُبتَدِئاً بِحِصارِ المدينَةِ والإعدادِ لاقتِحامِها حتى تَمَكَّنَ من ذلك وتحقّقَ الفَتحُ على يَدِهِ، وجعلَها عاصِمَةَ الدَّولَةِ العُثمانِيَّةِ وأطلَقَ عليها لَقَبَ «إسلام بول» أي: مدينةَ الإسلامِ. ويُعتَبَرُ فتحُ القُسطنطِينِيَّةِ من أَهَمِّ أحداثِ التّاريخِ العالَمِي وخُصوصاً تاريخَ أوروبا وعلاقتِها بالإسلامِ.

وتحقَّقَ على يَدِهِ النَّصرُ الموعودُ على لسانِ رسولِ اللهِ ﷺ في قوله: «**لَتُفتَحَنَّ القُسطَنطِينِيَّةُ، فَلَنِعمَ الأميرُ أميرُها، ولَنِعمَ الجَيشُ ذلك الجيشُ**» رواه أحمد [1]. وفي روايةٍ : «**لَتُفتَحَنَّ القُسطَنطِينِيَّةُ على يَدِ رَجُلٍ، فَلَنِعمَ الأميرُ أميرُها ولَنِعمَ الجيشُ ذلك الجيشَ**»[2]. واستَمَرَّ بعدها في فَتحِ بِلادِ الصِّربِ واليونانِ ورومانيا وألبانيا

الأمة .. أدم رعايتهم وأكثر من تبجيلهم وانزل على مشورتهم فإنهم لا يأمرون إلا بخير . يابني إياك أن تفعل أمراً لا يرضي الله عز وجل، وإذا صعب عليك أمر فاسأل علماء الشريعة فإنهم سيدلونك على الخير، واعلم يا بني أن طريقنا الوحيد في هذه الدنيا هو نشر دين الله، وأننا لسنا طلاب جاه ولا دنيا . اهـ. انظر «الدولة العثمانية .. عوامل النهوض وأسباب السقوط» ص٥٢. وكانت هذه الوصية منهاجا سار عليه العثمانيون منذ مبتدأ أمرهم حتى عهد الانهيار والضعف .

(١) «مسند أحمد» (١٨٩٥٧) و«التاريخ الكبير» للبخاري (١٧٦٠) و«المعجم الكبير» للطبراني (٢/ ٣٨) (١٢١٦) وغيرهم .

(٢) ولعل الوقوف عند هذا الحديث الشريف وما يحمله من معان عظيمة في شرف المعركة والمرحلة والجيش والأمير يعيد لنا شيئا من شرف هذه الرسالة العظيمة وما يحمله فيها فقه التحولات من بشائر وإشارات يجري تحقيقها على أيدي جنود الله في الوقت المحدد

والبوسنةِ والهرسك حتى وفاته في ربيع الأول عام ٨٨٦ هـ ودُفِنَ بالأَستانَةَ .

وكتبَ بعضُ الأوروبيِّين عن وفاته : ماتَ النَّسرُ الكبيرُ . وأوصى الفاتِحُ ابنه بايزيدَ بِوَصِيَّةٍ عظيمَةٍ قال فيها : (ها أنذا أموتُ ، ولكني غير آسفٍ لأني تارِكٌ خَلَفاً مِثلَكَ . كن عادِلاً صالِحاً رَحِيماً ، وابسُط على الرَّعِيَّة حِمايَتَك بِدُون تمييزٍ ، واعمَل على نشرِ الدِّينِ الإسلامِيِّ ، فإنَّ هذا هو واجِبُ المُلوكِ على الأرضِ ، قَدِّم الاهتمامَ بِأمرِ الدِّين على كُلِّ شَيءٍ ، ولا تَفتُر في المُواظَبَةِ عليه ، ولا تستَخدِم الأشخاصَ الذين لا يهتَمُّون بِأمرِ الدِّين ، ولا يَجتَنِبون الكبائِرَ ، وينغَمِسون في الفُحشِ ، وجانِبِ البِدَعَ المُفسِدَةَ ، وباعِد الذين يُحَرِّضونك عليها ، وَسِّع رُقعَةَ البِلادِ بالجِهادِ واحرُس أموالَ بَيتِ المالِ من أن تتبَدَّدَ ، إيّاكَ أن تَمُدَّ يَدَكَ إلى مالِ أَحَدٍ من رَعِيَّتِك إلا بِحَقِّ الإسلامِ ، واضمَن للمُعوِزين قُوتَهُم ، وابذُل إكرامَكَ للمُستَحِقِّين .

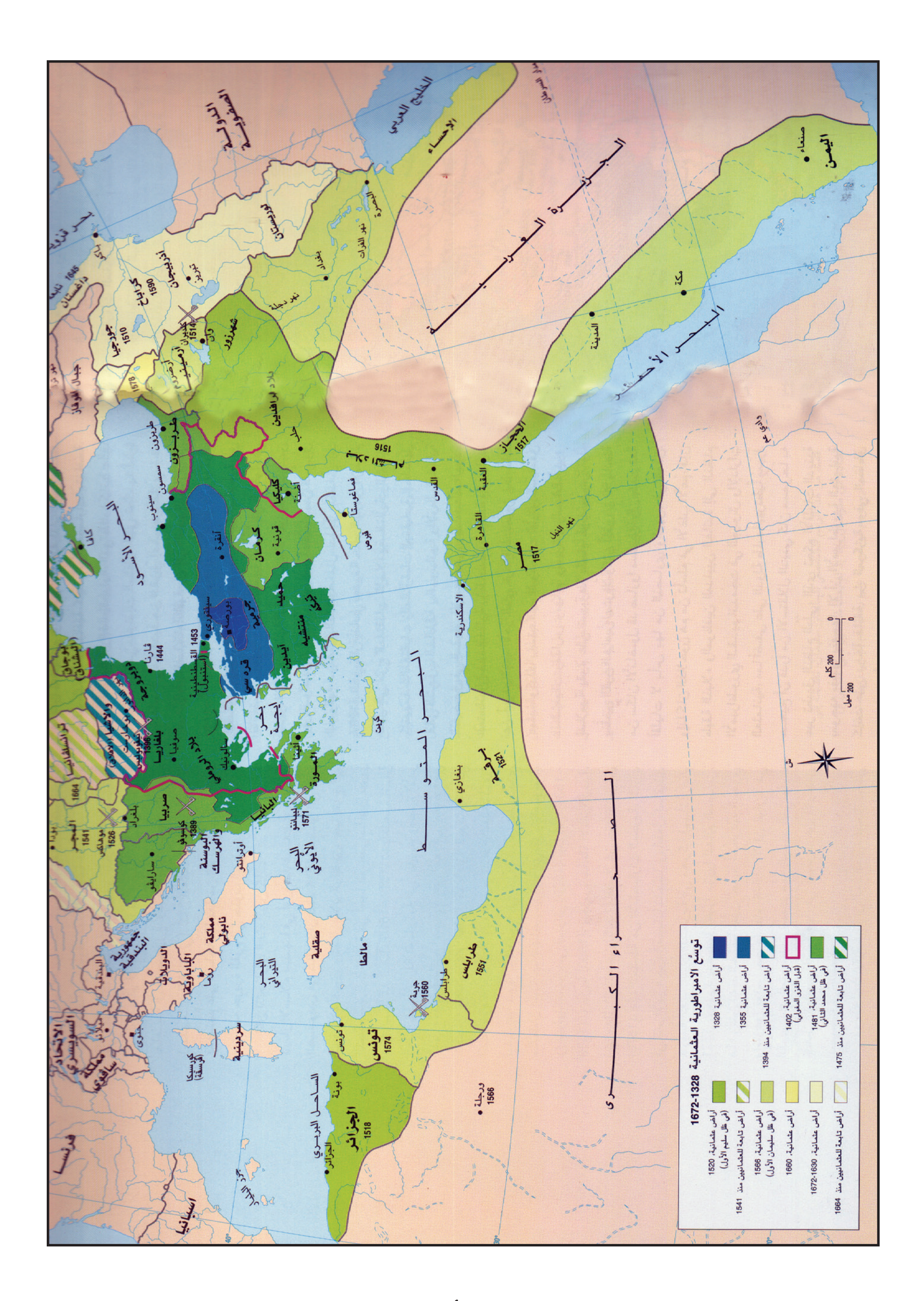
وبما أنَّ العُلَماءَ هم بِمَثابَةِ القُوَّةِ المبثوثةِ في جِسمِ الدَّولَةِ ، فَعَظِّم جانِبَهم وشَجِّعهم ، وإذا سَمِعتَ بِأَحَدٍ منهم في بَلَدٍ آخَرَ فاستَقدِمهُ إليكَ وأكرِمهُ بالمالِ .

حذارِ حذارِ ، لا يغرُّنَّكَ المالُ ولا الجُندُ ، وإياك أن تُبعِدَ أهل الشَّريعَةِ عن بابِكَ ، وإيَّاك أن تَميلَ إلى أيِّ عَمَلٍ يُخالِفُ أحكامَ الشَّريعَةِ ، فإنَّ الدِّينَ غايَتُنا ، والهِدايَةَ مَنهَجُنا ، وبذلك انتَصَرنا .

خُذ مِنِّي هذه العِبرَةَ : حَضَرتُ هذه البلادَ كَنَملَةٍ صغيرَةٍ ، فأعطاني اللهُ تعالى هذه النِّعَمَ الجليلةَ ، فالزَم مَسلَكي ، واحذُ حَذوِي ، واعمَل على تعزيزِ هذا الدِّين

بأمر الله ، ومن ثم يمكن متابعة قراءة وقائع المعارك والفتوحات وإسقاط دلالاتها على عظمة النصوص النبوية المعبرة عن سير الحركة التاريخية المرتبطة بشرف الديانة .

وتَوقيـرِ أهلِـهِ ولا تصرِف أموالَ الدَّولَةِ في تَرَفٍ أو لهـوٍ أو أكثَرَ مِن قَدرِ اللُّزومِ فَإِنَّ ذلك مِن أعظَمِ أسبابِ الهلاكِ .



مخطط توسع الدولة العثمانية ، أطلس التاريخ الحديث ص٦٢

سلاطين آل عثمان

«دور القوة»

سليمان

أرطغرل

(١) عثمان الأول

٦٥٠ - ٧٢٥

(٢) أورخان

٧٢٥ - ٧٦٢

(٣) مراد الأول

٧٦٣-٧٩٢

(٤) بايزيد يلدرم - الصاعقة

٧٩٢-٨٠٠

فترة خلافات بين أولاد بايزيد والنفوذ الأجنبي (مغول)

٨١٦-٨٢٥

(٥) محمد الأول — سليمان — موسى

ثم انتهى سلطان المغول وانفرد محمد الأول بالسلطة

٨١٦-٨٢٥

(٦) مراد الثاني

٨٢٥-٨٥٥

(٧) محمد الثاني - الفاتح

٨٥٥-٨٨٦

(٨) بايزيد الثاني

٨٨٦-٩١٨

(٩) سليم الأول

٩١٨-٩٢٦

(١٠) سليمان الأول - القانوني

٩٢٦-٩٧٤

(١١) سليم الثاني

٩٧٤-٩٨٢

(١٢) مراد الثالث

المشجر العام لآل عثمان في دور القوة، المرجع السابق ص٢٦



محمد الثاني (الفاتح)



عثمان الأول



السلطان بايزيد

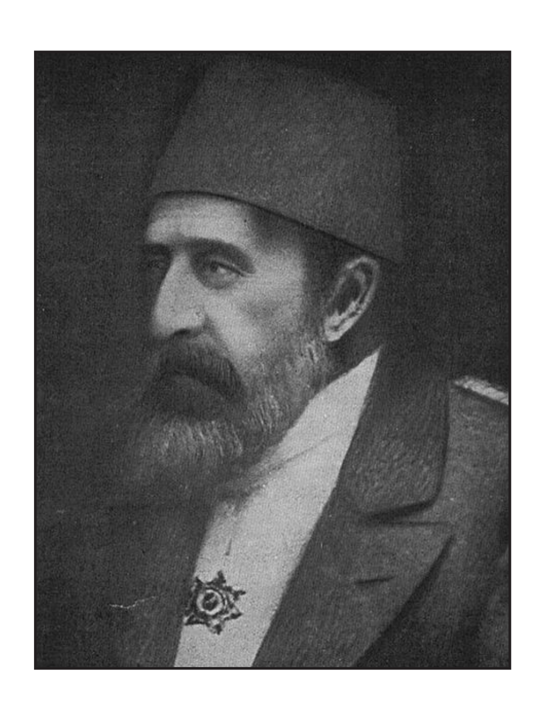


سليمان القانوني



محمد السادس

أخذت الصور عن المصدر السابق ص٦٤-٦٥

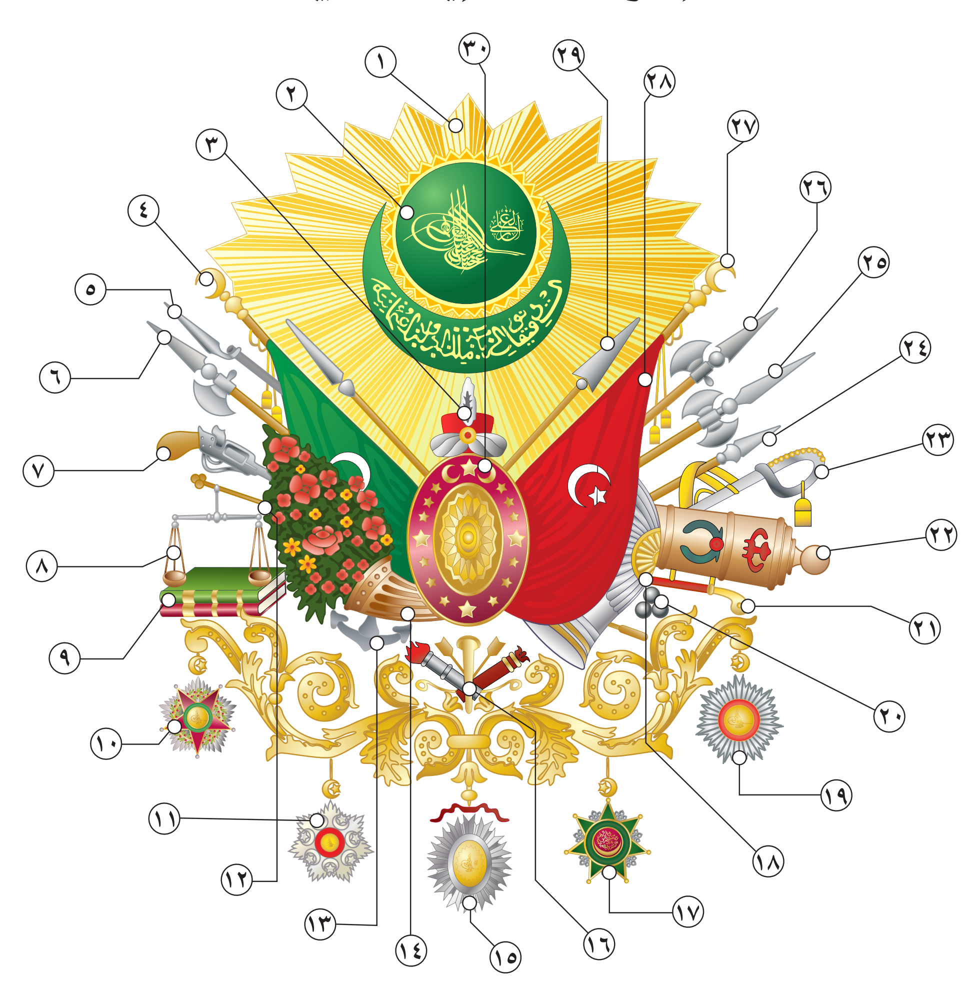


السلطان عبدالحميد الثاني ، السلطان ٣٤ للدولة العثمانية، تولى الحكم عام ١٨٧٦م ، حتى تنازله الإجباري ١٩٠٩ م ، ثم نفي إلى البلقان (اليونان) ومكث تسع سنين في المنفى حتى توفي عام ١٩١٨ م عن ستة وسبعين عاما رحمه الله ، دامت مدة حكمه ٣٣ عاما



طغراء السلطان عبدالحميد الثاني، وهو نموذج من أختام سلاطين آل عثمان وتوقيعاتهم الرسمية، ونصه: المظفر دائما عبدالحميد بن عبدالحميد خان الغازي، المصدر: موقع tugra.org للباحث التركي إركان منسز

شِعَارُ الدَّوْلَةِ العَلِيَّةِ العُثْمَانِيَّةِ



شعار الدولة العثمانية ، صمم أصله واعتمده السلطان عبدالحميد الثاني عام ١٨٨٢ م
ترجم الشرح عن اللغة التركية ، للاستزادة انظر المادة في موسوعة wikipedia.com باسم
Osmanli-nisani

١- نموذج للشمس حول الطغراء (التوقيع) وتعبر عن تشبيه السلطان بالشمس .

٢- طغراء السلطان عبدالحميد الثاني، وفي الهلال الأخضر مكتوب بالتركية عبارة قريبة من : توفيقات الربانية ملك الدولة العثمانية.

٣- طربوش له طرة (ريشة): يعبر عن عثمان الغازي وعرشه.

٤- علم الخلافة الأخضر.

٥- بندقية ذات حربة مدببة كانت بمثابة سلاح أصيل للجيش العثماني هي والنظم الحديثة.

٦- فأس مزدوج، له جهتان. ٧- طبنجة (مسدس) لها مقبض.

٨- ميزان: في الأساس هو الرمح والعصا، ويمثل العدالة.

٩- في الأعلى: القرآن الكريم، وفي الأسفل: القوانين.

١٠- وسام الامتياز، كان يمنح لرجال العلم الذين يقدمون خدمات جليلة للدولة هم والإداريين والعسكريين.

١١- وسام عثماني قرره السلطان عبدالعزيز عام ١٨٦٢ م وكان يمنح لمن يوفق في خدمة الدولة.

١٢- الرمح (سلاح قديم) والعصا. ١٣- المرساة، شعار البحرية العثمانية.

١٤- نفير البركة. ١٥- وسام الافتخار. ١٦- قوس. ١٧- وسام مجيدي.

١٨- بوق: آلة للعزف من الفرق الموسيقية الحديثة.

١٩- وسام الشفقة، أوجده السلطان عبدالحميد الثاني سنة ١٨٧٨ م وكان يمنح للنساء اللواتي يقدمن خدمات للدولة والشعب في المحن والمصائب الكبرى.

٢٠- قذائف مدفعية (توجد على بعض الشارات). ٢١- سيف.

٢٢- قذيفة، تعبر عن فيلق المدفعية.

٢٣- سيف بدرع يدوي للاحتفالات، لم يكن سيفا تركيا تقليديا، وكان يستخدم من قبل الضباط في هذا الوقت. ٢٤- مزراق (رمح).

٢٥- بلطة مزدوجة، كانت تستخدم باعتبارها نموذجا للرفعة من قبل المنتسبين ذوي المراتب العليا من الجيش.



٢٦- فأس (بلطة) لها جانب واحد. ٢٧- البيرق.

٢٨- العلم العثماني، الراية الحمراء ذات الهلال والنجمة هي راية بني عثمان، والراية الخضراء ذات الأهلة الثلاثة هي الراية الإسلامية.

٢٩- مزراق (رمح)، يرمز إلى ألوية المشاة الذين يحملون الرماح في العصور المتأخرة.

٣٠- درع ذهبي يحيط بالطغراء.

وظلَّـت الدَّولـَةُ العُثمانِيَّةُ رمزَ الفُتوحاتِ الإسـلامِيَّةِ واجتماعِ القرارِ الإسـلاميِّ خِـلالَ مراحِلِهـا المُتنامِيَـةِ ، ففتحت بلادَ القَرمِ وبلاد العَجَمِ مـن أرضِ فارِسَ بعد تمرُّدِهم، وفتحت المَجَرَ وغزت السَّواحِلَ الإيطاليَّةَ والفرنسيَّةَ والإسبانيَّةَ ، وطاردَ السُّلطانُ القانونيُّ البُرتغالِيِّين في مياهِ المُحيطِ الهندِيِّ وبحرِ العَرَبِ[1] .

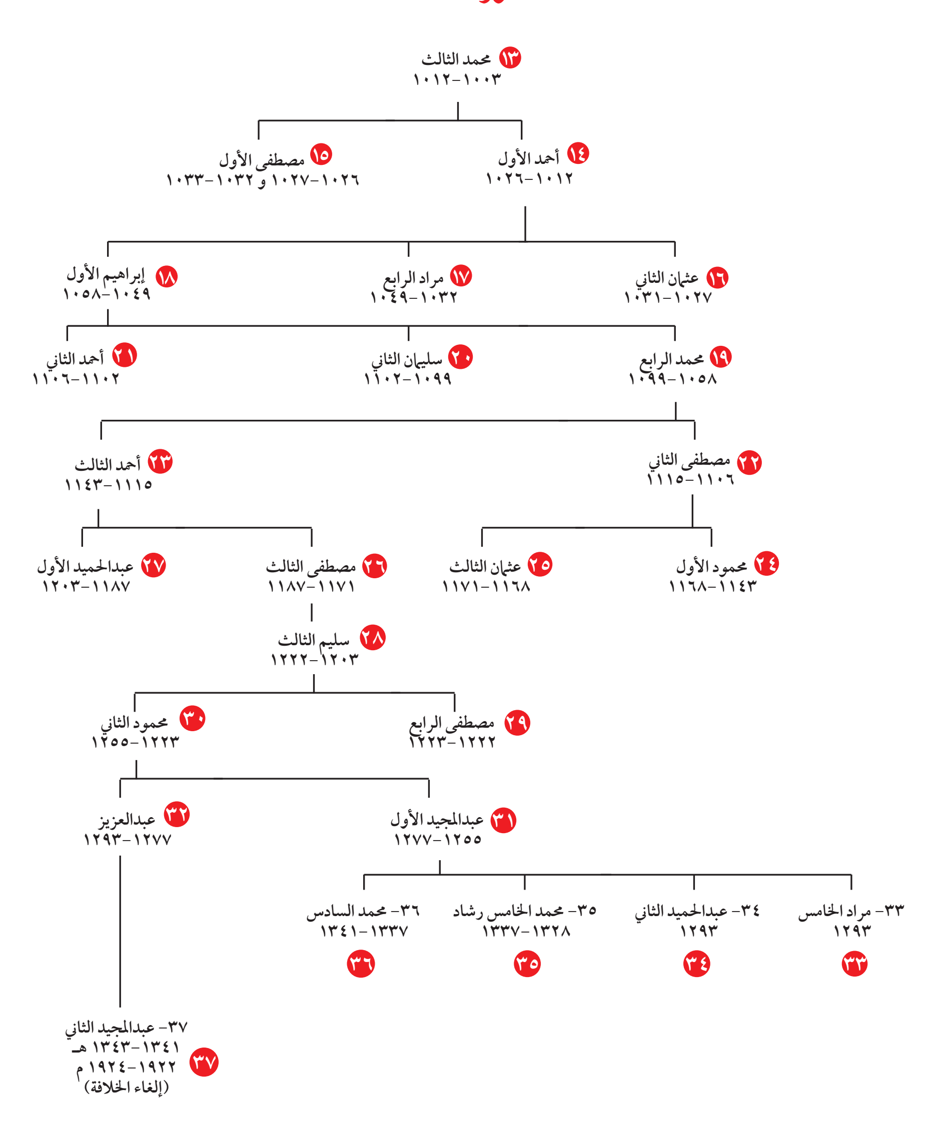
---

(١) قامـت دولـة البرتغـال عـام ١٤١٥ م بغـزو المغـرب الأقصـى ، وكانت هذه بداية سلسـلة الغـزو البرتغالـي علـى الشـمال الإفريقـي، ثـم إلـى المحيط الأطلسـي والالتفـاف حول العالم الإسـلامي بدوافع صليبية تؤكدها مقولات بعض زعمائهـم وهو (البوكيرك) القائد البرتغالـي: نحـن علـى يقين لو انتزعنـا تجارة (ملقـا) هذه مـن أيديهم ـ أي: المسـلمين ـ لأصبحت كل من القاهرة ومكة أثرا بعد عين. اهـ. وقال: كان هدفنا الوصول إلى الأماكن المقدسـة للمسـلمين واقتحام المسجد النبوي وأخذ رفات النبي محمد رهينة لنساوم عليه العرب من أجل استرداد القدس. اهـ .

وهذا يظهر للباحث في الغزو البرتغالي أنه عامل مهم من العوامل التي دفعت البرتغاليين لارتيـاد البحـار والالتفـاف حـول العالم الإسـلامي مصدرين المراسـم والأوامر ورسـم الصليـب والمدفع كشـعار للحملات، واسـتعانوا فـي حملاتهم باليهود الذين اسـتخدموا كجواسـيس، ونجح البرتغاليون في خططهم وتمكنوا من السـيطرة على معابر التجارة في الساحل الإفريقي والخليج العربي وبحر العرب، وشهدت المناطق التي وصلوا إليها كثيرا من المجازر والتدمير والاعتداء على الحرمات ومنع المسلمين من الجمع وهدم المساجد عليهم، وقد واجه العثمانيون البرتغاليين بشجاعة نادرة وتمكنوا من استرداد بعض الموانئ الإسلامية في البحر الأحمر والساحل الإفريقي والخليج العربي وبحر الهند وبحر العرب وخليـج عدن، وتـم طـرد البرتغاليين وإيقافهـم بعيدا عـن الممالك الإسـلامية والحد من نشـاطهم وحماية الأماكن المقدسـة. اهـ. بتصرف من «الدولة العثمانية.. عوامل النهوض وأسباب السقوط» ص٢٦٠-٢٦٦ .

سلاطين آل عثمان

«دور الضعف»



المشجر العام لآل عثمان في دور الضعف ، أطلس التاريخ الحديث ص٦٣

عوامل الضعف والانهيار لبني عثمان

وهكذا استمرَّت دولَةً إسلاميَّةً عزيزةً لِعِدَّةِ قُرونٍ حتى سرى الضَّعفُ إلى الدَّولَةِ في أواخِرِ عَهدِها وبدأت أطماعُ الدُّوَلِ الأوروبِّيَّةِ بعد اكتشافِ رأسِ الرَّجاءِ الصَّالِحِ وظُهورِ الآلَةِ البُخارِيَّةِ ، حتى تهيَّأت عوامِلُ الانهيارِ والسُّقوطِ بالأسبابِ التَّالِيَةِ :

(١) تأثُّرِ عناصِرِ الدّولَةِ بالحضارَةِ الغَربِيَّةِ والتمتُّعِ بالشَّهَواتِ والرُّكونِ إلى الدَّعَةِ وتَركِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ .

(٢) اتِّصالِ المُفكِّرين والمُثَقَّفين المُسلِمين بالأوربِّيِّين ، وكَثرَةِ البَعثَاتِ إلى أوربا والانغماسِ في مفاهيمِ الحُرِّيّاتِ الأوروبيَّةِ.

(٣) تَغلغُلِ يهودِ الدّونمَةِ في الجمعيّاتِ والتّكتُّلاتِ السِّياسِيَّةِ ، ووُصولِهِم من خلالِ الحِزبِيَّةِ إلى مواقِعِ القَرارِ ، وتشجيعِ هذه الجمعيَّاتِ على النُّمُوِّ واختراقِ الواقِعِ التقليدِيِّ .

بدء ظهور العلمنة: إفراط المسلمين في الانبهار بعلمانية الغرب

(٤) التأثُّرِ الأعمى بِسياسَةِ القومِيَّاتِ التي رَوَّجَ لها اليهودُ ، كسِياسَةِ التَّتريكِ والتَّعريبِ وحَرَكَةِ الانفصالِ، وخاصَّةً في شُعوبِ البَلقانِ المسيحِيَّةِ .

(٥) تأثُّرِ العديدِ من الحُكَّامِ وبِطاناتِ البَلاطِ العُثمانيِّ والجُندِ بِدَعوَةِ العِلمانِيَّةِ «فَصلِ الدِّينِ عن الدَّولَةِ» ، وهو ما كانت تُرَوِّجُ له الدُّوَلُ الأوروبِّيَّةُ إبَّانَ مرحلَةِ الثَّورةِ الصِّناعِيَّةِ من مفاهيمِ الحُرِّيَّاتِ والدِّيمقراطِيَّةِ ودَولَةِ البَرلمانِ .

وقد عزَّزَ الخليفةُ عبدُالحميدِ الثّاني دولَةَ الخلافَةِ إبّانَ مرحلَةِ خِلافَتِهِ بالإصلاحاتِ العديدةِ وواجَهَ السِّياسَةَ الأوروبِّيَّةَ واليهودِيَّةَ بِثَباتٍ وحَزمٍ ، واستطاعَ أن يُعيدَ لها التَّوازُنَ مُدَّةَ خِلافَتِهِ حتى تنازُلِهِ الإجبارِيِّ في السادس من ربيع الآخر عام ١٣٢٧ هـ (٢٧/ ٤/ ١٩٠٩ م) للاتحاديين .

بدء ظهور العلمانية وفصل الدين عن الدولة مع سقوط القرار الإسلامي

وبتنازُلِهِ القسرِيِّ القائِمِ على الخِداعِ والحَبكَةِ اليهودِيَّةِ الدونمِيَّةِ دخل العالَمُ العَرَبيُّ والإسلاميُّ مرحلَةً خطيرَةً في مستوى القرارَينِ : قرارِ الحُكمِ وقرارِ

العِلمِ، وظهرت آثارُ وتداعياتُ ما سُمِّي بالخِلافةِ المُدَونَمَةِ[1].

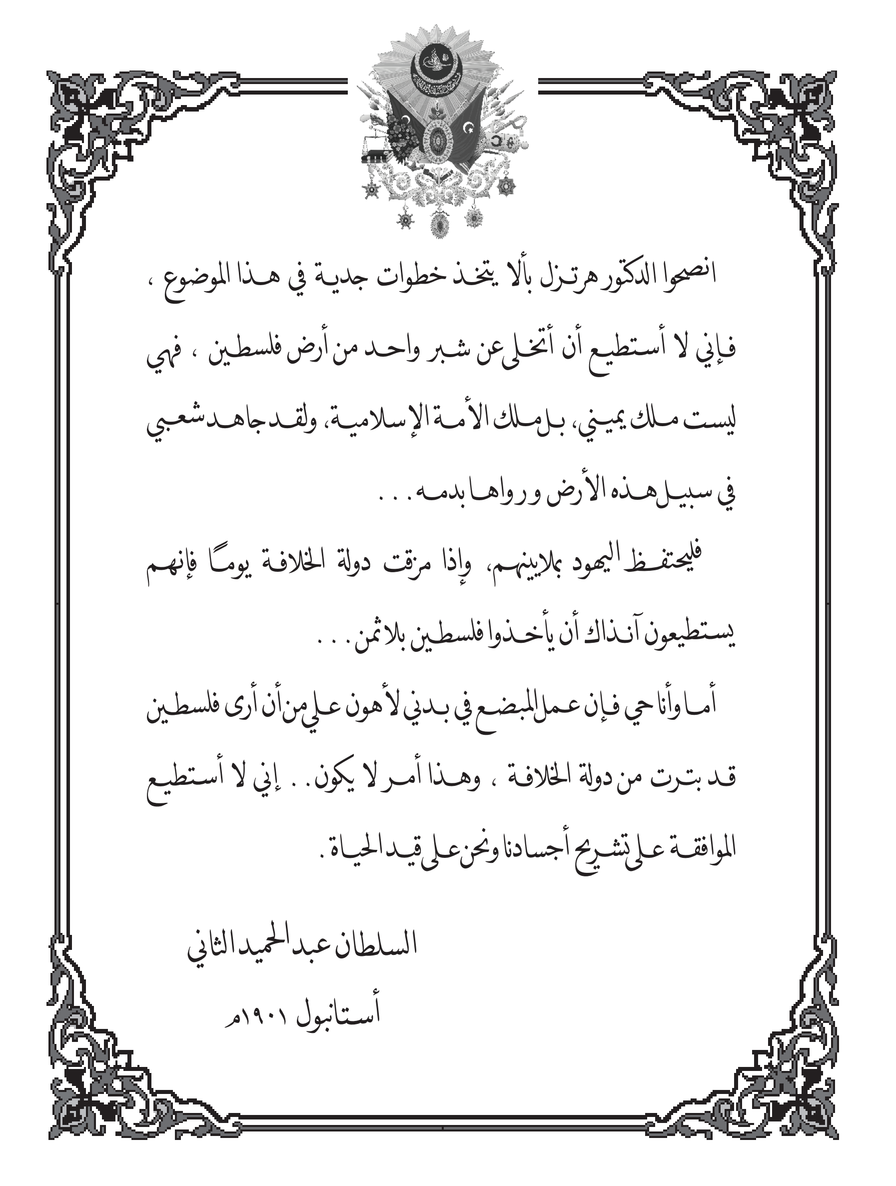
نبذة عن السلطان عبدالحميد الثاني

وكان مُبتَدَأُ حُكمِ عبدالحميدِ الثَّاني من عامِ ١٨٧٩ وانتهى عام ١٩٠٩ م ودامَ حكمُه ثلاثةً وثلاثينَ عاماً، حيث كانت السَّلطَنَةُ مُثقَلَةً بالمتاعِبِ والأزَماتِ، فقام بِمُهِمَّةِ الخلافَةِ في عهدِهِ وعَمِلَ على زيادَةِ نَشاطِ العُمرانِ والسِّكَّةِ الحديديَّةِ والمرافِئِ المُتَعَدِّدَةِ وإنشاءِ خَطِّ الحِجازِ والشّامِ وأنشأ الجامِعَةَ الإسلاميَّةَ لِلَمِّ شَعَثِ العالَمِ الإسلاميِّ ووُقوفِهِ صَفّاً واحداً أمام المُؤامَراتِ والدسائِسِ، وفي عام ١٨٩٧ م عَرَضَ هِرتِزل مُؤَسِّسُ الدَّولَةِ الصُّهيونِيَّةِ على السُّلطانِ عبدالحميدِ إنشاءَ الوَطَنِ القوميِّ لليَهودِ في فِلَسطِين وتَعَهَّدَ له بتَسدِيد كافَّةِ دُيونِ الدَّولَةِ وتقديم مَبلَغٍ كبيرٍ للسُّلطانِ، فرَفَضَ السُّلطانُ الطَّلَبَ ورَدَّ عليه، وهذه صورة عن نَصِّ الوثيقة.

---

(١) ويطلق هذا التعريف على المرحلة الخطيرة التي تولى فيها الاتحاديون سياسة الأمور ومن ارتبط بهم ونهج منهجهم من يهود الدونمة في تسييس قرار الخلافة الإسلامية وتمزيق دولته الواسعة وإلهاب نار الفتنة القومية بين الأتراك والعرب وما ترتب على ذلك من ثورة الشعوب العربية ضد الأتراك وسياستهم، والوقوع بسبب ذلك في مخطط الاستعمار ووعوده الكاذبة، مما أدى إلى الفصل بين القرار الإسلامي العالمي وبين العرب الثائرين، وكان بها تمزيق أوصال الأمة وبدء استتباعها السياسي والاقتصادي للقرار العالمي الكافر.

وقد بدأت الخلافة المدونمة بعد التنازل الإجباري للسلطان عبدالحميد الثاني عام ١٩٠٩ م، وانتهت بإلغاء أتاتورك للخلافة عام ١٩٢٤ م، وفي هذه السنوات الخمسة عشر ظهرت سياسة التتريك (١٩١١ م) التي كانت أحد مولدات التيار العربي القومي، ودخلت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ م) إلى جانب ألمانيا، ووقعت مذابح العثمانيين للأرمن (١٩١٥ م)، وفي الإجمال فقد أشرف الدونمة على قرارات ٣ سلاطين عثمانيين: محمد الخامس، محمد السادس، وعبدالمجيد الثاني الذي ألغيت الخلافة في عهده إلغاء رسميا عام ١٩٢٤ م. وعلى وجه التدقيق فيها فقد دامَت سيطرة الدونمة على القرار عشر سنواتٍ بَينَ عامَي (١٩٠٩م- ١٩١٩م). ثم ٥ سنوات رضخت فيها تركيا لحكم عساكر الحلفاء بقيادة بريطانيا (١٩١٩م- ١٩٢٤م).



انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع ، فإني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين ، فهي ليست ملك يميني، بل ملك الأمة الإسلامية، ولقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه . . .

فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت دولة الخلافة يومًا فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن . . .

أما وأنا حي فإن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من دولة الخلافة ، وهذا أمر لا يكون . . إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة .

السلطان عبد الحميد الثاني

أستانبول ١٩٠١م

رد السلطان عبدالحميد الثاني على هرتزل مؤسس الصهيونية

وكانـت الدُّولُ الأوروبِّيَّةُ (فرنسـا ، انكلترا ، روسـيا) غاضِبَةً من عَمَلِ السُّـلطانِ لِمَنـحِ امتيـازاتِ الخَطِّ الحديديِّ الواصلِ بين اسـتانبولَ وبغـدادَ لألمانيا ، فدَأَبَت علـى تحريـكِ العناصِرِ المُعارِضَـةِ ومَدِّها بالمعوناتِ السِّـرِّيَّةِ لإعـلانِ العِصيانِ ، وتأسَّسَـت أحزابٌ مُناوِءَةٌ للسُّـلطانِ ، وكان بعضُ اليهودِ المُتظاهِرين بالإسـلامِ علـى رأسِ المُفسِـدين ، إضافَـةً إلى تَغذِيَـةِ الـرُّوحِ القَومِيَّةِ لدى العَـرَبِ والأكرادِ والأرمَنِ والشَّراكِسَةِ والأرناؤوطِ وأحزابٍ اتَّخَذَت لها شعاراتٍ إصلاحيَّةً مُغرِضَةً ومنهـا حِـزبُ الاتِّحـادِ والتَّرَقِّي في (سُـلانيك) الذي سـعى إلى الدَّعوَةِ للدُّسـتورِ وخرجوا في مظاهراتٍ صاخبةٍ مِمَّا حَمَلَ السُّـلطانَ على إعادَةِ الدُّسـتورِ ، كما كان للإرسـاليَّاتِ والبَعثاتِ والمـدارِسِ الأجنَبيَّةِ والقُنصلِيَّاتِ نَفـخٌ في الرَّمادِ وتأجيجٌ لِنارِ الحِقدِ والصِّراعِ ضِدَّ السُّلطانِ وما يدعو إليه كالجامِعَةِ الإسلاميَّةِ .

ورَفَـعَ حِـزبُ الاتِّحادِ والتَّرقِّـي بديلاً عن الجامِعَةِ الإسـلاميَّةِ مبـادئ (الحُرِّيَّةِ – العَدلِ – المُساواةِ) وأكثَروا حولَها الشَّائعاتِ ، واختَلَقوا الأخبارَ عن ظُلمِ السُّلطانِ والرَّعايـا وقَتلِهـم حتى أسـمَتهُ الصُّحُفُ (السُّـلطانَ الأحمـرَ) زُوراً وكَذِبـاً وكَيداً ، وتنامَت هذه الفِتَنُ وتلاحَقَت حتى طالَبَت هذه العناصِرُ بِخَلعِ السُّلطانِ .

وعندما خُلِعَ السُّـلطانُ تسـابَقَت الأحزابُ والقُـوَى لِكِتابَةِ التَّاريخِ السِّياسِـيِّ بما يخـدِمُ الإثـارَةَ والفِتنَـةَ ضِدَّ عَصرِ السُّـلطانِ وخِلافَتِـهِ، واعتَبَروا أنَّ حِـزبَ الاتِّحادِ والتَّرقِّـي هـو المُنقِـذُ للأُمَّـةِ مـن الاسـتبدادِ الحميـدِيِّ (العهـدُ الحميـدِيُّ = عهدُ عبدِالحميدِ) ، وكانت الكارِثَتان بعد ذلك : الأولى الاعترافُ بِفِلَسطِين كوَطَنٍ قَومِيٍّ لليهودِ، والثانية إسـقاطُ الشَّريفِ حُسينٍ بعد أن وَعَدوه بالخِلافَةِ العَرَبِيَّةِ ودفعوا به إلى مُحارَبَةِ الأتراكِ وإعلانِ الثَّورَةِ ضِدَّهم.

ولمـا خُلِـعَ السُّـلطانُ وُضِعَ فـي أَحَدِ القُصـورِ اليهودِيَّةِ في سُـلانيك فـي البلقان

(اليونـانِ)، وشُـدِّدَت عليه الحِراسَـةُ في إقامـةٍ جَبرِيَّةٍ، وكان من بيـن الحُرَّاسِ أَحَدُ أتباعِ الشَّـيخِ أبي الشاماتِ شَيخِ السُّلطانِ عبدالحميد ، وعن طريقِهِ تَمَّت المواصلَةُ سِـرّاً بين السُّـلطانِ والشَّـيخِ وحَفِظَ الزَّمانُ للأُمَّةِ إحدى رسـائِلِ السُّلطانِ المخلوعِ التي أرسـلها إلى شَـيخِهِ. ومكث في منفاه تسع سـنين حتى توفي في ٢٨ من ربيع الآخر عام ١٣٣٦ هـ (١٠/ ٢/ ١٩١٨ م) عن ستةٍ وسبعينَ عاماً رحمه الله.

وهـذا يُؤَكِّدُ علاقَةَ الدَّولَةِ العُثمانِيَّةِ بالتَّصَوُّفِ وعِنايَتَها به، وأنَّ أَوَّلَ أسـبابِ نَكثِ العُهودِ لهذه الأمانَةِ وهي مَرتَبَةُ الإحسـانِ إسـقاطُ رَجُلِ القـرارِ في الخلافةِ لِيُصبحَ التَّصَـوُّفُ أَحَـدَ تَبِعاتِ المرحلةِ الحميدِيَّـةِ عند الصُّهيونِيَّـةِ وعُمَلائِها، والذي عَمِلَ الجميـعُ فيما بعدُ على مُحارَبَتِه وخَلطِ أوراقِـهِ لِيَصِلَ فيما بعدُ إلى ما وصلَ إليه من تعريفِهِ بـ(الشِّركِ والضَّلالَةِ).

رسالة السلطان عبدالحميد الثاني في المنفى إلى شيخه عام ١٩١١ م (باللغة التركية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ رَبِّ العالمينَ وأفضَلُ الصَّلاةِ وأَتَمُّ التَّسـليمِ على سَـيِّدنا مُحَمَّدٍ رَسـولِ رَبِّ العالمينَ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعين والتَّابعين إلىٰ يومِ الدِّينِ.

أرفَـعُ عريضَتي هذه إلىٰ شَـيخِ الطَّريقَةِ العلِيَّةِ الشـاذِلِيَّةِ، إلـىٰ مُفيضِ الرُّوحِ والحياةِ، وإلىٰ شَـيخِ أهلِ عَصرِهِ الشَّـيخِ محمود أفندي أبي الشَّاماتِ، وأُقَبِّلُ يَدَيهِ المُبارَكَـتَينِ راجيًا دَعَواتِهِ الصَّالِحَةِ. بعد تقديمِ احترامي أعرِضُ أني تلقَّيتُ كِـتَابَكم المؤَرَّخَ في ٢٢ مارس من السَّنَةِ الحالية، وحَمِدتُ المولىٰ وشكرتُهُ أنَّكم بِصِحَّةٍ وسلامَةٍ دائِمَتَينِ.

سَـيِّدي : إنَّنـي بِتَوفِيـقِ اللهِ تعالى مُداوِمٌ على قِراءَةِ الأورادِ الشَّـاذِلِيَّةِ ليلاً ونهارًا ، وأعـرِضُ أنَّني مازِلتُ مُحتاجًا لِدَعَواتِكم القلبِيَّةِ بصورَةٍ دائِمَةٍ.

بعد هذه المُقَدِّمَةِ أعرِضُ لِرَشَـادَتِكم وإلىٰ أمثالِكم أصحابَ السَّـماحَةِ والعُقولِ السَّـليمَةِ المسـألَةَ المُهِمَّةَ الآتِيَةَ كأمانَةٍ في ذِمَّةِ التَّاريخِ:

إنَّني لم أتَخَلَّ عن الخلافَةِ الإسلامِيَّةِ لِسَبَبٍ ما ، سوىٰ أنني - بِسَبِبِ المُضَايَقَةِ من رُؤساءِ جمعِيَّةِ الاتِّحادِ المعروفَةِ بِإسـمِ (جون تـورك) وتهديدِهم- اَضطُرِرتُ وأُجبِرتُ على تَرْكِ الخِلافـةِ. إنَّ هؤلاءِ الاتِّحادِيِّين قد أَصَرُّوا وأَصَرُّوا عَلَيَّ بأن أُصادِقَ على تأسـيسِ وَطَنٍ قَومِيٍّ لليهودِ في الأرضِ المُقَدَّسَـةِ (فِلَسطِين) ، ورَغمَ إصرارِهـم فلم أقبَـل بِصورَةٍ قَطعِيَّةٍ هـذا التَّكليفِ ، وأخيرًا وَعَـدوا بِتَقدِيم ١٥٠ مائة وخمسـين مليونَ ليرَةٍ إنجليزِيَّةٍ ذَهَبًا ، فرَفَضتُ هذا التَّكليفَ بِصورَةٍ قطعِيَّةٍ أيضًا ، وأجبتُهم بهذا الجوابِ القَطعيِّ الآتي: (إنَّكم لـو دَفَعتُم مِلءَ الأَرضِ ذَهَبًا - فَضلاً عن ١٥٠ مائة وخمسـين مليون ليرةٍ إنجليزِيَّةٍ ذَهَبًا - فلن أقبَلَ بِتَكليفِكُم هذا بوجهٍ قطعيٍّ ، لقد خَدَمتُ المِلَّةَ الإسـلامِيَّةَ والمُحَمَّدِيَّةَ مايزيدُ عن ثلاثين سَـنَةً فلم أُسَـوِّد صحائِفَ المسـلمين آبائي وأجدادي من السَّـلاطينِ والخُلَفاءِ العُثمانِيِّين ، لهذا لن أقبَلَ تكليفَكُم بوجهٍ قَطعِيٍّ أيضًا).
وبعد جوابي القطعِيِّ اتَّفَقوا على خَلعِي ، وأبلَغوني أنهم سَيُبعِدونَني إلىٰ (سُلانيك) فقَبِلتُ بهذا التَّكليفِ الأخيرِ. هذا وحَمِدتُ المولىٰ وأحمَدُه أنَّني لم أقبَل بأن أُلَطِّخَ الدَّولَةَ العُثمانِيَّةَ والعالَمَ الإسلامِيَّ بهذا العارِ الأَبَدِيِّ النَّاشِـئِ عن تكليفِهم بِإقامَةِ دَولَةٍ يهودِيَّةٍ في الأراضي المُقَدَّسَـةِ فلسـطينَ... وقد كان بعد ذلك ما كان ، ولـذا فإنَّنـي أُكَرِّرُ الحَمدَ والثَّناءَ علـىٰ اللهِ المُتَعالِ ، وأعتَقِدُ أنَّ ما عرضتُـهُ كافٍ في هذا الموضوعِ الهـامِّ ، وبـه أختِمُ رِسـالَتي هذه. ألثُـمُ يَدَيكُم المُبارَكَتَينِ ، وأرجو وأسـتَرحِمُ أن تَتَفَضَّلوا بِقَبـولِ احترامي بِسَلامي علىٰ جَميعِ الإخوانِ والأصدِقاءِ.

يا أُسـتاذِي المُعَظَّمُ لقد أَطَلـتُ عليكم التَّحِيَّةَ ، ولكن دَفَعَني لهذه الإطالَةِ أن نُحيطَ سـماحَتَكم عِلمًا ، ونُحيطَ جماعَتَكم بذلك عِلمًا أيضًا.

والسلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ

في ٢٢ أيلول ١٣٢٩

خادِمُ المسلمينَ

عبدُ الحميدِ بنُ عبدِ المجيدِ

قِراءةُ مرحلةِ الغُثاءِ والوهنِ من واقِعِ فِقهِ التحوُّلات

مرحلة مفصلية فصلت تماماً بين قراري الحكم والعلم

بِما أنَّ مرحلةَ الغُثاءِ المُشارِ إلَيها هي مرحلةُ حياتِنا المُعاصِرةِ، ولها ارتِباطٌ وثيقٌ بعلاماتِ الساعةِ الوُسطى والصُّغرى وما يتفرَّعُ عنها من مفاهيمِ فِقهِ التحوُّلاتِ، وفي شأنِها بسطَ النبيُّ ﷺ الأخبارَ والآثارَ مُجملةً ومُفصَّلةً، فيبقى علَينا أمامَ ذلِكَ ترتيبُ الزمنِ الغُثائيِّ ووضعُه في مَوقِعِه الصحيحِ مِنَ النُّصوصِ، سواءٌ في الحُكمِ أوِ العِلمِ أوِ الحياةِ بِعُمومِها؛ لِأنَّ مرحلةَ الغُثاءِ مرحلةٌ مفصليَّةٌ في تاريخِ التحوُّلاتِ كُلِّها، ولها أهميةٌ عظيمةٌ في كافَّةِ شُؤونِها المُتحوِّلةِ والمُتحصِّلةِ، وتكادُ أن تفصلَ تمامًا ـ في شأني: «قرارِ الحُكمِ» أولًا، و«قرارِ العِلمِ» ثانيًا ـ بَينَ التاريخِ الأبويِّ الشرعيِّ المُسندِ برجالِه وأهلِه برغمِ اختلافِهم، وبينَ التاريخِ الأنويِّ الوضعيِّ

إذا وسِّد الأمر إلى غَير أهله

المُوسَّدِ وسقوطِ الأمرِ بيدِ غيرِ أهلِه، كما عبَّرَ عن ذلِكَ مَن لا ينطِقُ عنِ الهوى ﷺ في قولِه عن علامةِ الساعةِ وتضييعِ الأمانةِ ـ مُجيبًا على مَن سألَه: وكيفَ إضاعتُها؟ ـ قالَ: «**إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غَيرِ أهلِه**»[1].

---

(١) الحديث ورد بلفظ «التَّوسيدِ» في «صحيح البخاري» (٥٩) الفتح برقم (١: ١٢٣) وبلفظ «الإسناد» البخاري (٦٤٩٦) الفتح كما هو في «صحيح البخاري» برقم (٦٠١٥)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا ضُيِّعَت الأمانةُ فانتظِرِ الساعةَ**». قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «**إذا أُسنِدَ الأمرُ إلى غَيرِ أهلِه فانتظِرِ الساعةَ**».

وفي «فتحِ الباري» لابن حجر (١١/ ٣٧٦): قال الكرماني: أجاب عن كيفية الإضاعة بما يدل على الزمان؛ لأنه يتضمَّن الجوابَ؛ لأنه يلزمُ منه بيانُ أن كيفيتَها هي الإسنادُ المذكورُ، وقد تقدّم هناك بلفظ «**وُسِّدَ**» مع شرحه، والمراد من «**الأمر**» جنس الأمور التي تتعلق بالدين كالخلافة والإمارة والقضاء والإفتاء وغير ذلك، وقوله: «**إلى غَيرِ أهلِه**» قال الكرماني: أتى بكلمة «إلى» بدل اللام؛ ليدل على تضمين معنى الإسناد.

قولـه: «**فَانتَظِرِ السَّاعَة**»، الفاء للتفريع، أو جواب شرط محذوف، أي: إذا كان الأمر

الكلام عن الإسناد وتأصيل هذا المعنى إذا أسند

وأعتقِدُ جازِمًا أنَّ هذا التعليلَ خطيرٌ وهامٌّ جِدًّا جِدًّا عِندَ قِراءتِنا لِلتحوُّلاتِ في هذه المرحلةِ، ويكادُ أن يكشِفَ عن أخطرِ مُؤامرةٍ عرَفَها الإسلامُ في تاريخِه الأبويِّ، كما يكشِفُ عن أهمِّ مكسبٍ تاريخيٍّ غنِمَه الشيطانُ والدَّجَّالُ والكُفرُ في تاريخِهما الأنويِّ، وبدأَ بِه الانحِدارُ الذي انتظَرَه المخلوقُ الإرهابيُّ آلافَ السنين منذُ عهدِ «الحِوارِ الأوَّلِ» بَينَ الحقِّ سُبحانَه والشيطانِ، إلى عهدِ «الحِوارِ الأخيرِ»، وهو الحِوارُ اللَّادينيُّ بَينَ أهلِ الحضاراتِ وأهلِ الأديانِ تحتَ مُسمَّى «تقاربُ الدياناتِ وحِوارُ الحضاراتِ».

فالأمرُ لَيسَ كما يبدو، ولا كما يتناولُه المحاوِرون مِن كلا الطرفَين في المرحلةِ المعاصِرةِ، سواءٌ كانوا مُخلصين فيما ذهبُوا إلَيه واجتهدُوا في تحقيقِه لرسمِ السلامِ العالميِّ، أو كانوا مُسَيَّسين ومُهندسين أساسيِّين في أطرافِ اللُّعبةِ الإقليميةِ والدوليةِ، فالمرحلةُ كُلُّها مفصلٌ هامٌّ وخطَيرٌ في التاريخِ الكَونيِّ لِمَن ألقى السمعَ وهو شهيدٌ.

مرحلة السير الإجباري نحو جُحر الضبِّ

إنها مرحلةُ السَّيرِ الإجباريِّ نحوَ «جُحرِ الضّبِّ» بإدراكٍ أو بِغَيرِ إدراكٍ، وبديانةٍ شرعيةٍ أو خِيانةٍ وضعيةٍ، فالجميعُ يُحفَّزون طَوعًا وكرهًا نحوَ المصيرِ الأخيرِ، بصرفِ النظرِ عمَّا يكونُ في المرحلةِ مِن مقاطِعَ إيجابيةٍ وتنفُّساتٍ موعودةٍ.

فِقهُ التحوُّلاتِ يفتحُ آفاقًا جديدةً في قِراءةِ التاريخِ

وأجزِمُ أن هذه العباراتِ عِندَ فهمِها وتتبُّعِ ثمراتِها الإيجابيةِ ستفتحُ آفاقًا جديدةً في قِراءةِ التاريخِ الإنسانيِّ والإسلاميِّ، كما ستُوجِّهُ أقلامًا وثقافاتٍ إلى مسارِها الصحيحِ في كتابةِ التاريخِ الأبويِّ الشرعيِّ المُسنَدِ، وستدفعُ بأقلامٍ أُخرى وثقافاتٍ عقرى إلى رفضِ هذه المعاني؛ لينفُذَ بهذا الرفضِ قدرُ اللَّهِ في الشُّعوبِ

كذلك فانتظِرْ. قال ابن بطّال: معنى «أُسنِدَ الأمرُ إلى غَيرِ أهلِه» أن الأئمة قد ائتمنهم الله على عباده، وفرض عليهم النصيحة لهم؛ فينبغي لهم توليةُ أهل الدين، فإذا قلدوا غير أهل الدين؛ فقد ضيعوا الأمانة التي قلدهم الله تعالى إياها.

من نقضِ الأمانةِ وبناءِ الهَيكلِ الأنويِّ الوضعيِّ المُوسَّـدِ، كما سـمَّاه النبيُّ ﷺ في صحيحِ الأحاديثِ الخاصَّةِ بفِقهِ التحوُّلاتِ.

غِيابُ الفِقهِ الشرعيِّ للتحوُّلاتِ جرَّأَ المترسِّمين على المصلِّين

إذ كانَ غيابُ هذا الفِقهِ الشـرعيِّ سـببًا في تطاولِ المترسِّـمين بالدينِ على أشباهِهم وأمثالِهـم مِـنَ المصلِّين، كما كانَ سـببًا في طُغيانِ مدارِسِ الشـكِّ والإلحـادِ والكُفرِ والنِّفاقِ واختراقِها صفوفَ الأمةِ بدفعِ المسـتعمِرِ والمسـتهتِرِ والمسـتثمِرِ، حتَّى غدا العالَـمُ العربـيُّ والإسـلاميُّ لا يملِكُ قـرارًا ولا يُحقِّقُ اسـتقرارًا إلَّا بمـا ترضاه قُوى الحركةِ العالميةِ المُهَيمنةِ على مجموعِ حياةِ الشُّعوبِ المُستضعفةِ، ولِئلَّا يفوتَ على المُسـلِمين في مرحلتِنا المعاصِرةِ ما فاتَ على من سـبقَهم في هذا الشـأنِ فقد وضعَنا هاهنا اسـتقراءً كاملًا لِما وصفَه ﷺ من تقسـيمٍ شـرعيٍّ لمرحلةِ الغُثاءِ وما تلاها، وفِيهـا يقولُ رسـولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُوشِـكُ أن تداعى علَيكم الأُمـمُ كما تداعى الأكلةُ علـى قصعتِهـا**». قالـوا: أمِن قِلةٍ نحنُ يا رَسُـولَ اللَّهِ؟ قالَ: «**لا أنتـم يَومَئِذٍ كَثيرٌ، ولكِنَّكم غُثاءٌ كَغُثاءِ السَّـيلِ يُلقَى علَيكمُ الوَهَنُ**». قالوا: وما الوهنُ يا رسولَ اللَّهِ؟ قـالَ: «**حبُّ الدنيـا وكراهيةُ المَوتِ**»[1]. وفـي روايةٍ: «**وتُنـزَعُ المهابةُ من صُدورِ عَدُوِّكُم**»[2].

الغثائية من حديث ثوبان

وفي روايةٍ: «**كيفَ بكَ يا ثوبانُ، إذا تداعَت علَيكمُ الأُممُ كتداعيكم على قصعةِ الطعـامِ تصيبـون مِنـه**». قـالَ ثوبـانُ: بأبي أنتَ وأمـي يا رَسـولَ اللَّهِ أمِـن قِلةٍ بنا؟ قـالَ: «**لا أنتـم يومئِـذٍ كثيرٌ، ولكِن يُلقـى في قلوبِكمُ الوهنُ**». قـالَ: وما الوهنُ يا رسولَ اللَّهِ، قالَ: «**حبُّكم الدُّنيا وكراهيتُكم القِتالِ**»[3].

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٩٩).

(٢) «سنن أبي داود» (٤٢٩٧) «مسند أحمد» (٢٢٣٩٧).

(٣) «مسند أحمد» (٨٧١٤).

وعِندَ النظرِ إلى هذا الحديثِ وغيرِه يتحدَّدُ الاستقراءُ بتكالُبِ الأُممِ على الإسلامِ والمُسلمين خِلالَ مرحلةِ نقضِ الخلافةِ العُثمانيةِ وبدءِ مرحلةِ الاستعمارِ ، ولِأن هذه المرحلةَ قد مرَّت بتداعياتٍ عديدةٍ فلا بُدَّ من معرفةِ أقسامِ هذه التداعياتِ على النحوِ التالي :

مراحل الغثائية الموعودة منذ سقوط القرار العالمي حتى نهاية الحياة

علامات وسطى وصغرى

فتنة السراء والأحلاس والدهيماء
والفتنة الرابعة العمياء البكماء الصماء

مرحلة الاستعمار
العلمانية

مرحلة الاستهتار
العلمنة

مرحلة الاستثمار
العولمة

مرحلة الاستنفار
الصيلمة
صراع الأنظمة مع الشعوب – صراع الشعوب مع الكافر

حرب الماء / حرب الذهب
السفيانية الأولى الثانية

علامات صغرى وكبرى

مرحلة الاستقرار
المهدية

مرحلة الحصار
الدجالية

مرحلة الانتصار
العيسوية

مرحلة الانحدار
اليأجوجية

مرحلة الانهيار
انقطاع التوحيد

مرحلة الدمار
قيام الساعة

مرحلةُ الأحلاسِ والمؤامرةُ على تركةِ الرجُلِ المريضِ

مرحلةُ الأحلاسِ حربٌ وهربٌ

وهـي مرحلـةُ ضعفِ الدولةِ العليـةِ حاميةِ قرارِ الخلافةِ الإسـلاميةِ ، وكانَ مُبتدَأُ الضعـفِ مُعاصِرًا للنهضـةِ الأوربيةِ واتِّفاقِ دُولِ أوربا ـ معَ خلافِها الداخليِّ ـ على تفكيـكِ وتقسـيمِ الدولةِ العُثمانيـةِ ، وأطلقَ الأوربيون على هذا الاتِّفاق «المسـألةَ الشـرقيةَ» ، أي : مشـكلةَ الـدُّولِ الواقِعـةِ في الشـرقِ مِـن أوربا . اهــ . وعبَّرَ عنها الحديثُ بـ «فِتنةِ الأحلاسِ» .

«والحِلْسُ» في اللغةِ : ما يُبسَـطُ تحتَ الثيابِ إشارةً إلى الخفاءِ والتمويهِ . وهذه المرحلةُ يَبدُو أنّها ـ حسـبَ اسـتقراءِ الأحداثِ ـ المرحلةُ التـي تحركَت فِيها قُوى الاسـتعمارِ الأوربـيِّ بُعَيدَ ظهورِ الثـورةِ الصناعيةِ وإطلاقِ مُسـمَّى «تركـةِ الرجلِ المريضِ» على بلادِ العالمِ العربيِّ والإسـلاميِّ ، وبدْءِ وضعِ الخُططِ والمؤامراتِ لتفكيـكِ وحدتِه السياسـيةِ والاسـتيلاءِ علـى ثرواتـه ومواقِعِه الاسـتراتيجيةِ ، من خلالِ بدْءِ النشـاطِ الاستشـراقيِّ ، والعملِ السياسـيِّ الدُّبلوماسـيِّ لدراسةِ الواقِعِ العربيِّ والإسلاميِّ ، وبذرِ الفِتنِ والمؤامراتِ فيه ، بإثارةِ مطلبِ الدعوةِ إلى الحريةِ والمسـاواةِ وسـيادةِ القانـونِ ، وإدخالِ عُلـومِ الحيـاةِ الحضاريةِ كالعلـومِ الثقافيةِ والصناعيةِ والزراعيةِ والعسكريةِ وغيرِها كذريعةٍ لهدمِ القيمِ والديانةِ .

بدءُ الغزوِ البُرتُغاليِّ

وفـي أوَّلِ هـذه المرحلةِ بدأَ الغـزوُ البرتغاليُّ على أطرافِ البـلادِ العربيةِ كما سـبقَ ذِكـرُه ، وإلى ذلكَ يُشـيرُ معنى الحديثِ مِن قولِه ﷺ : فقـالَ قائلٌ : وما فِتنةُ الأحـلاسِ ؟ قالَ : «هربٌ وحـربٌ» . والهربُ والحربُ كانـا بارِزَينِ في هجماتِ

البُرتُغاليين على سواحلِ البلادِ العربيةِ طمعًا في السيطرةِ علَيها ، وحديثُ : «ستكونُ بعدي فِتَنٌ مِنها (فِتنةُ الأحلاسِ) يكونُ فِيها حربٌ وهربٌ ، ثُمَّ بعدها فِتَنٌ أشدُّ مِنها ، ثُمَّ تكونُ فِتنةٌ كُلَّما قيلَ انقطعَت تمادَت ، حتَّى لا يبقى بيتٌ إلَّا دخلَته ، ولا مسلمٌ إلَّا صكَّته حتَّى يخرجَ رجلٌ مِن عِتْرَتي»[1]

معنى الحِلْس

قالَ الخطابيُّ : إنَّما أُضيفَتِ الفِتنةُ إلى الأحلاسِ لدوامِها وطولِ لُبثِها ، يُقال للرجُلِ إذا كانَ يلزمُ بيتَه لا يبرحُ منه : «هو حِلْسُ بيتِه» . لِأن الحِلْسَ يُفترَش ، فيبقى على المكانِ ما دامَ لا يُرفَعُ[2] . والمقصودُ من طولِ لُبثِها استمرارُ خُططِ المؤامرةِ الاستعماريةِ ، مرحلةً بعدَ أُخرى ، وجيلًا بعدَ آخرَ .

حملة نابليون، المسألة الشرقية ، سايكس بيكو، كلها تحولات متتالية ذات طابع تآمري

وهذا ما أثبتَته الأحداثُ المتتاليةُ : بدءًا مِن ظهورِ الحروبِ الاستعماريةِ كحملةِ نابليون على مِصرَ سنة ١٧٩٨ م[3] ، ومُرورًا بـ« المسألةِ الشرقيةِ » ،

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩٥) .

(٢) «معالم السنن» (٤ : ٣٣٧) .

(٣) وهي من ظواهر مرحلة الأحلاس ، فالحملة الفرنسية على مصر عام ١٢١٣هـ (١٧٩٨ م) جاءت بعيد تدهور الدولة العثمانية وبروز مرحلة الضعف فيها ، وكان هذا الهجوم يعتبر أول هجوم صليبي على ولاية عربية من ولايات الدولة العثمانية في التاريخ الحديث ، وعلى الفور أعلن السلطان سليم الثالث الجهاد ضد الفرنسيين الصليبيين ، وتكونت جبهة حربية إسلامية في مواجهة الفرنسيين ، وقامت العديد من المعارك التي اشترك فيها علماء الأزهر والمسلمون من كافة البلاد ؛ لمحاولة إعادة مصر إلى حظيرة الخلافة الإسلامية، وقد واجهتها الحملة الفرنسية بالانتقام والقوة والهدم والتنكيل بالشعب عدة مرات ، حيث دارت رحى الجهاد ضد الفرنسيين في مصر مرات عديدة ، ولم يتم جلاء الفرنسيين عن مصر إلا بعد هجوم مشترك من العثمانيين والإنجليز أرغم الفرنسيين على الخروج من مصر، إلا أن الحملة الفرنسية إبان وجودها بمصر قد وضعت بذورا خطيرة ، ومنها الانبهار بقوة السلاح الأوربي وبالصناعة والعلم والإدارة ، حتى إن بعض قادة الحكم بمصر

ونِهايـةً بمفاوضــاتِ الـدُّولِ الأُوربيةِ والخروجِ باتِّفاقِ «ســايكس بيكو» بِشـأنِ اقتســامِ تِركةِ الرجُلِ المريض . هذا الاتفاقُ الذي صارَ فيما بعدُ مُرتَكَز السيطرةِ الاستعماريةِ .

وثائق المراحل مرجع بحثي هام

وقـد أكـدَت وثائـقُ المرحلةِ ذلـكَ الأمـرَ ، راجِـعْ «الجزيـرةُ العربيـةُ : نجدُ والحجـازُ في الوثائـقِ البريطانيةِ»[١] . وفـي هذا التأكيدِ ملحَـظٌ هامٌّ في مجرى علاماتِ الساعةِ ، وما يسبقُ كشفُه من وقائعَ وتحوُّلاتٍ نطقَ بها مَن لا ينطِقُ عنِ الهـوى ﷺ تغفُلُ الأُمـةُ عن إدراكِها ومعرفةِ خطرِها ، بل ورُبما ساهمَ البعضُ في إنفاذِها وإنجاحِها بِعِلمٍ أو بِغَيرِ عِلمٍ لِيقضيَ اللَّهُ أمرًا كانَ مفعولاً .

مرحلةُ فِتنةِ السرَّاءِ[٢]

كمحمد علي باشا الذي حكم مصر ، قام بإدخال أساليب الفرنجة وعوائدهم إلى الجيش والحياة الاجتماعية فيما بعد ، وهي الأساليب التي وصفت في الأحاديث بالغثائية .

(١) هذا الكتاب مكون من سبعة مجلدات ضخمة، ويعد من أغزر المراجع عن الجزيرة العربية منـذ بدايـة القرن العشـرين ، ويضـم ترجمة لأهم الوثائـق التي تفصح عن سياسـة بريطانيا ومواقفهـا منـذ عـام ١٩١٤م ، وهـي مرحلة نشـوب الحـرب العالمية الأولى ومـا بعدها ، وكانت هذه الوثائق محاطة بسـرية تامة نظـرا لأن القانون البريطاني الخاص بحفظ الوثائق كان يحتـم بقاءهـا بعيدة عن أيدي الباحثين لمدة خمسـين عاما ؛ ولكن هذه المدة خفضت عـام ١٩٦٧ إلـى ثلاثيـن عامـا ، ولذلك أخـذ الباحثون والمؤرخـون يتدفقـون على مركز الوثائـق بلندن للاطلاع على ذلك . اهـ مـن صدر مقدمة الكتاب ، الجزء الأول ، لمترجمه د. نجدة فتيحي .

(٢) والسـراء : قال القاري : المراد بالسـراء النعماء التي تسر الناس من الصحة والرضا والعافية من البلاء والوباء ، وأضيفت إلى السـراء لأن السـبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثـرة النعـم ، أو لأنها شـر العـدو . قلت : وكلا المعنييـن محتمل في تعليـل معاني مرحلة المؤامرة ، وهي اشـتراك بعض أمراء المسـلمين ورؤسـاء القبائل في فتـن الصراع المؤدية

مرحلة فتنة السراء

هـي المرحلةُ التي تحدَّدَ مُسـمَّاها في فِقهِ التحوُّلاتِ بمرحلةِ الاسـتِعمارِ ، وهي أيضًـا مُرتبِطةٌ بمرحلـةِ الأحلاسِ ارتباطًا وثيقًا ، بل هي ثمرةٌ من ثمراتِها ، وسـياقُ الحديـثِ ذاتِـه يُؤكِّـدُ تـلازُمَ المرحلتَين فقد وردَ فـي النصِّ قولُه : «فقـالَ قائلٌ : يا رسولَ اللَّهِ وما فِتنةُ الأحلاسِ ؟ فقالَ : «**هربٌ وحربٌ ، ثُمَّ فِتنةُ السرَّاءِ**»[1] .

إلى تدخل الكفار وعقد المعاهدات معهم لإسـقاط قرار الخلافة الشـرعية وإقامة الأنظمة القومية والقبلية ، وقد أشـار الشـيخ التويجري في كتابه «اتحاف الجماعة ص٥٤/ الأول» إلـى علاقـة السـراء بمرحلة المؤامرة ، ولكنه فسـرها تفسـيرا جزئيا ، وقـال : « وهذه الفتنة تنطبـق علـى ما وقع بين أهل نجد وبين الأتراك والمصريين في الحروب العظيمة في القرن الثالـث عشـر للهجرة ، وقـد كانت هذه الفتن مـن أعظم الفتن التي وقعت فـي هذه الأمة ، وقد وهن الإسـلام بسـببها وانطمسـت أعلامه » ، ثم قال : «حتى رد الله الكرة لأهل نجد بعـد ذلك فعاد الإسـلام عزيزا ولله الحمـد والمنة» . والمفيد من التعليل المشـار إليه ربط السـراء بمرحلـة الحرب القبليـة والصراع الذي كانـت تديره القوى العالميـة بين « العرب والمسـلمين» . وأما تفسـيره لـ«عود الإسـلام عزيزا بانتصار أهل نجد» فلا علاقة له بالأمر المراد في الحديث والمرحلة ، بل كانت الدول الاسـتعمارية معينة بالمال والسـلاح لأهل نجـد علـى حكام الحجاز ، ومعينة لحكام الحجاز ضد الأتـراك ، وربما كان الظرف القائم آنذاك أصعب من تفسيرنا له اليوم ؛ ولكن العلماء حين لا يعلمون ما يدور من أمور السياسة والتسـييس ينزلون الأحاديث على الأحداث والوقائع على ما يظهر لهم من الفهم أو يوافق أحوالهـم مـن المواقـف ، لعدم دراسـتهم فقه التحـولات ولانعدام إدراكهـم أهمية الركن الرابع من أركان الدين .

وقـد علـل المؤلف التويجري حديث الفتنة التي تقبل مـن المغرب بقوله : « فهي ـ والله أعلـم ـ مـا وقع مـن الأتراك والمصريـين من محاربة أهـل نجد في القرن الثالث عشـر من الهجرة، وهي من أعظم الفتن وأنكاها لدين الإسلام» .اهـ.

مع العلم أن هذه المسـألة برمتها تدخل تحت الفتنة المسـماة بالسـراء ، وكل ما دار فيها بيـن «أهل الجزيـرة» وبين الأتراك أو المصريين أو غيرهم ينـدرج تحت مفهوم «التحريش في جزيرة العرب» ونجاح سياسة الاستعمار وتخطيطه .

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٤٢) و«مسند أحمد» (٦١٦٨) .

وحديثٌ آخرُ عن عُمَيرِ بنِ هانئٍ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**فِتنةُ الأحلاسِ فِيها حـربٌ وهربٌ ، وفِتنةُ السـراءِ يخـرجُ دخنُها مِن تحتِ قدمَي رجُـلٍ يزعُمُ أنَّه مِني ، ولَيـسَ مِنـي ، إنَّما أَولِيائي المُتَّقـون ، ثُمَّ يصطلِحُ الناسُ على رجُـلٍ ، ثُمَّ تكونُ فِتنةُ الدُّهَـمِ كُلَّمـا قِيلَ انقطعَت تمـادَت حتَّى لا يبقى بيـتٌ مِنَ العـربِ إلَّا دخلَته يُقاتِلُ فِيهـا لا يـدري على حقٍّ يُقاتِـلُ أم على باطِلٍ ، فلا يزالون كذلِـكَ حتَّى يصيروا إلى فُسـطاطَين : فُسـطاطِ إيمـانٍ لا نِفـاقَ فيه ، وفُسـطاطِ نِفـاقٍ لا إيمانَ فيـه . فإذا هما اجتمعا فأبصر الدجَّالُ اليَومَ أوْ غَدٍ**» (١) .

تفسير السهارنفوري لفتنة السراء

وقـدِ اختلـفَ العُلماءُ في تحديدِ زمنِها إلَّا أنَّ الشَّـيخَ السـهارنفوريَّ رحِمَه اللَّهُ في حاشيةِ بذلِ المجهودِ (٥ : ٨٩) كانَ أقربَ إلى التَّوفيقِ في تحديدِها مرحليًّا فقد ربطَها بمرحلةِ العملِ المُشتركِ بَينَ بعضِ أُمراءِ المُسلِمين والحُكومةِ البريطانيةِ ضِدَّ الخِلافةِ الإسلاميةِ المُتمثِّلةِ آنذاكَ في الدولةِ العُثمانيةِ ، بعدَ أن برزَت ظواهِرُ التفكُّكِ ونخرَتها مؤامـراتُ الدُّونَمَـةِ وجمعيـةِ الاتِّحـادِ والترقِّي ، ووجـدَ زُعماءُ العربِ والمُسـلِمين أنفسَـهم أمامَ خِلافةٍ تعملُ على إفسـادِ العِلاقةِ بَينَ الرعايا مِمَّا حدا ببعضِهم إلى تبنِّي فِكـرةِ الخِلافـةِ العربيةِ والانفِصالِ عن قـرارِ الدولةِ العُثمانيةِ ، وقدِ اسـتثمرَ الغربيُّون هذه الحالةَ القلِقةَ واسـتفادوا مِن تَوظيفِها لصالحِ سياسـتِهِمُ الاسـتِعماريةِ ، وأغرقوا العربَ والمُسـلمين بالوُعودِ الكاذبةِ واستدرجوهم إلى نقضِ قرارِ الحُكمِ الإسلاميِّ كُلِّه بتحريضِ المُجتمعِ العربيِّ والإسـلاميِّ ضِدَّ ما يُسـمَّى بِالعدوِّ المُشترِكِ : الأتراكِ والألمـانِ ، بِاعتِبارِ عِلاقةِ الدولةِ العُثمانيةِ بالدولةِ الألمانيةِ ، وما ترتبَ على ذلِك مِنَ استِغلالِ الحُلفاءِ والدُّولِ الأُوربيةِ لهذا الأمرِ مِن كُلِّ وجهٍ .

---

(١) «سـنن أبي داودَ» (٤٢٤٢) ، وقالَ مُؤلِّفُ كِتابِ «مَوسـوعةِ أحاديثِ الفِتنِ وأشراطِ الساعةِ» عن درجةِ الحديثِ ص ٥٤ : إسنادُه صحيحٌ .

تجاوزنا تفسيرنا الذي قدمناه في «التليد والطارف» وربطنا الموضوع كله بالأصل التاريخي لمسيرة المرحلة

ويبدو أنَّ تفسيرَ الشَّيخِ السهارنفوريِّ لم يُوافِقْ فهمَ البعضِ للمرحلةِ وتفسيرِها، بل ونحى البعضُ إلى الطعنِ في الحديثِ كُلِّه وفي سندِه وتخريجِه والكلامِ الجارحِ في مَنِ اعتمدَه ونقلَه وبنى علَيهِ تفسيرَ المرحلةِ وما جاءَ فِيها، ولِهذا فقد تجاوزنا هذا التعليلَ الذي اعتمدنا علَيهِ في «التليدِ والطارِفِ» حولَ ما فسرَ به الشَّيخُ السهارنفوريُّ معنى الحديثِ، وربطنا المَوضوعَ كُلَّه بالأصلِ التاريخيِّ لمسيرةِ المرحلةِ، دونَ التعرضِ لِما يُثيرُ النفوسَ ويؤزِّمُ المَواقِفَ ويحوِّلُ الأمرَ إلى اختِلافٍ يُفسِدُ الهدفَ الأسمى مِنَ المعاني الشرعيةِ في القِراءةِ التاريخيةِ لِلمراحِلِ.

كما يبدو أنَّ مُستوى الحماسِ الشعبيِّ الدائرِ في الحِجازِ وغَيرِها مِن بِلادِ العربِ كانَ أقربَ إلى التأثيرِ العامِّ في العُقولِ والقُلوبِ بِحُكمِ الشُّعورِ السائدِ ضِدَّ الخِلافةِ المُدَونمةِ[1] آنذاكَ، ومواقِفِها السياسيةِ المُتردِّيةِ، بل كانَ الشارعُ الحِجازيُّ آنذاكَ في أعلى درجاتِ غليانِه الثَّوريِّ ضِدَّ السياسةِ الاتِّحاديةِ إلى جانبِ الشريفِ حُسَينٍ ومَن معه.

موقف الشارع الحجازي والحالة السائدة آنذاك في مكة وجدة

ويُصوِّرُ لنا د. مُحمَّدِ الجواديِّ في ترجمته للسيد محمد الدباغ نموذجًا عَنِ الحالةِ السائدةِ آنذاكَ في مكةَ وجِدةَ نقلًا عَنِ الأُستاذِ عُمرَ عبدالجبارِ[2]، فيقولُ ص٢٦: فمظاهرُ الثَّورةِ في الحِجازِ كانَت مظاهِرَ عميقةَ التأثيرِ في نُفوسِ الناشئةِ الحِجازيةِ إذ ذاكَ، لِأنَّ الحِجازَ كانَت مَعقِلَ الثَّورةِ، وكانَت وُفودُ ثُوارِ العربِ تترى علَيهِ مِن كُلِّ البِلادِ العربيةِ، وكانَت مواكبُ المُتطوعين لِلحربِ مِن أبناءِ الحِجازِ تزدحِمُ بها شوارِعُ المُدُنِ الحِجازيةِ، وكانَ الشبابُ مُدجَّجًا بِالسلاحِ يسيرُ في قُوةٍ وحماسٍ،

---

(١) انظر شرحها ضمن المصطلحات آخر الكتاب.

(٢) «سير وتراجم» ص٢٨٢-٢٨٥، وليلحظ القارئ أن هذه الفترة هي ما بين عام ١٩٠٩ ـ حيث نحي السلطان عبدالحميد وصار القرار للاتحاديين وبدؤوا سياسات التتريك وأقحموا الجيوش المسلمة في الحرب العالمية الأولى مع ألمانيا ـ وعام ١٩١٦ حيث أعلنت الثورة العربية. انظر التواريخ في المخطط ص١٩٤.

ويهزجُ بالأناشيدِ العربيةِ الوطنيةِ ، وكانَت الأعلامُ تُرفرِفُ علَيهم ، وموسيقى الحربِ تعزِفُ بألحانِها الثائرةِ المُثيرةِ ، وكانَ خطباءُ الثَّورةِ مِن حِجازيِّين وسوريِّين وعراقيِّين يقفون في الساحاتِ العامَّةِ ويُصوِّرون للجماهيرِ ما هم فيه من حاضِرٍ لا يُشرِّفُ ، وينتقلون بأذهانِهم إلى ما كانَ لهم من ماضٍ عريقٍ ، وتاريخ حافِلٍ بالأمجادِ .

ثُمَّ يقولُ ص٢٧ : ولم يكُنِ الخَيارُ سهلًا بَينَ بدائلَ مُتعدِّدةٍ : مِنَ الثَّورةِ على ظُلمِ الأتراكِ والاتِّحاديِّين الذين سيطروا على مُقدَّراتِ الأُمورِ في دولةِ الخِلافةِ، وساموا الأقاليمَ العربيةَ الكثيرَ مِنَ الظُّلمِ ؛ والضيقِ بتدخُلاتِ الدُّولِ الأوربيةِ الكُبرى في المسألةِ العربيةِ ؛ والانتصارِ للشريفِ حُسَينِ بنِ عليٍّ الذي قادَ ثَورةً عربيةً على حُكمِ الأتراكِ ؛ ثُمَّ الثَّورةِ على هذا الثائرِ نفسِه ، والانتِصارِ للاتِّجاهِ الفتيِّ المُتمثِلِ في زحفِ الملِكِ عبدِالعزيزِ آلِ سُعودٍ رحِمَه اللَّهُ الذي حقَّقَ نجاحاتٍ مُتواليةٍ .



الملك عبدالعزيز آل سعود عام ١٩٠١ م

مؤلف كتاب «لورنس كما عرفته» وقائد جيش الثوار العرب يصف الوضع القائم

وفي مُقدمةِ كِتاب «لورنس.. الحقيقةُ والأكذوبةُ» لصُبحي العِمريِّ[١] يصفُ

(١) قائد عسكري عاصر عدة مراحل تاريخية ، ولد بدمشق وتخرج بمدرسة ضباط الصف ١٩١٥ وحضر معارك غزة وبئر السبع في الجيش العثماني على البريطانيين ، لحق بالثورة العربية عام ١٩١٧م ، ثم كان من قادة الجيش، شهد موقعة ميسلون ، ورافق الملك

المُؤلِّفُ حِقيقةَ الوضعِ القائمِ الذي دفعَ بِالشـريفِ إلى ما لابُدَّ منه فقالَ : إذا حلَّلنا الأحداثَ والأسـبابَ والعوامِلَ التي دفعَتِ الحُسَـينَ لإعلانِ ثَورتِه على السُّلطانِ لا نجِدُ فِيها أيَّ سـببٍ شـخصيٍّ ، فقد كانَت الثَّورةُ عربيةً نتيجةً لِيقظةٍ قَوميةٍ ترجِعُ إلـى ثلاثِ أجيـالٍ تعاقبَت بِخُطواتٍ بطيئةٍ وانتِشـارٍ مُتزايدٍ جيلًا بعـدَ جيلٍ ، وكانَ لجِيلِها الأخيرِ الذي رافـقَ بدايةِ الحربِ العالميـةِ الأولى واعتلى عـددٌ من قادتِه أعوادَ المشـانِقِ جهدُه ورأيُه ومشـاركتُه فـي إثارةِ الثَّورةِ ودفعِها إلـى التحقُّقِ . اهـ مُقدمة الكِتابِ .

وكتـبَ المُؤلِّـفُ ذاتُه ص١٩ حولَ قِيامِ الثَّورةِ قَولَه : ووجدَ أميرُ الحِجازِ الشَّـريفُ حُسَينُ بنُ عليٍّ نفسَه وجهًا لوجهٍ أمامَ مَوقِفٍ مصيريٍّ يتعلَّقُ بِحاضِرِ العربِ ومُستقبلِهم يتطلَّبُ مِنه حلًّا سـريعًا يتناسـبُ معَ السُّرعةِ التي يسيرُ علَيها الأتراكُ لِتطبيقِ خُطتِهم ، وكانَت الأُمورُ الرئيسةُ التي تدورُ حولَ المَوقِفِ بِالنسبةِ لِلعربِ أربعةً :

١- المظالِمُ التي يقومُ بها الأتراكُ في الشامِ والعراقِ .

فيصـل بن الحسـين في خروجه من دمشـق . واسـتقر فـي شـرقي الأردن ١٩٢١ وكان من مؤسسي الجيش العربي الأردني .

أخرجه الإنكليز ١٩٢٤ لاتصاله بالحركة الاسـتقلالية السورية ؛ فرحل إلى العراق . قاد جيش الجهاد الفلسـطيني ١٩٤٨ عقب استشـهاد عبد القادر الحسيني، وأحصي ما خاضه من المعارك فكان ٤١ معركة.

تلقـى أربعة أحـكام بالإعدام : من الأتراك الاتحاديين عندما لحـق بالثورة العربية ، ومن الفرنسـيين عندمـا قاتلهم مع العصابات السـورية فـي البقاع والحولة ، وعندمـا قاتلهم في ثورة ١٩٢٥ ، والرابعة ١٩٥٦ بتهمة العمل للوحدة مع العراق . توفي بدمشق ١٩٧٣م . له «مذكرات عن الحركة العربية» مخطوط عند أسـرته بدمشق في عشرة أجزاء ، وله «لورنس الحقيقـة والأكذوبـة» مطبـوع . اهــ« مختصر الأعـلام» الزركلـي « ٦ : ١٦٦ » . والكتاب الأخير هو ما نقلنا عنه هنا ، وقد طبع بعدة أسماء منها «لورنس كما عرفته» .

٢- العزلةُ التي أصبحَ فِيها الحِجازُ من جرَّاءِ الحِصارِ البحريِّ .

٣- النشـاطُ الفِعليُّ الذي شـرعَ فيه الأتراكُ في القضاءِ علـى الامتيازاتِ التي يتمتَّعُ بها الحِجازُ لجعلِه كباقي الولاياتِ العُثمانيةِ .

٤- الاحتلالُ الإنكليزيُّ الذي يزحَفُ على أراضي القُطرَينِ العِراقِ والشامِ .

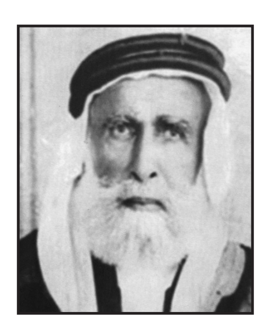
رفض الشريف حسين لإعلان الجهاد من منبر الحرم كان بداية تأزم العلاقة مع الاتحاديين

ويبدو أنَّ تفجيرَ المُشـكِلةِ بَينَ الشَّـريفِ والأتراكِ كانَ عِندَما قـرَّرَ الأتراكُ إعلانَ الجِهادِ المُقدَّسِ فيما سمي فيما بعد بالحرب العالمية الأولى (١٩١٤م) مع ألمانيا، على أن يُذاعَ هذا الإعلانُ على العالمِ الإسـلاميِّ من مِنبرِ المسـجِدِ الحرامِ في مكَّةَ داعين المُسـلِمين لِقتالِ الحلفاء، ورفَضَ الحُسَـينُ إعلانَ ذلِكَ قبلَ تحقيقِ رغباتِ العربِ والتي أرسـلَها الشَّـريفُ كشُـروطٍ ببرقيةٍ إلى أنورِ باشـا ، فلقِي علَيها جوابًا قاسِـيًا غيـرَ مُهذَّبٍ ، وبعدَها بـدأ الإنكليزُ مُفاوضاتِهم معَ الحُسَـينِ فـي أواخِرِ آب ١٩١٥م . اهــ ص٢٠-٢٣ . وقد بدأَ البحثُ في مسـألةِ الخِلافةِ العُثمانيةِ وموقِفِ العربِ مِنها بعدَ خلعِ السُّلطانِ عبدِالحميدِ الثاني ١٩٠٩م .

بدء البحث في مسألة الخلافة وموقف العرب منها بدأ بعد عزل السلطان عبدالحميد ١٩٠٩

ولعـلَّ أخطرَ ما يُقرِّرُه الحديثُ الشَّـريفُ بعيدًا عَـنِ العواطِفِ وإحراجِ المواقِفِ خطـورةُ المُجرياتِ التاريخيةِ التي تَرتَّبَت على نجاحِ الفصلِ السياسـيِّ بَينَ مرحلةِ الخِلافةِ العُثمانيةِ حامِلةِ قرارِ الإسـلامِ وبَينَ مرحلةِ الخِلافةِ العربيةِ المُجْهَضَةِ قبلَ وِلادتِها على يدِ خُبراءِ الدجلِ السياسـيِّ المُدَونَمِ ، والمُجرياتِ التاريخيةِ تتلخَّصُ فـي كَـونِ مرحلةِ الأحلاسِ تُمهِّدُ لمرحلةِ السـرَّاءِ ، ومرحلةُ السـرَّاءِ تُمهِّدُ لمرحلةِ الدُّهَيمـاءِ ، ومرحلةُ الدُّهَيماءِ تُمهِّدُ لمرحلةِ الفِتنةِ الرابعةِ العمياءِ البكماءِ الصمَّاءِ، وكُلُّها تصبُّ في رصيدِ مسـتثمِرٍ إبليسيٍّ واحِدٍ ، وكُلُّها تنطلِقُ لِخدمةِ هدفٍ دجاليٍّ واحِـدٍ في قـراري «الحُكمِ والعِلمِ».. يصبحُ الرجُلُ فِيها مؤمِنًا ويُمسـي كافِرًا حتَّى يصيـرَ النـاسُ إلـى فُسـطاطَينِ : فُسـطاطِ إيمـانٍ لا نِفاقَ فيـه ، وهو تيَّارُ الشُّـعوبِ

المهزوزِ ، وفُسطاطِ نِفاقٍ لا إيمانَ فيه ، وهو تيَّارُ الدجلِ الأنويِّ المرموزِ ، وعلى هذه المسيرةِ المرحليةِ المُتتابِعةِ يقولُ مَن لا ينطِقُ عنِ الهوى ﷺ : «**فإذا كانَ ذاكُم فانتظِروا الدجَّالَ مِنَ اليَومِ أوِ الغدِ**»[1] . وفي رِوايةٍ : «**فانتظِرُوا الدجَّالَ مِن يَومِه أو مِن غدِه**»[2] .



الشريف حسين عام ١٩١٦ م

السياسة العالمية أكثر استثمارا للصراع من رؤى شيوخ العشائر، ويدل عليه التمعن في صياغتهم للمراسلات، ويضاف لذلك انعدام بعد النظر لدى القادة والعلماء آنذاك

ورُبَّما كان الشريفُ حسينٌ أكثرَ صدقاً وإخلاصاً في قضيتِه ، وبهذا الإخلاصِ والصدقِ كان لابد له من وجودِ المساندِ العالميِّ ولو مؤقتاً لمّا رآه لازماً من الحالة التي بلغت إليها، ولكنّ مسيرةَ الحركةِ السياسيةِ العالميةِ كانت أكثر احتواءً للأمرِ وتطبيعاً للصراعِ واستثماراً له ، ويدلُّ على ذلك التمعنُ في أسلوبِ صياغة الانجليزِ للرسائلِ فيما بينهم وبين الشريف ، وقد اخترنا منها مجموعةً منتقاة لإطلاع القارئِ على الحالة الصعبة آنذاك[3] ، والوضع القلق المؤلم .. إضافة إلى مسألةٍ أخرى وهي قصورُ بعدِ النظرةِ السياسيةِ للأمور ، فهذه المسألةُ كانت لدى العديدِ من القادةِ والعلماءِ ـ وهم حَمَلَةُ قَرَارِ الحكمِ والعِلْمِ ـ مِنَ الضَّعْفِ بمكانةٍ ، وخاصةً فيما يتعلقُ

(١) «مسند أحمد» (٦١٦٨) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٤٤١) .
(٢) «سنن أبي داود» (٤٢٤٢) .
(٣) انظر ملحق وثائق مرحلة السراء آخر الكتاب .

بقراءةِ أطماعِ المستعمرينَ وأبعادِ سياستِهم الشيطانيةِ في المنطقةِ .

وهـذه الحالـةُ قـد أصابتْ عـدداً كبيـراً مـن القـادةِ والعلماءِ فـي البـلادِ العربيةِ والإسلاميةِ منذ اختراقِ العالمِ الغربيِّ دولةَ الإسلامِ ومؤسساتِها الإداريةِ والثقافيةِ والفكريـةِ . وظلـتْ في الوطنِ العربيِّ والإسـلاميِّ مسـتمرةً كظاهـرةٍ خطيرةٍ على مدى مراحلِ التطبيعِ الاستعماري ، حتى بلغ لدى العربِ والمسلمين حُسْنُ الظنِّ بالسياسةِ الغربيّةِ ورموزِها إلى حدِّ السذاجةِ المطلقة !

السذاجة السياسية لحملة قرار الحكم والعلم مكنت الأعداء من النجاح

وبهـذه السـذاجةِ تمكـنَ المهندسـون الغربيـونَ مـن بسـطِ سياسـةِ الاسـتعمارِ العسـكريِّ ثم الثقافيِّ العلمانيِّ ، ثم فيما بعد ذلك ترسَّـخَ الاستعمارُ في الشعوب وغَـرَسَ أفكارَه وسياسـتَه لِيَنْتُجَ عـن ذلك ما عُرِفَ بالعلمنةِ ثـم العولمة وما ترتبَ عليهما من احتواءِ الثوابتِ الإسلاميةِ وإفراغِ محتواها من التربيةِ والتعليمِ والثقافةِ .

وليـس أدلَّ علـى ذلـك مـن قراءتِنـا لكتـابِ المنـدوبِ السـامي البريطاني على عدن جاكوب المسـمى (ملـوكُ جزيرةِ العربِ) ، مـع مطابقةِ الحالةِ المشـارِ إليها فـي الكتابِ بنصوصِ أحاديثِ علامات السـاعةِ المؤكدةِ حالةَ المسـلمينَ الغثائيةَ المؤديةَ إلى صفةِ (الاسـتتباعِ) ، كما هي في حديث : «لَتَتَّبِعُنَّ سَـنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِـبْراً بِشِـبْرٍ وذِرَاعاً بِذِرَاعٍ ..»[1] إلخ . ولا زالـتْ هذه الحالـةُ المرضيةُ جاثمةً على عقـولِ الأمةِ بعمومها وبعضِ حَمَلَةِ قرارِ الحكـمِ والعلمِ إلى اليومِ وإلى أنْ يقضيَ اللّهُ أمراً كانَ مفعولاً .

معاهدات الحماية وتَدَخُّل الكفر في بِلاد المُسلِمين

قُلتُ : وكما فسَّـرَ الشَّيخُ السـهارنفوريُّ رحمِهُ اللَّهُ فِتنةَ السرَّاءِ بِهذه المرحلةِ مِنَ المُؤامرةِ السِّـرِّيةِ على قرارِ الإسـلامِ وبِلادِ المُسـلِمين ؛ فإنَّ العدوَّ ذاتَه قد فعلَ معَ

---

(١) «صحيح البخاري» (٧٣٢٠) وقد تقدم .

بعضِ الحُكَّامِ والأُمراءِ ومشايخِ القبائلِ والسلاطين عِدَّةَ مُعاهداتٍ في السِّرِّ لِنقضِ مـا كانَ مُبرَمـاً بَينَهـم وبَيـنَ حُكومةِ الدَّولـةِ العُثمانيةِ ، ومِنها ما فعلَتـه دَولة بريطانيا مِن مُعاهـداتٍ واتِّفاقاتٍ معَ وُجهاءِ جنوب اليمن ومشـايخِه وسـلاطينِه[1] آنذاكَ، ومـعَ أمثالِهم وأشـباهِهم في عُمـانَ والخليجِ والكُوَيتِ ونجـدٍ وغيرِها ، وتمكنَت بِهذه المُعاهداتِ السِّـرِّيةِ مِن تغييرِ الولاءِ السياسـيِّ لدَولةِ الإسلامِ العامَّةِ في أفسدِ مراحلِهـا السياسـيةِ إلـى ولاءٍ مُبطَّنٍ لِدَولـةِ الكُفرِ وقَبـولِ حِمايتِهـا المُؤدِّيةِ إلى ما عُرِفَ ـ فيما بعدُ ـ بِالاستِعمارِ[2] .

العبارات المعسولة في المراسلات مع الهدايا وعرابين الصداقة هي شباك الخداع

ورُبَّما كانَتِ الظُّروفُ ومُجرياتُها آنذاكَ ليسَ فِيها أكثرُ مِنَ الخِيارِ السـائدِ حسـبَ وعيِ الحُكَّامِ وشُـيوخِ العشـائرِ العربيةِ ، ولـم يقِفِ الأمرُ عِندَ هذا الحدِّ ، وإنَّما وقعَ في شِـباكِ العملِ المُبطَّـنِ لِمصلحةِ الاسـتِعمارِ بعضُ العُلماءِ وأهـلِ الفتوى دونَ إدراكِ خُطـورةِ الأمـرِ وخُدعـةِ الأعـداءِ المُتآمِريـن ، ويُلاحَـظُ مِثلُ هـذا الأمرِ في صِياغةِ الرسائلِ واختِيارِ عِباراتِها المعسولةِ المُمجِّدةِ لزُعماءِ العربِ وشرفِ الدِّينِ الإسـلاميِّ وحاجـةِ الأُمَّةِ إلى الوحدةِ الإسـلاميةِ وإحياءِ منهجِ الخِلافةِ الهاشِـميةِ التي صدَّقَها بعـضُ الزُّعماءِ ورِجالِ الحُكمِ العربيِّ ، وفي الردودِ العربيةِ المُمجِّدةِ لِدِينِ الإسـلامِ وشرفِ العُروبةِ والشهامةِ اسـتدرارًا لِطلبِ الوفاءِ مِن دَولةِ بريطانيا ووُكلائِها .

---

(١) للاسـتزادة انظـر كتابنا «الطـرف الأحور في تاريـخ مخلاف أحور» حيث طبعنـا منه الجزء الأول ، وفيـه تفصيل واف ووثائق ومعاهدات شـتى تغطي هـذا الجانب ، عرضت تاريخيا كوثائق عن المرحلة .

(٢) انظـر ملحق الوثائق آخر الكتاب: نماذج من مؤامرة (فتنة السـراء) المقررة في فقه علامات الساعة .

CERTIFIED TRUE COPY.

[signature]

Assistant Oriental Secretary.

19.6.37.

BRITISH EMBASSY CAIRO

6.

Arabic version of letter from Sir Arthur McMahon to King Hussein dated 14.12.15 (Despatch 172) 14.12.15

بسم الله الرحمن الرحيم

الى صاحب الاصالة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر والنسب الفاخر دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي امير مكة المكرمة قبلة الاسلام والمسلمين ادامه الله في رفعة وعلاء.

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٧ الحجة ١٣٣٣ وسرني ما رايت فيه من قبولكم اخراج ولايتي مرسين واضنه من حدود البلاد العربية.

وقد تلقيت ايضا بمزيد السرور والرضى تاكيدكم ان العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وغيره من السادة الخلفاء الاولين - التعاليم التي تضمن حقوق كل الاديان وامتيازاتها على السواء.

هذا وفي قولكم ان العرب مستعدون ان يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يُعلَم منه طبعا ان هذا يشمل جميع البلاد الداخله في حدود المملكة العربية لان حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع ان تنقض اتفاقات قد ابرمت بينها وبين اولئك الرؤساء.

اما بشأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كلما ذكرتم بشأنهما ودونت ذلك عندها بعناية تامة - ولكن لما كانت مصالح حليفتنا فرنسا داخلة فيهما فالمسألة تحتاج الى نظر دقيق - وسنخابركم بهذا الشأن مرة اخرى في الوقت المناسب.

نموذجٌ لبعضِ مُراسلاتِ الشريفِ معَ الإنكليزِ ، الصفحة الأولى ، عن « وثائق بريطانية » (١ : ٦٣٧)

ان حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت فاخبرتكم مستعدة
لان تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها الى
المملكة العربية ولكن مصالحنا في ولاية بغداد تتطلب ادارة
ودية ثابتة كما تستحسنون على ان صيانة هذه المصالح كما
يجب تستلزم نظرا ادق واتم مما تسمح به الحالة
الحاضرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات.
واننا نستصوب تماما رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد
ان نحثكم الى العمل سريعا مما يعرقل نجاح اغراضكم ولكننا
في الوقت نفسه نرى من الضروري جداً ان تبذلوا مجهوداتكم
في جمع كلمة الشعوب العربيه الى غايتنا المشتركة وان تحثوهم
على ان لا يمدوا يد المساعدة الى اعدائنا باي وجه كان. فانه
على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعليه التي يمكن للعرب
ان يتخذوها لاسعاف غرضنا عندما يجيء وقت العمل تتوقف
قوة الاتفاق بيننا وثباته.
وفي هذه الاحوال فان حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت
لي ان ابلغ دولتكم ان تكونوا على ثقة من ان بريطانيا
العظمى لا تنوي ابرام اي صلح كان الا اذا كان من ضمن
شروطه الاساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من
سلطة الالمان والاتراك.
هذا وعربونا على صدق نيتنا ولاجل مساعدتكم في
مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فاني مرسل مع رسولكم مبلغ
عشرين الف جنيه
واقدم في الختام عاطر التحيات القلبية وخالص التسليمات
الوديه مع مراسم الاجلال والتعظيم المشمولين بروابط
الالفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ولافراد
اسرتكم الكريمة مع فائق الاحترام

المخلص

نائب جلالة الملك بمصر

تحريرا في ٨ صفر ١٣٣٤

السير ارثر هنري مكماهون

نموذجٌ لبعضِ مُراسلاتِ الشريفِ معَ الإنكليزِ، الصفحة الثانية، عن «وثائق بريطانية» (١ : ٦٣٨)

نص الرسالة: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى صاحب الأصالة والرفعة وشرف المحتد سلالة بيت النبوة والحسب الطاهر والنسب الفاخر دولة الشريف المعظم السيد حسين بن علي أمير

مكة المكرمة قبلة الإسلام والمسلمين أدامه الله في رفعة وعلاء.

وبعد فقد وصلني كتابكم الكريم بتاريخ ٢٤ ذي الحجة سنة ١٣٣٣ وسرني ما رأيت فيه من قبولكم إخراج ولايتي مرسين وأَضَنَه من حدود البلاد العربية.

وقد تلقيت أيضا بمزيد من السرور والرضى تأكيداتكم أن العرب عازمون على السير بموجب تعاليم الخليفة عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من السادة الخلفاء الأولين.. التعاليم التي تضمن حقوق كل الأديان وامتيازاتها على السواء.

هذا وفي قولكم: إن العرب مستعدون أن يحترموا ويعترفوا بجميع معاهداتنا مع رؤساء العرب الآخرين يُعلمُ منه طبعاً أن هذا يشمل جميع البلاد الداخلة في حدود المملكة العربية لأن حكومة بريطانيا العظمى لا تستطيع أن تنقض اتفاقات قد أبرمت بينها وبين أولئك الرؤساء.

أما شأن ولايتي حلب وبيروت فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنهما ودوّنت ذلك عندها بعناية تامة؛ ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق ، وسنخابركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب.

إن حكومة بريطانيا العظمى كما سبقت وأخبرتكم مستعدة لأن تعطي كل الضمانات والمساعدات التي في وسعها إلى المملكة العربية ولكن مصالحها في ولاية بغداد تتطلب إدارة ودية ثابتة كما رسمتم على أن صيانة هذه المصالح كما يجب تستلزم نظرا أدق وأتم مما تسمح به الحالة الحاضرة والسرعة التي تجري بها هذه المفاوضات.

وإننا نستصوب تماما رغبتكم في اتخاذ الحذر ولسنا نريد أن ندفعكم إلى عمل سريع ربما يعرقل نجاح أغراضكم ولكننا في الوقت نفسه نرى من الضروري جدا أن تبذلوا مجهوداتكم في جمع كلمة الشعوب العربية إلى غايتنا المشتركة وأن تحثوهم على نجاح هذه المجهودات وعلى التدابير الفعلية التي يمكن للعرب أن يتخذوها لإسعاف غرضنا عندما يجيء وقت العمل تتوقف قوة الاتفاق بيننا وثباته.

وفي هذه الأحوال فإن حكومة بريطانيا العظمى قد فوضت لي أن أبلغ دولتكم أن تكونوا على ثقة من أن بريطانيا العظمى لا تنوي إبرام أي صلح كان إلا إذا كان من ضمن شروطه الأساسية حرية الشعوب العربية وخلاصها من سلطة آل عثمان والأتراك.

هذا وعربوناً على صدق نيتنا ولأجل مساعدتكم في مجهوداتكم في غايتنا المشتركة فإني مرسل مع رسولكم مبلغ عشرين ألف جنيه.

وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية وخالص التسليمات الودية مع مراسم الإجلال والتعظيم المشمولين بروابط الألفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ولأفراد أسرتكم المكرمة مع فائق الاحترام.

تحريرا في ٨ صفر ١٣٣٣

المخلص نائب جلالة الملك بمصر

السيد آرثور هنري مكماهون

شيخ الإسلام مصطفى صبري وكتابه «الرد على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة»

بل إنَّ شَيخَ الإسلامِ مُصطفى صبري[1] اغترَّ وخُدِعَ بِدعوى الإصلاحِ التي نادى بها « الاتحاديون » فشارك في إقرارِ عزلِ الخليفةِ عبدِالحميدِ لما كان نائباً في مجلسِ «المبعوثان» ثُمَّ لما تبيَّنَ حقيقةَ الأمرِ وبعدَ رحيلِهم ومجيءِ «الكماليين» اجتهدَ في كشفِ مخططاتِ أتاتورك[2].

وفي البداية فقد كانَ موقِفُ الشريفِ حُسَينٍ إلى جانبِ الخِلافةِ العُثمانيةِ ، ويتَّضِحُ ذلِكَ مِن خلالِ رسائلِه إلى الإمامِ يَحيى وإلى سُلطانِ لحج ، ففي رسالتِه للإمام يَحيى : وإنَّ واجبَ كُلِّ مُسلِمٍ تقويةِ خليفةِ المُسلِمين حتَّى بِعِقالِ بعيرٍ . وفي كِتابِه لسُلطانِ لحج : ومِنَ الأهميةِ بِمكانٍ تقويةُ سُلطانِ المُسلِمين تحتَ الزعامةِ التُّركيةِ بِقيادةِ الخليفةِ العُثمانيِّ ، وقبلَ القيامِ بِأيِّ عملٍ نسعى إلَيه ينبغي الاهتمامُ

---

(١) عَيَّنَ الشيخُ مصطفى صبري نائباً عن مدينة توقاد عام ١٩٠٨م، وكان نائبا في مجلس المبعوثان عام ١٩٠٩ حين عزل السلطان عبدالحميد، ثم عين شيخاً للإسلام في عهد عبدالمجيد الثاني آخر الخلفاء، فكان آخر من تقلد هذا المنصب قبل إلغاء الخلافة ، وقد كرس جهوده في فضح مخططات الاتحاديين فسجنوه ثم تفرغ لفضح مخططات أتاتورك وأصدر صحيفة تركية لذلك ، ثم تم نفيه واستقر به النوى في مصر وفيها ألف كتابه «الرد على منكري النعمة» وطبعه في لبنان قبل إلغاء الخلافة بعام واحد، ثم لما ألغيت الخلافة تبين للمخدوعين من المسلمين صدق ما أخبرهم به شيخ الإسلام، وبقي في القاهرة حتى وفاته عام ١٩٥٤ رحمه الله تعالى.

(٢) كان المفتي وقت عزل السلطان عبدالحميد هو الشيخ نوري أفندي وقد رفض التوقيع على فتوى الخلع وأحال الأمر إلى شيخ الإسلام ضياء الدين أفندي الذي رفض أيضاً ثم وقعها بعد تهديده بقتل السلطان عبدالحميد إذا لم يوقعها. وكان الاتحاديون قد قاموا من قبل بذبح سلطان سابق وهو السلطان عبدالعزيز عم السلطان عبدالحميد في قصره بقطع شرايين زنده ثم أشاعوا أنه انتحار. «السلطان عبدالحميد الثاني، حياته وأحداث عهده»، لأورخان محمد علي ص٢٧٩-٢٨٠ ، والكتاب مزود بالمراجع والوثائق التركية، دار النيل ، الطبعة الأولى ٢٠٠٨ .

بِالوحدةِ الإسلاميةِ معَ الخِلافةِ التُّركيةِ . اهـ ص٨٦ «الشـريفُ حُسَينٌ والخِلافةُ» لِنِضـالِ المومني . وسـعَت بِريطانيا لِلاتِّصـالِ بِالعربِ سـنةَ ١٩١٤م لِكَونِهم أكثرَ عناصِـرِ الدَّولـةِ العُثمانيـةِ عـددًا ، ويتمتَّعـون بِتقديرٍ أكبرَ مِـنَ الأتراكِ مِـنَ الناحيةِ الدِّينيةِ .

عدلت بريطانيا مواقفها تجاه الحسين والعرب عدة مرات بحسب ما أملته عليها مصالحها

وتضمنَتِ الرِّسـالةُ مِن بريطانيا إلى الشـريفِ حُسَينٍ بِتاريخِ ٨ آب ١٩١٤م شُكرَ الشريفِ على خِدمتِه الحسنةِ لِلأماكِنِ المُقدَّسةِ ، وتقولُ : إنَّها لا تُعارِضُ في إعادةِ الخِلافـةِ إلى العربِ ، واقترحَتِ السِّـفارةُ البِريطانيةُ بِالآسـتانةِ إمكانَ خلقِ خِلافةٍ جديدةٍ في الجزيرةِ العربيةِ لِضربِ سُـلطةِ السُّـلطانِ العُثمانـيِّ إذا ما أعلنَتِ الدَّولةُ العُثمانيةُ الحربَ ضِدَّ الحُلفاءِ ، ثُمَّ عدَّلَت بِريطانيا نظرتَها بِشأنِ الخِلافةِ واعتبرَتها مسـألةً تخُصُّ المُسـلِمين ، ثُمَّ عادَت بِريطانيا لِلتدخُّلِ في مسألةِ الخِلافةِ وأشارَت إلـى الخِلافـةِ العربيةِ في الرِّسـالةِ التـي بعثَ بها سـتورزُ المُستشـارُ البِريطانيُّ في القاهرةِ إلى الشـريفِ عبدِاللَّهِ بِتاريخِ تِشـرين الثاني ١٩١٤م ، وجاءَ فِيها : وعسـى اللَّهُ أن يمُنَّ على المؤمنين بِخليفةٍ عربيِّ الأصلِ والحسـبِ والنسبِ ، يُشرِفُ على البُقعتَيـنِ المُباركتَيـنِ : بيـتِ اللَّهِ الحرامِ ، والمدينـةِ المُنَوَّرةِ ، وبذلِـكَ يُبدِّلُ يومئِذٍ ربُّكَ الشرَّ بخيرٍ . اهـ ص٨٩ « الشريفُ حُسَينٌ والخِلافةُ» .

تأمل العبارات التي تحمل العاطفة الدينية من سياسي أوروبي

كانَ مَوقِـفُ الشـريفِ حُسَـينٍ في ذلِكَ الوقتِ مُتـردِّدًا ، ومـا زالَ مُرتبِطًا بِالدَّولةِ العُثمانيةِ ، فردَّ على تلكَ الرِّسـالة بِالمُماطلةِ والتسـويفِ ، وكانَ الشـريفُ عبدُاللَّهِ قد أكَّدَ قبلَ ذلِكَ التاريخِ في رسالةٍ إلى ستورزَ تمسُّكَ العربِ في الحِجازِ بِالخِلافةِ العُثمانيةِ ، وذكرَ أنَّ الشـريفَ حُسَـينًا لم يُفكِّرْ بِالخِلافةِ العربيةِ قبلَ سـنةِ ١٩١٤م ، وكانَ مِن أسبابِ مُعاودةِ بِريطانيا الاتِّصالَ بالشريفِ حُسَينٍ خَوفُ بريطانيا مِن تأثيرِ الخِلافةِ العُثمانيةِ على المُسـلِمين في الهِندِ الذين يدينون رُوحيًّا بِالولاءِ لِلسُّـلطانِ

العُثمانـيِّ ، فأرادَت بريطانيا مِنَ اتِّصالِها بِالشـريفِ إبطـالَ تأثيرِ الدعوةِ إلى الجهادِ المُقدَّسِ ، التي أعلنَها السُّلطانُ العُثمانيُّ ، أو على الأقلِ تخفيفَ أثرِها ، وشاركَت فرنسـا بريطانيـا هـذا الرأيَ فسـاندَتها في خلـقِ فِكرةِ الخِلافـةِ العربيةِ خِلالَ سـنةِ ١٩١٤م لضربِ الخِلافةِ العُثمانيةِ ، ويُذكَرُ أنَّ فِكرةَ تنصيبِ الشـريفِ حُسَينٍ فِكرةٌ فِرنسـيةٌ بحتـةٌ ، وأنَّ خَـوفَ الحُلفاءِ مِن إعـلانِ الجِهادِ دفعَهم إلى زِيـادةِ الاهتمامِ بِالشريفِ حُسَينٍ . اهـ ص٩٠ – ٩٢ .

فكرة الخلافة العربية فكرة فرنسية، كان المرجو منها خلق بابوية إسلامية

وفـي ص٩٩ أشـارَ المُؤلِّـفُ إلى الأسـبابِ التـي أدَّت إلى قيـامِ الثَّـورةِ ، فقالَ : ومهما اختلفَ القَولُ في أسبابِ خُروجِ العربِ بزعامةِ الشريفِ حُسَينٍ على الدَّولةِ العُثمانيـةِ فإنَّه مِـنَ المُؤكَّدِ أنَّ القضاءَ علـى الخِلافةِ العُثمانيةِ وإقامـةَ خِلافةٍ عربيةٍ هاشِميةٍ لم يكُنْ مِن بَينَ تِلكَ الأسبابِ وإنَّما كانَت ضِدَّ الاتّحاديِّين وتسلُّطِهم على الدَّولةِ العُثمانيةِ . اهـ ، وفي ص١٠٠ قالَ : وحرصَ حُسَينٌ مُنذُ إعلانِ الثَّورةِ على الأتراكِ على إعلانِ تمسُّـكِه بِالخِلافةِ الإسلاميةِ العُثمانيةِ وإظهارِ إخلاصِه وولائه لِلسُّلطانِ العُثماني ، ويتَّضِحُ ذلِكَ مِنَ الرِّسالةِ التي بعثَها إلى السُّلطانِ مُحمَّد رشاد بتاريـخِ ١٢ تمـوز عامَ ١٩١٦م أكَّدَ فِيها أنَّ إعلانَ اسـتِقلالِ البِـلادِ العربيةِ لا يعني إنـكارَ أعمالِ سـلاطينِ آلِ عُثمانَ لِلبِلادِ الإسـلاميةِ ، وإنَّما جـاءَ هذا الإعلانُ ضِدَّ الاتّحاديِّيـن ، وجـاءَ في نِهايةِ رِسـالتِه : واللَّـهُ يعلمُ مدى احترامِنـا وعظيمِ تقديرِنا لِشخصِكم الهمايونيِّ الساميِّ ولِلسلطنةِ العُثمانيةِ . اهـ .

وعِندَمـا عزلَ الاتّحاديون الشـريفَ حُسَـينًا مِن منصبِ الإمارةِ وعيَّنوا الشـريفَ علي حَيدر أميرًا على مكَّةَ في ٢٠ شعبان ١٣٣٤هـ « ٢١ حُزَيران ١٩١٦م » ـ وكانَ هدفُهم ضربَ العربِ بِالعربِ ـ كتبَ الشريفُ حيدرٌ إلى الشريفِ حُسَينٍ كتابًا يلومُ فيه الشـريفَ وولدَه عليًّا لِخُروجِهما على الدَّولةِ ، فأجابَه الشـريفُ حُسَينٌ بِكِتابٍ

فـي مُحرَّمٍ ١٣٣٥ قالَ فيـه : إنَّ خُروجَ العربِ على الاتِّحاديِّيـن أصبحَ فرضًا على العربِ والمُسـلِمين ، وأضافَ : إنَّ أسـبابَ خُروجِ العربِ هـي أعمالُ الاتِّحاديِّين ضِدَّ الإسـلامِ والعربِ ، وإنَّ هدفَ الثَّورةِ حفظُ استِقلالِ البِلادِ العربيةِ بعدَ سُقوطِ الدَّولةِ العُثمانيةِ ، الذي أصبحَ وشيكًا . اهـ ص١٠٣ «الشريفُ حُسَينٌ والخِلافةُ».

وفي ص١٠٤ قالَ : عارضَ المُسـلِمون في الهِندِ الثَّورةَ العربيةَ ، واعتبروها ضِدَّ الخِلافـةِ ، واعتبروا الشـريفَ حُسَـينًا خارِجًا على طاعـةِ الخليفةِ ، وأنَّـه بِخُروجِه عرَّضَ الأماكِنَ المُقدَّسةَ لِلخطرِ .

علماء الشام وفتواهم ضد ثورة الحسين

وأصـدرَ عُلماءُ الشـامِ فتوى ضِـدَّ ثَورةِ حُسَـينٍ ، ودعَوا إلى نُصـرةِ الدَّولةِ العليَّةِ العُثمانيـةِ ، وجـاءَ في الفتوى : وإنَّ ما فعلَه الشـريفُ حُسَـينٌ أميرُ مكَّةَ السـابِقِ مِنَ الخُـروجِ على أميـرِ المُؤمنين إمامِ المُسـلِمين مُحمَّدِ رشـاد خان مُخالِـفٌ لِلقرآنِ ولِسُّـنَّةِ النبـيِّ الكريـمِ ﷺ ، كمـا أنَّ التِجـاءَه للإنكليـزِ مُوجِبٌ لسـخطِ اللَّهِ تعالى ورسـولِه علَيه الصلاةُ والسـلامُ ونفرةِ عُمومِ المُسـلِمين ، وهو مخدوعٌ بِالمواعيدِ الكاذِبةِ والأضاليلِ الباطِلةِ فلا حَولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللَّهِ . ووقَّعَ الفتوى اثنان وخمسون عالِماً. وعارضَ المُسـلِمون السُّنيُّون في أنحاءِ العالمِ الثَّورة ، كما عارضَها العربُ في المغربِ العربيِّ . راجِعْ ص١٠٥-١٠٦ «الشريفُ حُسَينٌ والخِلافةُ» .

وعلى الرغمِ مِن ذلِكَ فقد باركَ ابنُ سُـعودٍ وشَيخُ الكُوَيتِ وشَيخُ المحمرةِ ثَورةَ حُسَين في تِشرينَ الثاني ١٩١٦م . اهـ . المصدرُ السابِقُ ص١٠٦ .

الشيخ رشيد رضا يخطب في مكة بتأييد الشريف حسين

وخطبَ السـيِّدُ رشـيدُ رِضا في مكَّةَ بِمُناسبةِ الحجِّ سـنةَ ١٣٣٤هـ خُطبةً أيَّد فِيها الثَّورةَ العربيةَ ومَوقِفَ الشريفِ حُسَينٍ ، وقالَ : أيُّها الحِجازيُّون ، إنَّ مَن يكفُرُ لهذا الرجُلِ المُصلِحِ المُنقِذِ هذه النِّعمةَ فهو أكفرُ الناسِ لِلنِّعَمِ ، أيُّها المُسلِمونَ ، يجبُ

أن تعلموا أنَّ هذا العملَ هو أعظمُ خِدمةٍ لِلإسلامِ في هذا الزمنِ . ص١٠٨ .

واستمرَّ الشريفُ حُسَينٌ مِن خلالِ جريدةِ القِبلةِ في تأكيدِ إخلاصِه لِلخليفةِ العُثمانيِّ بالإضافةِ إلى إبرازِ سُلطةِ الاتِّحاديِّين على الدَّولةِ خاصَّةً بعدَ ازديادِ النفوذِ الألمانيِّ في الدَّولةِ العُثمانيةِ حتَّى أصبحَ الاتِّحاديُّون يُجبِرون الخليفةَ على توقيعِ الأوامرِ التي يُصدرونها . المصدرُ السابِقِ ص١١١ .

الشريف ينصب نفسه ملكا لمملكة عربية ومرجعا دينيا للمسلمين

وفي ص١١٣ تحتَ عنوانِ «الشريفُ حُسَينٌ ملِكًا خِلالَ مُوسِمِ الحجِّ لِسنةِ ١٣٣٤ هـ» بعدَ الثَّورةِ بِخمسةِ شُهورٍ تقريبًا شرعَ حُسَينٌ بالتأسيسِ لِمملكةٍ عربيةٍ، وأعلنَ يَومَ السبتِ ١ مُحرَّم ١٣٣٥هـ «٢٨ تِشرين الأوَّل ١٩١٦م» نفسَه ملِكًا على العربِ ومرجِعًا دينيًّا لهم ، وتمَّ تأجيلُ البحثِ في مسألةِ الخِلافةِ الإسلاميةِ حتَّى يجتمِعَ العالمُ الإسلاميُّ على اتِّخاذِ قرارٍ بشأنِها .

وأعلنَ عُلماءُ مكَّةَ المُكرَّمةِ في خِطابٍ مُوجَّهٍ إلى العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ بِمُناسبةِ بَيعتِهم لِلشريفِ حُسَينٍ بِالمُلكِ وبالمرجِعيةِ الدينيةِ خُروجَ الاتِّحاديِّين على الدينِ الإسلاميِّ ، وأسقطَ عُلماءُ مكَّةَ في خطابِهم صِفةَ الخِلافةِ عنِ الدَّولةِ العُثمانيةِ بِقولِهم : ها نحنُ نرى بأعيُنِنا أنَّ المملكةَ - أيْ : الدَّولةَ العُثمانيةَ - قدِ انسلخَت عن شكلِها الإسلاميِّ الذي نعهدُه ، وصِرْنا كُلَّما بحثْنا عن سببٍ مُوجِبٍ لِلطاعةِ وعن أيِّ شرطٍ من شُروطِ الخِلافةِ وانتِظامِ الجماعةِ لا نجدُه . اهـ المصدرُ السابِقُ ص١١٥ .

واحتجَّت بريطانيا وفرنسا على لقبِ الحُسَينِ الجديدِ ، وكانَت ردَّةُ فِعلِ الحُلفاءِ تتمثَّلُ بالتهنئةِ وعدمِ الاعترافِ ، وأُصيبَ حُسَينٌ بِخَيبةِ أملٍ في الحُلفاءِ حيثُ لم يعترِفوا بِه إلَّا ملِكًا على الحِجازِ فقط . اهـ المصدرُ السابِقُ ص١١٦ .

وصــدرَ أمرٌ ملكيٌّ فـي القِبلةِ بِتاريخِ ٤ ربيع الثاني ١٣٣٧هـ « ١٧ تِشـرين الثاني ١٩١٨م[1] » بِرفعِ اسـمِ السُّـلطانِ العُثمانيِّ في الخُطبةِ الشـريفةِ بِناءً على اسـتِمرارِ سـيطرةِ الاتِّحاديِّين على الدَّولةِ العُثمانيةِ ، وأصبحَ الدُّعاءُ في خُطبةِ الجُمُعةِ بِاسـمِ «شـريفِ مكَّةَ وأميرِهـا وملِكِ البِلادِ العربيةِ قُرَّةَ كُلِّ عَينٍ سـيِّدِنا ومولانا الشـريفِ حُسَينٍ» .اهـ . المصدرُ السابِقُ ص١١٩ .

الملك حسين يلقب نفسه بأمير المؤمنين

وأصدرَ الشـريفُ حُسَـينٌ منشـورًا ملكيًّا بِتلقيبِه «أميرُ المؤمنين» ، وخاطبَه أهلُ الشـامِ بِملِـكِ العربِ والخليفـةِ المُقدَّسِ ، وخاطبَـه أهلُ يافا في برقيـةٍ بعثوا بها : «هذه البَيعةُ وقَبولُ عبوديتِنا الصادِقةِ » . وفِيها إشـارةٌ إلى بَيعتِهم الصريحةِ لِحُسَينٍ بِالخِلافـةِ الإسـلاميةِ الهاشِـميةِ ، وبايعَ أهـلُ العِراقِ حُسَـينًا بِالخلافةِ الإسـلاميةِ صراحةً .

ولمَّـا تولَّـى مُصطفى أتاتـورك الحُكـمَ وعمِلَ على الخُـروجِ عن مبـدأِ الخِلافةِ قالَ الملِكُ حُسَـينٌ : يرحمُ اللَّهُ الخِلافةَ ، وأحسـنَ عزاءَ المُسـلِمين فِيها . المصدرُ السابِقُ ص١٢٣ بِتصرُّفٍ .

بروز مصطفى كمال أتاتورك كبطل قومي في مقاومة الحلفاء الذين احتلوا اسطنبول

وبرزَ مُصطفى أتاتورك كبطلٍ أُسـطوريٍّ في الدِّفاعِ عن أراضي تُركيا ضِدَّ الحُلفاءِ، وكانَ أتاتـوركُ يعمـلُ على تَوحيدِ تُركيـا والحِفاظِ علَيها ، وتعاطُفَ المُسـلِمون معَه وأصبـحَ بِالنسـبةِ لهم أفضلَ مِنَ الخليفةِ مُحمَّدٍ السـادسِ الخاضـعِ لِلنُّفوذِ الأجنبيِّ ، ورحَّـبَ المُسـلِمون بِمقاومةِ الأتـراكِ لِلاحتِلالِ الأجنبـيِّ ، وآزرَه الشُّـعراءُ ، ومِنهم أحمدُ شَوقي ، الذي امتدحَ أتاتوركَ في قصيدةٍ له . المصدرُ السابِقُ ص١٣٦ بِتصرُّفٍ .

أحمد شوقي يمتدح أتاتورك في قصيدة له

---

(١) وهي ذاتها سـنة وفاة السـلطان عبدالحميد الثاني في منفاه بالبلقان! وتجدر الإشارة إلى أن السـلطان عبدالحميد هو الذي عينه بإجبار مـن الاتحاديين على إمارة مكة قبيل تنحيته عن الحكم (عام ١٣٢٦هـ ـ ١٩٠٨م) .

وكانَـتِ الخِلافـةُ العُثمانيةُ قد فقـدَت كثيرًا من أهميتِها قُبَيـلَ الحربِ وخلالَها ، وصارَ المجلسُ الوطنيُّ بِرئاسةِ أتاتوركَ في أنقرة هو الذي يُديرُ أمرَ الدَّولةِ ، وتركَ السُّـلطانُ وحيدُ الديـنِ منصِبَ الخِلافةِ ، وعمِلَ أتاتوركُ على ترشـيحِ عبدِالمجيدِ بنِ عبدِالعزيزِ ، ووقَّعَ وثيقةً باعتبارِه خليفةً لِلمُسـلِمين وخادمِ الحرمَين الشريفَين . المصدرُ السابقُ ص١٣٧ ، ١٤٢ بِتصرُّفٍ .

الخليفة عبدالمجيد الثاني ينتخب بلا سلطة حقيقية

وانتُخِـبَ عبدُالمجيدِ الثاني خليفةً لِلمُسـلِمين في ١٨ تِشـرين الثاني ١٩٢٢ مِنَ المجلِسِ الوطنـيِّ «خِلافةً دونَ سُـلطةٍ» حتَّى نجحَ أتاتوركُ فيما بعدُ بالتنسـيقِ معَ بريطانيا على إلغاءِ الخِلافةِ وإعلانِ الجُمهوريةِ .

وأدى إعـلانُ الجُمهوريـةِ إلـى سـخطِ المُسـلِمين وتبـرُّؤِ الكثيرِ مِنهـم مِمَّا فعلَ أتاتوركُ ، وذمَّه الذين مدحوه سابِقاً . المصدرُ السابقُ ص١٤٤ بِتصرُّفٍ .

ولمَّـا خُلِـعَ الخليفةُ السُّـلطانُ عبدالمجيد لجأَ إلى السِّـفارةِ البريطانيـةِ ، وطَلَبَ الحِمايةِ ؛ فأرسـلَ الملِكُ حُسَـينٌ إلى السُّـلطانِ يدعوه لِلقُدومِ إلى الحِجازِ ، وقبِلَ السُّلطانُ الدعوةَ .

ووصلَ إلى جِدةَ يَومَ الإثنَينِ ١٥ كانون الثاني ؛ فاستقبلَه الملِكُ حُسَينٌ ، وجرَت مراسـيمُ الاسـتِقبالِ ، وفـي ٢٠ كانونَ الثاني توجَّـه الجميعُ إلى مكَّةَ واسـتُقبِلَ بها اسـتقبالًا كبيرًا ، وصلى الجُمُعةَ في ٢ شُـباط في المسـجِدِ الحرامِ بِصُحبةِ الملِكِ حُسَينٍ ، وكذلِكَ في الجُمُعتَين التاليتَين ، وسمعَ الدُّعاءَ لِلملِكِ حُسَينٍ في الخُطبةِ وليـسَ الدُّعـاءُ لِلخليفةِ ، وانتقـلَ الخليفةُ وحيـدُ الدينِ إلى الطائـفِ في الخميس ١ آذار ١٩٢٣م ، وأقـامَ بهـا أيَّامًـا ثُـمَّ عـادَ إلى مكَّةَ ومِنهـا إلى جِدةَ ، ثُمَّ سـافرَ في ١ رمضـان ١٣٤١هــ بِاعتبـارِ اعتِلالِ صِحتِه ، وأعلنَ السُّـلطانُ وحيـدُ الدِّينِ قُبَيلَ

الخليفة المخلوع يغادر إلى مكة ثم إلى سويسرا

مُغـادرةِ الحِجـازِ منشـورًا لِلعالـمِ الإسـلاميِّ جـاءَ فيه عـرضُ وضعِ تُركيـا خِلالَ الحـربِ العالميـةِ ، وظُروفِ تولِّيـه الخِلافةِ ، وسَـيطرةِ الاتِّحاديِّين علـى الدَّولةِ ، ودِفاعِ السُّـلطانِ عن نفسِه ، وسـعيِ مُصطفى كمال لِلقضاءِ على الخِلافةِ . وضمَّنَ المنشـورَ بِشُـكرٍ لِملِكِ الحِجازِ على ضيافتِه وأهلِه في البِلادِ المُقدَّسةِ وتوجه نحو سويسرا .

وقِيـلَ : إنَّ الملِـكَ حُسَـينًا ضغـطَ على السُّـلطانِ وحيدِ الديـنِ ؛ لِيتنـازلَ له عنِ الخِلافةِ ولكِنَّه رفضَ ، وأصرَّ على المُطالبةِ باسـتِرجاعِها لنفسِـه . المصدرُ السابِقُ ١٥٣ – ١٥٨ بِتصرُّفٍ .

وعلى هذا التفسير الذي فسَّرَه الشَّيخُ السهارنفوريُّ رحِمَه اللَّهُ يكونُ معنى «فِتنةِ الأحـلاسِ» يعودُ إلى مرحلةِ ضعفِ الدَّولةِ العُثمانيةِ وما طـرأَ مِن مُؤامراتٍ مُبطَّنةٍ لِتمزيقِها ، وما جرى في تمرُّداتِ البلقانِ والبُلغارِ وثوراتِهما ، ثُمَّ الحربِ الرُّوسـيةِ العُثمانيـةِ ؛ فانضمَّـت رومانيـا إلى الرُّوسِ ، وامتـدَّ هُجومُ الرُّوسِ علـى الوِلاياتِ العُثمانيةِ حتَّى الأناضولِ .

وتلاهـا مرحلـةُ «فِتنةِ السـرَّاءِ» ، وهـي المرحلةُ التـي تجاوبَ فِيها بعـضُ حُكَّامِ ورؤسـاءِ قبائـلِ البِلادِ العربيـةِ والإسـلاميةِ ـ بِـإدراكٍ أو بِغَيرِ إدراكٍ ـ لِمُسـاوماتِ الدُّولِ الاسـتِعماريةِ وقَبـولِ إغراءاتِهم بِإثـارةِ النَّعرةِ القوميةِ ، كالقوميـةِ العربيةِ[١]

---

(١) كان لليهود وعلى رأسـهم « هرتزل » الدور المباشـر في إثارة المسـألة القومية ، حيث كان اليهـود يطالبـون بوطن قومي لهـم ولكنهم لم يجدوا في البداية قبـولا من الدول العظمى ، حتـى بدأ العمل المشـترك بين بريطانيا واليهـود ، وعقدت المؤتمـرات العديدة حول هذه المسألة ، وبدأت بعض الدول بتبني مشروع القوميات وإثارة النعرات فيها ، وكان أول من عانى من ذلك دولة الخلافة نفسها ؛ حيث قامت العناصر المحرضة على القومية بالمطالبة

والانفِصالِ عن جسـدِ الدَّولةِ الإسـلاميةِ العُثمانيـةِ آنذاكَ مُقابِلَ مُسـاعداتٍ مُعينةٍ مِـنَ المـالِ والسـلاحِ والأغذيةِ وغيرِهـا ، بِاعتِبارِ فسـادِ الدَّولـةِ العُثمانيةِ سياسـيًّا وانعِـكاسِ ذلِكَ على البِلادِ العربيةِ والإسـلاميةِ ، ومُحاولـةِ البعضِ إنقاذَ ما يُمكِنُ إنقاذُه مِمَّا يُعتقَدُ أنَّه مِن مصلحةِ الإسلامِ والأُمَّة العربيةِ ، فكانَ الأمرُ بعدَ ذلِكَ على غَيـرِ المُتوقَّعِ ، وتحولَتِ القضيةُ إلى وِصايةِ الغربِ على القرارِ السياسـيِّ معَ إثارةِ الصِّـراعِ الداخلـيِّ بَينَ حُكَّامِ العربِ على الحُكمِ ومُسـاندةِ كُلِّ فريقٍ ضِدَّ الآخَرِ(١) ، وهو ما سـمَّاه رسـولُ اللَّـهِ ﷺ بِالتمايُـزِ والتمايُـلِ والمعامِعِ في حديـثِ حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**لن تفنى أُمَّتي حتَّى يظهرَ فيهِمُ التمايُزُ والتمايُلُ**

حديث التمايز والتمايل والمعامع

الملحـة بفصل قوميات بلغاريا والمجر والبوسـنة والهرسـك وغيرها عن دولة الإسـلام ، وتذرعوا بشـتى الحيل والوسـائل ، وكان هذا تمهيدا سياسـيا لإنجاح مطالبة اليهود بوطن قومي في قلب البلاد الإسـلامية ، ونجحت الفكرة بدعم الدول الأروبية وأمريكا ، وتحقق الانهيـار والتقسـيم في الدولة الإسـلامية ، وتحققـت دولة الصهيونية وغيرها من مشـاريع الدجل والسياسة .

(١) ظهرت في مصر بعد سقوط دولة الخلافة دعوة من خلال الأزهر لعقد مؤتمر إسلامي عام لمناقشة مسألة « الخلافة الإسلامية » ، وكان وراء هذه الدعوة الملك فؤاد الذي كان يرغب في أن يصبح خليفة للمسـلمين ، وعقد المؤتمر في العاشـر من شعبان سنة ١٣٤٣هـ ، بعد أيـام من هدم الخلافـة ، واتفق المؤتمرون على عقد مؤتمر آخـر ، يدعى إليه جميع ممثلي الأمم الإسـلامية للبت في من تسـند إليه الخلافة الإسلامية بدلا عن عبدالمجيد العثماني، الذي وصفت بيعته بأنها غير شرعية ، ومر عام كامل من التحضير لهذا المؤتمر ، حتى عقد المؤتمـر الثانـي عـام ١٩٢٥هـ، وفيه طغـت الخلافات بين زعماء العـرب حول الخلافة، وادعى كل من الحضور الخلافة لنفسـه، فطالـب البعض بأن تكون للملك فؤاد ، والبعض للشريف حسين ، والبعض الآخر لأمير نجد عبدالعزيز بن سعود . كما دب الخلاف حول شـكل الخلافة ومضمونها، وتم تأجيل المؤتمر إلى السـنة القادمة ١٩٢٦م ، ثم فشل أيضا في معالجة المشكلة .

والمعامِعُ» . قال حذيفة بأبي أنت وأمي : يا رسولَ اللَّهِ وما التمايُزُ ؟ قالَ : «عصبيةٌ يُحدثُهـا الناسُ بعدي في الإسـلامِ» . قُلـتُ فما التمايُلُ ؟ قـالَ : «يميلُ القبيلُ على القبيـلِ فيسـتحِلُّ حُرمتَها ظلماً» . قال : قُلْتُ : ما المعامِعُ ؟ قالَ : «مسَـيرُ الأمصارِ بعضُها إلى بعضٍ ، فتختلِفُ أعناقُها في الحربِ» [1]. وكانَ ما كانَ ...

تداعي الأمم أكلة القصعة على ثروات الأُمَّة

ويندرِجُ في هذا المُسـمَى « السـرَّاءِ » معنًى آخرُ ، وهو «ظُهورُ النِّعمةِ على الفردِ أوِ الجماعةِ أوِ الأُمَّةِ» باعتِبارِ المعنى المُقرَّرِ في قَولِه : «أصابَته سرَّاءُ فشكرَ» . فمِن معاني السرَّاءِ التي يشكُرُ العبدُ ربَّه علَيها ما يُجريه علَيهِ مِن نِعمةٍ ، وفي هذا الصددِ يُلاحَـظُ ما قـد هيَّأه اللَّهُ مِن أسـبابٍ حضاريةٍ ونِعـمٍ مادِّيةٍ لِلعربِ والمُسـلِمين في هذه المرحلةِ ، ومِنها « ظُهورُ واكتشافُ البترولِ » ، ولكِنَّ القرارَ العالميَّ المُهَيمِنَ على هذه الثرواتِ جعلَ المرحلةَ ومُخرجاتِها تنصبُّ في المصلحةِ الاسـتيراتيجيةِ لِلدُّولِ المُهَيمِنةِ .

ويجمعُ هذه الجُزئياتِ المُتنوِّعةَ مِنَ العملِ المُبطَّنِ والعملِ المُشـترَكِ بَينَ بعضِ

---

(١) رواه الحاكِمُ في «مُسـتدركِه» (٨٥٩٧) ، وقالَ صحيحُ الإسنادِ وتعقَّبَه الذهبيُّ بِأنَّ فيه سعيدَ بنَ سِـنانٍ قالَ : (وسـعيدٌ مُتَّهمٌ بِه) . قالَ صاحِبُ كِتابِ «إتحافِ الجماعةِ» : وهذا الحديثُ وإن كانَ ضعيفَ الإسنادِ فقد ظهرَ مِصداقُه بما أحدثَه الناسُ مِنَ العصبيةِ في الإسلامِ ، ومِن هذه العصبيةِ ما يُسمَّى في زمانِنا بـ«القَوميةِ العربيةِ» ، وكذلِكَ مَيلُ القبائلِ بعضُها إلى بعضٍ واختلافُ أعناقِهم في الحربِ ، كُلُّ ذلِكَ وقعَ في هذه الأُمَّةِ ، وهذا مِمَّا يشهدُ لِهذا الحديثِ ويدُلُّ على أنَّ له أصلًا . واللَّهُ أعلمُ . «إتحافُ الجماعةِ» (١ : ٥١) .

قُلـتُ : ومنـه ما تصنعُه مِن تهديدِ بعضِ الدُّولِ الإسـلاميةِ والعربيةِ لِجاراتِها ، أوِ الهُجومِ علَيهـا واسـتقطاعِ بعـضِ أراضيهـا ، أو فـرضِ سياسـتِها الفِكريةِ علَيهـا تحتَ المُسـمَّياتِ المُتنوِّعةِ ، وقد يكونُ مِنها التمحُّكُ بِالإسـلامِ ذاتِـه أو بِمذهبٍ مُعَيَّنٍ مِنَ المذاهِبِ المُنتميةِ إلَيه . وقد حصلَ مِثلُ هذا في جزيرةِ العربِ وغَيرِها .

المُسلِمين – بِإدراكٍ أو بغيرِه – والعالمِ الاستِعماريِّ قولُه ﷺ عنِ المرحلةِ :
«يُوشِكُ أن تداعى علَيكمُ الأُمَمُ كما تداعى الأكلةُ على قصعتِها» . قالوا أمِن قِلةٍ نحنُ يا رسولَ اللَّهِ قالَ : «لا ، أنتُم يومئذٍ كثيرٌ ، ولكِنَّكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيلِ يُلقى علَيكمُ الوهنُ» . قالوا : وما الوهنُ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قالَ : «حُبُّ الدُّنيا وكراهيةُ الموتِ ، وتُنزَعُ المهابةُ مِن صُدورِ عدوِّكم»[1] .

سقوط الخِلافة وبدء العهد العلماني

وبِهذه الأحداثِ والتحوُّلاتِ وما تلاها بدأَ عهدُ الغُثائيةِ والوهنِ في الأُمَّتَين العربيةِ والإسلاميةِ ، بدءًا مِنَ المؤامرةِ المُدبَّرةِ ، ثُمَّ نقضِ الحُكمِ الإسلاميِّ بِالحكمِ العِلمانيِّ فيما بعدُ ، وإعلانِ الدَّولةِ العِلمانيةِ في ٣٠ تِشرين الأوَّلِ ١٩٢٣م، وصُدورِ مرسوماتِ الدَّولةِ بفكرِها العِلماني الجديدِ على النحوِ التالي :

- تخلِّي مُصطفى أتاتوركُ عن جُملةِ أراضي تُركيا وسواحِلِها ومضايقِها للحُلفاءِ .
- إلغاءُ القوانين الشرعيةِ وإقامةِ الدُّستورِ المدنيِّ .
- تعميقُ مفهومِ الطورانيةِ «المفهومِ القَوميِّ» .
- إلغاءُ حِجابِ المرأةِ .
- تحويلُ العُطلةِ الرسميةِ مِنَ الجُمُعةِ إلى الأحدِ .
- الأذانُ باللغةِ التُّركيةِ بدلًا مِنَ اللُّغةِ العربيةِ .
- منعُ التعامُلِ بالعربيةِ واستِبدالُ الإنكليزيةِ بها .


أتاتورك

مؤتمرات الأعداء ضد القرار الإسلامي

وقد سبقَ هذه الإجراءاتِ إجراءاتٌ مُشابِهةٌ في مُؤتمرِ لوزانَ عامَ ١٩٢١م ، وحضرَه وفدُ تُركيا بِرئاسةِ مُصطفى أتاتوركَ ، وفيه وضعَ الوفدُ الإنكليزيُّ أربعةَ

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٩٩) سبق تخريجه ص ٢٣٨ .

شُروطٍ للاعتِرافِ باستقلالِ تُركيا :

- إلغاءُ الخِلافةِ الإسلاميةِ .
- طردُ الخليفةِ خارجَ الحُدودِ .
- إعلانُ عِلمانيةِ الدَّولةِ .
- مُصادرةُ أملاكِ بني عُثمانَ .

المكاسب الاستعمارية بسقوط الخِلافة

ومُنذُ تِلكَ اللحظةِ ونظامُ الدَّولةِ العِلمانيةِ يُحقِّقُ المُقوِّماتِ الاستِعماريةَ التاليةَ:

- سياسةُ يهودِ الدونمةِ في سالونيكَ ومحافِلُهم الماسونيةُ في البِلادِ العربيةِ والإسلاميةِ .
- الإرسالياتِ التبشيريةِ (التنصيرية) في فُروعِها المُختلِفةِ ، وما تحتويه مِن تغييرٍ في شبابِ العربِ والمُسلمين .
- تفعيلُ دَورِ جمعيةِ الاتِّحادِ والترقِّي ، وتسهيلُ مُهِمَّاتِها وتعاونِها معَ الأقلياتِ الأجنبيةِ .
- إنجاحُ مشروعِ هِرتِزلَ لِلبحثِ عن وطنٍ قَوميٍّ لِليهودِ[1] ، ولم تنتهِ الحربان

---

(١) ترجع البدايات الأولى لفكرة إنشاء وطن خاص لليهود ، يجمع شتاتهم ، ويكون حارساً أمينا على مصالح دول « أوروبا » الاستعمارية في الشرق إلى ما قبل الحملة الفرنسية على مصر ، وتجلى ذلك بوضوح في خطاب نابليون ، الذي وجهه إلى يهود الشرق ؛ ليكونوا عونا له في هذه البلاد ، وقد وجدت هذه الدعوة صدى لها لدى كثير من اليهود .

ومع نهايات القرن التاسع عشر انتقلت فكرة الصهيونية التي تزعمها تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية من مرحلة التنظير إلى حيز التنفيذ ، وذلك بعد المؤتمر الصهيوني الأول ، الذي عقد في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧م ، وتجلى ذلك بوضوح في سعي الصهيونيين الدائب للحصول على تعهد من إحدى الدول الكبرى بإقامة وطن قومي لهم ، وكانت بريطانيا بشخص وزير خارجيتها صاحبة الفضل في الوعد المشؤوم ، الذي اقترن باسمه في التاريخ .

وبتكليف من الحلفاء أقدمت بريطانيا على تلك الخطوة الخطيرة ، فأصدرت وعد بلفور، ونشرته الصحف البريطانية صباح ٢ نوفمبر ١٩١٧م ، وكان نصه :

وزارة الخارجية ٢ نوفمبر ١٩١٧ م

العالميتان الأولى والثانيةِ على تباعُدِ أزمِنتِهِما إلَّا لِتحقيقِ أهدافِها الاستِعماريةِ في العالم كُلِّه ، ومِنها إيجادُ سقفٍ عالميٍّ لِحمايةِ مكاسبِ الاستِعمارِ سُمِّيَ بِعُصبةِ الأُمَمِ ثم الأُمَمِ المُتحِدةِ .

- تقسيمُ العالمِ إلى كُتلتَين شرقيةٍ وغربيةٍ لِتفعيلِ الصِّراعِ الرأسماليِّ والشُّيوعيِّ وتوزيعِ الأُمَمِ العربيةِ والإسلاميةِ ضِمنَ هاتَين الكُتلتَين ، لِتفعيلِ الصِّراعِ الطبقيِّ والسِّياسيِّ والاجتماعيِّ والثقافيِّ المُؤدِّي إلى ما سُمِّيَ بِالحربِ البارِدةِ .

عزيزي اللورد روتشيلد ، يسرني جدا أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة صاحبة الجلالة التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أماني اليهود والصهيونية ، وقد عرض على الوزارة وأقرته : إن حكومة صاحبة الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية ، على أن يكون مفهوما بشكل واضح أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقد الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن بفلسطين ، ولا الحقوق أوالوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى ، وسأكون ممتنا إذا ما أحطتم اتحاد الهيئات الصهيونية علما بهذا التصريح .   المخلص . آرثر بلفور

فور هذا الوعد سارعت دول الغرب وعلى رأسها فرنسا وإيطاليا وأمريكا بتأييده ، بينما كان في مناطق العالم العربي له وقع الصاعقة ، واختلفت ردود أفعال العرب بين الدهشة والاستنكار والغضب .

ودخلت الجيوش البريطانية بقيادة اللورد اللنبي إلى القدس ، وترجل القائد الإنكليزي وقال كلمته الشهيرة : اليوم انتهت الحروب الصليبية .

وبعد ذلك بنحو ٣ أعوام دخل الجنرال الفرنسي غورو دمشق في عام ١٩٢٠م ، ووضع قدمه على قبر صلاح الدين الأيوبي وهو يقول في تحد وتشف لا يخلو من الحقد : ها نحن قد عدنا ثانية يا صلاح الدين .

وفي نيسان إبريل ١٩٢٠م وافق المجلس الأعلى لقوات الحلفاء على أن يعهد إلى بريطانيا بالانتداب على فلسطين ، وأن يوضع وعد بلفور موضع التنفيذ ، ثم ما لبث مجلس عصبة الأمم المتحدة أن وافق على مشروع الانتداب في ٢٤ يوليو ١٩٢٣م ، ثم دخل مرحلة التطبيق الرسمي في ٢٩ سبتمبر ١٩٢٣م .

- غرسُ الكِيانِ الصهيونيِّ في فِلسطِينَ والاعتِرافُ بِه دوليًّا وحِمايتُه .
- دعمُ البرنامجِ القَبليِّ « التحريشِ » في الجزيرةِ بِتفعيلِ الصِّراعِ القَبليِّ والمذهبيِّ بَينَ المُصلِّين مِن عربِ الجزيرةِ ، كما بيَّنَه ﷺ بقولِه : « **إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ** » . رواه الترمِذيُّ وقالَ : حديثٌ حسنٌ .

امتداد العلمانية بالاستعمار

- تثبيتُ السياسةِ العِلمانيةِ في تُركيا ومدِّ الفكرِ العلمانيِّ في الحكمِ عبرَ السياسةِ الاستِعماريةِ إلى بِلادِ الإسلامِ والمُسلِمين مِن خِلالِ الغزوِ العسكريِّ والثقافيِّ والإعلاميِّ والتعليميِّ المسيسِ المُتدرِّجِ .

وثيقة وعد بلفور

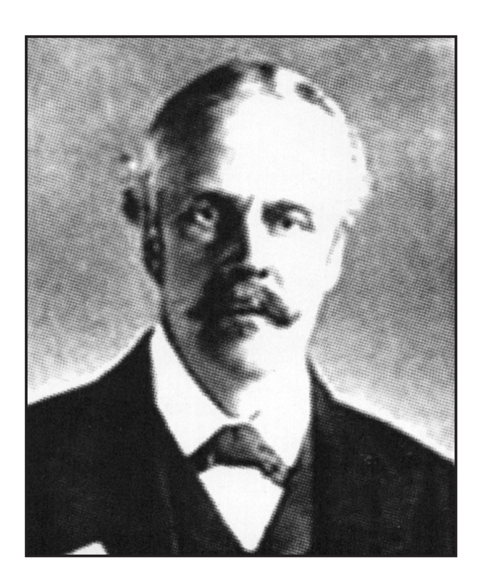
Foreign Office,
November 2nd, 1917.

Dear Lord Rothschild,

I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.



وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور

المرحلة الغثائية

آخر مراحل الخلافة العثمانية

تحديات الخارج
* أطماع الدول الأوروبية
* أطماع اليهود في فلسطين
* أطماع المحافل الماسونية
* يهود الدونمة

الغـزو البـرتغـالي ثم البـريطـاني
تـداعـي الأمـم
(تركة الرجل المريض + المسألة الشرقية)
الغـزو الغـربي

تحديات الداخل
* ضعف الدولة الاقتصادي
* بدء تمزق الدولة
* دعوات القوميات
* جمعيات الاتحاد والترقي وتركيا الفتاة ونحوها
* التأثر بالعالم الغربي

إسقاط عبدالحميد الثاني ١٣٢٤ هـ (١٩٠٩م)

الخلافة العثمانية المدونمة

تفكيك عرى الدولة العثمانية وإقحامها في اللعبة الدولية

مؤتمر سايكس بيكو يونيو ١٩١٦
إعلان الثورة العربية يوليو ١٩١٦

بدأت ١٩١٤ **الحرب العالمية الأولى** انتهت ١٩١٩

وعد بلفور ٢ نوفمبر ١٩١٧
الثورة البلشفية ٨ نوفمبر ١٩١٧

هزيمة تركيا في الحرب وتقسيم تركة الرجل المريض ١٩١٨

تأسيس عصبة الأمم ١٩١٩

إلغاء الخلافة الإسلامية وقيام النظام العلماني في تركيا ١٩٢٤

معاهدات الحماية والتعاون بين الغرب والدويلات والقبائل

بدأت ١٩٣٧ **الحرب العالمية الثانية** انتهت ١٩٤٥

سلطنات
إمارات
دويلات
مشيخات
محميات

تأسيس الأمم المتحدة / صندوق النقد الدولي / البنك الدولي ١٩٤٥

العـهـد القـبـلـي

الاعتراف بدولة اليـهـود

إلغاء أفكار
الخلافة الإسلامية
والثورة العربية

الحرب الباردة

صراع الرأسمالية والشيوعية

مرحلة الاستهتار

ثمرات الصراع في الوطن العربي والإسلامي

مرحلة الاستهتار

الصراع الحزبي — الصراع الطبقي — الصراع الاعتقادي — الصراع الطائفي

إلغاء مقياس الذهب من النظام المالي العالمي ١٩٧٣

إسقاط النظام الشيوعي ١٩٩١

مرحلة العولمة

نظام القطب الواحد

مرحلة الاستثمار

الفتنة الرابعة العمياء البكماء الصماء التي يؤول أمر الأمة فيها إلى الكافر

مرحلة الاستثمار

الانهيار الاقتصادي
وإعادة ترتيب النظام
المالي العالمي

التدخل في شؤون الدول العربية والإسلامية
السودان / فلسطين / لبنان / العراق
وما سيلحق

نزع السلاح النووي
وهيمنة الاستعمار الجديد

فتنة الأحلاس — فتنة السراء — فتنة الدهيماء — الفوضى الخلاقة

فتنة الأحلاس — فتنة السراء — فتنة الدهيماء — الفوضى الخلاقة

فتنة الدُّهَيماء علامة صغرى في مرحلة الغثاء

فِتنةُ الدُّهَيماءِ .. مرحلةُ الاستِهتارِ

سبقَتِ الإشارةُ إلى مرحلةِ الأحلاسِ والسرَّاءِ وتلازُمِهما معًا في تهيئةِ كُلٍّ مِنها لِلأُخرى فيما عُرِفَ بمرحلةِ الدُّهَيماءِ، وقد كما وردَت في أحاديثِ مَن لا ينطِقُ عنِ الهوى ﷺ، ومِنها حديثُ: (فِتنةِ الأحلاسِ وفِتنِ السرَّاءِ) وقالَ فيه: «ثُمَّ فِتنةُ الدُّهَيماءِ... فإذا قيلَ انقطعَت تمادَت»[1]، «... لاَ يَبْقَى بَيْتٌ مِنْ الْعَرَبِ إِلاَّ دَخَلَتْهُ...»[2]، وفي الفِتنة الثالثةِ (الدُّهَيماءِ): «يقاتِلُ الرجُلُ فِيها لا يدري على حقٍّ يُقاتِلُ أم على باطِلٍ»[3]، وفِيها تحوَّلَتِ القضايا كُلُّها إلى قضايا قوميةٍ وعصبيةٍ، ومِنها «قضيةُ فِلسطِينَ» حيثُ صارَت قضيةَ الفِلسطينيِّين والصهاينةِ، ولم تعُدْ قضيةَ الإسلامِ، وذلِكَ مُنذُ تقسيمِ وتجزئةِ دَولةِ الخِلافةِ رسميًّا حتَّى اليوم.

تحول القضية الإسلامية إلى أطماع قومية إقليمية

ومُنذُ رسمِ خرائطَ مناطقيةٍ جديدةٍ شُغِلَتِ البِلادُ العربيةَ بِسياساتِ التجزئةِ والصراعِ الداخليِّ والحُدوديِّ والإقليميِّ والانقلاباتِ السياسيةِ، كما ورد في الحديثِ: «فلا يزالونَ كذلِكَ حتَّى يصيروا إلى فُسطاطَين: فُسطاطُ إيمانٍ لا نِفاقَ فيه، وفُسطاطُ نِفاقٍ لا إيمانَ فيه، فإذا هما اجتمعَا فارصُدِ الدَّجَّالَ اليومَ أو غده»[4]، وحديثِ الوليدِ بنِ مُسلِمٍ رفعَه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أنَّه قالَ في الفِتنةِ الثالثةِ فِتنةِ الدُّهَيماءِ: «ويُقاتِلُ الرجُلُ فِيها لا يدري على حقٍّ يُقاتِلُ أم على باطِلٍ»[5].

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٤٢) وقد تقدم.

(٢) «صحيح البخاري» (٣١٧٦).

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٠٨).

(٤) «سنن أبي داود» (٤٢٤٢) «مسند أحمد» (٦١٦٨) وقد تقدم.

(٥) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٠٨).

صراع القوتين: الشرق الشيوعي والغرب الرأسمالي

وكما هو في مرحلةِ الأحلاسِ والسرَّاءِ وتلازُمِهما ، وتسميةِ كُلٍّ مِنهما لِلأُخرى، فـإن فِتنـةَ الدُّهَيمـاءِ هي ثمـرةٌ مِن ثمـراتِ العملِ المُشـتركِ في مرحلـةِ الأحلاسِ والسرَّاءِ ، فتدخُلُ في هذه المرحلةِ جُزءاً مِمَّا عُرِفَ بمرحلةِ الاستِعمارِ ثُمَّ الاستِهتارِ ، وهو ما أفرزَه الوطنُ العربيُّ والعالمُ الإسلاميُّ مِنَ التحوُّلاتِ المنبثقةِ عنِ صِراعِ الكُتلتَين العالمِ الرأسـماليِّ والعالمِ الإلحاديِّ الشُّـيوعيِّ ، وانقسـامِ العالمِ العربيِّ والإسـلاميِّ إلى رأسماليٍّ وشُيوعيٍّ ، وامتِدادِ الصِّراعِ بَينَهما على المدى الطويلِ، وتأثيـرِ هذا الصِّـراعِ على التُّركيباتِ الاجتماعيةِ اقتصاديًّـا وثقافيًّا وتربويًّا وتعليميًّا وطبقيًّا ، ومِن ذلِكَ ما رُوِيَ عن عبدِاللَّهِ بنِ عمرٍو بِقَولِه : «**إنَّ مِن أشراطِ الساعةِ أن تُوضَعَ الأخيارُ ، وتُرفَعَ الأشرارُ ، ويسودَ كُلَّ قومٍ مُنافِقوهم**»[1].

ومِـن مظاهـرِ هـذهِ المرحلـةِ بـروزُ (الهـرجِ) الجماعيِّ بيـنَ المسـلمينَ تحتَ مبرِّراتِ السياسـةِ القوميةِ والحزبيةِ والعرقيـةِ والطائفيةِ، وفيها يقول ﷺ : «**إنّ بينَ يَـدَي السـاعةِ لَهَرْجاً**» ، قالَ : قلتُ : يا رسـول الله ما الهَـرْجُ ؟ قال : «**القتل**»، فقالَ بعضُ المسلمينَ : يا رسولَ اللهِ.. إنّا نقتلُ الآن في العامِ الواحدِ من المشركينَ كذا وكـذا ، فقال رسـول الله ﷺ : «**لَيْسَ بِقَتْلِ المشـركينَ ولَكِنْ يَقْتُـلُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً حَتّى يَقْتُلَ الرجلُ جارَه وابنَ عمِّه ذا قَرابتِه**» ، فقال بعض القوم : يا رسول الله ومعنا عقولُنا ذلك اليوم ؟! فقال رسول الله ﷺ : «**لا.. تُنْزَعُ عُقُولُ أَكْثَرِ أَهْلِ ذلك الزمانِ ويَخْلُفُ لَهُ هباءٌ مِنَ النّاسِ لا عُقُولَ لَهُمْ**»[2].

ولعلَّ المقصودَ منْ قولِه : «**لا عُقُولَ لَهُمْ**» أي : لا وَعْيَ لهمْ يُمَيِّزُ بَيْنَ مَعْرِفَةِ الحَقِّ والباطلِ ، وهذا ينطبقُ على أُخْرَيَاتِ الزمانِ عندَ قبضِ العلماءِ ونقضِ العلمِ وفُشُوِّ

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٩١) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٥٤٩) .
(٢) «سنن ابن ماجه» (٣٩٥٩) .

الجهلِ وعبادةِ الدينار والدرهمِ.

وهذه العلاماتُ قد وقعتْ وازدادَ بروزُها وظهورُها في هذه المرحلةِ، وزاد على الهَرْجِ التَّنَاكُرُ كما أخبرَ عنهُ ﷺ في حديثِ حذيفةَ قال: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عن الساعةِ فقال: « ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ﴾ ولكنْ أُخْبِرُكَ بِمَشَارِيطِها وما يكونُ بينَ يَدَيْهَا، إنّ بينَ يَدَيْهَا فتنةً وهَرْجاً»، قالوا: يا رسول اللهِ الفتنةُ قد عَرفْنَاهَا فَما الهَرْجُ؟ قال: «بِلِسَانِ الحَبَشَةِ: القَتْلُ قال: ويُلْقَى بَيْنَ النَّاسِ التناكرُ فلا يكادُ أحدٌ يَعْرِفَ أحداً»[1]، وهذه جملةٌ من ظواهرِ المرحلة وما تَفَرَّعَ عنها بعد ذلك في حياةِ الأمّةِ.

---

(١) رواه أحمد في «مسنده» بسند صحيح (٢٣٣٠٦) ورواه الطبراني وابن مردويه مطابقة الاختراعات العصرية» (١١٥).

الفتنة الرابعة التي يؤول أمر الأُمَّة فِيها إلى الكافر

الفِتنةُ الرابعةُ «العمياءُ البكماءُ الصمَّاءُ»

«مرحلةُ الاستثمارِ» - «الألفيَّةُ الثالثةُ»[1]

وهـي الفِتنـةُ الرابِعةُ اللاحِقةُ والمُكمِّلةُ لِلخُطَطِ الاستِعماريةِ السـابقةِ، وتُعرَفُ بالاستِقراءِ والمتابعـةِ والربـطِ بَينَ الأقـوالِ النبويـةِ ومُجرياتِ التحـوُّلاتِ، وقد تعـددَتِ الأحاديـثُ المعبِّرةُ عنهـا، وبعضُها مُجمَـلٌ وبعضُها مُفصَّـلٌ، ومن هذه الأحاديثِ :

(١) عـن أبـي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : قالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ : «**تأتيكـم مِن بعدي أربعُ**

(١) ربطنـا هـذه المرحلـة بمسـمى «الألفيـة الثالثـة» بعـد الاسـتقراء المتأني والمقارنة الموضوعية بين المراحل السابقة والمسماة في الأحاديث بالدهيماء والسـراء والأحلاس (عدا تصاعديا)، وهي المراحـل الغثائيـة، وتبين أن ما عرف بأحداث الحادي عشـر من أيلـول سـبتمبر ٢٠٠١م، المتسـم بتحطيم برجـي : مركز التجارة الدولـي رمز الاقتصـاد، والبنتاجون الرمز العسـكري . وما ترتب عليـه مـن تفاعلات وحـوادث وتغيرات فـي العلاقـات الدولية، وظهور الهيمنة الاستبدادية «للقوى العالمية»، واجتماعها لتنفيذ إرادتهـا علـى العالم بما فيه العالم العربي والإسـلامي؛ يمثل إلى حـد ما بـدء «مرحلـة الفتنة الرابعة» المشـار إليها فـي الأحاديث النبويـة، مـن مثـل قوله ﷺ فيمـا رواه نعيم بن حماد فـي «الفتن» عن أرطأة بن المنذر قال: بلغنا أن رسول الله ﷺ قال: «**تكون في أمتـي أربع فتن، يصيب أمتي في آخرهـا فتن مترادفة، إلى أن ذكر الفتنـة الرابعة فقال : والفتنة الرابعة تصيرون فيها إلى الكفر**». انظر «التهذيب الحسـن لكتـاب العراق فـي أحاديث الفتن» لمشـهور حسن ص٢٧٦ .



فِتَـنٍ، فالرابِعـةُ منها الصمَّاءُ العميـاءُ المُطبِقةُ تعرك الأُمَّة فِيهـا بِالبلاءِ عركَ الأديمِ، حتَّـى يُنكَـر فِيها المعروفُ ويُعـرَفُ فِيها المُنكـرُ، تموتُ فِيها قلوبُهـم كما تموتُ أبدانُهم»[1].

أحداث ١١ سبتمبر تمثل إلى حدٍّ ما بدء (مرحلة الفتنة الرابعة)

(٢) حديثُ أبي هُرَيرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ – وذكرَ الفِتنةَ الرابِعةَ، «لا ينجو من شرِّها إلَّا مَن دعا كدُعاءِ الغَرقِ، أسعدُ أهلِها كل تقيٍّ خفيٌّ إذا ظهرَ لم يُعرَفْ، وإن جلسَ لم يفتقد؛ وأشقى أهلِها كُلُّ خطيبٍ مِصْقَعٍ أو راكِبٍ موضِعٍ»[2].

(٣) وعـن أبي هُريـرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ ﷺ: «الفِتنةُ الرابعـةُ عمياءُ مُظلِمةٌ تمورُ مَـورَ البحرِ، لا يبقـى بَيتٌ مِنَ العربِ والعجمِ إلَّا ملأَته ذُلًّا وخَوفًا، تُطيفُ بالشـامِ وتغشـى بالعِـراقَ وتخبُطُ بالجزيرةَ بيدِهـا ورِجلِها، تعركُ الأُمَّـةُ فِيها عركَ الأديمِ، ويشـتدُّ فِيها البلاءُ حتَّى يُنكَرَ فِيها المعروفُ، ويُعرَفُ فيها المُنكَرُ، لا يستطيعُ أحدٌ يقـولَ: مَـهْ مَهْ. ولا يرقعونهـا مِن ناحيةٍ إلَّا تفتَّقَـت مِن ناحيةٍ، يصبِـحُ الرجُلُ فِيها مؤمنًـا، ويُمسـي كافرًا، ولا ينجـو مِنها إلَّا مَن دعا كدعاءِ الغـرقِ في البحرِ، تدومُ اثني عشـرَ عامًـا تنجلي حيـنَ تنجلي وقد انحسـرَت الفُراتُ عن جبـلٍ مِن ذهبٍ؛ فيقتتِلون عليَها، حتَّى يَقتَلَ من كُلِّ تِسعةٍ سبعةٌ»[3].

جبل الذهب والاقتتال عليه

(٤) وعن أبي هُرَيرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الفِتنةُ الرابِعةُ ثمانيةَ عشرَ عاماً، ثُمَّ تنجلي وقد انحسـرَ الفُراتُ عن جبلٍ مِن ذهبٍ، تكُبُّ عليَهِ الأُمَّةُ فيُقتَلُ عليَه مِن كُلِّ تِسعةٍ سبعةٌ»[4].

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٢٨).

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (٣٦٧).

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٧٦) وفي رواية أخرى: «انحسر».

(٤) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩٧٢).

وعـن علـيٍّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه قـالَ : «الفِتَن أربعٌ : فِتنةُ السـرَّاءُ ، والضـرَّاءُ ، وفِتنةُ كذا – فذكـرَ معـدِنَ الذَّهـبِ – ثُـمَّ يخرجُ رجُلٌ مِن عِترةِ النبيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ يُصلِـحُ اللَّهُ تعالى على يدَيه أمرَهـم»[1] .

مفهوم الحديث: يؤول أمر الأُمَّة إلى الكافر

وخُلاصـةُ القَـولِ فيمـا وردَ مِنَ الأحاديـثِ المُتنوِّعةِ عنِ الفِتنـةِ الرابعةِ قَولُه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ : «تصيـرون فيهـا إلى الكفـر»[2]. ومفهومُ الحديـثِ يدُلُّ على ما نحنُ نشـهدُه مِنَ الضُّغوطِ السياسيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ والإعلاميةِ ... إلخ في الحياةِ العربيةِ والإسلاميةِ ، والارتباكِ الواضحِ في المُجتمعاتِ المذكورةِ بالسياساتِ المُشتركةِ ، والتدخُّـلِ الثقافيِّ والاقتصـاديِّ والسياسـيِّ والاجتماعيِّ والسـياحيِّ والإعلاميِّ المفـروضِ علـى العالـمِ الإسـلاميِّ والعربيِّ فـي المرحلـةِ ، حتَّى رُبَّمـا يصِلُ في بعـضِ أحوالِه إلى تهديـدِ حملةِ القرارِ عِندَ مُخالفتِهم ، وغَزوِ أراضيهم واسـتبدال غيرِهم بهم ، وإثارةِ الفِتَنِ داخلَ مُجتمعاتِهم ورعاياهم بشـتَّى أصنافِ السياسـاتِ والأسـبابِ[3] ، ومِنهـا : ما يصِـلُ إلَيهم مِنَ الغِنـى المُطغِي ، وهو وجـودُ الثرواتِ الكثيـرةِ ، وتبديدُها فيما لا يعودُ بنفعٍ لِلشُّـعوبِ ، بالإضافةِ إلى الطُّغيانِ السياسـيِّ والاقتصاديِّ والعالميِّ والاجتماعيِّ والثقافيِّ المُوجَّهِ لِلاستِهلاكِ والخِدْماتِ .

التدخل الكافر في سياسة الإسلام ونقض العرى

وكذلـك مـا يَصِلُ إليهـم مِنَ الفقـرِ المُنسـي ، وهو تـركُ الاكتفاءِ الذاتـيِّ وعدمُ الاعتمادِ على الحِرفِ اليدويةِ والزراعةِ المحليةِ ، والاشـتغالُ بِالوظائفِ والنُّزوحِ مِـنَ الأريافِ إلى المُـدُنِ طلبًا لِخِدْماتِ العَيشِ الرغيدِ وهُروبًـا مِن مُعاناةِ الأعمالِ الحِرفيةِ والرعيِ والزراعةِ وغيرِها ، وخاصَّةً في أجيالِ هذه البداواتِ بعدَ أن تهيَّأَت

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩٤) .
(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩١) .
(٣) وهي ما يطلق عليه اليوم بالفوضى الخلاقة من وجهة نظر العولمة .

ظاهرة الهجرة إلى العواصم وترك العمل الحرفي الزراعي وهجر الاكتفاء الذاتي من الفقر المنسي

لهم أسبابُ الدراسةِ الحديثةِ، وذهبوا لِلبحثِ عنِ الوظائفِ في المُدُنِ والعواصِمِ، وفي ذلِكَ روى عبدالله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنه ﷺ كان يقولُ: «لَنْ تَنْفَكُّوا بِخَيْرٍ ما استَغْنَى أهلُ بَدْوِكُمْ عن أَهْلِ حَضَرِكُمْ»[1]، قال: «وَلَتَسُوقَنَّهُمُ السِّنِينُ والسَّنَاتُ حَتّى يَكُونُوا مَعَكُمْ في الدِّيَارِ، ولا تُمْنَعُوا مِنْهُمْ لِكَثْرَةِ مَنْ يُسْتَرَ عَلَيْكُمْ مِنْهُمْ، قال: «يَقُولُونَ: طَالَمَا جُعْنَا وَشَبِعْتُمْ، وَطَالَمَا شَقِينَا وَنَعِمْتُمْ، فَوَاسُونَا اليَومَ»[2].

زيادة الأسعار في الغذاء والوقود من الفقر المنسي

ومِنَ الفقرِ المُنسي المفروضِ على الأُمَّةِ في الفِتنةِ الرابعةِ زيادةُ الأسعارِ في الموادِ الغذائيةِ والوقودِ وغيرِها بَينَ الحينِ والآخرِ مِمَّا يُسهِم في زيادةِ القَلَقِ ونِسيانِ التوكُّلِ على اللَّهِ والانصرافِ عن ذِكره تعالى إلى الصراعِ والمُنازعةِ والاختِلافِ الهالِكِ، كما قد حصلَ وشُوهِدَ في اليمنِ والعِراقِ والصُّومالِ والأفغانِ والسُّودانِ وغيرِها.

أسباب الانحدار الشرعي في الفتنة الرابعة

وكما حدَّدَ رسولُ اللَّهِ ﷺ (حالةَ الأُمَّةِ في الفِتنةِ الرابعةِ) فقد كشفَ عن أسبابِ الانحِدارِ مِنَ الناحيةِ الشرعيةِ بِقَولِه:

كثرة القراء، وهم حملة المعرفة القرآنية المجردة الذين يعكسون سياسة المرحلة ومعانيها

- «سيأتي على أُمَّتي زمانٌ تَكثُرُ فيه القُرَّاءُ» أي: حملةُ المعرفةِ القِرائيةِ المُجردةِ، المُرَدِّدون ما يُكتَبُ لهم في الصحافةِ والمناهِجِ المقبوضةِ، وبمعنى لائقٍ: العاكسين سياسةَ المرحلةِ المتناقِضةِ والأنظمةِ الحائرةِ القائمةِ فِيها.
- «وتقِلُّ الفقهاءُ» أي: حملةُ الفِقهِ بِمعانيه ودقائقِه، والمقصودُ فِقهُ الديانةِ وكافةِ

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٨٥) تكملة الحديث..: «فَإِذَا أَتَوْكُم لَم تَمتَنِعُوا مِنهُم لِكَثْرَةِ مَن يَسيلُ عَلَيكُم، يقولون طال ما جعنا وشبعنا، وطال ما شقينا ونعمتم فواسونا اليوم».

(٢) آخر الحديث في «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٨٥)، و«المستدرك على الصحيحين» (٨٥٤٨).

وُجوهِها الشرعيةِ والاقتصاديةِ والثقافيةِ والتربويةِ والتعليميةِ والإعلاميةِ .

- «ويُقبَضُ العِلمُ» ، وسيأتي في الفصل التالي : العلامات الصغرى .

كثرة الاقتتال والصراع الدموي

- «ويكثُـرُ الهَرْجُ» وهـو القتلُ والاقتِتالُ ، كما وردَ في الحديـثِ : «قالُوا : وما الهَـرْجُ يا رسـولَ اللَّهِ ؟ قالَ : «القتلُ بَينكم ، ثُـمَّ يأتي من بعدَ ذلِكَ زمانٌ يقرأُ القُـرآنَ رِجالٌ لا يُجاوِزُ تراقيَهم ، ثُمَّ يأتي مـن بعدَ ذلِكَ زمانٌ يُجادِلُ المنافق والكافر المُشرِكُ بِاللَّهِ المُؤمِنَ بمِثلِ ما يقولُ» [(١)].

مؤتمرات الحوار والاستثمار

- والمُشـرِكُ بِاللَّـهِ هـو الكافرُ الأصلـيُّ مِنَ اليهـودِ والنصارى وأهـلِ الأوثانِ والمجادلـةِ، ومن معانيه «مؤتمـراتُ الحِوارِ الحضـاريِّ والمصالِحِ الثقافيةِ والاقتصاديةِ والإعلاميةِ المشتركةِ المخالفة لمناهج الشريعة، والتي تشتمِلُ علـى تقاسُـمِ العملِ المشـتركِ فـي المبـادئِ : المسـاواةِ والعدالـةِ وحُقوقِ الإنسـانِ وما شـاكلَها ، علـى أسـاسِ تطويعِ العالمَيـن العربيِّ والإسـلاميِّ لِبرامجِ العَولمةِ .

العدالة من مبادئ الإسلام ولا علاقة للكفر بذلك

- وقد كانَت هذه المبادِئُ لُغةَ الإسلامِ فقط ، وأما الكُفَّارُ فقدِ انعدمَت بِكُفرِهم معانـي القيـمِ الصحيحةِ القائمةِ علـى طلبِ الثوابِ والخَوفِ مِـنَ العِقابِ ، وبقـيَ لهم في الوجهِ الرسـميِّ مصالِحُ سياسـيةٌ واستِعماريةٌ واسـتِثماريةٌ ؛ ولكِنَّ الفِتنةَ الرابعةَ تُجبِرُ العالَمَ العربيَّ والإسـلاميَّ على تقاسُـمِ الرؤيةِ معَ الكُفَّارِ لِما وصل إلَيه المُسلِمون في مراحلِ الغثاءِ مِنَ الجهلِ بِالدينِ وأُسُسِه

---

(١) وأوله : «سيأتي على أمتي زمان ، يكثر القراء ، ويقل الفقهاء ، ويقبض العلم ، ويكثر الهرج» و«المعجـم الأوسـط» للطبراني (٣٢٧٧) و«المسـتدرك على الصحيحيـن» (٨٤١٢) قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قال الذهبي : صحيح .

الاعتباريـةِ في العلاقـةِ بالآخَرِ ، حتَّـى يتنازلَ بعضُ المُسـلِمين عن تدريسِ بعـضِ آياتِ القُرآنِ الخاصَّـةِ بالتعنيفِ على اليهودِ والنصارى ، وتُحذَفُ مِنَ المناهِجِ التعليميةِ إرضاءً للكُفَّارِ واستِجابةً لِهَيمنتِهم ومُجادلتِهم وشراكتِهِمُ الثقافيةِ والاقتصاديةِ والإعلاميةِ .

ظاهرة التخلي عن تفسير الآيات القرآنية لِما فِيها من إدانة للكفار

خطر الثقافات الغازية على التركيب الإسلامي الموجه

فـي نَفسِ الوقتِ الـذي غزَتِ الثقافةُ الأجنبيـةُ المُعاديةُ لِلإسـلامِ وثقافتِه عالَمَنا العربـيَّ والإسـلاميَّ مِـن كُلِّ جِهاتِه ، تمـارِسُ القُـوى المُتَنفِذةُ في القـرارِ العربيِّ والإسـلاميِّ ضُغوطَها المُستمِرَّة ؛ لترويضِ شُـعوبِ القُرآنِ والسُّنَّةِ بما هي فيه مِنَ الغُثاءِ المسـيسِ على قَبولِ هذه الثقافاتِ الغازيةِ واسـتِعجالِ الارتِباطِ بها ، وتبنِّيها فـي مؤسسـاتِ الثقافةِ والإعـلامِ والتربيةِ الحديثـةِ والتعليمِ وغيرِها فـي كُلِّ موقِعٍ قرارًا غُثائيًّا بِما يُناسـبُه ويناسِبُ مَوقِعَه المحليَّ والإقليميَّ مِنَ «القُربِ والبُعدِ» في السياسـةِ الكافِرةِ ، وبَينَ «القُربِ والبُعدِ عنِ الإسـلامِ ذاتِه» ، وهذا ما عبَّرَ عنه النبيُّ ﷺ بِقَولِه : «**كُلَّما انتَقَضَت عُروةٌ تَشَبَّثَ الناسُ بالتي تليها ...** »[1] .

فكـم من عُروةٍ مِن عُرى الإسـلامِ قـد نُقِضَت في السياسـةِ والاقتِصـادِ والثقافةِ والفِكـرِ والتربيـةِ والتعليمِ والإعلامِ ، ومُسـمَّى حُقـوقِ المرأةِ وحُقوقِ الإنسـانِ ، وما تلاه ويتلوه مِن سياسـةِ النقضِ والقبضِ والتحريفِ والتشـويهِ القائمِ على قدمٍ وسـاقٍ فـي الأوطانِ المغلوبـةِ[2] والمُجتمعاتِ المنكوبةِ ؟! فلا حَـولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ

(١) «مسند أحمد» (٢٢١٦٠) وقد تقدم ص١٥١.

(٢) ومـن أخطـر ما تعيشـه الأمة اليوم من سياسـة القبض والنقض والتطبيـع والتطويع «مؤامرة الخيانـة فـي قضية القدس والمقاومة الإسـلامية في فلسـطين ضد العـدو المحتل» ، وهي إحـدى قضايانـا الإسـلامية الملحـة ، وقـد وصلـت إلـى ما وصلـت إليـه مـن (المؤامرة المشـتركة) متدرجة من عصر هرتزل وما جاء بعده من مؤتمرات واختلالات سياسـية إلى عصرنـا الحاضـر ، وقد صارت فيـه القضية على وشـك التطبيع محليا وإقليميـا وعالميا ،

بِاللَّهِ العليِّ العظيمِ .

مـع تظافـر القوى العربية وبعض المنظمـات والحكومات الإسـلامية والعالمية على تنفيذ المخطـط اليهـودي بأسـلوب أو بآخر ؛ ولكنـا إذا تمعنا فـي العمل الشـعبي المتنامي نجد الأنفاس الإسلامية الحقيقية قائمة بدورها الجهادي ونشاطها الريادي وفق مراد الله ومراد رسـوله ﷺ، ومن ذلك صمود الشـعب الفلسـطيني وبعـض منظماته الجهاديـة ، وصمود بعض الشخصيات المتنفذة سواءً في الحكم أو العلم أو المال أو الإصلاح الشعبي لإعطاء القضية بعدا إسـلاميا جهاديا مسـتمرا ، ومن هؤلاء جملة من الشـخصيات الإسلامية وغير الإسـلامية ـ من واقع التعاطف مع الحق ـ الداعية إلى الوقوف مع الشـعب الفلسـطيني في قضيته العادلة ، وربما كان من آخر محاولاتهم الجادة التي يحسـن ذكرها وإثباتها كنموذج إسلامي واعد عمل « المؤتمر الشعبي العالمي لنصرة فلسطين » وشعاره « نحو نصرة دائمة لفلسـطين » ، ومن أهم ما حمله أعضاء هذا المؤتمر في المرحلة الوقوف الشـعبي لإيقاف المؤامرة على نماذجها الثلاثة : تهويد القدس ، مسألة العودة للاجئين ، يهودية الدولة .

كما جعلوا مفهوم النصرة يقوم على معالجة ثلاثة أمور :

الأَوَّلُ : استمرار المقاومة ودعمها بكافة الأشكال والإمكانات الممكنة .

الثانـي : العمل علـى المصالحة الوطنية بين الفصائل لصيانـة الحق والعمل على نصرته وليس التضحية به .

الثالثُ : رفض مشـاريع الوسـاطة العربية والدولية الداعية إلى التطبيع المخل بالشـرف والأرض مع العدو المحتل .

ويتحقق نجاح هذه المطالب :

١ – بحشد الطاقات العربية والإسلامية لترجيح كفة القضية وتحويلها من قضية فلسطينية إلى قضية عربية إسلامية .

٢ – شد أزر المقاومة بجمع كلمة الفصائل داخل الأرض المحتلة ، وتوحيد استيراتيجات العمل الجهادي ، سواء بأسلوب المطالبة الشرعية القائمة على العدل والإنصاف أو الجهاد والمقاومة القادرين على فرض فكرة الحقوق وعودتها .

٣– العمـل علـى توحيـد الكلمـة وإحيـاء معاني التوحيـد ، وهـو إحياء أسـاس العلاقة الإسـلامية بين الأمـة وبناء وحدتهـا الإيمانية على القواسـم المشـتركة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾[البقرة:٢٠٨] .

ملاحظةٌ على هامِشِ المرحلةِ الغُثائيةِ

دراسة الركن الرابع تمنع الزج بالشعوب في سبيل المطالبة بالقرار

تُؤكِّدُ الدراسةُ الشرعيةُ للرُّكنِ الرابعِ مِن أركانِ الدينِ ، وما يترتَّبُ على هذه الدراسةِ مِنَ النظرِ في مسألةِ امتِلاكِ القرارِ أو المُطالبةِ به خِلالَ مرحلةِ الغُثاءِ والوهنِ المنصوصِ علَيها في الأحاديثِ الشريفةِ ؛ أنَّ الواجِبَ الشرعيَّ عدمُ الانزِلاقِ بِالمُطالبةِ أوِ الحربِ في سبيلِ امتِلاكِ القرارِ أوِ المُطالبةِ بِالقرارِ الجُزئيِّ الإقليميِّ أوِ المحليِّ تحتَ أيِّ مُبرِّرٍ كانَ .

بل لا يليقُ بِمَن ينتمي لآلِ البَيتِ النبويِّ أو من ينتمي لِلإسلامِ بعُمومِه ممن يرغبونَ في القرارِ أو يرَون جدارتِهم له كوِراثةٍ أوِ استحقاقٍ أو غَيرِ ذلِكَ أن يزُجُّوا بِالأُمَّةِ والرعايا في حُروبٍ وصِراعٍ مِن أجلِ ذلِكَ لِأسبابٍ مِنها :

- أنَّ مرحلةَ الغُثاءِ والوهنِ ينقطِعُ فِيها الحُكمُ الشرعيُّ العامُّ القائمُ على حِفظِ هُويَّةِ الإسلامِ في مجموعِ العالمِ كوحدةٍ سياسيةٍ واحدةٍ ، ويبقى الحُكمُ الذي وصفَه النبيُّ ﷺ بتكادُمِ الحَميرِ ، أي : الأطماعِ والصِّراعِ على السُّلطةِ وامتِلاكِها .

لماذا يَشغلُ القرارُ العالميُّ الشعوبَ بالكفاحِ في سبيل امتلاك القرار وبالتصعيد وإدخال الناس في الحروب ؟ هنا ذكر الأسباب

- أنَّ القرارَ العالميَّ ليسَ بيدِ المُسلِمين حُكامًا وشُعوبًا ، وإنَّما لِكُلٍّ مِنهم حُدودُه وسُلطتُه الخاصَّةُ تحتَ سقفٍ عالميٍّ كافِرٍ ينطوي فيه ويلتزِمُ بِقراراتِه في السِّلمِ والحربِ ، بل ويلتجِئُ إلَيه لفضِّ النِّزاعاتِ وشكوى الاعتِداءاتِ كالأُمَمِ المُتحِدةِ ومجلِسِ الأمنِ وغيرِها . ويَتْبَعُهُ كُلِّيَّةً في الاقتصادِ والنظامِ الماليّ .
- أنَّ المُطالِبين بِالحُكمِ تحتَ اعتباراتٍ «مذهبيةٍ ، عائليةٍ ، قبليةٍ» أو غيرِها

كمُطالبةِ «بعضِ أهلِ البَيتِ بِالحُكمِ أوِ الحربِ في سبيلِه» أو غيرِهم ـ ممَن كانَ لهم مجدٌ وسُلطانٌ لِآبائِهم ـ علَيهم أن يعلموا أنَّ العَودةَ إلى الحُكمِ الشرعيِّ يُشترَطُ فيه «الحُكمُ الإسلاميُّ العامُّ في مفهومِ الخِلافةِ المُرتبِطةِ بِالقرارِ الإسلاميِّ العامِّ» .

- أما أن يكونَ أحدُهم حاكِمًا على مدينةٍ أو مُقاطعةٍ أو دَولةٍ ، ولكِنَّ قرارَه الاقتِصاديَّ والسياسيَّ والإعلاميَّ جُزءٌ مِنَ الثقافةِ العالميةِ والسياسةِ الدَّوليةِ كما تُسمَّى ؛ فهو أمرٌ لا يخدُمُ هدفَ الإسلامِ وقضيةَ الاصطِفاءِ أوِ الأحقيَّةَ في الحُكمِ ، بل على مثلِ هذا ـ مِن أهلِ البَيتِ أو مِن غيرِهم ـ أن يتجنبَ المُماحكاتِ السياسيةَ المشبوهةَ ويحفظَ دِماءَ الرعايا والأُمَّةِ ، ويُعيدَ النظرَ فيما هو مطلوبٌ منه شرعًا لِتحقيقِ الاستقرارِ في الشعوبِ كما فعلَ الحسنُ وعليٌّ زينُ العابدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وليس باشغالِ الشُّعوبِ بِعودتِه وامتلاكِ الحُكمِ ، معَ أنَّه لا يترتَّبُ علَيه أيُّ نُصرةٍ لِلإسلامِ ولا لِلدعوةِ ولا لِلجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ إلَّا بما يوافِقُ سُقوفَ السياسةِ العالميةِ المُهَيمِنةِ ، التي تبدَأُ بادئ ذي بدءٍ بِشرطِ الاعتِرافِ بِه وبِوجودِه ، ثُمَّ بِقَبولِه عُضوًا في المنظومةِ الدَّوليةِ المُلزِمةِ لِلنِّظامِ بِاللوائحِ والقوانينِ الدَّوليةِ التي لا عِلاقةَ لها بِالإسلامِ ولا بِالمُسلِمِ .

كافة الدول التي برزت خضعت لاعتراف الدول الكبرى مالكة حق نقض القرار ولابد أن يكون إسلامها موافق لهذه الدول

- أنَّ كافَّةَ الدُّولِ والأنظِمةِ التي برزَتْ وظهرَتْ في مرحلةِ الغُثاءِ إنَّما هي قائمةٌ في مشروعيتِها على اعتِرافِ الدُّولِ الكُبرى مالكةِ قرارِ (الفيتو)، والدُّولُ الكُبرى لا تعترِفُ بِنظامٍ إسلاميٍّ صحيحٍ ، إلَّا أن تكونَ إسلاميتُه وفق ما يُرضي الدُّولَ المتنفذةِ في القرارِ السياسيِّ .

حركة الاقتصاد العالمي والنظام المالي التربوي وحركة سوق العملات هي السقف المهيمن على مشروعية الدول ومدى نشأتها

- وفوقَ كُلِّ ذلك فإن حَرَكَةَ الاقتصادِ العالميَّةَ والنظامَ الماليَّ الربويَّ وحركةَ سوقِ العملاتِ لكافةِ دول العالم هي السقفُ المهيمنُ على مشروعيةِ الدُّوَلِ ومَدَى بقائِها منذ نشأتِها وحتّى سقوطِها .

وعلى هذه الشُّروطِ التي يكشِفُها فقهُ التحوُّلاتِ والرُّكنُ الرابعُ مِن أركانِ الدينِ تُصبحُ مسألةُ امتلاكِ القرارِ أوِ الموتِ دونَه أو الدفع بالرعايا لِلاقتِتالِ مِن أجلِه مسألةً لا ترتبِطُ بِالحُكَّامِ ولا حتَّى بِآلِ البَيتِ أنفُسِهم ، وإنَّما ترتبِطُ بِقِراءةِ نُصوصِ فقهِ التحوُّلاتِ الشرعيِّ .

فالنُّصوصُ الشرعيةُ طعنَت في المُلكِ العضوضِ ـ وهو نِظامٌ إسلاميٌّ وحُكَّامُه مِن قُريشٍ ـ لفُقدانِ بعضِ الشُّروطِ في الحُكَّامِ والمراحِلِ . وكذلِكَ في عصرِ الغُثاءِ والوهنِ كمرحِلةٍ لا يُمكِنُ بأيِّ حالٍ مِنَ الأحوالِ أن يُهْلِكَ امرؤٌ نفسَهُ أو رعاياهُ مِن أجلِ قرارٍ ثبتَ شرعًا أنَّه لا يعودُ على الإسلامِ بعائدٍ يُؤبَهُ له .

الإسلام قضية أما الحاكم فهو وظيفة

إنَّ الإسلامَ قضيةٌ ، والحُكمَ وظيفةٌ ، فإن تمكَّنَ المُطالِبُ بِالوظيفةِ أن يجعلَها في خِدمةِ القضيةِ فذاكَ ، وإلَّا فإنَّ التزامَه بِخِدمةِ القضيةِ مِن حيثُما وضعَه اللَّهُ في الحياةِ الاجتماعيةِ كفيلٌ بإنجاحِ وظيفتِه الشرعيةِ .

ما بعدَ الفِتنةِ الرابعةِ.. مرحلةُ الاستِنفارِ

اختلفَتِ الإشاراتُ النَّبويَّةُ في تحديدِ المُدةِ الزمنيةِ التي تمتدُّ فِيها مرحلةُ الفِتنةُ الرابعةُ ، ولِأنَّنا قد أشرْنا سلفًا بِعدمِ انشغالِنا بالزمنِ وتحديدِه ، ولا بِالأفرادِ والشُّخوصِ وذِكرِهم ؛ فإنَّنا نُلاحِقُ المراحلَ مِن خِلالِ الاستِقراءِ العامِّ عنِ التحوُّلاتِ ، ومِنَ الاستِقراءِ العامِّ في طولِ هذه المرحلةِ استِفحالُ المسألةِ الاقتِصاديةِ ، وزيادةُ الغلاءِ ، وارتِفاعُ الأسعارِ ، واضطرابُ العُملاتِ والمواردِ ، واتِّساعُ مبدأِ «الفوضى الخلَّاقةِ» التي تدفعُ بها قُوى الشرِّ في العالمِ لإعادةِ السيطرةِ السياسيةِ والاقتِصاديةِ على العالمِ ، مِمَّا يترتَّبُ علَيهِ دُخولُ الأُمَّةِ إلى مرحلةِ الاستِنفارِ ، وهي المرحلةُ التي تنكشِفُ فِيها أوراقُ الدجلِ والدجاجلةِ، وتُعرَفُ حقيقةُ المؤامراتِ التي تُحاكُ ضِدَّ الشُّعوبِ المُسلمةِ وضِدَّ الإنسانيةِ بِعُمومِها. ولكن دونَ قُدرةِ الشُّعوبِ على التغييرِ أوِ النُّهوضِ المُباشِرِ لِضعفِها الدينيِّ وضعفِها الاقتِصاديِّ واختِلافِها السياسيِّ والاجتِماعيِّ ، واختِلافِ المُسلِمين المعنيِّين بِالأمرِ فيما بَينَهم على المذاهِبِ والجماعاتِ والأحزابِ والرؤى المؤديةِ إلى الفشلِ والحَيرةِ[1] .

انتهاء الرابعة باستفحال التدهور الاقتصادي وازدياد الغلاء واضطراب العملات والموارد

---

(١) ويليق بنا هنا ونحن نقرر هذه المرحلة استنادا على ما فهم من استقراء الأحاديث فإننا نشير إلى ضرورة المراجعة الملحة في داخل الخيمة الإسلامية ، وخصوصا بين عناصر الديانة المتخذة صفة الصراع والتحريش حول المعتقدات والعادات وبعض وسائل العبادات أو التحريش السياسي بين الأنظمة والأحزاب المختلفة أن تعي الأمر وتنظر للمسألة بحسن تبصر وتؤدة وخصوصا أن الفشل المشترك قد صار مظهر الجميع .

فالجميع ـ بشهادة من لا ينطق عن الهوى ـ غثاء في غثاء ، ولا يخرج من هذا المعنى إلا العباد الزهاد المنقطعون لله بعيدا عن طرفي الإفراط والتفريط المحتدم ، وأما ركام

وتكادُ الظواهرُ اللائحةُ اليومَ في بعضِ البلادِ الإسلاميةِ تشيرُ إلى بداياتِ مرحلةِ الاستنفارِ الموعودةِ، كمثلِ ما يدورُ في العراق، وهي من بلادُ المشرق، وما يدورُ في بلاد المغربِ، وخاصةً في تونسَ ومصرَ من التحولِ السياسيِّ بهبّاتِ الشعوبِ وتحدِّيها للأنظمةِ والرموزِ.

وقد ورد في الروايات عن فتنِ المغربِ ما مثاله: عن أبي الوليد أزهر بن قيس صاحب النبي ﷺ قال: إنه كان يتعوذ من فتنة المغرب. وفي لفظٍ لابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٨٨) أنه كان ﷺ يتعوذُ بالله من فتنةِ المشرقِ، فقيل له: كيف فتنةُ المغربِ؟ قال: «**تلكَ أعظمُ وأعظمُ**». وفي لفظٍ لنعيمِ بنِ حمادٍ (٧٤٨): «**تلكَ أعظمُ وأطمُّ**»[١].

ومما يؤيد تداخل المرحلتين الاستثمار والاستنفار قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه أبونعيم في «الفتن»: «**أربع فتن تكون بعدي** ـ حتى ذكر الرابعة ـ **عمياء صماء تعرك فيها أمتي عرك الأديم**[٢]**، تغشى العراق وتطيف بالشام وتخبط الجزيرة**»[٣]، كما أورد نعيم مقولة كعب الأحبار (٥٨٥): ليوشكن العراق يعرك عرك الأديم، وتشق الشام شق الشعرة وتفت مصر فت البعرة، فعندها ينزل الأمر.

الأنظمة والمؤسسات والأكاديميات فلست أفشي سرا إذا قلت: إن الجميع يسيرون ضمن الاتجاه الإجباري على طريق جحر الضب على غير ضابط شرعي ولا رادع طبعي.

ولأننا جميعا أمام مرحلة الاستنفار فلا بد لنا من فهم «المعنى والمقصد»؛ لتجتمع قلوبنا وعقولنا على كلمة سواء ـ ولو من بعض الوجوه على القواسم المشتركة ـ ونرص صفوفنا أمام العدو المشترك ... فلعل وعسى.

(١) قال الهيتمي في «المجمع»: رجاله ثقات. راجع «التهذيب الحسن» ص١٦٥.

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (٨٨).

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد في حديث آخر برقم (٦٧٦).

الاصطدام المباشر بَينَ الشعوب ورواد الفوضى الخلاقة

وفِيها يبدأُ نوعٌ مِنَ الاصطدامِ المُباشِرِ بَينَ الشُّعوبِ وبَينَ المُستثمِرِ الكافِرِ على صِفةِ الصِّراعِ على قضايا الأمةِ المصيريةِ وعلى مكاسبِ الحياةِ ومواردِها وثرواتِها ، وفِيها يُحسرُ الفُراتُ عن جبلٍ مِن ذهبٍ يقتتِلُ علَيهِ مِن كُلِّ فئةٍ تسعةٌ وتسعون ... قالَ ﷺ : «يُحسرُ الفُراتُ عن كنزٍ فإن أدركتَه فلا تأخُذْ منه شَيئًا»[1] .

وفي أُخرياتِ هذه المرحلةِ تبدأُ المرحلةُ السُّفيانيةُ الأولى ثُمَّ الثانيةُ ، وفي بعضِ الرِّواياتِ مرحلةٌ ثالثةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

المرحلةُ السُّفيانيةُ

المرحلة السفيانية حروب وفتن ودماء

مُجمَلُ التعريفِ بها أنَّها مرحلةٌ مُضطرِبةٌ بِالحُروبِ والفِتنِ في العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ ، ويُشيرُ إلَيها ما أخرجَه ابنُ عساكِرَ في تاريخِه عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «لا تزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلون على بابِ بيتِ المقدِسِ وما حولَها ، وعلى أبوابِ إنطاكيةَ وما حولَها ، وعلى أبوابِ دِمشقَ وما حولَها ، وعلى أبوابِ الطالقان وما حولَها ، ظاهِرينَ على الحقِّ لا يسألون مَن خذلَهم ولا من نصرَهم ؛ حتَّى يُخرِجَ اللَّهُ كنزَ الطالقان فيُحيي بهم دينَه كما أُميت مِن قبلُ»[2].

السفياني يقتل العلماء أو يستفيد مِنهم في تنفيذ سياسته

والسُّفيانيُّ حاكِمٌ بطّاشٌ كما وردَ في الحديثِ عن جراحٍ عن أرطأةَ قالَ : «يقتُلُ السُّفيانيُّ كُلَّ مَن عصاه ، وينشُرُهم بِالمناشيرِ ، ويطبُخُهم بِالقدورِ ستةَ أشهُرٍ . قالَ يلتقي المشرقين والمغربين»[3] ، وفي رِوايةٍ : «السُّفيانيُّ شرُّ مَن مَلَكَ ، يقتُلُ

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٧١٠) .

(٢) «فضائل الشام ودمشق» لأبي الحسن الربعي (١١٢) و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١:٢٥٧) .

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (٢٢٣) ، اختلف العلماء في مسمى السفياني : هل هو فرد من أسرة

العُلماءَ وأهلَ الفضلِ ويُفنيهم ، ويستعينُ بهم ، فمن أبى علَيهِ قتلَه»[1] .

وفـي الحديـث : «تكونُ علامةٌ في صفرٍ ، ويبتدئُ نَجمٌ له ذنابٌ»[2] ، وإلَيه يُشـيرُ حديثُ خالِدِ بنِ معدانِ : «إنَّه ستبدو آيةٌ عموداً من نارٍ يَطلُعُ مِن قِبلِ المَشرِقِ ، يَرَاهُ أهلُ الأرضِ كُلُّهم ، فمن أدركَ ذلِكَ فليُعِدَّ لِأهلِه طعامَ سـنةٍ»[3] . وعنه أيضًا : «إذا رأيتُم عمودًا مِن نارٍ من قِبلَ المشرِقِ في شهرِ رمضانَ في السماءِ فأعِدُّوا مِنَ الطعامِ ما استطعتُم فإنها سنةُ جوعٍ ... »[4] .

علامات كونية وظواهر مناخية: عمود النار

ورُبَّما يكونُ المقصودُ مِن «عمودِ النَّارِ» في بعضِ المعاني أنَّه انفِجارٌ في كَوكبٍ أو نَجـمٍ يظلُّ مُشِـعًّا نارًا مُدَّةً طويلةً فيراه أهلُ الأرضِ علـى تِلكَ الصِّفةِ ، وهي بِلا شكَّ علامةٌ كونيةٌ .

ويُخسَـفُ بقريـةٍ في الشـامِ مِـن قُرى دِمشـقَ ، ولعلَّهـا ـ كما ذكرَ ذلِـكَ صاحبُ الإشاعةِ ـ قريةُ «حرستا» ويسقُطُ الجانِبُ الغربيُّ مِن مسجِدِها[5] .

بني أمية ؟ أم ما قيل من أنه سـفياني السياسـة ؟ أي : يتبع سياسـة الملك العضوض ، أم غير ذلك . وقد رد بعضهم أحاديث السفياني ، وأنه لم يصح في خبره شيء ، ومن ذلك ما ذكره مؤلف «فقه أشـراط السـاعة» نقلاً عن العلامة ابن قدامة رحمه الله قال : اعلم رحمك الله تعالى أنه لـم يصح شـيء في أحاديث السـفياني ، سـواء منها ما كان مرفوعا أو موقوفا . قال ابن قدامة رحمه الله تحت عنوان « السفياني والمهدي » : قال محمد بن جعفر : وهي هذه الأحاديث التي نهى أحمد بن إسحاق بن داود عن التحديث بها ... وساق الأحاديث . اهـ ص ٦٤-٦٥ «فقه أشراط الساعة» ليوسف الوابل .

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٨٢٥) .

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٢٥) .

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٣٣) .

(٤) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٤٩) .

(٥) «الإشاعة» ص ٢٠٢ .

شخصيات قيادية متنازعة

ويظهرُ في عهدِ السُّفيانيِّ كُلٌّ مِن : «الأبقعِ ، والأصهبِ ، والأعرجِ» . وتقومُ بَينَ السُّفيانيِّ وبَينَهمُ الملاحِمُ القِتاليةُ حتَّى ينتصِرَ السُّفيانيُّ على الراياتِ الثلاثِ خِلالَ سنةٍ كامِلةٍ ، وإلى ذلِكَ يُشيرُ حديثُ أرطاةَ المرويُّ في كِتاب الفِتَنِ لنُعَيم بن حمَّادٍ مِن قولِه : «السُّفيانيُّ الذي يموتُ ، الذي يُقاتِلُ أوَّلَ شَيءٍ الراياتِ السُّودِ والراياتِ الصُّفرِ في سُرَّةِ الشامِ ، مخرجُه مِنَ «المنذروز» شرقيِّ بيسانَ على جملٍ أحمرَ علَيهِ تاجٌ يهزِمُ الجماعةَ مرَّتَينِ ، ثُمَّ يهلكُ وهو يقبلُ الجِزيةَ ، ويسبي الذُّريةَ ، ويبقرُ بُطونَ الحبالى ...» [1] .

الرايات السود والصفر رموز لقوى محلية واعدة

ازدياد الأذى لآل البيت بعمومهم

ويزدادُ الأذى في هذه المرحلةِ لبني هاشِمٍ لِما يُرى مِن تعلُّقِ الناسِ بِالمهديِّ وأحفادِه قُبَيلَ ظُهورِه ، ويُقتَّلون ويُشرَّدون في أنحاءِ الأرضِ . وفي كتاب «الإشاعةِ لِلأعدادِ مِنَ القتلى وذِكرٌ لأسماءِ البِلادِ التي يكونُ فِيها الهلاكُ لِبني هاشِمٍ .

الجيش الذي يخسف به بَينَ مكَّة والمدينة

ويُخسَفُ بِجيشِ السُّفيانيِّ فيما بَينَ مكَّةَ والمدينةِ ، ولا يفلِتُ مِنهم أحدٌ إلَّا رجُلَين «بشيرٌ ونذيرٌ» ، أمَّا البشيرُ فيأتي إلى الإمامِ المهديِّ في مخبئه لِيُخبِرَهم بما حصلَ ، ونذيرٌ يأتي إلى السُّفيانيِّ لِيُخبِرَه أيضًا بما حلَّ لِأصحابِه ، ويُشيرُ إلى ذلِكَ ما وردَ في كِتاب «الفِتَنِ» : «لا ينجو منهم أحدٌ إلَّا رجُلٌ واحِدٌ يُحوِّلُ اللَّهُ وجهَه إلى قفاه ؛ فيمشي كمِشيتِه كانَ مستويًا بَينَ يدَيه» [2] ، ويُؤيِّدُ هذا ما روَتْه عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : «يغزو جيشٌ الكعبةَ ، فإذا كانوا بِبَيداءَ مِنَ الإرضِ يُخسَفُ بِأوَّلِهم وآخرِهم» قالَت : قلت : يا رسولَ اللَّهِ يُخسَفُ بِأوَّلِهم وآخِرِهم وفيهم أسواقُهم ومَن لَيسَ مِنهم ؟! قالَ : «يُخسَفُ بِأوَّلِهم وآخِرِهم ، ثم يُبعثون على نيَّاتِهم» [3] .

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٨١٠) .

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩٤٩) .

(٣) «صحيح البخاري» (٢١١٨) .

وفـي كِتـابِ الفِتَـنِ لنعيم بن حماد حديـثُ : «في زمنِ السُّـفيانيِّ الثاني المُشـوَّه الخلقِ هدةٌ بِالشامِ حتَّى يظُنَّ كُلُّ قَومٍ أنَّه خرابُ ما يليهم»[1].

مرحلة ما قبل الإمام المهدي

مرحلةُ ما قبلَ الإمامِ المهديِّ.. وهل يَسْبِقُهَا قِيامُ خِلافةٍ راشِدةٍ ؟

لم يسـبقْ لِأحدٍ مِن عُلماءِ الإسـلامِ ـ المعروفين في تاريـخِ الكتابةِ عن علاماتِ الساعةِ ـ أن ذكرَ قِيامَ خِلافةٍ راشِدةٍ في العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ قبلَ ظُهورِ الإمامِ المهـديِّ وبعـدَ المرحلـةِ السُّـفيانيةِ أو خِلالَهـا ، إلّا أنَّ المُلفِتَ للنظـرِ تبنِّي بعضِ المُتأخِّريـن هذه الفكرةَ والإصرارَ عليها ، بل واعتبروا النفيَ لِهذا مِن قبيلِ الخُرافةِ والضلالةِ ، التي ألقاها الشَّيطانُ في قُلُوبِ كثيرٍ مِنَ العامَّةِ وبِخاصَّةٍ الصُّوفيةُ مِنهم، حسبَ قولِهم »[2] .

الخلافة الراشدة بشروطها لا تكون إلّا بالمهدي

ولِأنَّ الخِلافةَ الراشِـدةَ على وجهِها الشـرعيِّ مطلبٌ إسـلاميٌّ عظيمٌ ، ولَيسَـت مُجـرَّدَ تخرُّصـاتٍ وتمنيـاتٍ وأراجيـفَ ؛ فالجزمُ بها قبـلَ مرحلةِ الإمـامِ المهديِّ تحتـاجُ إلـى تأكُّدٍ وحُسـنِ بحثٍ في معانـي الأحاديثِ المُحتجِ بهـا ، وخاصَّةً أنَّ تحقيقَهـا ـ أي: الخِلافـةَ ـ فـي العالـمِ سـيُصلِحُ اللَّهُ بِه شـأنَ الجميعِ ، ولن يكونَ الفضـلُ فِيها لِما يدورُ مِن «تسـييسِ الصـراعِ بَينَ المُسـلِمين أوِ التحريشِ العقديِّ والفِكـريِّ بَيـنَ المُصلِّين» وإنَّما سـيكونُ حقيقةً على «قواسِـمِ الديانةِ المُشـتركةِ» لِلطائفةِ المنصُورةِ عِندَ وُجودِها على المعنى المُشارِ إلَيه في الأحاديثِ ، والمعنى المُشـارِ إلَيه في الأحاديثِ أنَّ الطائفةَ المنصورةَ ـ التي لا يحُدُّها مكانٌ مُعيَّنٌ ، ولا مذهـبٌ بِعَينِـه ، ولا تنطـوي تحتَ ظِلِّ دَولةٍ ولا سياسـةٍ ـ فئةٌ تعمَلُ فـي أرضِ اللَّهِ

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٢٦) .

(٢) راجع كتاب «فقه أشراط الساعة» د . محمد أحمد إسماعيل المقدم ص (٢٢٥-٢٣٢) .

على تهيئةِ ظُروفِ الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ، ولكِن دونَ أن تُقيمَ هذه الطائفةَ شكلًا مِن أشكالِ الإدارةِ السياسيةِ العامَّةِ تحتَ مُسمَّى الخِلافةِ السياسيةِ لِلإسلامِ[1].

قالَ مُؤلِّفُ كِتابِ فِقهِ علاماتِ الساعةِ: «والخِلافةُ لن تسقُطَ على المُسلِمين في قِرطاسٍ مِنَ السماءِ، ولكِنْ لِلنَّصرِ أسبابُه المُتعدِّدةُ، وقد بشَّرَ النبيُّ ﷺ بِفتحِ رُوميةَ، وهذا الفتحُ لن يتِمَّ إلَّا بالجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، والصبرِ علَيهِ وبذلِ الأموالِ والأنفُسِ. والخِلافةُ التي يقيمُها هذا الجِهادُ خِلافةٌ راشِدةٌ على مِنهاجِ النُّبوَّةِ كما أخبرَ النبيُّ ﷺ[2]. اهـ.

بعض التحريف في معاني الأحاديث سببه عدم دراسة فقه التحولات

وقالَ أيضاً: وقد وردَت أحاديثُ يُفهَمُ مِنها قيامُ خِلافةٍ راشِدةٍ قبلَ خُروجِ المهديِّ، مِنها:

ما رواه ابنُ حوالةَ الأزديِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: وضعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه على رأسي إلى هامتي، ثُمَّ قالَ: «**يا ابنَ حوالةَ، إذا رأيتَ الخِلافةَ قد نزلَتِ الأرضَ المُقدَّسةَ فقد دنَتِ الزلازِلُ والبلابِلُ والأُمورُ العِظامُ والساعةُ يومئذٍ أقربُ مِنَ الناسِ مِن يدي هذه مِن رأسِكَ**»[3].

ومِنها ما رواه مُعاذُ بنُ جبلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**عُمرانُ بَيتِ المقدِسِ خرابُ يثربَ، وخرابُ يثربَ خُروجُ الملحمةِ، وخُروجُ الملحمةِ فتحُ**

---

(١) لأن الخلافة نظام يوحد الأقاليم، ويوحد قرار السلم والحرب فيها عموما، بعيداً عن المناطقية والإقليمية والحدود الذاتية، وهذا غير ممكن في ظل ما وصفته النصوص النبوية من الهرج والمرج والجور والاقتتال؛ ولكن المتابعة والملاحظة لما يقال مكسب معرفي.

(٢) «فقه أشراط الساعة» (ص/ ٢٢٩).

(٣) «سنن أبي داود» (٢٥٣٥) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٣٠٩) وقال الحاكم: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و«مسند أحمد» (٢٢٤٨٧).

القُسطنطينيةِ ، وفتحُ القُسطنطينيةِ خُروجِ الدَّجَّالِ» ثُمَّ ضربَ بيدِه على فخِذِ الذي حدَّثَهُ منكبِه ثُمَّ قالَ : «إنَّ هذا الحقَّ كما أنَّكَ هنا أو كما أنَّكَ قاعِدٌ»[1] . وفتحُ القُسطنطينيةِ سيتِمُّ في زمنِ المهديِّ ، الذي هو في زمنِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ[2] .

استمرار الجهاد في سبيل الله في عصر المهدي

قالوا : وعُمرانُ بَيتِ المقدِسِ[3] سيكونُ بالخلافةِ النازِلةِ فيه وهذا يستلزِمُ تحريرَ القُدسِ ، وتحريرُها سيستلزِمُ قيامَ الجِهادِ الشرعيِّ الإسلاميِّ ضِدَّ اليهودِ هُناكَ .

ومِنها ما رواه المِقدادُ بنُ الأسودِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقولُ : «لا يبقى على ظهرِ الأرضِ بَيتُ مُدرٍ ولا وبرٍ إلَّا أدخلَه اللَّهُ كُلَّه الإسلامَ بِعزِّ عزيزٍ أو ذُلِّ ذليلٍ ، إما يُعزُّهمُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ فيجعلُهم مِن أهلِها ، أو يذِلُّهم فيدينون لَها»[4] ، قالوا : وقَولُه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «فيدينون لَها» فيه إشارةٌ إلى الجِزيةِ وإشارةٌ أُخرى إلى أنَّ هذا إنَّما يكونُ قبلَ نُزولِ المسيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأنَّه لا يقبلُ الجِزيةَ مِن أحدٍ .

قُلتُ : وقبلَ نُزولِ المسيحِ إنَّما هو ظُهورُ الإمامِ المهديِّ ، وقُبَيلَ الإمامِ المهديِّ فِتَنٌ كقِطعِ اللَّيلِ المُظلِمِ ، وفِيها يكونُ تمهيدٌ لِظُهورِه دونَ قِيامِ حُكمٍ عامٍّ لِلخِلافةِ ولَيسَ غَيرَ ذلِكَ .

بل إنَّ كافَّةَ الأحاديثِ المُستدَلِّ بها لَيسَ فِيها شَيءٌ يدُلُّ على قِيامِ خِلافةٍ قبلَ

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٩٤) و«مسند أحمد» (٢٢١٢١) .

(٢) وفي كلامِه تداخُلٌ غريبٌ ؛ فمرحلةُ المهديِّ سابِقةٌ لِعهدِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وليست كما عبَّرَ عنه «زمنُ المهديِّ هو زمنُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ» وإنَّما يأتي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في أُخرياتِها ، وقد حُوصِرَ الإمامُ المهديُّ بِبَيتِ المقدِسِ .

(٣) على ما ذكره الناقل : عمران بيت المقدس سيكون بالخلافة ، فماذا يعني ما يقابله من خراب يثرب فالجهاد في بيت المقدس يقام بأهلها ، ومن ذا الذي يخرب يثرب ؛ ليكون بعدها خروج الملحمة . «فقه أشراط الساعة» ص٢٢٨ .

(٤) «مسند أحمد» (٢٣٨١٤) .

الإمامِ المهديِّ ، ولا إشارةٌ ظاهِرةٌ أو خفيةٌ فيا سُبحانَ اللَّهِ [1] !

أسباب خُروج الدجال

وأمَّـا الأحاديثُ التي تدُلُّ على حُدوثِ قِتالٍ بَينَ المُسـلِمين واليهودِ وانتصارِهم على اليهودِ قبلَ زمنِ الدَّجَّالِ فإنَّما هي الحُروبُ التي يُقيمُها الإمامُ المهديُّ وأتباعِه ويُتوَّجُهـا بعدَ ذلِكَ بِغزوِ رُومية وأخـذِ كُنوزِها إلى بَيتِ المقدِسِ ، فيكونُ ذلِكَ مِن أسبابِ خُروجِ الدَّجَّالِ وغضبِه .

قُلتُ : ويبدو أنَّ هذه المسـألةَ قد التبسَـت على كثيرٍ مِنَ الرُّواةِ وشُرَّاحِ الحديثِ،

---

(١) كتـب صاحـب «كتاب أشـراط السـاعة» ص٢٥٨ « وعـن جابر بن عبداللـه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول : «**لا تزال طائفة مـن أمتي يقاتلون على الحـق ظاهرين إلى يوم القيامة**» قال : «**فينزل عيسـى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيقول أميرهم تعال صل بنا ، فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة**» رواه مسـلم كتاب الإيمان . قال المؤلف : فهذه الأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين أحدهما أنه عند نزول عيسـى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ من السـماء يكون المتولي لأمر المسـلمين رجلا منهم ، والثاني أن حضور أميرهم للصلاة وصلاته بالمسلمين وطلبه من عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عند نزوله أن يتقدم ليصلي بهم يدل على صلاح في هذا الأمير ، وهي وإن لم تكن فيها التصريح بلفظ المهدي إلا أنها تدل على صفات رجل صالح يؤم المسلمين في ذلك الوقت ، وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسـانيد وغيرها مفسـرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى محمد بن عبدالله ، ويقال له : « المهدي » والسنة تفسر بعضها بعضاً .

وقال وقد أورد الشيخ صديق حسن في كتابه «الإذاعة» جملة كبيرة من أحاديث المهدي جعـل آخرهـا حديث جابر المذكور عند مسـلم ، ثم قال عقبه : «وليس فيـه ذكر المهدي ، ولكـن لا محل له ولأمثاله في الأحاديث إلا المهـدي المنتظر كما دلت على ذلك الأخبار المتقدمة والآثار الكثيرة . اهـ (ص٥٩) «أشراط الساعة» يوسف الوابل .

قلـت : وعلى هـذا القول يبطل قول من قـال : «إن رفض الخلافة الراشـدة قبل المهدي هـي مـن قبيل الخرافة والضلالة التي ألقاها الشـيطان في قلوب كثير مـن العامة ، وبخاصة الصوفية منهم» . راجع (ص٢٢٥) «فقه أشراط الساعة» .

والمُعتقَـدُ أنَّ هُنـاكَ مدينتين وليسَـت مدينـةً واحِـدةً، فمدينةٌ هي «القُسـطنطينيةُ» وأُخـرى «رُوميـةُ» كما وردَ فـي رِواياتٍ أُخرى، فالقُسـطنطينيةُ فُتِحَـت على عهدِ مُحمَّدٍ الفاتحِ، والثانيةُ «روميةُ» سـتُفتَحُ في آخِرِ الزمانِ، ويُؤيِّدُ هذا المعنى ما في مُسـندِ أحمدَ (٦٦٤٥) حدَّثَنا يحيى بنُ إسـحاقَ حَدَّثنا يحيى بنُ أيُّوبَ حدَّثَني أبو قَبيـلٍ قـالَ: كُنَّا عِندَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ، وسُـئلَ أيُّ المدينتَين تُفتَحُ أوَّلًا القُسـطنطينيةُ أو روميـةُ فدعَا عبدُ اللَّهِ بصُندوقٍ له حلقٌ قـال: فأخرجَ مِنهُ كتابًا قالَ فقالَ: عبدُ اللَّهِ بَينَما نحنُ حولَ رسـولِ اللَّهِ ﷺ نكتُبُ إذ سُـئلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ أيُّ المدينتَيـن تُفتَحُ أوَّلًا قُسـطنطينيةُ أو روميةُ؟ فقالَ رسـولُ اللَّـهِ ﷺ: «**مدينةُ هِرقلَ تُفتَحُ أوَّلاً**» يعني: قُسطنطينيةَ[1].

والواضِـحُ مِنَ المُتابعةِ لِلأحاديثِ أنَّ مدينةَ «هِرقلَ» هي «القُسـطنطينيةُ» عاصِمةُ تُركيا اليومَ، والتي فتحَها السُّلطانُ مُحمَّدُ الفاتِحُ، وسمَّاها العُثمانيون «إسلامبولُ» أي: مدينةُ الإسلامِ، وسُمِّيَت بِالآستانةِ فيما بعدُ، ثُمَّ إستانبولُ الآنَ، وهي المعنيةُ بِالفتـحِ الأوَّلِ، وأمَّـا الفتحُ الثاني: فهو فتحُ رُوميةَ، المُسـمَّاةُ في بعضِ الأحاديثِ «مدينةُ الكُفرِ»، وقد بوَّبَ لها الداني بهذا الاسمِ «مدينةُ الكُفرِ» كما هو في مصنَّفِ ابنِ أبي شَيبةَ (٨/ ٣٦٥): حدَّثَنا ابنُ إدريسَ عن مُسعرٍ عن أبي حُصَينٍ عن الشعبيِّ عن مالِكِ بن صحارٍ قالَ: غزَونا بلنجرَ فلم يفتحوها، فقالوا: نرجِعُ قابِلًا نفتحُها، فقالَ حُذيفةُ: لا تُفتَحُ هذه ولا مدينةُ الكُفرِ ولا الدَّيلمُ إلَّا على الرجُلِ مِن أهلِ بيتِ مُحمَّدٍ ﷺ[2].

وبِمُتابعـةِ هـذه الرِّوايـاتِ يتبيَّـنُ كما سـبقَ ذِكـرُه أنَّ فتـحَ رُوميةَ سـيأتي في آخِرِ

---

(١) «مسند أحمد» (٦٦٤٥).

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٣٨٠٥).

الزمـانِ علـى يـدِ الإمامِ المهـديِّ ، وأمَّا فتـحُ القُسـطنطينيةِ فقد تمَّ على يـدِ مُحمَّدٍ الفاتِحِ العُثمانيِّ مِن قبلُ ، وإنَّما حصلَ خلطٌ بَينَ الاسـمينِ وذُكِرَا في مُسمًّى واحدٍ «القُسطنطينيةُ» ، وبهذا حصلَ اللَّبسُ في فهمِ المعنى ، واللَّهُ أعلمُ[1] .

وهـذا ما تـدُلُّ علَيهِ الأحاديثُ الصريحةُ دونَ الحاجةِ لِلاستِدلالِ بِوُجودِ خِلافةٍ قبلَ الإمامِ وحـربٍ معَ اليهودِ مِن غَيرِ أتبـاعِ الإمامِ المهديِّ لا بإشـارةٍ ظاهِرةٍ ولا خفيَّةٍ ، فليُنظر .

لقدِ اعتقدَ بعضَ هؤلاءِ أنَّ مفهومَ الطائفةِ المنصورةِ والطائفةِ التي لا تزالُ ظاهِرةً على الحقِّ ؛ أنَّهم مَن تعنيهم هذه الأقلامُ ، وتشيرُ إلَيها تِلكَ الأفهامُ ، مِن مجموعةٍ احتكرَتْ مفهومَ «الفرقةِ الناجيةِ والطائفةِ المنصورةِ لِنفسِها» .

الأمر بيد الله.. ولا تسييس للطائفة المنصورة

والأمرُ بيدِ اللَّهِ ، ولا تسييسَ لِلمفاهيمِ فرُبَّما تكونُ الطائفةُ المنصورةُ والمُجاهِدون فـي أكنافِ بَيتِ المقدِسِ لَيسـوا مِنَ الصُّوفيةِ ولا مِـن معارضيهم بل رُبَّما كانوا ممن

(١) قال الأسـتاذ سـعيد حـوى في معـرض حديثه عن علامات السـاعة: وبعـض الناس تغلب عليهـم أغـلاط في فهم بعض هـذه العلامات أو فـي تقدير وقتها إذ إن منهـا ما يكون قرب السـاعة بقليـل جـداً قبل المسـيح بسـنوات أو معـه ومنها مـا يكون قبـل ذلك بكثيـر جداً فيغلطـون بالجمع بينهمـا ومنها ما لا تدل عليـه المقدمات الحاضرة فيغلطـون في تأويلها ومنهـا ما جعلهم عصرنا الحاضـر ومخترعاته يفهمونها فهما عاديـاً وهي خوارق ومنها ما هـو دليل على الخيرية يظنونه مذموماً فمثلا يظن الناس أن الدين إلى انحسـار حتى خروج المهـدي ، مـع أن المهـدي قبل عيسـى بقليل وقبل ذلك يعم الإسـلام العالـم وتفتح روما والقسـطنطينية اليوم مسـلمة وكانت كافرة ففتحت وقد أخبر النبي ﷺ بالفتح الأول ولكن يبدو أن القسـطنطينية سـترجع كافـرة مرة ثانية وتفتح مـن جديد وفتحها الثانـي يكون قبل المسـيح بقليل والناس لا يفرقون بين فتحها الأول والثاني.. إلى أن قال: ولن تقوم الساعة حتى تستنفد علاماتها وأشراطها التي وردت في الكتاب والسنة . اهـ ص١٩٦ «فقه أشراط الساعة» .

جمعَتهمُ القُدرةُ الإلهيَّةُ مِن أولئكَ ومِن غيرِهم ـ بِواسِطةِ الإمامِ المهديِّ ـ بعدَ زوالِ فِتنةِ التحريشِ مِن المُصلِّين ، إذ لا حاجةَ لِلمُسلِمين بتصنيفِ جُيوشِ الفتحِ الجِهاديِّ في آخرِ الزمانِ مِن أيِّ مجموعةٍ كانوا ، فهذا استِعجالٌ مذمومٌ وتسييسٌ نفعيٌّ معلومٌ، ويؤكِّدُ هذا الملحظَ ما أشارَ إلَيه مُؤلِّفُ الكِتابِ (ص٢٣٦) قال : «ومِنَ الأدلةِ الدامغةِ على أنَّ الخِلافةَ ترجِعُ قبلَ هذا الخليفةِ الصالِحِ أنَّ المُسلِمين يسترجِعون بَيتَ المقدِسِ مِنَ اليهودِ ، بَينَما المهديُّ يكونُ عِندَ ظُهورِه في بَيتِ المقدِسِ[1] ، أي إنَّ بَيتَ المقدِسِ يكونُ في أيدي المُسلِمين ، وبَيتُ المقدِسِ الآنَ يرزحُ تحتَ نِيرانِ الاحتِلالِ الصَّهيونيِّ اليهوديِّ البغيضِ فلا بُدَّ مِن قِيامِ الخِلافةِ قبلَ المهديِّ ! لِأنَّها السبيلُ الوحيدُ لاسترجاعِ مجدِ الإسلامِ التليدِ» .

تعليلات غَير صحيحة لابد من الإجابة علَيها

وهذا مِنَ الافتراضِ الذي لا دَليلَ علَيهِ .

الجماعات الإسلامية

وقد نقلَ صاحِبُ الكِتابِ هذه العبارةَ مِن كِتابِ «الجماعاتِ الإسلاميةِ في ضوءِ الكِتابِ والسُّنةِ» كحُجَّةٍ على تأكيدِ الخِلافةِ قبلَ المهديِّ ، معَ أنَّ المُتأمِّلَ في العباراتِ والحديثِ المُشارِ إلَيه لا يُشيرُ إلى خِلافةٍ قبلَ الإمامِ ولا يُفهَمُ من فذلكةِ

---

(١) علق مؤلف كتاب «أشراط الساعة» عند هذا الموقع في الحاشية وقال : ولعل هذا مأخوذ من قوله ﷺ في حديث أبي أمامة الطويل في الدجال «وكلهم ـ أي: المسلمين ـ ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح قد تقدم ليصلي بهم إذ نزل عيسى.. الحديث» .

ولربما فهم القوم من هذا أن الرجل غير الإمام المهدي وعللوا هذه اللفظة بأن بيت المقدس فيه خلافة سابقة، وهذا فهم لا يتناسب مع سياق الحديث ولا مع ما ذكره شراح الحديث فالرجل الصالح هو الإمام المنتظر ـ على أصح الروايات ـ وينزل عيسى ليصلي خلفه وما قبل ذلك كانت مرحلة تحت إدارة وإمرة الإمام المهدي ذاته ، وأما قبل ذلك فتهيئة واستعدادات غير مجتمعة ولا تحت قرار حكم خلافة بحال من الأحوال.. والله أعلم .

المعانـي مـا يؤكِّـدُ ذلِكَ ، معَ أنَّنا لا نُنكرُهـا لو صحَّ دليلُها وخبرُهـا ؛ ولكنَّ إثباتَها لِمُجرَّدِ الظنيةِ أمرٌ لا يتناسبُ معَ الحقيقةِ ولا يخدُمُ معانيها الشرعيةَ .

مؤلف موسوعة الأشراط يوثق فهما خاطئا مفترضا لا دليل عليه كان منتشرا بين الجماعات الحركية ومقبولاً وهو الجزم بقيام خلافة في القدس قبل المهدي

وإلى مثلِ هذا أشـارَ صاحِبُ كِتابِ «موسـوعةِ أحاديثِ الفِتنِ وأشـراط الساعة» د.همَّـام عبدالرحيم سـعيد في مقدمةِ الكتابِ فقـال عند حديثِه عن لـوازمِ القراءةِ الصحيحـةِ لأحاديثِ علامات السـاعة وأنّ منها جمعُ رِوايـاتِ الموضوعِ الواحد في سياقٍ واحدٍ ص١٠ : فقد كان يتبادرُ إلى فهمِنا مثلاً : أَنّ قتالَ المسلمين لليهودِ عندما يقولُ الشـجَرُ والحجَرُ : يا مسـلمُ يا عبدَالله هذا يهوديٌّ ورائي تعالَ فاقتُلْهُ ؛ أنّ المرادَ به يمكنُ أن يكونَ في عصرِنا هذا في القتالِ مع اليهود ، ومع أن أحاديث الفتنِ تبشِّـرُ بنصرِ المسـلمين علـى اليهودِ في هذا العصـر ؛ إلا أنّ ذلك القتالَ إنما يكـونُ مع الدّجّال ، وذلك أنّنا لَمّا جَمَعْنا رواياتِ الحديثِ وَجَدْنا بعضَ الرواياتِ المطولـةِ لهـذا الحديـث نَصَّـتْ على أنّ هـذه المعجـزةَ إنّما تكـونُ عندمـا يقاتلُ عيسى بنُ مريمَ ﷺ والمسلمون الدجالَ ومعه اليهودُ .

القسمُ الثاني العِلمُ المُطلَقُ بِالعلاماتِ الصُّغرىٰ

وهـي مُجمَـلُ العلامـاتِ التي أخبرَ عـن وُقوعِها ﷺ قبـلَ مِيـلادِه ﷺ إلى قيامِ السـاعةِ، وهـي كثيـرةٌ ومُتنوِّعـةٌ، وقَولُنا: «العِلـمُ المُطلَقُ» أي: الـذي لا إثمَ ولا تبِعةَ على مَن لم يعلمْ تفصيلَها، ويمكِنُ الإلمامُ بِها مِن خِلالِ قِراءةِ كُتُبِ علاماتِ السـاعةِ، وقد ذكرنا كثيرًا مِن نماذِجِها فـي كتابِنا «التليدُ والطارِفُ»، وقد بدأْنا هُنا بِذِكرِ هذه العلاماتِ التي تتكرَّرُ بِتكرُّرِ عوامِلِها وأسـبابِها في كُلِّ المراحِلِ المُشـارِ إلَيها سلفًا، ومِنها:

إمارةُ الصبيانِ

إمارة الصبيان
علامة صغرى

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى إِمَارَةُ الصِّبْيَانِ، وهي تَقَلُّدُ صِغارِ السِّنِّ الأحداثِ المناصـبَ الكبيـرةَ التي لا يصلُحُ لها إلَّا حاذِقُ السِّـنِّ وجليلُ المعرفةِ، لِما يترتَّبُ علـى الحـذقِ والمعرفـةِ مِن مُراقبـةٍ للَّهِ وحفـظٍ لِلأمانةِ وصَـونٍ للحُرُمـاتِ ورِفقٍ بالرعايا، وفي رِوايةٍ أُخرى: «**إمارةُ السُّـفهاءِ**»، والسُّـفهاءُ همُ الذين لا يرعوون، ولا ينظُرون لِلأُمورِ بَروِيَّةٍ وضوابِطِ ديانةٍ.

وفـي الأمرِ إشـارةٌ إلى مرحلـةِ المُلكِ العضوضِ مِن جِهـةٍ، كما قد ورد عن أبي هُرَيـرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «**وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَـرٍّ قَدَ اقْتَرَبَ: إِمَـارَةُ الصِّبْيَانِ إِنْ أَطَاعُوهُمْ أَدْخَلُوهُمَ النَّارَ، وَإِنْ عَصَوْهُمْ ضَرَبُوا أَعْنَاقَهُمْ**»[1]. وفي رِوايةِ ابنِ أبي شَيبةَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ رَأْسِ السَّبْعِينَ وَمِنْ إِمْرَةِ**

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٢٣٦) (٣٧٧٥١).

الصِّبْيَانِ»[1]. وفي رِوايةٍ قامَ أبو هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ على مِنبرِ رسـول الله ﷺ دونَ مقامِ رسـولِ اللَّهِ ﷺ بعتبةٍ ، فقالَ : «**ويلٌ لِلعربِ مِن شـرٍّ قدِ اقتربَ ، ويلٌ لهم مِن إمارةِ الصِّبيانِ ، يحكُمون فيهم بِالهوى ، ويقتُلون بِالغضبِ**» [2] .

ومِـن جِهةٍ أُخرى فـإن المعنى يعُمُّ كافَّةَ المراحِلِ التي برزَت فِيها إمارةُ السُّـفهاءِ وتسلُّطُ الصِّبيانِ مِن أُمراءَ وحُكَّامٍ وحُدثاءِ الأسنانِ سُفهاءِ الأحلامِ ، تبرُزُ سفاهتُهم فـي واقعِ الحركةِ السياسـيةِ بِكافَّـةِ نماذجِها الحزبيـةِ أوِ الفِئويـةِ أو الحُكوميةِ التي عرَفَها العالمُ العربيُّ والإسـلاميُّ في مراحِلِ الاسـتِعمارِ والاسـتِهتارِ والاستِثمارِ، وعمِلَـت علـى إضعافِ شـرفِ الإسـلامِ في المُسـلِمين بِاسـمِ الرُّقـيِّ والحضارةِ والتمدُّنِ والحُريةِ والمُسـاواةِ ، وفي ذلِكَ يقولُ ﷺ فيما رواه أنسُ بنُ مالِكٍ قالَ : قيـل : يا رسـولَ اللَّهِ . .متى يُترَكُ الأمرُ بِالمعروفِ والنهـيِ عنِ المُنكرِ ؟ قالَ : «**إذا ظهرَ فيكم ما ظهرَ في الأُمَمِ قَبلَكم**» قُلنا : يا رسولَ اللهِ.. وما ظهرَ في الأُمَمِ قبلَنا ؟ قالَ : «**المُلكُ في صِغارِكم ، والفاحِشـةُ في كِبارِكم ، والعِلمُ في رذالتِكم ، إذا كانَ العِلمُ في رُذالَتِكم**» [3].

وفي الحديثِ وفي غيرِه إشـارةٌ إلى تلازُمِ الفسـادِ في إمارةِ الصِّبيانِ والسُّـفهاءِ، حيثُ يشـمَلُ العديدَ مِـن ظواهِرِ الحيـاةِ الاجتِماعيةِ التي يُهَنْدِسُـها أمـراءُ وحُكَّامُ المراخلِ لِربطِ المُجتمعِ بِمُسـمَّيات الحضارةِ المادِّيةِ ، معَ تفسُّخٍ أخلاقيٍّ وضعفٍ عِلميٍّ شـرعيٍّ وتقليدٍ واستِتباعٍ أعمى للكُفَّارِ ومشـاريعِهِمُ الاقتِصاديةِ والإعلاميةِ

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٢٣٥) .

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (١ : ٣٨٤) و«الزهد» لأحمد بن حنبل (١٠١٤) «إتحافُ الجماعةِ بِأشراطِ الساعةِ» للتويجريِّ (١ : ٢٣٠) .

(٣) «سنن ابن ماجه» (٤٠١٥) .

والتعليميةِ والاجتِماعيةِ ... إلخ .

استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة

استفاضةُ المالِ والاستِغناءُ عنِ الصدقةِ

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى اسْتِفَاضَةُ المَالِ وَكَثْرَتُهُ ، وهذه العلامةُ تحمِلُ معانيَ مِنها : أن يفيضَ المالُ فَيضًا ، ويكثرَ في أيدي الناسِ بعدَ فقرٍ مُدقعٍ ، وقد تحقَّقَ مِثلُ هذا في عُهودِ الفُتوحاتِ ، وأكثرُها مطابقةً ما وقع في عهدِ عُمرَ بنِ عبدِالعزيزِ لِكثرةِ الأموالِ الحاصِلةِ مِنَ اقتسامِ أموالِ الفُتوحاتِ مِن بِلادِ الفُرسِ والرُّومِ ، ويُؤيِّدُ هذا حديثُ عديِّ بنِ حاتمٍ قالَ : بَينَا أنا عِندَ النبيِّ ﷺ إذ أتاه رجُلٌ ، فشكا إلَيه الفاقةَ ، ثُمَّ أتاه آخرُ فشكا إلَيه قطعَ السبيلِ ، قالَ : «**يا عديُّ، هل رأيتَ الحِيرة ؟**» قُلتُ : لم أَرَهَا ، وقد أُنبئتُ عنها ، فقالَ : «**فإن طالَت بِكَ حياةٌ لتَرَيَنَّ الظعينةَ ترتحِلُ مِنَ الحِيرةِ حتَّى تطوفَ بِالكعبةِ لا تخافُ أحدًا إلَّا اللَّهَ ، ولئن طالَت بكَ حياةٌ لتُفتحَنَّ كُنوزُ كِسرى**» . قُلتُ : كسرى بنَ هُرمُزَ ؟! قالَ : «**كِسرى بنُ هُرمُزٍ ، ولئن طالَت بِكَ الحياةُ لترَينَّ الرجُلَ يُخْرِجُ مِلءَ كَفِّه مِن ذهبٍ أو فِضَّةٍ يطلبُ مَن يقبلُه منه فلا يجِدُ أحدًا يقبلُه من**» . قالَ عديٌّ : فرأيتُ الظعينةَ ترتحِلُ مِنَ الحِيرةِ حتَّى تطوفَ بِالكعبةِ لا تخافُ إلَّا اللَّهَ ، وكنتُ فيمَن افتتحَ كُنوزَ كِسرى بنِ هُرمُزَ ، ولئن طالَت بِكم حياةٌ لترَون ما قالَ النبيُّ أبو القاسِمِ ﷺ[1] .

وأما الاستغناءُ عنِ الصدقةِ فيرجِعُ إلى معانٍ :

الاستغناء عن الصدقة له عدة معان

الأوَّلُ : ما قيلَ عن عهدِ عُمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، وقبلَه عهدُ عُمرَ بنِ الخطَّابِ ، حيثُ

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٥٩٥) .

استغنى الفُقراءُ عنِ الصدقةِ لِكثرةِ المالِ وعدالةِ توزيعِه .

والثانـي : مـا قـد يحصُلُ في آخـرِ الزمـانِ كعهدِ الإمـامِ المنتظِر ، وعهدِ عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ[1] .

الصدقات من الأموال المشبوهة

وهُنـاك معنًـى ثالِـثٌ لـه عِلاقةٌ بالتحـوُّلاتِ ، وهـو ما يكثرُ فـي آخرِ الزمـانِ مِنَ اسـتِفاضةِ المـالِ الحرامِ بكافَّةِ أنواعِه ، حتَّـى يتأفَّفَ المؤمِنُ مِن أخـذِ صدقتِه مِن أولئكَ المُتصدِّقين بِأموالِهِمُ المشبوهةِ .

سقوط قيمة العملة

وفسَّـرَ بعضُهـمُ الاسـتِغناءَ عـنِ الصدقةِ في معنًـى رابعٍ إلـى تعفُّفِ الفُقـراءِ عنِ الأمـوالِ ؛ لاضطـرابِ حالـةِ الأسـواقِ وضعفِ الحركـةِ التِّجاريـةِ ، حتَّـى تنعدِمَ الـوارِداتُ المُشـتراةُ إما بِسـببِ الحُروبِ ، وإما بِسـببِ خَـوفِ الناسِ مِـنَ القيامةِ فتتكدَّسُ الأموالُ وتفيضُ .

ويُفهَمُ مِن هذه التعاليلِ أنَّ هذه العلامةَ تظهرُ في أكثرِ مِن زمنٍ ومرحلةٍ .

استتباع سنن الأمم الماضية

استِتباعُ سُنَنِ الأُممِ الماضيةِ

ومنْ عَلَامَاتِ السـاعةِ الصُّغْرَى اسْتِتْبَاعُ الأُمَمِ المَاضِيَةِ ، وهذه العلامةُ قد برزَت ظواهِرُهـا بادئَ ذي بدءٍ فـي مرحلةِ المُلكِ العضوضِ على عهـدِ الدَّولتَينِ الأمويةِ

---

(١) ففي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسـطوان من الذهب والفضة ، قال : فيجيء القاتل فيقول : في هذا قتلت . ويجيء القاطـع فيقول : في هذا قطعت رحمي . ويجيء السـارق فيقـول : في هذا قطعت يدي. ثم يدعونـه فـلا يأخذون منه شـيئاً**» . «صحيح مسـلم» (١٠١٣) كتاب الـزكاة (١٥/ ٩٨/ مع شرح النووي).

والعباسـيةِ ، وتشـبَّهَ بعضُ الحُكَّامِ والقادةِ بأحوالِ حُكَّامِ الفُرسِ والرُّومِ في مظاهِرِ الحُكمِ والسُّـلطانِ وبعضِ العاداتِ والتقاليدِ ونقلِ الأفكارِ والفلسـفاتِ المُخالِفةِ لِمنهجِ الإسـلامِ[1] ، وفي ذلِكَ يقولُ ﷺ : «**لا تقومُ السـاعةُ حتَّى تأخذَ أُمَّتي بِأخذِ القُرون قبلها شِـبرًا بِشِـبرٍ وذراعًا بِذراعٍ**» . فقِيلَ : يا رسولَ اللَّهِ ، كفارسَ والرُّومِ؟! فقالَ : «**ومَن الناسُ إلَّا أولئكَ**»[2] .

نماذج الاستتباع

وكانَـت فـارسُ والـرُّومُ في تِلـكَ المرحلةِ هي حامِلـةُ لِواءِ الحضارةِ السـلبيةِ .. ويمتدُّ هذا المعنى عبرَ التسلسُلِ التاريخيِّ لِلأُمَّةِ في أكثرَ مِن مرحلةٍ ، ويزدادُ اتِساعًا واسـتِتباعًا في مرحلةِ الغُثاءِ والوهنِ ، وهي المرحلةُ التي سـقطَ فِيها قرارُ الإسلامِ العالميُّ ، وأخذَتِ الدُّولُ العربيةُ والإسـلاميةُ بِسَـنَنِ العالمِ المُسـتعمِرِ والمُستثمِرِ ، وفي ذلِكَ يأتي حديثُ : «**لتتبِعُنَّ سَـنَنَ مَن كانَ قبلَكم شِـبرًا شـبراً ، وذِراعًا بِذِراعٍ حتَّى لو دخلوا جُحرَ ضبٍّ تبعتموهم**» . وفي رواية أخرى : «**حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه**»[3] قلنا : يا رسولَ اللَّهِ ، اليهودُ والنصارى ؟! قالَ : « **فمَن ؟!** »[4] .

التقليد الأعمى للعالم الآخر

ويبـرُزُ هذا في التقليدِ الأعمى لِلعالـمِ الأُوروبيِّ في كُلِّ ما هبَّ ودبَّ مِن شُـؤونِ المـأكلِ والملبسِ والمشـربِ والإعلامِ والأقلامِ والشـهواتِ والرغبـاتِ ونماذجِ التجـارةِ والسـياحةِ والثقافـةِ والرياضةِ وهَلُمَّ جرّا.. معَ شـيءٍ مِنَ الغُـرورِ والغفلةِ والتحايُـلِ على نُصوصِ الإسـلامِ وتحريفِ معانيه ؛ لِيُناسِـبَ الرغباتِ الغارِقةَ في

---

(١) الأخذ بالعلم والحضارة من الغير لا يدخل في هذا المعنى ، وإنما يدخل ما لا تحتاجه الأمة من علل الأمم الأخرى وفلسفتها النظرية المتعارضة مع غيبيات الديانة .

(٢) «صحيح البخاري» (٧٣١٩) .

(٣) «صحيح البخاري» (٣٤٥٦) .

(٤) متفق عليه ، «صحيح البخاري» (٧٣٢٠) و«صحيح مسلم» (٢٦٦٩) .

الاستِتباعِ ؛ حتَّى يصيرَ الاستِتباعُ في أغبى نماذِجِ العلاقاتِ والمُوضاتِ ، وهو ما يعنيه الحديثُ بـ «دُخولِ جُحرِ الضبِّ» ، والضبُّ حيوانٌ يدخُلُ جُحرَه طويلًا فيصعبُ علَيهِ الخُروجُ ، والحديثُ فيه كِنايةٌ عمَّن يدخُلُ مَدخلًا لا يُفكِّرُ في طريقةِ الخُروجِ منه ؛ فيَقعُ في الحرجِ والخطرِ .

تقبيل كأس كرة القدم

ومِن هذه النماذِجِ ما يفعلُه الرياضيون مِن تقبيلِ كأسِ الفوزِ والدورانِ به ، والهُتافِ عِند أخذِه بـ «لا إله إلَّا الله» ، وسُجودِ الشُّكرِ في الملاعِبِ ، وخلع ملبسِ اللاعِبِ عن جِسمِه عِندَ إدخالِه الكُرةَ في الهدفِ ، والتلويحِ بِالملبسِ في الهواءِ ، وغيرُ هذا كثيرٌ مِن أعمالِ الاستِتباعِ الفجَّةِ ، كوضعِ العِقدِ على الجِيدِ كالنساءِ ، وتقليدِ قصِّ الشعرِ والباروكاتِ ، ولِبسِ ملابسِ العُريِ الفاضحةِ ، وغيرُ هذا كثيرٌ وكثيرٌ .

ضياعُ الأمانةِ

ضياع الأمانة

وهي مِنَ العلاماتِ الصغرى المُتكرِّرةِ لِعِدَّةِ مراحِلَ . وفي عِدَّةِ أزمِنةٍ ، ورُبَّما كانَ أوَّلُ مظاهِرِها تحوُّلَ الأمرِ مِنَ الخِلافةِ الراشِدةِ إلى المُلكِ العضُوضِ . في عصرِ صدرِ تاريخِ الأُمَّةِ ، ويُؤيِّدُ هذا المعنى قَولُه ﷺ : «**لتُنقضَنَّ عُرى الإسلامِ عُروةً عُروةً ، أوَّلُهنَّ نقضًا الحُكمُ**»[1] ، والحُكْمُ مِنَ الأماناتِ ، وأوَّلُ صيغةٍ لِلمؤامرةِ على نقضِ الحُكمِ كانَ بِبروزِ الحُكمِ العَضوضِ ، كما كانَ هُناكَ نقضٌ أيضًا لِأمانةِ العِلمِ ، واستمرَّ ذلِكَ مرحلةً بعدَ أُخرى ...

نقض أمانتي الحكم والعلم

وهكذا حتَّى جاءَت أخطرُ مراحِلِ النقضِ لِلحُكمِ ولِلعِلمِ بِإسقاطِ قرارِ الخِلافةِ

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢١٦٠) .

الإسـلاميةِ ، ولِإقامةِ قـرارِ العِلمانيةِ ، وهي المرحلةُ التي ترتَّـبَ علَيها النقضُ بكُلِّ معانيه وأشـكالِه تحقيقًا لِحديثِ الأعرابيِّ السائلِ رسولَ اللَّهِ ﷺ عنِ الساعةِ . وردَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «فإذا ضُيِّعَتِ الأمانةُ فانتظِرِ الساعةَ» . قالَ : كيف إضاعتُها ؟ قالَ : «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غَيرِ أهلِه فانتظر الساعة »[1] . .

وقـد تحقَّقَ هـذا المعنى في أجلـى صورِه فـي العالمَينِ العربيِّ والإسـلاميِّ بعدَ سُقوطِ قرارِ الخِلافةِ الإسلاميةِ ، وامتِدادِ مرحلةِ الاستِعمارِ ، وتقسيم ما سُمِّي بتركةِ الرجُـلِ المريضِ ، وإعادةِ تشـكيلِ القرارين «الحُكمِ والعِلمِ» فـي العالمَين العربيِّ والإسلاميِّ لِما يخدُمُ الاستِعمارَ وسياسةَ العِلمانيةِ ثُمَّ العلمنةِ ثُمَّ العَولمةِ وهكذا .

حديث «فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة ...»

وهـذا فيما يتعلَّقُ بِقـرارَي الحُكمِ والعِلمِ ، وأما فيما يتعلَّـقُ بِمجموعةِ الأماناتِ الأُخرى وإضاعتِها فإليها تُشيرُ الأحاديـثُ الأُخرى ، ومِنها حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي يقول فيه : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ ، حَدَّثَنَـا :«أنَّ الأمانـةَ نزلَت في جَذرِ قُلوبِ الرجالِ ، ثُمَّ عَلِموا من القُرآنَ ، ثُمَّ عَلِموا مِنَ السُّـنَّةِ» ، وحدَّثَنا عـن رفعِها فقالَ : «ينامُ الرجُلُ النَّومـةَ فتُقبَضُ الأمانةُ مِن قلبِه فيظـلُّ أثرُها مِثلَ أثرِ الوكت[2] ، ثُمَّ ينـامُ النومةَ فتُقبَضُ ، فيبقى أثرُها مِثلَ المَجْلِ[3] كجمـرٍ دحرجْتَـه علـى رِجلِكَ فنَفِطَ فتـراه مُنتبِرًا وليـس فيه شـيءٌ ؛ فيُصبِحُ الناسُ يتبايعـون ، فـلا يكادُ أحدٌ يؤدِّي الأمانـةَ فيُقالُ : إن في بني فُلانٍ رجُـلًا أمينًا، ويُقالُ لِلرجُـلِ : مـا أعقلَـه ! وما أظرفَه ! ومـا أجلدَه ! وما فـي قلبِه مِثقالُ حبَّـةِ خردلٍ مِن إيمـانٍ» ! ولقـد أتى عليَّ زمـانٌ وما أُبالي أيُّكـم بايعتُ ، لئن كانَ مُسـلِمًا ردَّه علي

---

(١) تقدم ص ٢٥ .

(٢) الوكت : جمعُ (وكتة) ، وهي الأثرُ في الشيءِ ، أو كالنُّقطةِ مِن غَير لونِه .

(٣) وهو ما يبقى من الأورامِ في الكفِّ مِن أثرِ العملِ بالأشياءِ الصُّلبةِ .

الإسـلامُ، وإن كانَ نصرانيًّـا ردَّه عليَّ سـاعيه . فأما اليـومَ فما كنتُ أُبايـعُ إلَّا فلانًا وفلانًا[1] .

ومِثـلُ هذا أيضًا أخبرَ عنه ﷺ : «إنَّه سـتكونُ هناك سِـنونَ خَدَّاعـةٌ : يُكذَّبُ فِيها الصادِقُ ، ويُصدَّقُ فِيها الكاذِبُ ، ويُخوَّنُ فِيها الأمينُ ويُؤمَّنُ فِيها الخَؤُون»[2] .

قبضُ العِلمِ وظُهورِ الجهلِ

قبض العلم وظهور الجهل

وهي أحدُ علاماتِ الساعةِ الصغرى المُتكرِّرةِ زَمنًا بعدَ زمنٍ ، ومرحلةً بعدَ أُخرى على غَيرِ تتابُعٍ ، وإنَّما قد ترتبطُ بمرحلةٍ مُعيَّنةٍ ، ثُمَّ يتوقَّفُ القبضُ على حالٍ مُعيَّنٍ ، ثُمَّ يتجدَّدُ القبضُ مرَّةً أُخرى معَ مرحلةٍ أُخرى وهكذا .

وعِندَ النظرِ والتأمُّلِ إلى مجموعِ الأحاديثِ عبرَ تاريخِ التحوُّلاتِ يتحدَّدُ المعنى ويبرُزُ جليًّا مُنذُ بدءِ مرحلةِ القبضِ لِلعِلمِ .

ويتحـدَّدُ القبضُ في مرحلـةِ الفِتَنِ الأولى على عهدِ خِلافـةِ عُثمانَ والإمامِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وما جاءَ من بعدِها مِنَ القبضِ بِكُلِّ معانيه.. ولِلقَبضِ معانٍ :

معاني قبض العلم موت حملته

(١) أن مـا ذكرَ الإمـامُ النوويُّ مِن قَولِه على حديثِ قبضِ العِلمِ : «هذا الحديثُ يُبيِّنُ المُرادَ بِقبضِ العِلمِ في الأحاديثِ السـابِقةِ المُطلقةِ ليسَ هو محوَه مِن صُدورِ حُفَّاظِـه ، ولكِنَّ معناه أن يموتَ حَمَلَتُه ويتَّخِذَ النـاسُ جُهالًا يَحكُمون بِجهَالاتِهم فيُضِلُّـون»[3] ، والمُرادُ بِالعِلمِ هُنا عِلمُ الكِتابِ والسُّـنَّةِ ، وهو العِلمُ المَوروثُ عنِ

---

(١) «صحيحُ البُخاريِّ» (٦٤٩٧) (٧٠٨٦) .

(٢) «مسند أحمد» (٨١٣١) و«المعجم الكبير» للطبراني (٢٣: ٣١٤) ، وانظر «أشراط الساعة» ليوسف عبدالله الوابل ص١٣١ .

(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٦: ٢٢٤) .

الأنبياءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فإنَّ العُلماءَ ورثةُ الأنبياءِ ، وبِذَهابِهم يذهبُ العِلمَ ، وتموتُ السُّننُ ، وتظهرُ البِدعُ ، ويعُمُّ الجهلُ»[1] .

تحويله إلى مناهج مقبوضة

(٢) ومِـن معانـي قبضِ العِلـمِ تحويلُه إلـى مناهِجَ مقبوضـةٍ ومُسيَّسـةٍ ، وفقَ ما يختـارُه القائمون على التعليـمِ والتدريسِ ؛ حتى تتخرَّجَ أجيـالٌ لا تعرِفُ مِن عِلمِ الشريعةِ شيئًا ، اللَّهُمَّ إلَّا ما قرأَته مِنَ العِلمِ المقبوضِ المُمنهَجِ .

انقباض / قبض العلماء

(٣) ومِـن معاني القبـضِ : انقِباضُ العُلمـاءِ وحملةِ العِلمِ ، لِما يقـعُ في الأزمِنةِ مِـن ظُلمٍ وتجـاوُزٍ وانتهاكٍ للدِّينِ وكراهيةٍ لِلعِلمِ والعُلمـاءِ ، مِمَّا يُؤدِّي إلى اعتزالِ العُلماءِ عنِ الناسِ وانقطاعِهم عن مجالسةِ الناسِ ، فيُؤدِّي ذلِكَ إلى ظُهورِ الجهلِ بالدِّينِ .

إخراس العلماء بالسجن والتقتيل والتشريد من القبض

(٤) ومِـن معانـي قبـضِ العِلـمِ إخـراسُ العُلمـاءِ بِالقبـضِ عليهِـم وسِـجنِهم وإيداعِهـم ، فيما يُسـمَى بالإقامةِ الجبريةِ في منازِلِهم ؛ حتَّـى لا ينتفِعَ بِهِمُ الناسُ ، وقد وقعَت هذه النماذِجُ مِنَ (القبضِ) في بِلادِ المُسـلِمين في مراحِلَ شتَّى ، ومِنها (المرحلةُ الغُثائيةُ) التي تعرَّضَ فِيها العِلمُ والعُلماءُ إلى الإبادةِ والسِّجنِ والخطفِ والتشريدِ.. مِمَّا كوَّن في الواقِعِ الاجتِماعيِّ جيلًا مُتخبِّطًا بِالجهالاتِ والضلالاتِ والعِلمِ المُسيَّسِ المقبوضِ .

وفي هذا المعنى وردَت أحاديثُ كثيرةٌ ، مِنها : «**إنَّ بَينَ يدَيِ السـاعةِ لأيَّامًا ينزِلُ فِيها الجهلُ ، ويُرفَعُ فِيها العِلمُ**»[2] .

وفـي رِوايةٍ لِمُسـلِمٍ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسـولُ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**يتقاربُ**

---

(١) «أشراطُ الساعةِ» لِلوابِلِ ص١٣٣ .

(٢) «صحيح البخاري» (٧٠٦٢) .

الزمانُ، ويُقبَضُ العِلمُ وتظهرُ الفِتَن، ويُلقى الشُّحُّ، ويكثُرُ الهرجُ»[1].

وحديثُ عبدِاللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: سمعتُ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «إنَّ اللَّهَ لا يقبِضُ العِلمَ انتِزاعًا ينتزِعُه مِنَ العِبادِ، ولكِن يقبِضُ العِلمَ بِقبضِ العُلماءِ، حتَّى إذا لم يُبقِ عالِمًا اتَّخذَ الناسُ رؤوسًا جُهَّالًا، فسُئِلوا فأفتَوا بِغَيرِ عِلمٍ؛ فضلُّوا وأضلُّوا»[2].

وتستمِرُّ هذه الظاهِرةُ جِيلًا بعدَ جيلٍ، حتَّى يبلُغَ الأَمرُ إلى أشُدِّه في أُخرياتِ الزمانِ، كما قالَ عبدُ اللَّهِ بنِ مسعودٍ: «ولَيُنزَعَنَّ القُرآنُ مِن بَينِ أظهُرِكم، يُسرى علَيهِ لَيلاً؛ فيذهَبُ مِن أجوافِ الرِّجالِ؛ فَلا يَبقَى في الأرضِ مِنه شَيءٌ»[3].

وعِندَ النظرِ الواعي في مسيرةِ القبضِ والنقضِ المُشارِ إلَيه في علاماتِ الساعةِ نلاحِظُ أنَّ هذه المسيرةَ قد مرَّت بِمراحِلَ مُتدرِّجةٍ ـ بِصرفِ النظرِ عنِ المُنفِّذِ والمُستثمِرِ ـ اشتملَت على ما يلي:

أشكال من نقض العرى في مسيرة التاريخ

١- نقضُ الحُكمِ.
٢- نقضُ العِلمِ.
٣- الفصلُ بَينَ الدِّينِ والدَّولةِ.
٤- الفصلُ بَينَ التاريخِ والدِّيانةِ.
٥- الفصلُ بَينَ الثوابِتِ والمُتغيِّرِ.
٦- الفصلُ بَينَ العلمِ والدين.
٧- الفصلُ بَينَ التربيةِ والتعليمِ والدعوةِ.

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٦٧٢).
(٢) «صحيح البخاري» (١٠٠).
(٣) «مصنف عبد الرزاق الصنعاني» (٥٩٨١) و«المعجم الكبير» للطبراني (٨٧٠٠).

٨- الفصلُ بَينَ عِلمِ الإحسانِ وأركانِ الدِّينِ .

٩- الفصلُ بَينَ عِلمِ الإحسانِ والتصوُّفِ .

١٠- الفصلُ بَينَ المُثلَّثِ المدموجِ والمُعادِلِ الرابعِ .

١١- الفصلُ بَينَ التصوف والسنة .

١٢- الفصلُ بَينَ التصوُّفِ والإسلامِ[1] .

ظهور مدعي النبوة

ظُهورُ مُدَّعي النُّبوَّةِ

ومِن علاماتِ الساعةِ الصغرى التي تعدَّدَت ظواهِرُها، وتجدَّدَت نماذِجُها خُروجُ الكذَّابين الذين يدَّعون النُّبوَّةَ ، وهم قريبٌ مِن ثلاثين كذَّابًا ، وفيهم ثلاثُ نِسوةٍ أو أربع .

وقد خرجَ بعضُهم في عصرِ الرِّسالةِ ، ومِنهم في عصورِ الصحابةِ رَضِيَ اللهُ عَنهُم وما بعدها ، ولا يزالون يظهرون في بعضِ الأجيالِ .

وفيهم قالَ ﷺ : «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى يُبعَثَ دجَّالون كذَّابون ، قريبٌ مِن ثلاثين، كُلُّهم يزعَمُ أنَّه رسولُ اللَّهِ**»[2] .

---

(١) ومن أغرب مظاهر هذا الفصل مطالبة بعض المتطرفين من دعاة الخوارج الجدد علماء المذهبية والصوفية للتوبة وتجديد الإسلام ، ونشر بعضهم في الإنترنت احتفال أولئك بكافر دخل الإسلام وحسن إسلامه ، وكان ذلك الكافر ـ من وجهة نظرهم ـ مسلماً صوفياً دخل إلى الحظيرة السلفية ، وحسن إسلامه بعد رجوعه عن مذهب الصوفية ، وتوبته على أيديهم .

(٢) «صحيحُ البُخاريِّ» (٣٦٠٩) و«صحيح مسلم» (٢٩٢٣) . وحديثُ : «**بينما أنا نائم رأيت فى يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما ، فأوحي إلى فى المنام أن انفخهما ، فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان بعدي**» ، فكان أحدهما العنسي والآخر مسيلمة الكذاب

مسيلمة الكذاب والأسود العنسي

وأوَّلُ من ظهر مِنَ الكذَّابين في عهدِ صاحِبِ الرِّسالةِ مُسَيلِمةُ الكذَّابُ، مِن أرضِ نجدٍ، وقد كثُرَ أتباعُه، وعظُمَ شرُّه على المُسلِمين، حتَّى قتلَه الصحابةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم في معركةِ «اليمامة» على عهدِ الخليفةِ الأوَّلِ أبي بكرٍ الصديقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وكذلِكَ ظُهورُ «الأسودِ العَنْسِيِّ في اليمنِ»، وادَّعى النُّبوَّةَ؛ وقتلَه الصحابةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أيضًا في حياةِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وفي كِلَيهما «مُسَيلِمةَ والعنسيِّ» وردَ حديثُ ابنِ الزُّبَيرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «**إنَّ بَينَ يدَي الساعةِ ثلاثين كذَّابًا، مِنهُم: الأسودُ العنسيُّ صاحِبُ صنعاءَ، وصاحِبُ اليمامةِ**»[1]. يعني: مُسَيلِمة.

سبعة وعشرون دجالا منهم أربعة نسوة

وفيما أخرجَه أحمدُ عن حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بسندٍ جيِّدٍ: «**سيكونُ في أُمَّتي كذَّابون دجَّالون، سبعةٌ وعشرون مِنهم أربعُ نِسوةٍ، وإني خاتِمُ النبيِّين؛ لا نبيَّ بعدي**»[2].

والمقصودُ بالدَّجَّالين الكذَّابين أحدُ أمرَين:

الأول: مَنِ ادَّعى النُّبوةَ وأنَّه يُوحى إلَيه، كمُسَيلِمةَ والأسودِ وسجَّاحِ وطُلَيحة الأسديِّ[3].

والثاني: مَن قامَت شوكتُه، وكثُر أتباعُه، واشتهر بَينَ الناسِ بما لم يُنزِّلِ اللَّهُ بِهِ مِن سُلطانٍ. كالمُختارِ بنِ عُبَيدٍ الثَّقَفِيُّ، الذي أظهرَ محبةَ آلِ البَيتِ والمطالبةَ بدمِ

المختار الثقفي

صاحب اليمامة» «صحيح البخاري» (٣٦٢١).

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (١٣/ ١٢٨) وأخرجه ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٨٧).

(٢) «مسند أحمد» (٢٣٣٥٨) قال الألباني: صحيح «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (٤٢٥٨).

(٣) «الإشاعة» (ص٩٦).

الحُسَـينِ ، وكثُرَ أتباعُه ثُمَّ ادَّعى النُّبوَّةَ ونزولَ جبريلَ علَيهِ . وقد قتلَه ابنُ الزُّبَيرِ في خِلافتِـه [1] . ومِنهُـمُ الحـارِثُ الكذَّابُ ، خـرجَ في خِلافةِ عبدِ الملِـكِ بنِ مروانَ ، فقُتِل . وخرجَ في خِلافةِ بني العبَّاسِ جماعةٌ [2] .

الحارث الكذاب

ومنهـم القاديانـي ، قال صاحِبُ كِتاب «أشـراطِ السـاعةِ» (الوابِـل) [3] : (وظهرَ فـي العصـرِ الحديثِ ميرزا أحمـدُ القاديانيُّ بالهنـدِ ، وادَّعى النُّبوَّةَ ، وأنَّه المسيـحُ المُنتظَـرِ ، وأنَّ عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ ليسَ بِحيٍّ في السـماءِ ، وصارَ له أتبـاعٌ وأنصارٌ ، وردَّ علَيهِ جملةٌ مِنَ العُلماءِ ، واعتبروه أحدَ الدَّجَّالين المُشارِ إلَيهم في الحديث .

أحمد القادياني

وفـي عصرِنـا ادَّعـى المهديَّةَ عـددٌ مِـنَ الكذَّابيـن ، الذيـن يُروِّجـون الأكاذيبَ والأضاليلَ بِهذا الادِّعاءِ ، ولهم مواقِعُ في الشبكةِ العنكبوتيةِ يخدعونَ بما يقولونه جهلةَ المرحلةِ وضحاياها [4].

مدعو المهدية المعاصرون

ولا يـزالُ خُـروجُ مِثـلِ هؤلاءِ مُتوقَّعًا ، كمـا أخبرَ عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، حتَّـى يخرج آخِرُهـم خروجًا معَ الدَّجَّالِ الأعورِ ، كما وردَ في الحديثِ عن سَمُرةَ بنِ جُندُبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسـولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ في خُطبةِ الوداعِ يومَ كسـفَتِ الشمسُ على عهدِه : «وإنَّه واللَّهِ لا تقومُ الساعةُ حتَّى يخرجَ ثلاثون كذَّابًا آخرُهُمُ الأعورُ الدجَّالُ» [5] .

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٣: ٥٤٣) ، «أشراط الساعة» ص١١٥ ليوسف الوابل .

(٢) «فتح الباري» (٦/ ٦١٧) .

(٣) ص١١٥.

(٤) وممن اشتهر بغلوه في الرفض لا بادعاء النبوة ابنُ الكواءِ الذي قالَ له الإمامُ عليٌّ : «وإنَّكَ مِنهـم» . وكانَ يغلـو في الرفضِ ، ويُؤيِّدُه حديثُ ابـنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قُلتُ : ما آياتُهم؟ قالَ : «يأتونكم بِسُنَّةٍ لم تكونوا علَيها» . «الإشاعة» ص٩٧ .

(٥) «مسـند أحمـد» (٢٠٧١١) و«مصنـف ابـن أبي شـيبة» (٣٧٥١٣) و«صحيـح ابن خزيمة» (١٣٩٧) .

الربط بَينَ وظائف الدجاجلة والأعور الدجال

وقد ربطَ النبيَّ ﷺ بَينَ وظائفِ الدجاجِلةِ والكذَّابين، واعتبرَها تمهيدًا للدجَّالِ الأعـورِ وعملًا مُشـتركًا ضِـدَّ الديانةِ الصحيحـةِ في كُلِّ عصرٍ وزمـنٍ، فقد رَوى الإمامُ أحمدُ عن أبي بَكرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ في شـأنِ هذا الرجُلِ - يعني: مُسَيلِمةَ -: «أما بعدُ فقد أكثرتُم في شأنِه؛ فإنَّه كذَّابٌ مِن ثلاثين كذَّابًا، يخرجـون قبـلَ الدجَّـالِ، وإنَّه ليسَ بلـدٌ إلَّا يدخلُه رُعـبُ المسيـحِ إلَّا المدينةَ... إلخ»[1].

قتال التُّرك والعجم

قِتالُ التُّركِ والعجمِ

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى قِتَالُ التُّرْكِ والعَجَمِ، والتُّركُ هُنا غيرُ العجمِ، قالَ ابـنُ حجـرٍ: (يُمكنُ أن يُجابَ بِأنَّ هذا الحديـثَ - أي: حديث قِتالِ العَجمِ - غَيرُ حديـثِ قِتالِ التُّـركِ، ويجتمِعُ مِنهما الإنـذارُ بِخروج الطائفتَيـن)[2]، فقِتالُ التُّركِ يرتبِطُ بِمرحلتَين:

المرحلةُ الأولى: قـد وقعَـت، وقـد قاتلَ المُسـلِمون التُّركَ مِن عصـرِ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وذلِكَ في أوَّلِ خِلافةِ بني أُميَّةَ وفي عهدِ مُعاويةَ.

قتال التتار في أواخر العصر العباسي

وخـرجَ التُّـركُ أيضًا بِمُسـمَّى التتارِ والمغولِ فـي أواخِرِ العهدِ العبَّاسـيِّ ودمَّروا الخِلافةَ، وقتلوا العُلماءَ، وأحرقوا المسـاجِدَ، وعاثوا في الأرضِ فسـادًا[3] حتَّى

---

(١) «مسند أحمد» (٢٠٤٦٤).

(٢) «فتح الباري» (٦: ٦٠٧).

(٣) ذكـر الدكتـور محمـد أحمـد إسـماعيل المقـدم فـي كتابـه «فقه أشـراط السـاعة» ص ٢٠ تعليقاً على الحديث: «اتركوا الترك ما تركوكم»: فمتى تم إمسـاك المسـلمين عن استفزاز الترك واستشـارتهم؛ فسـلموا من غائلتهم إلى أن خالفوا التوجيه النبوي، قال الحافظ ابن كثيـر رحمـه اللـه تعالى: «وقد قتـل جنكيز خان مـن الخلائق ما لا يعلـم عددهم إلا الذي

تصـدَّى لهمُ الملِكُ المُظفَّـرُ «قُطُزُ» ، وهزمَهم في معركةِ «عَيـنِ جالوتَ» ، ودخلَ كثيرٌ مِنهم إلى الإسـلامِ ، وفـي أُخرياتِ المرحلةِ المضطرِبةِ مِـن تاريخِ الدُويلاتِ الإسلاميةِ أعادَ الأتراكُ مِن بني عُثمانَ الخِلافةَ الإسلاميةَ إلى مكانِها الصحيح»[1].

وكانَ لهمُ الدَّورُ الكبيرُ في تَوحيدِ قرارِ المُسـلِمين في العالمِ العربيِّ والإسـلاميِّ. وكانَ آخِرُهـم السُّـلطانُ عبدُالحميـدِ الثاني ، الذي بإسـقاطِه دخلَ العالـمُ العربيُّ والإسلاميُّ في مرحلةِ الغُثاءِ والوَهنِ والاستِعمارِ .

قتال التُّرك على حرب الماء وكنز الذهب

وأمَّا **المرحلةُ الثانيةُ** : مِن قِتالِ التُّركِ لِلمُسـلِمين فسيأتي في آخرِ الزمانِ معَ نِهايةِ الصِّـراعِ علـى كنـزِ الفُراتِ ، كمـا وردَ في الأحاديثِ ، سـيكونُ القِتَـالُ على الدُّنيا بَيـنَ العـربِ والمُسـلِمين مِنهم . وهـو ما يُسـمَّى «بِحربِ المـاءِ وكنـزِ الذهبِ» ، ولتُركيا المعاصرةِ هيمنةٌ على منابعِ الفُراتِ ومُحاولاتٌ لِصرفِ مياهِه عن مسارِها المألوفِ إلى جِهاتٍ أُخرى رُبَّما كانَت من أسـبابِ الصِّراعِ في المسـتقبلِ المُشـارِ

خلقهم ، ولكن كانت البداءة من «خوارزم شاه» فإنه لما أرسل جنكيز خان تجاراً من جهته معهم بضائع كثيرة من بلاده ، فانتهوا إلى إيران فقتلهم نائبها من جهة خوارزم شـاه ، وأخذ جميع ما كان معهم فأرسـل جنكيز خان إلى خوارزم شـاه ؛ يستعلمه هل وقع هذا الأمر عن رضا منه أو أنه لا يعلم به ، فلما سـمع خوارزم شـاه ذلك من رسـول جنكيز خان لم يكن له جـواب سـوى أن أمر بضرب عنقه ؛ فأسـاء التدبير ، وقد ورد في الحديـث : «**اتركوا الترك ماتركوكـم**» . فلمـا بلغ ذلك جنكيز خان تجهز لقتاله ، وأخذ بلاده فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يسمع بأغرب منها ولا أبشع .اهـ .

(١) مصداقـاً لمـا قاله ﷺ فيما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بعد ذكر لقتال الترك ، قال : «**وتجدون من خير الناس أشـدهم كراهية لهذا الأمر ، حتى يقع فيه ، والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهـم في الإسـلام**» . اهـ «صحيح البخاري» ، كتاب المناقـب ، باب علامات النبوة في الإسلام (٦: ٦٠٤) «الفتح» .

إلَيه . واللَّهُ أعلمُ[1].

و أمَّا الأحاديثُ في هذا البابِ فكثيرةٌ ، ومِنها :

- «لا تقومُ الساعةُ حتَّى يُقاتِلَ المُسلِمون التُّركَ قَوماً وُجوهُهم كالمجانِّ المُطرَقَةِ يلبَسون الشَّعرَ ويمشون في الشَّعرِ»[2] .
- وحديثُ : «لتظهرَنَّ التُّركُ على العربِ حتَّى تلحقَها بِمنابتِ الشيحِ والقيصومِ فأنا أكره قِتالَهم لِذلِكَ»[3].
- وحديثُ : «إن أُمَّتي يسوقُها قَومٌ عِراضُ الأَوجُهِ صِغارُ الأعيُنِ كأنَّ وُجوهَهم الحَجَفُ (ثلاثَ مرَّاتٍ) حتَّى يلحقوهم بِجزيرةِ العربِ ، أَمَّا السائِقةُ الأولى، فينجو مَن هربَ مِنهم ، وأمَّا الثانيةُ فيَهلَكُ بعضٌ وينجو بعضٌ ، وأمَّا الثالِثةُ فيصطلِمون كُلُّهم مَن بقِيَ مِنهم» . قالُوا : يا نبيَّ اللَّهِ مَن هم ؟ قالَ : «همُ التُّركُ» . قالَ : «أمَا والذي نفسي بيدِه ، ليربِطُنَّ خُيولَهم إلى سواري مساجِدِ

---

(١) وعن مفهوم حرب الماء ورد عن عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «المعجم الكبير» للطبراني (٨٨٥٧) : عن القاسم قال : مد الفرات على عهد عبد الله فكره ذلك الناس فقال عبد الله : لا تكرهوا فإنه يوشك أن يأتي على الناس زمان يلتمس فيه طست من ماء ولا يوجد ذلك حين يرجع كل ماء إلى عنصره ويكون بقية الماء والمؤمنون بالشام .

وفي نفس المصدر : شكي إلى ابن مسعود الفرات فقالوا : إنا نخاف أن ينبثق علينا فلو أرسلت إليه من يسكره فقال عبد الله : لا نسكره فو الله ليأتين على الناس زمان لو التمسوا فيه على طست من ماء ما وجدتموه ليرجعن كل ماء إلى عنصره ويكون فيه الماء والمسلمون بالشام .

(٢) «صحيحُ مُسلِمٍ» (٢٩١٢) .

(٣) «مسند أبي يعلى» (٧٣٧٦) ، ولاحِظْ قَولَه : «على العربِ» وكأنَّها إشارةٌ إلى مرحلةٍ تنفصِلُ مِنها الدُّولُ العربيةُ عنِ الدُّولِ الإسلاميةِ كما هو مُلاحَظٌ الآنَ .

المُسلِمين »[1].

- وحديثُ : «اتركوا التُّركَ ما تركوكم» [2] .

وأمَّا قِتالُ العجمِ ففيه حديثُ سَـمُرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ : قالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ : « **يُوشِكُ أن يمـلأَ اللَّـهُ عـزَّ وجلَّ أيديَكم مِـنَ العجمِ ، ثُمَّ يكونون أُسْـدًا لا يفِـرُّون ؛ فيقتلون مقاتِلتكم ويأكلون فيئكم**»[3].

وعـن أبـي هُرَيرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قـالَ : قالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ : «**يُوشِـكُ أن يمـلأَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أيديَكم مِنَ العجمِ ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ أُسْدًا لا يفِرُّون ؛ فيقاتلون مقاتِليكُم ويأكلون فيئَكـم**»[4] ، ويبـدو ـ واللَّـهُ أعلـمُ ـ أنَّ العجمَ هُنـا هم دُولُ الغربِ ومَـن حالفَهم . وقد اسـتعمروا العالَمَ العربيَّ والإسلاميَّ خِلالَ الحُروبِ الكَونيةِ الأولى والثانيةِ، واقتسـموها فيمـا بَينَهـم ، ورسـموا خرائطَهـا ، واسـتثمروا ثرواتِها إلـى اليومِ في المراحلِ الثلاثِ العِلمانيةِ والعلمنةِ والعَولمةِ ، أو ما أشرنا إلَيها بِمرحلةِ الاستِعمارِ ثُمَّ الاسـتِهتارِ ثُمَّ الاسـتِثمارِ . ورُبَّما أن يكـونَ لِهذا الغزوِ بقيةٌ في مُسـتقبلِ الزمانِ لِصورٍ أُخرى ونماذجَ مُسيَّسةٍ ، واللَّهُ أعلمُ .

كثرةُ القتلِ

كثرة القتل

ومِـنْ عَلَامَاتِ السـاعةِ الصُّغْرَى كَثْرَةُ القَتْلِ، ومِنَ العلامـاتِ التي تكرَّرَت أزمنةٌ بعدَ أُخرى على صفةِ الكثرةِ والتزايُدِ (كثرةُ القتلِ) ، وهو أيضًا ما سمَّاه رسولُ اللَّهِ

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢٩٥١) ، «أشراطَ الساعةِ» يوسُف الوابل ص ١٢٠-١٢١ .

(٢) «سنن أبي داود» (٤٣٠٢) .

(٣) «مسند أحمد» (٢٠١٢٣) .

(٤) أي : يحصدونه ، «المعجم الكبير» (٦٩٢١) عن سمرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ﷺ (بِالهرجِ) ، كما وردَ في حديثِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسـولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «لا تقومُ الساعةُ حتَّى يكثُرَ الهرجُ» قالُوا : وما الهرجُ يا رسولَ اللَّهِ ، قالَ : «القتلُ»[1].

وعن أبي مُوسـى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ : «إنَّ بَينَ يدَي السـاعةِ الهرجَ» قالُوا : ومـا الهرجُ ؟ قـالَ : «القتلُ» . قالوا : أكثرُ مِمَّا نقتُلُ ؟ إنّا لَنَقتُلُ في العامِ الواحدِ أكثر مِن سـبعين ألفًا ، قالَ : «إنَّه لَيسَ بِقتلِكمُ المُشـرِكين ، ولكِنْ قتلُ بعضِكم بعضًا» . قالوا : ومعنا عقولُنا يومئذٍ ؟! قالَ : «إنَّه لتُنزعُ عُقولُ أهلِ ذلِكَ الزمانِ ، ويخلَّفُ له هَباءٌ مِنَ النّاسِ ، يحسبُ أكثرُهم أنَّه على شيءٍ ، ولَيسوا على شيءٍ»[2]

كثرة الهرج حتَّى لا يدري القاتل فيم قَتَلَ ولا المقتول فيم قُتِلَ؟

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ : «والذي نفسي بيدِه لا تذهب الدُّنيـا حتَّى يأتيَ على الناسِ يومٌ لا يـدري القاتِلُ فِيمَ قتلَ ، ولا المقتولُ فيمَ قُتِلَ» . فقيلَ : كيفَ يكونُ ذلِكَ ؟ قالَ : «الهرجُ»[3] .

والهَـرْجُ ـ أي : القتـلُ ـ على هـذه الصفةِ فيما بَينَ المُسـلِمين أنفسِـهم برزَ جليًّا مِـن بعـدِ مقتلِ عُثمـانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ لِأنَّ القتلَ الذي وقـعَ قبل ذلِكَ كحُـروبِ الرِّدَّةِ أو غيرِهـا إنَّمـا وقع بإجماعِ الصحابـةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ضِدَّ مَن أبى الـزكاةَ أو مَنِ ارتدَّ حقيقةً عنِ الإسلامِ.

وقد حصدَ الهرجُ آلافًا مِنَ المُسلِمين خِلالَ الفِتنِ المُتنوِّعةِ ، التي جرَت في عهدِ المُلكِ العضوضِ في العهدَينِ الأُمويِّ والعبَّاسيِّ ، ثُمَّ عصرِ الدُّوَيلاتِ وما استُبيح فِيهـا مِـنَ الدماءِ خِـلالَ الحُروبِ المُتنوِّعةِ . كحـربِ الخـوارِجِ والقرامِطةِ والزِّنجِ

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٨٨) .

(٢) «مسند أحمد» (١٩٧١٧) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٣٨٤) .

(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٠٨) وتتمته : «القاتل والمقتول في النار» .

استباحة القرامطة لحجاج الحرم عام ٣١٧ هـ

وغيرِهم ، وقد ذكرَت كُتُبَ السِّيَرِ والتواريخِ أنَّ القرامِطَةَ عامَ ٣١٧هـ استباحوا الحرمَ الشريفَ بِمكَّةَ في يومِ طوافِ الإفاضةِ ، وأُحصِيَ مِن قتلاهم في صحنِ الحرمِ وما حَولَه ثلاثين ألفًا في معركةٍ واحِدةٍ ، وحُصِدَ في حُروبِ العبَّاسيِّين والأُمويِّين مِئاتُ العربِ في معارِكِ الامتِدادِ أوِ الدفاعِ عنِ المُلكِ ، حتَّى صارَ الحجاجُ بنُ يُوسُفَ في ملاحِمِ القتلِ الجماعيِّ خِلالَ العهدِ الأُمويِّ مِثالًا لِلقائدِ الدمويِّ السفَّاكِ .

حصاد الحروب العالمية للآلاف من البشر

كما أنَّ الحُروبَ الكَونيةَ الأولى والثانيةَ وما قبلَها وما بعدَها ذهبَ فيها الآلافُ مِنَ الشُّعوبِ المُسلِمةِ وغَيرِ المُسلِمةِ ، وخِلالَ المرحلةِ القبليةِ وتهيئةِ العالمِ الغربيِّ بِلادَ العربِ والمُسلِمين لِقَبولِ الاستِعمارِ والتجزئةِ والتقسيمِ ، وحُصولِ الحُروبِ الداخِليةِ بَينَ القُوى المُتنازِعةِ ، ذهبَ كذلِكَ المئاتُ تِلوَ المئاتِ .

حروب الثورة العربية المزعومة ضد الأتراك والحروب القبلية والحزبية

ومِنها حُروبُ الثَّورةِ العربيةِ المزعومةِ ضِدَّ الأتراكِ ، وحُروبُ الحُدودِ بَينَ دُولِ الجِوارِ للتوسُّعِ في المنطِقةِ ، وكانَ الداعِمُ الأساسيُّ لِهذه الحُروبِ هم أعداءُ المُسلِمين مِنَ المُستعمِرين والمُستشمِرين .

وحصدَت حُروبُ التحريرِ فيما بَينَ الثُّوَّارِ أنفُسِهم المئاتِ مِنَ المُتنازِعين على أملاكِ القرارِ في جنوبِ اليمنِ آنذاكَ ، ومِثلُها ما حُصِدَ مِنَ الشُّعوبِ في معارِكِ اليمنِ وثَورتِه ضِدَّ النِّظامِ الملكيِّ ، وماجرى بعدَ ذلِكَ مِن فِتَنِ الصِّراعِ الباتِرِ بَينَ القُوى في بِلادِ اليمنِ فَوجًا بعدَ آخرَ حتَّى عهدِ الوحدةِ وخِلالَها ، بِصرفِ النظرِ عن عدالةِ المبادِئِ أو عدمِها ، فالجميعُ مُسلِمون وأهلُ دينٍ ولُغةٍ ومصيرٍ واحِدٍ .

الحروب الطائفية

ومِثلُ هذا نراه في أرضِ الرافِدَين وفِلسطينَ والباكستانِ والأفغانِ والصُّومالِ ـ إلى اليومِ ـ مِن حُروبٍ داخِليةٍ بَينَ العربِ والمُسلِمين على الحُكمِ والقرارِ

والسُّلطانِ ، ونسألُ اللَّهَ السلامةَ فيما بقِيَ .

زخرفةُ المساجِدِ والتباهي بها

زخرفة المساجد والتباهي بها

ومِن علاماتِ الساعةِ الصغرى زخرفةُ المساجِدِ والتفنُّنُ في زينتِها ونقشِها والتفاخُرِ والتباهي بها بَينَ الأشباهِ والأقرانِ ، وهذه الظاهِرةُ لَيسَت خاصَّةً بِمرحلةٍ مُعينةٍ .. وإنَّما هي ظاهِرةٌ شملَتْ عِدَّةَ مراحِلَ وأزمِنةٍ .

ولم يسلَم فِيها إلَّا عصرُ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وقد أُثِرَ أنَّ سيِّدَنا عُمرَ بنَ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا أمرَ بِتجديدِ المسجِدِ النبويِّ قالَ : «**أَكِنَّ الناسَ مِنَ المطرِ ، وإياكَ أن تُحمِّرَ أو تُصفِّرَ فتفتِنَ الناسَ**» [1] ؛ إلاَّ أنَّ الذين جاؤوا بعدَ ذلِكَ مِنَ الحُكَّامِ والأُمراءِ والسلاطينِ أسرفوا في شأنِ الزخرفةِ لِلمساجِدِ ، ولا زالَ فِيها ما هو قائمٌ إلى الآنَ بِالشامِ ومِصرَ وبِلادِ المغرِبِ والأندلُسِ وغيرِها .. قالَ البُخارِيُّ : قالَ أنسٌ : يتباهون بها ثُمَّ لا يُعمِّرونها إلَّا قليلًا . وقالَ ابنُ عبَّاسٍ : (لَتُزَخْرِفُنَّهَا كمَا زَخرَفَتِ اليَهُودُ والنَّصَارَى) [2] .

ظاهرة تسامح بعض العلماء في زخرفة المساجد

ويبدُو أنَّ بعضَ العُلماءِ تسامحَ في زخرفةِ المساجِدِ عِندَما صارَتِ الزخرفةُ ظاهِرةَ الزمانِ ، وخاصَّةً في مراحِلِ الترفِ والبذخِ ، ولم تسلَمْ مِن ذلِكَ حتَّى مساجِدُ مكَّةَ والمدينةِ سواءً في العُصورِ الأولى أو فيما تلاها مِنَ المراحِلِ الأُخرى إلى العهدِ العُثمانيِّ ، الذي كانَ مِن مميزاتِه الاهتِمامُ بِالزخرفةِ والزينةِ وبناءِ القِبابِ والمنائرِ وغيرِها .

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٤٦) باب بنيان المسجد .

(٢) المصدر السابق .

وعـذرُ العُلمـاءِ الذين تسـامحوا في ذلِـكَ أنَّ تعظيمَ شـعائرِ اللَّهِ أَولـى مِن تعظيمِ المنـازِلِ والمباني معَ وُجـودِ النيَّةِ الصالِحةِ في الفِعلِ المقصودِ، ومعَ هذا وذاكَ فإنَّ التباهيَ والتفاخُرَ مذمومٌ بِلا خِلافٍ، كما أنَّ تقليدَ اليهودِ والنصارى أكثرُ مذمَّةً. بل جـاءَ الوعيدُ الشـديدُ بالدمارِ إذا زُخرِفَت المسـاجِدُ وحُلِّيَـتِ المصاحِفُ، كما جاءَ في حديثِ أبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إذا زوّقتُم مسـاجِدَكم وحلَّيتُم مصاحِفَكم فالدُّبَارُ علَيكم**»[1].

بناء المساجد للزينة في المنتزهات

وأفحـشُ مِـن ذلِكَ بناءُ المسـاجِدِ المزخرفةِ كجُزءٍ مِنَ المشـاريعِ الجماليةِ على البِحـارِ والطُرُقـاتِ ومفارقِ الشـوارِعِ فـي المُخطَّطاتِ الاسـتِثماريةِ، بحَيثِ تظلُّ بعضُ هذه المسـاجِدِ مهجورةً لبُعدِها عن حركةِ الناسِ، وهُناكَ مِنَ المساجِدِ التي يتباهى ويتفاخرَ بها أصحابُها بالأسـماءِ والمُسمَّياتِ على صِفةِ الضديَّةِ لمُخالِفيهم وجعلِها سببًا في الشتمِ واللعنِ والتحقيرِ والسُّخريةِ لِغَيرِهم.

---

(١) «مصنف ابن أبي شـيبة» (٣١٤٨) وفي حديث آخر من حديث أبي ذر ذكر الحديث وآخره «**فالدمار عليكم**» (٣٠٢٣٧).

بيع الحكم
علامة صغرى

(١) بَيعُ الحُكمِ

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى الصراعُ على الحكمِ ونُزُولُهُ إلى سُوقِ العَرْضِ والطَّلَبِ، وهو دفعُ الأموالِ في سبيلِ الترشيحِ والانتِخابِ، أو تنازُلُ البعضِ عن صوتِه مُقابِلَ مدفوعاتٍ ماليةٍ، وإثارةُ الفوضى والتحريشُ الاجتِماعيُّ بَينَ الناسِ حولَ الجدارةِ بِالحُكمِ والسُّلطانِ، وانشِغالُ الجُمهورِ الأوسعِ مِنَ المُجتمعِ بما لا يخُصُّه في الأمرِ، مِمَّا يُؤدِّي بِالضرورةِ إلى: امتِنانِ هذه الجماهيرِ على المُنتخَبين والمُرشَحِين، والضغطِ علَيهم وتحدِّيهم، ونزعِ الثقةِ عنهم أمامَ أيِّ حادِثةٍ أو قضيةٍ، كما هو مُلاحَظٌ في العالمِ الإنسانيِّ المُعاصرِ، فهي إحدى ظواهِرِ المرحلةِ المُعاصرةِ في المُسلِمين.

(٢) كثرةُ الشُّرَطِ

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى كَثْرَةُ العَسَاكِرِ والشُّرَطِ، والشُّرطُ همُ العساكِرُ الخاصَّةُ بِالأنظِمةِ لِحمايةِ الداخِلِ والخارِجِ مِن حُدودِها المُجاوِرةِ ضِدَّ الأشباهِ والأمثالِ مِن شُرْطَةِ الأمنِ والمُرورِ وغيرِها من مجموعاتِ الضبطِ الداخليِّ، وهي ظاهِرةٌ معلومةٌ وصفَها النبيُّ ﷺ «بالكثرةِ»، ومعَ هذه الكثرةِ في الداخِلِ لا يُمكِنُ بِأيِّ حالٍ مِنَ الأحوالِ أن تتصدَّى هذه الشُّرطُ لِلعدوِّ المُشتركِ «كاليهودِ في فِلسطِينَ» وغيرِها مِنَ القضايا العربيةِ والإسلاميةِ المُشتركةِ؛ لِعدمِ قُدرتِها

العسكريةِ مِن جِهةٍ ، ولِعدمِ اهتِمامِ الأنظِمةِ بالدفاعِ المُشترِكِ وحصرِ اهتمامِهم في تهيئةِ المُجتمعاتِ مِنَ الداخِلِ لِنسبةٍ مِنَ الأمنِ المُساعِدِ على حركةِ التِّجارةِ والسياحةِ وخدماتِ النِّظامِ ذاتِه وتحقيقِ الاستقرارِ لِلصادِراتِ والوارِداتِ فيما بَينَ الأنظِمةِ والدُّولِ المستثمِرةِ والمُصدِّرةِ .

قطيعة الرحم
علامة صغرى

(٣) قطيعةُ الرحِمِ

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى قطيعةُ الرَّحِمِ ، فلا تخلو بُقعةٌ اليَومَ مِن مجتمعاتِنا العربيةِ والإسلاميةِ إلَّا وهي تُعاني من هذا التفكُّكِ الأُسريِّ وقطيعةِ الرحِمِ وعُقوقِ الوالدَين ، وسببُها انعِدامُ التربيةِ الإسلاميةِ في مواقِعِ التعليمِ الأساسيِّ والثانويِّ والجامِعيِّ ، والاكتِفاءُ بالتركيزِ على الجانِبِ التعليميِّ والثقافيِّ وإثارةِ الطِّباعِ الغريزيةِ بِالاختِلاطِ في المدارِسِ وبِالأجهزةِ ومُخرجاتِها في البُيوتِ والأنديةِ والمنتزهاتِ وما شاكلَها في المُجتمعِ ، وهكذا تكونُ القطيعةُ في أخطرِ صُورِها .

نشء القرآن
بأصوات المزامير
علامة صغرى

(٤) نشءٌ يكونُ في آخِرِ الزمانِ يتخِذُ القُرآنَ مزاميرَ[1]

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى «**نَشْءٌ يَتَّخِذُونَ القُرْآنَ مَزَامِيرَ**»[2]، أي : يُحَسِّنُونَ بِه الأصواتِ ، وإلى ذلك أشارتْ الأحاديثُ الشريفةُ منها هذا الحديثُ ، وهذا النشءُ مِن حُفَّاظِ القُرآنِ ومُجوِّدِيه بِنغمةِ الأصواتِ قد برزَ اليَومَ كظاهِرةٍ دينيةٍ في

---

(١) ودليل هذه الأربعة النماذج حديث عابس الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «**بادروا بالأعمال ستاً : إمارة السفهاء وكثرة الشرط وبيع الحكم واستخفافا بالدم وقطيعة الرحم ونشوا يتخذون القرآن مزامير يقدمون أحدهم ليغنيهم وإن كان أقلهم فقها**» . «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١ : ٥٤٣) للألباني .

(٢) «مسند أحمد» (١٦٠٤٠) .

غالِبِ المُجتمعاتِ العربيةِ والإسلاميةِ ، والمقصودُ مِنَ اتِّخاذِ القُرآنِ مزاميرَ صرفُه عن وظيفتِه الشـرعيةِ إلى الاستفادةِ مِن تعلُّمِه وقراءتِه لأغراضٍ دينيةٍ أو سياسيةٍ أو مادِّيةٍ أو إعلاميةٍ يُحسِنُها البرُّ والفاجِرُ .

وفـي هـذا الصددِ يقـولُ ﷺ فيما رواه أحمدُ ، ولفظُه : أنَّ رسـولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : «**فيكـم كِتـابُ اللَّهِ يتعلَّمه الأسـودُ والأحمـرُ والأبيضُ ، تعلَّموه قبـلَ أن يأتيَ زمانٌ يتعلَّمُـه نـاسٌ ، ولا يُجاوِزُ تراقيَهـم ، ويُقوِّمونه كما يُقوَّمُ السـهمُ ؛ فيتعجَّلون أجرَه ولا يتأجَّلونه**» [١].

وعـن أبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـالَ : « **أقرأُ الناسِ لِهذا القُـرآنِ المُنافِقُ لا يذرُ منه أَلِفًا ولا واوًا ، يلُفُّه بِلسانِه كما تلُفُّ البقرةُ الكلأَ بِلِسانِها**»[٢].

وفي روايةِ ابنِ أبي شَـيبةَ بِنحوِه عن حُذَيفةَ ، وزادَ في آخِرِه : «**لا يُجاوِزُ تراقيَه**» . وإسنادُه كُلُّهم ثِقاتٌ ، ويُفهَمُ مِنَ الأحاديثِ أنَّه ﷺ كرِهَ التكلُّفَ في القِراءةِ ، وكانَ يحِبُّ القِراءةَ السهلةَ ، كما أمرَ أصحابَه أن يقرأَ كُلٌّ مِنهم بما تيسَّرَ له ، وسهُلَ على لِسانِه معَ حُضورِ القلبِ وحُصولِ الخُشوعِ وتفهُّمِ المعاني[٣] .

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢٨٦٥) .

(٢) «مصنف عبدالرزاق» (٥٩٨٧) .

(٣) قـال التويجـري فـي «إتحـاف الجماعة» الثانـي ص١٢٣ : «إنه ـ أي: النبـي ﷺ ـ لم يكن يعلمهـم التجويد ومخارج الحـروف ، وكذلك الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم ينقل عن أحد أنه كان يعلم التجويد ومخارج الحروف ، ولوكان خيرا لسبقونا إليه» اهـ . ولعل ما أشار إليه الشيخ هنـا مرتبـط بتلـك المرحلة التي كانـت فيها لغة العرب سـليمة ومعتنى بها اعتنـاءً تاماً ، أما اليوم فالأمر يقتضي التوسط بين الحالين حتى لا يذهب القرآن بين إفراط المفرط وإضاعة المفرط ، والله أعلم .

الجرأة في الفتوى
علامة صغرى

الجُرأةُ في الفتوىٰ

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى الجرأةُ في الفَتْوى، وهي ظاهِرةُ الاجتِهادِ الشرعيِّ المُخالِفِ لِلحقيقةِ وحملِ الآياتِ والأحاديثِ على غَيرِ معانيها الصحيحةِ.

عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يخرجُ في آخِرِ الزمانِ رِجالٌ يَخْتِلُونَ الدُّنيا بِالدينِ، يلبَسونَ لِلناسِ جُلودَ الضأنِ مِنَ اللِّينِ، ألسنتُهم أحلى مِنَ السُّكَّرِ، وقُلوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئابِ، يقولُ اللهُ: أبي يغترون أم عليَّ يجترِئون؟ فبي حلفتُ لأبعثَنَّ على أولئك مِنهم فِتنةً تدعُ الحليمَ مِنهم حيرانًا**»[1].

ظاهرة الفتوى
لإرضاء الساسة

والختلُ: هو الخِداعُ، يُقالُ: «ختَلَه يختِلُه ويختُلُه: إذا خدعَه وراوغَه».

وهو ـ أي: الختلُ ـ مُطابِقٌ لِواقِعِ الكثيرِ مِن حملةِ القُرآنِ والدعوةِ المُعاصِرةِ، وخاصَّةً أولئكَ الذين جعلوا العِلمَ والفتوى إرضاءً لِمواقِفِ الساسةِ ودُعاةِ النقضِ والقبضِ، وكانَ لهم دَورٌ في تحريفِ المعاني المُنَزَّلةِ في القُرآنِ على الكُفَّارِ والمُشرِكينَ فحوَّروها؛ لِتُصبِحَ حُجَّةً لهم على المُصلِّين مِنَ المُسلِمين، وقد عمَّت هذه الظاهِرةُ ومثلُها بِلادَ العالمِ الإسلاميِّ والعربيِّ، وصارَتْ فِقهًا

ظاهرة الفتوى في
تحريف معاني
القرآن

وعِلمًا بديلًا عن إدانةِ شركِ اليهودِ والنصارى وأهلِ الأوثانِ، بل صارَ شركُ اليهودِ والنصارى وأهلِ الأوثانِ لدى البعضِ من هؤلاء المَوصوفين في الحديث بالختلِ والاجتراءِ؛ ظاهرةً مأمونةً وثقافةً حضاريةً مُتبادلةً تبرُزُ في الإعلامِ والاقتِصادِ والدِّراساتِ الفكريةِ المُتنوِّعةِ بِصورٍ ذكيةٍ وغيرِ مسبوقةٍ معَ صداقاتٍ وعِلاقاتٍ حميمةٍ، تبرُزُ جليَّةً في نماذِجِ العملِ الاقتِصاديِّ والرياضيِّ المُشتركِ والثقافيِّ والسياحيِّ، وهَلُمَّ جرًا...

---

(١) «سنن الترمذي» (٢٤٠٤).

وكانَ بهـا وبِأمثالِهـا الانحِدارُ الخُلُقـيُّ والوهنُ الثقافيُّ والاسـتِتباعُ الآليُّ لِلأُممِ الأُخرى ؛ وكفى بِالواقِعِ العربيِّ والإسلاميِّ شاهِدًا على هذه الحالةِ .

قَولُـه : «يلَبسـون لِلنـاسِ جلـودَ الضأنِ مِـنَ اللينِ» كُنيةٌ عـن تملُّقِهـم لِلناسِ في المناسباتِ والإعلامِ وتحسينِ الخلقِ في وُجُوهِهم ، وإظهارِ البشاشةِ لهم ، واللينُ معَهم لَيس على وجهِ الحقيقةِ ، وإنَّما مُنافقةٌ بِاللِّسانِ وتكلفٌ وتصنُّعٌ في الظاهِرِ ، وأما في الباطنِ فهُم بِخِلافِ ذلِكَ .

ظاهرة التجمل بالألسنة في الحديث وإخفاء الخديعة في القلوب

قَولُه : «ألسنتُهم أحلى مِنَ السُّكرِ» وفي رِوايةٍ : «أحلى مِنَ العسلِ»[1] . إشارةٌ إلى ما يصدُرُ مِن مُجملِ الحديثِ المعروضِ على الشُّعوبِ ومُناقشاتِ العِلمِ والفتوى والتحليـلاتِ والتعليـلاتِ البحثيـةِ المُفيـدةِ في ظاهِرِ شُـؤونِ الحيـاةِ ، ولكنَّ وما يخفونـه في بواطِنِهم ـ إنَّما «قُلوبُهُمْ قُلـوبُ الذِّئابِ» ـ لِما انطوَت علَيهِ مِنَ الخُبثِ واللؤمِ والضغينةِ معَ كونِها «أمرَّ مِنَ الصَّبِرِ» لِشدَّةِ مرارةِ ما يخفونه فِيها ـ وفي رِوايةِ حُذَيفةَ ـ : «قلوبُهم أنتنُ مِنَ الجيفةِ ، وأمرُّ مِنَ الصَّبِرِ»[2] .

ونتيجـةُ هذا كُلِّـه وما هم علَيهِ وصائـرون إلَيه ، يحلِفُ الحقَّ سُـبحانَه : «لأبعثَنَّ على أولئك مِنهم فِتنةً تدعُ الحليمَ مِنهم حيرانًا» ، والفِتنةُ المُشارُ إلَيها مما لا يحتاجُ وصفُه في أمةِ القُرآنِ والسُّنَّةِ أمام قضاياها المصيريةِ وقضاياها المحليةِ والإقليميةِ وعجزِهـا مُجتمِعـةً أو مُتفرِّقةً بِاعتِبارِ مَن يدَّعي سـلامةَ منهجِـه وديانتِه عن تحقيقِ أهدافِ الأُمَّة وعِزَّتِها عسكريًّا واقتِصاديًّا وتربويًّا وثقافيًّا وإعلاميًّا واجتِماعيًّا .

وتـكادُ الفِتنـةُ «التي تدعُ الحليمَ حيرانًا» تبرُزُ بِوضوحٍ في كافَّةِ الحالاتِ المُشـارِ

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٦٢٤) .

(٢) «حلية الأولياء» (٣: ٣٥٨) .

إلَيها ، بل وتُؤكِّدُ أثرَ تدخُّلاتِ المُشركين الأساسيِّين مِن دُولٍ ومجموعاتِ التهوكاتِ العالميةِ في كافَّةِ شُؤونِ الأُمَّةِ ـ بِرِضاها أو بِغَيرِ رِضَاها ـ ومِنها فِتنةُ المُعاملاتِ الرِّبويةِ .

العودة إلى الشرك علامة صغرى

العَودُ إلىٰ الشركِ وعِبادةِ الأوثانِ

ومِن علاماتِ الساعةِ الصغرى عِندَ قُربِ الأمرِ عَودةُ العربِ إلى عِبادةِ الأوثانِ وإقامةِ مظاهِرِ الشركِ التي كانوا يقيمونها في الجاهِليةِ ، كعِبادةِ اللَّاتِ والعُزَّى وذي الْخَلَصَةِ وغيرِها .

ظاهرة تهمة الشرك على زوار القبور

وهذا الشِّركُ المنصوصُ على عَودتِه سيكونُ في الأُمَّةِ بعدَ مَوتِ عِيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أما قبلَ ذلِكَ فلا شركَ في الأُمَّةِ ، وإنَّما يكونُ فِيها الغُلوُّ والإفراطُ والتفريطُ وغيرُها مِن مظاهِرِ الاعتِقادِ المُخِلَّةِ بالاعتِدالِ الشرعيِّ ، وكثرةُ المعاصي المُوجِبةِ لِلخسفِ والقذفِ[1] .

---

(١) ويؤيد هذا القول ما رواه أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال : «يمسخ قوم من أمتي آخر الزمان قردة وخنازير» ، قالوا : يا رسول الله ، مسلمون هم ؟ قال : «نعم يشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، ويصومون ، ويصلون» . قالوا : فما بالهم يا رسول الله ؟ قال : «اتخذوا المعازف والقينات والدفوف ، وشربوا هذه الأشربة ؛ فباتوا على شرابهم ولهوهم ؛ فأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير» . «كنز العمال» (٣٨٧٣٥) ، هكذا ذكره صاحب «سبل الهدى والرشاد» (١٠ : ١٩٣) .

وفي رواية عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «والذي نفسي بيده ليبيتن ناس من أمتي على أشر وبطر ولعب فيصبحوا قردة وخنازير باستحلالهم المحارم واتخاذهم القينات وشربهم الخمر وأكلهم الربا ولبسهم الحرير» «مسند أحمد» (٢٢٧٩٠) وأوله : «والذي نفس محمد بيده..» إلخ .

قلت : وهذا الخسف والقذف والمسخ يكون من المصلين المرتكبين للمعاصي ، كما

فقه التحولات لا يشير في العلامات إلى تجديد التوحيد في مرحلة الغثاء

وقد برزَ وظَهرَ في مرحلةِ الغُثاءِ والوهنِ تركيزُ البعضِ مِن مدارِسِ القبضِ والنقضِ على هذه المسألةِ واتِّهامِهم لِلمُسلِمين بِالشركِ، باعتِبارِ ما حصلَ مِن تعظيمٍ وتقديسٍ للقُبورِ والأولياءِ الأمواتِ والأحياءِ، وما ترتَّبَ على هذا التقديسِ مِنَ التوسُّلِ والاستِغاثةِ والاستِشفاعِ وحُسنِ الظنِّ في البُلهِ والمجاذيبِ وشدِّ الرِّحالِ إلى الزياراتِ والحولياتِ وغيرِ ذلِكَ.

وقدِ اجتمعَ لدى حملةِ هذا المنهجِ جُملةٌ مِن تُهمِ التشريكِ فكفَّروا بها المُسلِمين جميعًا إلَّا مَن تابَ وأنابَ على نهجِ المدرسةِ الناقِضةِ للعُرى بَينَ المُسلِمين مِنَ القرنِ الثامِنِ وما تلاه، وهذه المدرسةُ قامَت وتأسَّسَت على مُحاربةِ المحاوِرِ الثلاثةِ:

المِحورُ الأوَّلُ: تعليلُ مشاهِدِ الأنبياءِ والأولياءِ مِن آلِ البَيتِ على أنها أصنامٌ، ومَن فِيها مِنَ الأمواتِ طواغيتُ تُعبَدُ، ويجِبُ هدمُها وإزالتُها بما فِيها قبرُ النبيِّ ﷺ وصاحِبَيه في المدينةِ.

المِحورُ الثاني: كافَّةُ عُلماءِ المُسلِمين المرتبِطين بِالتاريخِ الإسلاميِّ القائمِ على احتِرامِ الأمواتِ والأحياءِ، والمُفتين بِجوازِ التوسُّلِ والاستِغاثةِ والاستِشفاعِ بِالشروطِ الشرعيةِ (سدنةُ قُبورٍ) و(كهنةُ معابِدَ) ويجِبُ محاربتهم وقتلهم.

هو ملاحظ اليوم في الأمة نسأل الله السلامة، ولم تشر الأحاديث إلى شيء من الشرك الذي هو أعظم الذنوب ولا لشيء من العقوبات التي تحل بالقبوريين كما يسميها أهل هذا الفهم الغريب، وإنما يكون الهلاك والخسف والرجف بما تزينه الأنظمة من الفنون والثقافات والمعاملات الربوية التي عمت بلاد المسلمين وطمت، وفيها يقول ﷺ: «**لابد من مسخ وخسف ورجف**»، قالوا: يا رسول الله، في هذه الأمة؟ قال: «**نعم، إذا اتخذوا القيان واستحلوا الزنا، وأكلوا الربا، واستحلوا الصيد في الحرم، ولبس الحرير، واكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء**» «سبل الهدى والرشاد» (١٠ : ١٩٥).

المِحـورُ الثالِـثُ : رعايـا المُسـلِمين في سـائرِ أقطـارِ الأرضِ ممن ينهَـجُ منهجَ المـدارِسِ الشـرعيةِ المُبيحةِ للزيـاراتِ والحوليـاتِ واحترامِ الأحيـاءِ والأمواتِ بضوابطِهـا الشـرعيةِ أو بالوقـوعِ في طرفَي الإفراطِ والغُلوِّ شُـعوبٌ قبوريـةٌ وعُبَّادُ أضرحـةٍ ومُشـركون.. ويشـملُهم مبدأُ التكفيـرِ الأساسـيِّ، الذي انطلـقَ بِه حملةُ التوحيـدِ السياسـيِّ « كُلُّ مَن تحتَ السـبعِ الطِّبـاقِ كافِرٌ على الإطـلاقِ » ، بِصرفِ النظرِ عمن ينفي هذه المقولةَ ، وينفي نظرَ المدرسـةِ إلى المُسلِمين عُلماءَ وشُعوبًا وإلى المشاهِدِ والقُبورِ بهذه الصورةِ ، فالأساسُ الذي انطلقَت منه الرؤيةُ كانَ ولا زالَ يحمِـلُ هذا الحُكـمَ ، أو على الأقلِ ينطلِقُ لِتحقيقِه ولَـو بالتدريجِ ، مِن خِلالِ انتِشـارِ أتباعِ المدرسـةِ وحملةِ الفِكرِ التكفيـريِّ المُتنامي ، سـواءً أعلنوا انتماءَهم لِمَوطِـنِ الفِكرةِ ، أوِ اسـتقلُّوا عنها ، فالعبرةُ بِالفِكـرةِ ورواجِها لا الجِهاتِ المُموِّلةِ لها ، ولا المحضَنِ المُهيِّئِ لها أسـبابَ الظُّهورِ ، فتِلكَ ينطوي كشـفُها على مخاطرَ جمَّةٍ وتعقيداتٍ خطيرةٍ .

مـعَ أن فِقـهَ التحوُّلاتِ وقِراءةِ علاماتِ السـاعةِ لا يُشيرُ في مجموعِه إلى شـيءٍ مِـن تُهمةِ ذلِكَ الكُفرِ أو الشـركِ المُبيـحِ لِهؤلاءِ أو لِغَيرِهم أعـراضَ ودِماءَ وأموالَ وعقائـدَ المُصلِّين ، ولا تُشـيرُ إلى مرحلةِ تجديدٍ للتَّوحيدِ علـى يدِ أحدٍ في مرحلةِ الغُثاءِ ، بل إنَّ علاماتِ الساعةِ تَصِمُ مثلَ هذه الأفاعيلِ بِالهَرْجِ والفِتنةِ ، وبِمشاركةِ المُستعمِرين والمستثمِرين في اقتسامِ مصالِحِ الثرواتِ على حِسابِ الأُمَّةِ المغلوبةِ في مرحلةِ الغُثاءِ والوهنِ وهذا ما نصَّت علَيهِ سُنَّةُ النبيِّ ﷺ وما ترتَّبَ على قِراءتِها في فِقهِ التحوُّلاتِ[1] كما سيأتي .

---

(١) بل إن السنة الشريفة أكدت سلامة المصلين في جزيرة العرب من الشرك وعبادة الأصنام ، وأن الذي يدور في المرحلة إنما هو التحريش بين المصلين بإدراك من فاعليه أو بغير إدراك

ظاهرتا الإفراط والتفريط هما المسؤولتان عن الصراع العقدي

لعدم اطلاعهم على الركن الرابع من أركان الدين ، ويؤيد هذا الأمر حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : خرجت مع رسول الله ﷺ من المدينة فالتفت إليها ، وقال : «**إن الله برأ هذه الجزيرة من الشرك**» . رواه أبو يعلى (٦٧٠٩) والبزار (١٣٠٥) والطبراني (١٠ : ٢٢٨) «سبل الهدى والرشاد» .

وقد بوب الإمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي المتوفى سنة ٩٤٢هـ في كتابه «سبل الهدى والرشاد ، الباب الحادي والعشرون» في إخباره ﷺ بأن جزيرة العرب لا تعبد فيها الأصنام أبدا ، وذكر الحديث : «**إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ، ولكن في التحريش بينهم**» . وعلق على ذلك بقوله : قال ابن مالك : (المصلون) المؤمنون عبر عنهم بالمصلين ؛ لأن صلاتهم هي الفارقة بين الإيمان والكفر ، وأضاف «العبادة» في قوله : «**أن يعبده**» إنما نسبها إلى الشيطان لكونه داعيا إليها . اهـ «ص٤٠٤ الجزء العاشر» .

وفي ذلك روى البزار في «مسنده» (٥٠٥) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن الشياطين قد يئست أن تعبد ببلدي**» ، هذا يعني المدينة والجزيرة العربية ، ولكن في التحريش بينهم . ذكره الهيثمي في «المجمع» (٣ : ٣٠٢) .

إن الشرك الأكبر هو الرياء في فهم السلف الصالح

ويؤكد هذا المنحى حديث عبادة بن نسي قال : دخلت على شداد بن أوس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مصلاه ، وهو يبكي فقلت : «يا أبا عبدالرحمن ما الذي أبكاك ؟ قال : حديث سمعته من رسول الله ﷺ ، فقلت : ما هو ؟ قال : بينما أنا عند رسول الله ﷺ إذ رأيت بوجهه أمرا ساءني ؛ فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله . ما الذي أرى بوجهك ؟! قال : «**أمر أتخوفه على أمتي من بعدي**» . قلت : وما هو ؟ قال : «**الشرك وشهوة خفية**» . قال : قلت : يا رسول الله ، أتشرك أمتك من بعدك ؟! قال : «**يا شداد ، أما إنهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا وثنا ولا حجرا ، ولكن يراءون الناس بأعمالهم**» . قلت : يا رسول الله ، الرياء شرك هو ؟ قال : «**نعم**» . قلت : فما الشهوة الخفية ؟ قال : «**يصبح أحدكم صائما فتعرض له شهوة من شهوات الدنيا فيفطر**» . رواه أحمد والحاكم في «المستدرك» (٧٩٤٠) وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

وأما ما يندذن عليه عساكر النقض والقبض ، وينفعلون من أجله فهو على أحد أمرين :

- غيرةٍ على التوحيد يجب الاستفادة منها بالنظر في تصحيح كافة الإفراطات اللفظية والعملية ، وتوجيه عامة المسلمين إلى السلامة في العقائد بالحكمة والموعظة

خنـعَ ، واقتنـعَ بها مَنِ اقتنعَ ، ومرَّتِ السـنواتُ تِلوَ الأُخرى حتَّى صارَ المُسـلِمون يُهلِـكُ بعضُهم بعضًا ، ويُكفِّرُ بعضُهم بعضًا ؛ فإنَّ الحقيقةَ التي لا زالَت في مَظَانِّها هي الحقيقةُ مهما تكاثرَت ضبابيةُ الباطِلِ ، ومنافيخُ سُـمومِ الجماعاتِ المخدوعةِ والفصائلِ ، ولكنَّها تحتاجُ في مُواجهتِها وترشيدِها إلى الشجاعةِ والمِصداقيةِ وأمَّا مسـألةُ الانحِرافِ عنِ الجادَّةِ وحُصولِ الإفراطِ في الاعتِقاداتِ والعباداتِ وسـيِّئِ العاداتِ ؛ فمسألةٌ يسهُلُ عِلاجُها ، بل هي العِلَّةُ التي لا بُدَّ مِن تصحيحِها والوُقوفِ أمامَ أوراقِها وعِلَلِها لدى الجميعِ . ومثلُها مثلُ الوُقوفِ أمامَ فِتنةِ التشريكِ والتكفيرِ ، فـكِلا الحالتَينِ إفراطٌ مَشـينٌ وتفريطٌ مهينٌ ، ولا شـكَّ أنَّ التصحيـحَ والإعادةَ يتمُّ بِأُمورٍ :

تصحيح فتنة التشريك للمسلمين

وجوب رد تهمة الشرك عن الأمة

أولُها : ردُّ شُبهةِ الشركِ الأكبرِ عن أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ ، وخاصَّةً شُبهةُ الشركِ المؤدِّيةِ إلى استِحلالِ الدِّماءِ والأعراضِ ، وإلصاقِ تُهمةِ الشـركِ الأكبرِ ، وإثارةِ الفَوضى الدينيةِ بها في عُمومِ بِلادِ المُسلِمين كما قد حصلَ .

ثانيها : أنَّ كافَّةَ الآياتِ والنُّصوصِ التي استدلَّتْ بها هذه المدرسةُ لا تنطبِقُ على المُسلِمين المُصلِّينَ وإنَّما موقِعُها الصحِيحُ مرحلتَينِ :

مرحلة الشرك الجاهلي الأوَّل

الأُولى : مرحلةُ الشِّركِ الجاهِليِّ التي حاربَها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وانتهَت بِفتحِ مكَّةَ

الحسنة دون لجاج أو إحراج .

- استتباعٍ لسياسة الخوارج في حمل الشبه على المصلين وتكفيرهم بها ، واستثمار هـذا الصـراع لإقصـاء آل البيـت والصوفيـة والمذهبية عـن موقع التأثيـر الروحي والاجتماعـي ؛ ليصفو الجو والزمان لمروجي التكفير والتبديع وأكل المال الحرام والمعامـلات البنكيـة الربوية وشـبه الربوية ، وغمـط حقوق الشـعوب من العمال والمصلين والسخرية بهم ، مقابل خدمة التوحيد السياسي المندرج ضمن علامات الساعة .

وإخراجِ الأصنامِ مِنَ الكعبةِ ومن كافَّةِ المواقِعِ الأُخرى في جزيرةِ العربِ فيما بعدَ ذلِكَ، وانحصرَت بعدَ ذلِكَ فيمَن بقِيَ مِن مُشركي العربِ ومن يرفُضُ الإسلامَ مِنَ اليهودِ والنصارى والأُممِ الكافِرة.

مرحلة العودة إلى الجاهلية

الثانيةُ: مرحلةُ العَودةِ إلى الجاهِليةِ الصريحةِ فيما بعدَ مَوتِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فأمَّـا **المرحلةُ الأولى**: فقـد حاربَها رسـولُ اللّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، واجتُثَـت آثارُها الصنميةُ والعقديةُ بِهدمِ دُورِ العِبادةِ وإزالةِ الأصنامِ مِنَ الكعبةِ وما حولَها. وبقِيَت كما أشرْنا لـدى الأعرابِ وأشـباهِهم بعضُ الظواهِرِ والمفاهيمِ التي قـامَ الصحابةُ والتابِعونَ بإزالتِها وتتبُّعِ آثارِها، ولم يبقَ مِنها في الأُمَّةِ شـيءٌ يُذكَر ما عدا ما شـابَ العِباداتِ والمُعتقـداتِ مِنَ الإفـراطِ والتفريطِ في بعضِ الأحوالِ نتيجـةَ تراكُماتِ المراحِلِ وشُـمولِ الجهـلِ، ودُخـولِ بعـضِ المفاهيـمِ الخاطِئةِ مِـنَ الاحتكاكِ بالشُّـعوبِ الغازيةِ[1].

المرحلة الثانية بعد موت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

وأمَّا **مرحلةُ العَودةِ**: إلى الشِّـركِ الأكبرِ المنصوصِ علَيهِ في آخرِ الزمانِ فمحدَّدٌ بمـا بعدَ مَوتِ عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبصفتِه المنصوصِ علَيهـا في الحديثِ: «**لا يذهبُ اللّيلُ والنهارُ حتَّى تُعبَدَ اللّاتُ والعُزى**». فقلت: يا رسولَ اللّهِ إن كُنتُ لأظنُّ حينَ أنـزلَ اللّـهُ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف:٩] أنَّ ذلِكَ تامًّا، قالَ: «**إنَّه سـيكونُ من ذلك ما شـاءَ اللّهُ، ثُمَّ يبعثُ اللّهُ رِيحًا طيِّبـةً فتُوفِّـي كُلَّ مَـن فـي قلبِه مِثقـالَ حبَّةِ خـردلٍ من إيمـانٍ فيبقى مَـن لا خيرَ فيه**

---

(١) كما هو في إفراطات بعض الشعوب التركمانية والمغولية خلال فتوحات الدولة العثمانية، أو في تفريطات ومعتقدات الشعوب الغازية كالدول الاستعمارية ودورها في إضعاف العلم ودور العلماء وتشـجيع الخرافات والعادات الشعبية، ونفث سموم التسييس الاستعماري في المجتمعات المسلمة، ولا زال هذا الأمر سائدا إلى اليوم.

فيرجِعون إلى دينِ آبائهم»[1].

وهـذَا الحديـثُ يربِطُ بَينَ الشـركِ وقبـضِ أرواحِ المؤمنين، وهـذا من علاماتِ الساعةِ بعدَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقبلَـه حديـثُ ثوبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـالَ: قالَ رسـولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا تقومُ السـاعةُ حتَّى يلحقَ قبائلُ مِن أُمَّتي بالمشركين، وحتى يعبُدوا الأوثانَ**»[2].

ما بَينَ بعثة النبي مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإلى نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ينحصر الشرك الأكبر في اليهود والنصارى وأهل الأوثان

أمـا مـا بَينَ بعثـةِ النبيِّ مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى نُزولِ عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ بل إلى موتِه فالشـركُ الأكبرُ محصورٌ في اليهودِ والنصارى وأهلِ الأوثانِ مِنَ الأُممِ الأُخرى. هذه الأُممُ التي وجبَ علينا إدخالُها إلى الإسلامِ ونشرِ الدعوةِ إلى اللَّهِ فِيها لإنقاذِها مِنَ الكُفرِ والنارِ، وهذا ما عمِلَه الأسـلافُ وحقَّقوه في العالمِ الإنسـانيِّ، أمَّا اليَومَ فإنَّ هذه الأُممَ الكافِرةَ تعملُ مِن خِلالِ الوسـائلِ المُتنوِّعةِ على إفسـادِ المُسـلِمين وتفكيكِ عِلاقتِهم بِثوابتِ الديانةِ مِن خِلالِ سياسةِ العِلمانيةِ والعلمنةِ والعولمةِ تعليمًا وتربيةً وسياسـةً واقتِصادًا واعتِقادًا كجُزءٍ مِن سياسـةِ المرحلةِ الغُثائيةِ المنصوصِ علَيها، حتَّى يرمي المسـلمُ المسلمَ بِالشركِ أوِالكُفرِ اسـتِتباعًا لِسَـنَنِ اليهودِ والنصارى، الذين فعلوا ذلِكَ مِن قبلُ، وإليه يُشيرُ حديثُ: «**لَتتبِعُنَّ سَنَنَ مَن كانَ قبلَكم ...**». الحديث. وهذه علامةٌ مِن علاماتِ الساعةِ في الأُمَّةِ، ومفادُ الحديثِ حُصولُ هذه الظاهِرةِ في المُسلِمين على صِفتَين:

ظاهرة الاستتباع للمشركين في آخر الزمان في خلافاتهم المذهبية كصراع البروتستانت والكاثوليك

(١) تبنِّـي بعضِ المُسـلِمين سياسـةَ التحريشِ بإشـاعةِ تُهمةِ التشـريكِ والتكفيرِ بِشُـبَهِ الاعتِقـادِ كإحـدى وسـائلِ النقـضِ والقبـضِ الموعودِ بِـه في آخِـرِ الزمانِ،

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٠٧).

(٢) «سنن الترمذي» (٢٢١٩).

وذلِكَ بِاستِتباعِ فِكرةِ الصِّراعِ العقديِّ لدى فِرقِ اليهودُ والنصارى ، كالصِّراعِ بَينَ البُروتستانتَ والكاثُوليكَ وغيرِهم ، وإِنجاحِ هذا الصِّراعِ بِدعمِ القُوى الاستِعماريةِ معَ بدايةِ مرحلةِ الغُثاءِ إلى اليَومِ داخِلَ حظيرةِ الأُمَّةِ الإسلاميةِ .

نجاح سياسة التحريش في تفريق الأمة مقابل الحصول على الهيمنة الاقتصادية والسياسية

وقد نجحَت هذه السياسةُ وفرَّقَت أُمَّةَ التَّوحيدِ بِالشُّبُهاتِ مُقابِلَ حُصولِها على الهَيمنةِ الاقتِصاديةِ والسياسيةِ ، وما تلاها مِن تهيئةِ أسبابِ الغِذاءِ والدواءِ والأمنِ مُقابِلَ التضحيةِ بِالمنهجِ الأبويِّ التقليديِّ وركائِزِه .

ولا زالَتْ عناصِرُها المُسَيَّسةُ وغيرُ المُسَيَّسةِ تعملُ على الإثارةِ والتحريشِ مِن خِلالِ الوسائلِ الإعلاميةِ والشعبيةِ والمُناسباتِ .

(٢) حجزُ الشُّعوبِ المُسلِمةِ بعدَ استِعمارِها ، وفصلُ بعضِها عن بعضٍ ، ونقضِ قرارِها الإسلاميِّ ؛ لِتتحوَّلَ عبرَ التاريخِ الاستِعماريِّ والاستِهتاريِّ إلى شُعوبٍ عِلمانيةٍ وشِبهِ عِلمانيةٍ بِتغييرِ مناهِجِ التربيةِ والتعليمِ والثقافةِ والإعلامِ وغَيرِها .

ومِثلَما جرى بعدَ الحربَينِ العالميتَينِ مِن إلحاقِ شُعوبِ شرقِ أوروبا كالروسِ والمجرِ وبُلغاريا والصِّربِ والبوسنةِ والهرسكِ وغيرِها مِنَ المُقاطعاتِ الإسلاميةِ سابقًا بِالفِكرِ الاشتراكيِّ الشُّيوعيِّ وإِلحاقِ البِلادِ التُّركيةِ بِالفِكرِ العِلمانيِّ ثم الرأسِماليِّ ، مِمَّا أظهرَ أجيالًا مِنَ المُسلِمين تحتضِنُ الرؤى الكافِرةَ وشبهَ الكافِرةِ .

ومثلُ هذا ما يجري إلى الآنِ مِن سياسةِ التنصيرِ الإجباريِّ عبرَ التجويعِ والتطبيعِ في إفريقيا والصُّومالِ وغيرِها لِضحايا الحُروبِ وضحايا المجاعاتِ ، وما تبثُّه جمعيَّاتُ التبشيرِ داخِلَ الأوطانِ المُستذَلَّةِ مِنَ الإلحاقِ المُسَيَّسِ بِالنصرانيةِ وغَيرِها ؛ لينخرِطَ في سلكِها المُنحرِفِ بعضُ الأفرادِ والجماعاتِ المضطرين إلى الطعامِ والشرابِ والإيواءِ .

علة الأُمَّة : الإفراط والتفريط

وأمـا حقيقةُ أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ فعِلَّتُها الحقيقيةُ في الإفراطِ والتفريطِ ، ومِنَ الإفراطِ ما يُؤدِّي إلى شُبهةِ الشِّركِ ولا يثبُتُ به ، ومِنَ التفريطِ ما يُؤدِّي إلى مِثلِ ذلِكَ ، ومِنَ الإفـراطِ في الاعتِقاداتِ مـا يقعُ فيه البعضُ من تقديسِ الأمـواتِ والآثارِ الصنميةِ القديمـةِ ، واعتِقـادِ الضُّرِّ والنفعِ في أربابِها مِن دونِ اللَّهِ بِما يُخرجُ المُعتقِدَ عن حدِّ الاعتِدالِ المشـروعِ ، ومثلُه الإفراطُ أيضًا في إصدارِ الحُكمِ على مَن يُمارِسُ مثل هذه الاعتِقاداتِ[1] .

---

(١) كمـن فسـر حديث (ذي الخَلَصَـة) المذكور في علامات السـاعة بقوله : (فـإن قبيلة دوس ومـا حولها مـن العرب قد افتتنوا بذي الخلصـة عندما عاد الجهل إلى تلـك البلاد فأعادوا سيرتهما الأولى ، وعبدوها من دون الله ... إلخ ما ذكره من تخريبها على يد دعاة التوحيد «أشراط الساعة » ص١٦٢/ يوسف عبدالله الوابل .

أو كذلك ما فسـره صاحب «إتحاف الجماعة» ص٢٢٥ جزء٣ ، فقال : «وقد وقع الأمر طبـق مـا أخبر به رسـول الله ﷺ في هـذا الحديـث ـ أي: حديث «ذي الخلصـة» ـ وعظم افتتـان أهـل تبـال ومن حولهم مـن القبائل بذي الخلصـة وأعادوا سـيرتها الأولى في زمن الجاهليـة ... إلـخ » . إلى أن قال : «وزال الافتتان بها في زمن ولاية النجديين على الحجاز ولمـا زالـت ولايتهم عن الحجاز عاد الجهال إلـى ما كانوا عليه من الافتتان بها ، حتى ولي الملـك عبدالعزيز على الحجـاز وما حوله ، فبعث عامله على تلك النواحي فهدموا ما بقي من بنائها، ورموا بأنقاضها في الوادي ؛ فعفى بعد ذلك رسمها وانقطع أثرها» .

قلـت : وهـم قد فعلـوا خيرا بما هدموه من مظهـر الجاهلية إلا أن هـذا لا يرتبط بمفهوم الشـرك ، وإنمـا هو الإفراط فـي الاعتقاد ، والـذي يصيب بعضَ المسـلمين ، وقد عُممت تهمـة الشـرك في الجزيرة على كثير من مواقع قبـور الصحابة وآل البيت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والأولياء واعتبروهـا عبادة لمظاهر الشـرك الأكبر ، ولكن عند النظر الصحيـح في النصوص وقراءة فقه التحولات وعلامات السـاعة كما تحدث عنها من لا ينطق عن الهوى ﷺ فسـنجد أن ما سـموه شـركا أكبر ـ وطهـروا منه الجزيرة ـ إنما هـو الإفراط مقابل ما وقعـوا هم فيه من التفريط ، أما الشرك الأكبر وظهور عبادة الأوثان ـ ومنها ذو الخلصة واللات والعزى ومناة وغيرها ـ فستعود مرة أخرى إلى الجاهلية بعد مرحلة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، كما نص عليها رسول

ومآلُ مِثلِ هذا الإفراطِ في الحُكمِ إلى وُجوبِ تعليمِ المُسلِمين بِنشرِ الدعوةِ إلى اللَّهِ بِالحكمةِ والموعِظةِ والحسنةِ .. ولَيسَ بِالتكفيرِ والتشريكِ وإصدارِ الأحكامِ المُسبقةِ على عُمومِ الأُمَّةِ .

تحولت محبة الأولياء إلى حرب عقدية حتى وقع المفرِّط في الإعجاب باليهود والنصارى والمفرِط بالطعن فيهم والاستصغار

والتفريطُ هو التجافي عنِ الحقِّ ، والنظرُ إلى الأُمَّةِ بِعَينِ الشكِّ وسُوءِ الظنِّ ، وإفسادُ عِلاقةِ الشُّعوبِ المُسلِمَةِ فيما بَينَها ، وتحويلُ محبَّةِ الأولياءِ فِيها وآلِ البَيتِ النبويِّ إلى عداوةٍ وحربٍ عقديةٍ مُسَيَّسَةٍ ، حتَّى يقعَ المُفرِّطُ بِسببِ ردَّةِ الفِعلِ ـ كما هو قائمٌ الآنَ ـ في تقديسِ وتعظيمِ اليهودِ والنصارى والنظرِ إلى أفكارِهم وعُلومِهم بِعَينِ التعظيمِ ، ويقابِلُه النقدُ والطعنُ والاستِصغارُ لِلأولياءِ ونفضُ اليدِ تمامًا عنِ الاعتقادِ في كُلِّ مُؤمنٍ صالِحٍ ، ووصفُ الصلاحِ ومظاهِرِه بِالمصالِحِ والحِيَلِ والشعوذةِ وغيرِ ذلِك .

والخيرُ كُلُّ الخيرِ لنا جميعًا أن نتوبَ إلى اللَّهِ ونعرِفَ حقَّ بعضِنا على بعضٍ أحياءً وأمواتًا ... ومِن ثَمَّ يُصحَّحُ في الجميعِ الإفراطُ والتفريطُ ، وكفى بِاللَّهِ ولِيًّا وكفى بِاللَّهِ شهيدًا .. فهل مِن مُستجيبٍ ؟

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

الله ﷺ .

ولو رجعنا للنصوص فإن الشرك الأكبر في مرحلة البعثة كان اسما للرياء لا غير ، كما فهمه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وفي «المعجم الأوسط» للطبراني (١٩٦) عن يعلى بن شداد بن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : «كنا نعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأكبر» ، وفي «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٧٩٣٧) عن يعلى أيضاً قال : «كنّا نَعُدُ على عَهدِ رَسولِ الله ﷺ أنَّ الرِّياءَ الشركُ الأصغرُ» قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

الأجِهزةُ الإعلاميةُ ووسائلُ الفُحشِ

وسائل الفحش علامة صغرى

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى المشارِ إليها في الأحاديثِ الشريفةِ ظهورُ الفحشِ والتفحُّشِ وسوءِ الخُلُق، وإلى ذلك يُشِيرُ الحديثُ عنِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : «إنَّ مِن أشراطِ الساعةِ أن يظهرَ الفُحشُ والتفحُّشُ وسُوءُ الخُلُقِ وسُوءُ الجِوارِ»[1].

دور الأجهزة الإعلامية في إظهار الفحش والتفحش

وفي هذا الحديثِ إشارةٌ إلى ما تبثُّه العديدُ مِنَ الأجهزةِ الإعلاميةِ مِنَ الأفلامِ والصُّورِ الخليعةِ مِن جانبٍ، وما يحصُلُ مِن فُحشِ القَولِ في وصفِ الصِّراعِ المُفتعلِ بَينَ الجماعاتِ والحُكوماتِ وتناوُلِ بعضِهمُ البعضَ مِن جهةٍ أُخرى[2] ، إمَّا في الإعلامِ أو في البرامجِ الانتِخابيةِ واستِغلالِ الأخطاءِ والجُنوحاتِ للتشويهِ ، ومِن ذلك ما يُستخدَمُ في أجهزةِ الشبكةِ العنكبوتيةِ مِن عرضِ الصُّورِ والأفلامِ الماجِنةِ وفتحِ المواقعِ الخاصَّةِ لِذلِكَ ، وحُريةِ التواصُلِ معَ أولئكَ القائمين علَيها، لإفسادِ الأجيالِ وإثارةِ الجدلِ وإضاعةِ الشرفِ والمالِ .

من ظواهر الفحش ما يباع ويشاع في الأفلام والملابس

ومِن ظواهِرِ الفُحشِ والتفحُّشِ : ما يُباعُ ويُشاعُ في الأسواقِ مِنَ الأفلامِ وأقراصِ الأجهزةِ الحديثةِ الحامِلةِ لِصُورِ الرُّعبِ والدِّماءِ والعُنفِ والسحرِ والرقصِ الماجِنِ، وحصولُ الشبابِ والناشئةِ علَيها بيُسرٍ وسُهولةٍ دونَ خَوفٍ أو مُراقبةٍ مِن أيِّ جِهةٍ رسميةٍ أو شبهِ رسميةٍ في الواقِعِ المرذولِ .

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٥٤٨) .

(٢) أو ما يفعله بعض المنسوبين لمدارس القبض والنقض من صور إعلامية وتعليقات انتقائية ، هدفها تشويه عقائد المسلمين ورميهم بالشرك والكفر ، وإثبات ذلك فيهم مع إسقاط وتنزيل الآيات والأحاديث على ما ينتقى من الصور والمظاهر المفرطة ، والتي ترسخت غالبا في مراحل التحولات السياسية والاجتماعية القبلية ذات الارتباط بالتسييس الاستعماري وما تلاه .

من ظواهر الفحش مشاركة الجيل في الأندية المختلطة

كمـا أنَّ مِـن صُـورِ الفُحـشِ والتفحُّـشِ تشـجيعَ الأولادِ والبنـاتِ علـى دُخولِ أنديـةِ الرقـصِ الخليعِ ومواقِعِ الاختِلاطِ الماجِنِ، والتعلُّـلَ بأنَّ هذا جُزءٌ مِن حياةِ الشُّـعوبِ وثقافتِهـا، مِمَّـا دفعَ بِالعشـراتِ والمِئـاتِ مِن جيلِ المُسـلِمين إلى هذه المعاهِـدِ والأنديـةِ. وغـدَتِ اليَـومَ في بعـضِ بِلادِ المُسـلِمين جزءًا لا يتجـزَّأُ مِن الثقافـةِ المُعاصِـرةِ، بل إنَّ ثقافـةَ الفُحشِ والتفحُّـشِ امْتَدَّتْ في بعـضِ البلادِ إلى أَقْصَى درجاتِها الإعلاميةِ والاجتِماعيةِ كظاهِرةٍ مِن ظواهِرِ المرحلةِ.

ولعـلَّ الشـاهِدَ العدلَ ـ إذا صحَّـتِ العِبارةُ ـ والرائدَ الذي لا يكـذبُ عِندَ هؤلاءِ الرافضين حقائقَ ما يُذكَرُ عن حالِهم وأحوالِهم وأفلامِهم ومسـارِحِهم المعروضةِ في أجهزةِ إعلامِهم. هذا في الحدِّ الأدنى المسـموحِ بِهِ أمامَ سـمعِ وبصرِ الآمرين بِالمعـروفِ والناهيـنِ عـنِ المُنكـرِ. أمَّـا بقيـةُ المُسـلِمين فـي الأنظمـةِ المفتوحةِ والمؤسساتِ الطموحةِ فالمسألةُ أكبرُ مِن حجمِ الوصفِ والتعليلِ.

بـل إنَّ الفُحـشَ والمعاصـيَ واسـتِحلالَ الكبائـرِ داخِـلَ أقبيةِ بعضِ المُسـلِمين وبيوتِهم واسـتراحاتِهِمُ الشـخصيةِ يعكِسُ حالةً مِنَ التردِّي للديانةِ والإسـلامِ مِمَّا يُؤدِّي إلى حُصولِ الخسـفِ والقـذفِ والرجفِ والزلازلِ المؤثِّـرةِ على المُجتمعِ كُلِّه بِصرفِ النظرِ عن سلامةِ المعتقدِ ووُجودِ الصالحين.

وهـا نحـن اليَومَ نشـهدُ مظاهِـرَ الرجفِ والـزلازِلِ في بعـضِ البِقـاعِ القريبةِ مِنَ الأراضـي المُقدَّسـةِ وفي غيرِها مِـنَ البِلادِ؛ نتيجـةَ المعاصي والظُّلـمِ وأكلِ الرِّبا واستحلالِ الحُرُماتِ، سواءٌ بِالتجاهُرِ بها علنًا أو بوجودِها ضِمنَ الحياةِ الخاصةِ، أو تشـجيعِ مظاهِرِهـا الثقافيـةِ والإعلاميةِ المُروِّجـةِ في المعروضـاتِ مِنَ الأفلامِ وثمـراتِ الأقلامِ، وسُـكوتِ أهلِ الأمرِ بِالمعروفِ والنهـيِ عنِ المُنكرِ عن ذلِكَ،

سواءٌ برضًى مِنهم أو بعدمِ الرِّضى مِنهم عن ذلِكَ .

وإلى مِثلِ ذلِكَ يُشيرُ حديثُ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ : «إذا اتُّخِذَ الفَيءُ دُولًا ، والأمانةُ مغنمًا ، والزكاة مغرماً ، وتُعُلِّمَ لِغَيرِ الدينِ ، وأطاعَ الرجُلُ امرأتَه وعقَّ أمَّه ، وأدنى صديقَه وأقصى أباه ، وظهرَتِ الأصواتُ في المساجِدِ وسادَ القبيلةَ فاسِقُهم ، وكانَ زعيمُ القومِ أرذلَهم ، وأُكْرِمَ الرجُلُ مخافةَ شرِّه ، وظهرَتِ القَيناتُ والمعازِفُ ، وشُرِبَتِ الخُمورُ ، ولعنَ آخِرُ هذه الأُمَّةِ أوَّلَها ؛ فليرتقِبوا عِندَ ذلِكَ ريحًا حمراءَ وزلزلةً وخسفاً ومسخًا وقذفًا وآياتٍ تَتَابعُ كنِظامٍ بالٍ قُطِعَ سلكُه فتتابعَ»[1] .

وها نحن نشهدُ الكثيرَ مِن هذه الظواهِرِ في بِلادِ العالمِ العربيِّ والإسلاميِّ ، ومِنها ما اجتمعَتْ فيه كُلُّها ، ومِنها بعضُها ، والعياذُ باللَّهِ .

إنَّ فِقهَ التحوُّلاتِ يكشِفُ بُوضوحٍ الحالةَ المرضيةَ في الأُمَّةِ بعدَ تشخيصِها، وقد عاشَ المُنفِّذون في الأُمَّةِ يلعبون الأدوارَ المُتنوِّعةَ لإنجاحِ تغلغُلِ الثقافةِ الغازيةِ مرحلةً بعدَ أُخرى ـ ولا زالوا ـ ولِلأسفِ ، كظاهِرةٍ تُؤكِّدُ قولَ مَن لا ينطِقُ عنِ الهوى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

شربُ الخمرِ واستِحلالِها

شرب الخمر واستحلالها علامة صغرى

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى فُشُوُّ الخمرِ وشُرْبِها لِمَا روى الإمامُ مُسلِمٌ في صحيحِه عن أنسِ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : «سمِعتُ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقولُ : «مِن

---

(١) رواه الترمذي (٢٢١١) وذكره في «المستصفى» ص ٨٦١ وذكره الغماري في «مطابقة الاختراعات» ص ١٣٠ .

أشراطِ الساعةِ ... » وذكرَ مِنها «ويُشرَبَ الخمرُ ...» [1].

وفي حديثٍ آخرَ : «لتستحِلَنَّ طائفةٌ مِن أُمَّتي الخمرَ باسمٍ يسمُّونها إياه» [2] .

ظاهرة تغيير اسم الخمر وشربها بَينَ المُسلِمين

والخمرُ في اللُّغةِ : اسمٌ لِما خامرَ العقلَ وخالطَه ، ويُطلَقُ علَيها في زمانِنا هذا عدةُ أسماءٍ منها المشروباتُ الرُّوحيةِ ، وقد كانَت في عُصورٍ سلفَت شيئًا غريبًا وفعلًا مُريبًا في العالمِ الإسلاميِّ ، ولكنَّها خِلالَ مراحِلِ التطبيع الاستِعماريِّ والاستِهتاريِّ والاستثماريِّ صارَتْ سُلوكًا مُعتادًا لدى بعضِ القادةِ والمثقفينَ الحائِرينِ ، والفسقةِ والعُصاةِ ، والفنَّانين ونُجومِ الغِناءِ والتمثيلِ ، إلَّا مَن رحِمَ اللَّهُ .

وقد أخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ مِن علاماتِ الساعةِ استِحلالَها ـ أي : اعتبارِها مشروبًا حلالًا لا إِثمَ علَيهِ ، ولا حُرمةَ في تعاطيه ـ مِمَّا يترتَّبُ علَيهِ المُجاهرةُ بِشربِها واتِّخاذِ المصانعِ والحوانيتِ لِبَيعِها وترويجِها [3] .

ترويج المخدرات

ويليها في الانتِشارِ والترويجِ (المُخدِّراتُ) ، وهي تدخُلُ تحتَ معنى مُخامرةِ العقلِ والإسكارِ ، وحُكمُها حُكمُ الخمرِ مِن حيثُ التحريمُ والعُقوبةُ وإقامةُ الحدِّ الشرعيِّ على شارِبها ، وقدِ ابتُلِيَت بِلادُ المُسلِمين بهذه العِلَّةِ ، حتَّى صارَت إحدى مشاكِلِها الاجتِماعيةِ الخطِرةِ ، بِل صارَ بعضُ القائمين على مُحاربتِها هم رُوَّادُ تسويقِها وحُماةُ استيرادِها وتصديرِها في الأَوطانِ المغلوبةِ .

---

(١) «صحيح البخاري» (٨٠) و«صحيح مسلم» (٢٦٧١) .

(٢) «مسند أحمد» (٢٢٧٠٩) .

(٣) وقد ظهرت هذه الحالة بشكلها المتميز والمنتشر منذ بدايات عهد الاستعمار وتأثر المسلمين بالحضارة الأروبية واختلاط المسلمين بهم من خلال البعثات والدراسات والثقافات والارتباطات السياسية والاقتصادية .

إسقاط الحدود الشرعية تبعا لرغبة جمعيات حقوق الإنسان

وكفى انحِدارًا في بِلادِ الإسلامِ كُلِّها إسقاطُ حُدودِ المعاصي كالسرقةِ وشُربِ الخمرِ وحدِّ الزِّنا ... إلخ، والتخوُّفُ مِن هيمنةِ الكافِرِ المُطالِبِ بِحقوقِ الإنسانِ ـ أي: بِحمايةِ السارِقِ والزاني ـ واعتبارُ الحُدودِ الشرعيةِ حُريةً شخصيةً يجِبُ تنظيمُها وحُسنُ المُعاملةِ معَ مُرتكِبيها، دونَ إقامةِ الحدِّ الشرعيِّ الواجِبِ عِندَ ثُبوتِ الجريمةِ .

ويبدو أنَّ الخللَ التربويَّ والثقافيَّ والاقتِصاديَّ وغَيرَه قد هيَّأَ أسبابَ الاستِغراقِ في هذه الانحِرافاتِ الخطيرةِ، ووسَّعَ دائرةَ المقارفةِ لها بَينَ المُسلِمين تحتَ تبريراتٍ شَيطانيةٍ وحِيَلٍ إبليسيةٍ نفسانيةٍ ... كالقلقِ والاكتئابِ وشُمولِ الهمِّ والضيقِ والهُروبِ مِنَ المشاكِلِ وتناقُضاتِ الواقِعِ وغيرِها مِنَ المعاذيرِ التي صارَت ذرائعَ لدى ضِعافِ النُّفوسِ لِشُربِها .

ظاهِرةُ تعظيمِ ربِّ المالِ

تعظيم أرباب الأعمال ورجال المال علامة صغرى

ومِنَ العلاماتِ الصغرى المُشارِ إلَيها في آخِرِ الزمانِ بَينَ المُسلِمين تعظيمُ ربِّ المالِ، ووردَت هذه الظاهِرةُ ضِمنَ مجموعةٍ مِنَ الظواهِرِ التي تُصابُ بها الأُمَّةُ، ومِنها حديثُ: «إذا اقتربَ الزمانُ كثُرَ لُبسُ الطيالسةِ، وكثُرَتِ التِّجارةُ وكثُرَ المالُ، وعُظِّمَ ربُّ المالِ بِمالِه ... إلخ»[1] .

وحديثُ: «لِما حجَّ النبيُّ ﷺ حِجةَ الوداعِ أخذَ بِحلقتَي بابِ الكعبةِ ثُمَّ أقبلَ على الناسِ، فقالَ: «يا أيُّها الناسُ ألا أُخبِرُكم بِأشراطِ القيامةِ؟ إنَّ مِن أشراطِ القيامةِ إماتَةُ الصلواتِ، واتِّباعُ الشهواتِ، والمَيلُ معَ الهوى، وتعظيمُ ربِّ المالِ...

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٥٤٦٥) و«المعجم الأوسط» للطبراني (٤٨٦٠) .

تداخل العلامات المؤدية إلى تعظيم رب المال

إلخ»[1] . وحديثٌ ـ مِن طريقٍ آخَرَ ـ رواه ابنُ مردويه وفيه : «إنَّ مِن أشراطِ الساعةِ إضاعةُ الصلاةِ ، والمَيلُ إلى الهوى ، وتعظيمُ ربِّ المالِ» .

وهـذه الظاهِـرةُ قد بلغَتِ اليَـومَ أوجَها وشِـدَّتَها ، ومعَ وُجودِها بَيـنَ الناسِ فقد حلَّت على ما يبدو مُقابِلَ ضياعِ أمرٍ آخَرَ ، وهو ما كانَ مِن قبلُ مِن تعظيمِ الصالِحين مِـنَ الأولِيـاءِ ورِجـالِ الأحـوالِ ، ولعلَّها عُقوبـةٌ علـى المُتأخِّرين الذين اشـتغلوا باسـتِنقاصِ أوليـاءِ اللَّـهِ والطعنِ في عقائدِهـم وأحوالِهم ؛ فكانَ البديـلُ لها أنكى وأطـمَّ ، وهـو تعظيمُ ربِّ المالِ لِمالِه . بل صارَت مدرسـةُ تعظيمِ ربِّ المالِ هي ـ ذاتُهـا ـ المُتولِّيَةُ تحقيرَ الصالِحين ورِجالِ الأحوالِ بِما تتناوله عنهم مِنَ الشُّـبُهاتِ المُتنوِّعةِ ، وسـيجِدُ المُرتابُ فيما نقولُ مُخرجاتِ كتاباتِ هذه المدرسةِ وفروعِها عنِ الأولياءِ والصالِحين مُنتشِـرةً في المكاتِبِ والأسـواقِ .. وهمُها الكبيرُ تشـويهُ الأولياءِ ومَن أحبَّهم وتعلَّقَ بهم وزارَهم .

بـل زادَ تفنُّنُهم فـي ثلبِ هذه الظاهِرةِ حتَّى جعلوها شِـركًا أكبرَ بِمـا يفعلُه بعضُ المُسـلِمين مِنَ التوسُّلاتِ والاستِغاثاتِ والاستِشفاعِ حيثُ اعتبرَتها هذه المدرسةُ عملًا شـركيًّا خالِصًا ، وبهذا صارَ الأولياءُ الصالحون في قاموسِ مدرسـةِ النقضِ والقبضِ طواغيتَ وأصنامًا ، والزائرون مُشرِكين وكفرةً[2] ، والعُلماءُ سدنةٌ وكهنةٌ .

---

(١) عـن ابـن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، رواه القاضـي أبو الفـرج المعافي بـن زكريا في كتابـه «الجليس والأنيس» ، وهو ضعيف ، ولبعضه شواهد .

(٢) مع أن مسألة التوسل والاستشفاع والاستغاثة في منهج الإسلام على ثلاثة أقسام :

١ . واجبة بالله وأسمائه وصفاته .

٢ . جائزة بالأعمال الصالحة والذوات الحية .

٣ . مختلف عليها بالذوات الميتة .

رفض تعظيم الأولياء وأهل الأحوال أدى إلى البديل المناسب: ظاهرة تعظيم رجال المال والأعمال

وكانَ بهـذا حُصـولُ البديـلِ الآخَـرِ ، وهو تعظيـمُ ربِّ المالِ ، ممَّن يُسـمَّون في زمانِنـا بِرِجالِ «المالِ والأعمـالِ» وتعظيمُ مقاماتِ وبُنوكِ ومواقِـعِ حركةِ الأموالِ والبُورصاتِ معَ أنَّ المالَ مشـوبٌ بالرِّبا والشُّـبهةِ ، ومُخرجٌ مِن مُخرجاتِ الخِدمةِ للـدَّورةِ الرِّبويـةِ العالميةِ ، وخاصَّةً فـي مجالاتِ الاسـتِثماراتِ الكُبرى ، بل صارَ المُسـلِمون فـي المراحِـلِ المُعاصِـرةِ يعتمِـدون اعتِمـادًا كُليًّـا على رِجـالِ المالِ والأعمالِ في مجالِ الاسـتِثماراتِ المُتنوِّعةِ ولو مِن غَيرِ المُسـلِمين، يُسهِّلون لهم كافَّةَ الأسبابِ لِترغيبِهم في الاستِثمارِ ، وكفى بِمُلاحظةِ الواقعِ العربيِّ والإسلاميِّ حُجَّةً .

لقـد صـارَتِ البدائلُ الأُخـرى كالمالِ الحـرامِ ومصارِفِه وخِدْماتِه واسـتِثماراتِه صُورةً حضاريةً يتناولُها ويتعاملُ بها كافَّةُ أتباعِ المدرسـةِ الرِّبويةِ وعُلمائها وقادتِها ولا حرجَ في ذلِكَ ولا ريبَ ، بل لا يستطيعُ أكثرُهم حِرصًا على كِتابِ اللَّهِ وسُنَّةِ نبيِّه أن يُحرِّكَ سـاكِنًا أمامَ طُغيانِ المدرسةِ الرِّبويةِ وترويجِ مُعاملاتِ الأسهُمِ والشراكةِ الاقتِصاديةِ والتأميناتِ المشبوهةِ (يُسمُّونها بِغَيرِ اسمِها) وكأنما هي قد كانَت على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه !

ظُهورُ المعازِفِ واستِحلالُها

ظهور المعازف واستحلالها علامة صغرى

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى ظُهُورُ المَعَازِفِ ، والمعازِفُ هي آلاتُ الملاهي كالعُودِ والطنبورِ والمِزمارِ وغيرِها .

بناء المؤسسات الثقافية المخصصة للفنون

وهـذه العلامةُ قـد ظهرَت فـي أزمانٍ مُتعـدِّدةٍ ولكنَّها فـي أُخرياتِ الزمـانِ أكثرَ انتِشارًا وأثرًا وتأثيرًا مِن حيثيَّاتٍ كثيرةٍ مِنها :

- اعتِناءُ الأنظمةِ والمؤسَّساتِ الثقافيةِ بِالقَيناتِ والفنَّانين والفنَّاناتِ تبعًا للتأثُّرِ

بِالعالَمِ الاسـتِعماريِّ والاسـتثماريِّ، وهُو مِن جِنسِ الاستِتباعِ لِلأُممِ الذي يظهرُ في أُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ.

- ازدِيادُ شـعبيةِ وجماهيريةِ نُجومِ الفنِّ كما يُسـمَّون لدى العـوامِّ والمُثقَّفين، والنظرُ إلَيهم بِعَينِ التعظيمِ والتقديرِ بعدَ لين عرائكِ الشـعوبِ، واسـتِتباعِها بِليـنِ عرائِكِ المُربِّين ومُؤسَّسـاتِ التعليـمِ والثقافةِ المُعاصِرةِ ومَن يُسَـيِّسُ لها.

تشجيع الفن وتكريم الفنانين

- وُلـوغُ طائفـةِ النُّجـومِ والفنَّانيـن والفنَّانـاتِ فـي الكبائـرِ بِـكُلِّ أنواعِها بعدَ احتكاكِهِـمُ الدائـمِ بِمُجتمعـاتِ الفنِّ غَيرِ المُسـلِمةِ، وتأثـرُ المجتمعِ الفنِّيِّ العربـيِّ بِالمفاسِـدِ والمعاصـي، كمـا هـي معروفةٌ بهذا الاسـمِ فـي الدين الإسـلاميِّ، أمَّا في عُقـولِ وقُلوبِ (أصحابِ مِهنةِ الفـنِّ) فحُريةٌ وعِلاقاتٌ وُدِّيةٌ وصداقاتُ زمالةٍ وعملٍ.

مظاهر الفن ومخرجات الأفلام والمسارح

وقد بلغَت هذه المسـألةُ في عصرِنا أعلى درجاتِ الإسفافِ والخلاعةِ، وشاهدُ ذلِـكَ العديـدُ مِـنَ الأفـلامِ والصُّـورِ المُتداولـةِ عنهم وعـن سـهراتِهم وحفلاتِهم المُنعقِـدةِ فـي العديـدِ مِـنَ العواصِمِ العربيـةِ، وكُلُّ هـذه الانحرافاتِ لـم تعُدْ في عصرِنـا انحرافـاتٍ عِندَهم، بـلِ الانحرافُ ـ مِـن وجهةِ نظرِهـم ـ تعليلُنا وحديثُنا عنهم بهذه الصُّورةِ.

هذا الانحدار الثقافي من علامات الساعة

ولِأنَّ مِثـلَ هـذا الانحِـدارِ الثقافيِّ مِـن وِجهةِ نظرِ الإسـلامِ علامـةٌ مِن علاماتِ السـاعةِ؛ فـإنَّ غالِـبَ أجيالِنا المُتأسلِمةِ والمستسـلِمةِ قد تحكمَـت فيهم عاداتُ وثقافـاتُ الأعداءِ خـلالَ مراحِلِ العلمانيةِ والعلمنةِ والعولمةِ، وسيسـتمرُّون على ذلِـكَ حتَّـى تظهرَ فيهـم بقيةُ العلاماتِ، ومِنهـا قولُه ﷺ: «ليكونَنَّ مِـن أُمَّتي أقوامٌ

يستحِلُّونَ الحِرَّ والحريرَ والخمرَ والمعازِفَ، ولينزلَنَّ أقوامٌ إلى جنبِ علم يروحُ علَيهم بِسارحةٍ لهم، يأتيهِمُ الفقيرُ لِحاجةٍ فيقولون: ارجِعْ إلَينا غدًا. فيبيِّتُهُمُ اللَّهُ، ويضعُ العِلمَ، ويمسخُ آخرين قِردةً وخنازيرَ إلى يومِ القيامةِ» صحيحُ البُخاريِّ ١/ ١٥ معَ الفتحِ.

حديث المسخ في الأُمَّة لاستحلال الحر والحرير والخمر والمعازف

ويَعتقِدُ البعضُ مِن كافَّةِ المُسلِمين أنَّ العُلماءَ يُشدِّدون في مسألةِ المعازِفِ والطربِ ويحجّرون بِفتاويهم على الناسِ؛ ولِهذا تجِدُ الراغِبين في الفِتَنِ يستدِلُّون بأقوالِ بعضِ العُلماءِ عن جوازِ المعازِفِ والغناءِ، ومِنها أقوالٌ تُنسَبُ لِلعلامةِ ابنِ حزمٍ وغيره.

الفنون الشعبية المنظمة لا تدخل في المحظور

والأمرُ الذي نحنُ بِصددِه أنَّ الأحاديثَ الشريفةَ تتناولُ الوعيدَ الشديدَ لِلمعازِفِ والطربِ المُفضي إلى الإثمِ وفِعلِ الحرامِ، وليس ما يفعلُه الأفرادُ وبعضُ الهُواةِ أو ما يُسمَّى بِالفرقِ الشعبيةِ، التي تقومُ بِأساليبِ الغِناءِ والشرحِ الشعبيِّ المُقيَّدِ بالأدبِ والاحتِشامِ والآلاتِ غَيرِ المُحرَّمةِ في إحياءِ بعضِ المُناسباتِ الخاصَّةِ أوِ العامَّةِ ترويحًا وتسليةً ومُشاركةً في أفراحِ الزواجِ وغيرِها؛ فهذه أُمورٌ يسهُلُ تقييدُها ومُحاصرتُها إذا ما خرجَت عن دائرةِ الاعتِدالِ في حياةِ الشُّعوبِ، وإنَّما المُصيبةُ الكُبرى ما قد خرجَ عن دائرةِ السَّيطرةِ؛ لِيصبحَ اتِّجاهًا ثقافيًّا وصُورةً عاكِسةً لدى العالمِ الآخَرِ عن مدى الانفِلاتِ والتحلُّلِ الأخلاقيِّ في المُسلِمين، لِتتحقَّقَ بِه موعوداتُ النبيِّ ﷺ في الأُمَّةِ مِنَ الخسفِ والقذفِ والرجفِ والمسخِ.

التطاولُ في البُنيانِ

التطاول في البنيان علامة صغرى

وهو علامةٌ مِن علاماتِ الساعةِ الصغرى كشفَ عن شُيوعِها في أواخِرِ الزمانِ سيِّدُ الأُمَّةِ مُحمَّدٍ ﷺ، وهي تُشيرُ إلى حُصولِ الأموالِ وسعةِ الأرزاقِ في حياةِ

العديدِ مِنَ الناسِ ، وتوسُّعِ العُمرانِ وزيادةِ التخطيطِ الحضريِّ ، ويبدو أنَّ الظاهِرةَ تكـرَّرَت فـي أكثرَ مِـن عصرٍ وزمانٍ . إلَّا أنَّهـا في مراحِلِنا الأخيـرةِ قد وصلَت إلى ذِروتِهـا في مفهومِ التطاوُلِ وخاصَّةً على أيدي العـربِ ، الذين وصفَهُمُ النبيُّ ﷺ بالحُفـاةِ العُراةِ رعاءَ الشـاءِ كما جاء في حديث جبريل ، الذيـن فتحَ اللَّهُ علَيهم في الاسـتِثمارِ المـاديِّ فارتفعَت أرصِدتُهـم ارتفاعًا خياليًّـا ، وانتقلوا فجـأةً مِن حياةِ الصحـراءِ والأنعامِ إلى حيـاةِ الترفِ والحضارةِ وارتفاع مدخـولاتِ الأرقامِ ، ممَّا حـدا بِالكثيـرِ مِنهـم أن يرمُـوا بِأموالِهم في بحـرٍ مِنَ الاسـتِثماراتِ الخياليـةِ وبناءِ الأبراجِ العُظمى وناطِحاتِ السحابِ تفاخُرًا وخُيلاءَ .

الاستثمارات العربية الخيالية وصرفها في أبنية الأبراج

بـل بلـغَ الأمرُ أقصاه في حياةِ التطـاوُلِ أن يبنيَ بعضُهم بُرجًا مِن سـبعين طابقًا ، فيغـارُ مُسـتثمِرٌ آخـرُ ؛ فيبني بُرجًـا مِن مائةِ طابـقٍ وهكذا في زيادةٍ وتطـاوُلٍ ، دونَ إدراكٍ لِهـدرِ المالِ وطاقاتِ العُمَّالِ فيما لا يعودُ بِمنفعةٍ قريبةٍ أو بعيدةٍ على الوطنِ ولا على الأُمَّةِ ولا على الفردِ ذاتِه فيما أنفقَه . بل رُبَّما كانَ العائدُ والفائدةُ للشرِكاتِ المُتعاقِدةُ على الاستشارةِ والتنفيذِ .

الحديث يخص العرب في ذم التطاول

والتطـاوُلُ فـي البنيانِ بِالنسـبةِ لغَيرِ العربِ مسـألةٌ معلومةٌ مِن قديـمِ الزمانِ ، أمَّا العـربُ فغايةُ ما هم علَيهِ في عواصِمِهم مُنـذُ القديمِ لا يتعدَّى البناءَ للحاجةِ ، وإذا ما زادَ أحدٌ شَيئًا مِن ذلِكَ إنَّما يكونُ في الغالِبِ تبعًا لتقليدِ الفُرسِ أوِ الرُّوم كما هو في حاضرةِ الحِيرةِ آنذاك وقصورِ العراقِ والشامِ ، ولم يعرِفْ العربُ الأبنيةَ العاليةَ إلَّا بعدَ الفُتوحاتِ الإسلاميةِ والاختِلاطِ بحضاراتِ الرُّومِ والفُرسِ وغيرِهم .

وقـد لا يكـونُ الذمُّ في الحديثِ خاصًّا بِمسـألةِ البناءِ لِلحاجـةِ .. وإنَّما الذمُّ كما يظهرُ لِلتطاوُلِ ، وفيه إشارةٌ إلى تغيُّرٍ في الطباعِ التي هذَّبَها الإسلامُ بِالزهدِ والإيثارِ

والإنفـاقِ فـي سـبيلِ اللَّهِ ؛ لِتُصبِـحَ على غايةٍ مِـنَ الحِرصِ وبذلِ الأمـوالِ في غَيرِ وجهِهـا الصحيـحِ . وقد ذمَّ اللَّـهُ أُمَّةً مِنَ الأُممِ لِشُـيوعِ هذهِ الظاهِـرةِ فِيهم ، فقالَ : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ ﴾ [الشُّعراء :١٢٨ – ١٣١] .

وفـي رِوايـةِ الإمامِ أحمدَ عـنِ ابنِ عبَّاسٍ إشـارةٌ بيِّنـةٌ أنَّ المعنيِّين بالتطـاوُلِ همُ «العربُ» عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ : يا رسولَ اللَّهِ ، ومَن أصحابُ الشاءِ والحُفاةُ الجِياعُ العالةُ ؟ قالَ : «العربُ»[1] ولا يخفى على مُتأمِّلٍ في عصرِنا ما آلَتْ إلَيه هذه الحالـةُ الغريبةُ مِنَ التفاؤلِ ببناءِ الأسـواقِ والمُجمَّعاتِ التِّجاريةِ الكُبرى في بعضِ العواصِـمِ على صفةِ المُنافسـةِ ، مِمَّـا أدَّى إلى هجرِ بعضِها وتركِهـا بُنيانًا حضاريًّا يعكِسُ الفنَّ المِعماريَّ الحديثَ ، ولا يُستفادُ منه لِكثرةِ المُنافسةِ بِأمثالِه وأشباهِه .

كثرةُ التِّجارةِ

كثرة التجارة

ومِـنْ عَلَامَاتِ السـاعةِ الصُّغْرَى ظُهُـورُ الاِهْتِمَامِ بِالتِّجَـارَةِ ، والمقصودُ بالكثرةِ كونُها تعُمُّ الناسَ جميعًا كأفرادٍ وجماعاتٍ ، كما تعُمُّ السياسةَ التِّجاريةَ واستِجلابَ كُلِّ شـيءٍ مِنَ البضائعِ والمُسـتلزماتِ بما لم يسـبقْ له مثيلٌ ؛ حتَّـى تُصبِحَ التِّجارةُ بَيـنَ الناسِ أقربَ إلـى العبثِ والاسـتِخفافِ بِالعُقولِ والأمـوالِ ، إضافةً إلى كثرةِ الأسواقِ والإسرافِ في زخرفتِها وتصميماتِها.

ونحـن اليَـومَ نـرى هـذه الظاهِرةَ بـرزَت جليَّةً فـي أوسـعِ صُورِها ؛ حتَّـى صارَ الأطفالُ والعجزةُ والفُقراءُ وعُمومُ الموظَّفين ، بل ـ وحتَّى المُتسوِّلون ـ يشترِكون

---

(١) «مسندُ أحمدَ» (٢٤٢٩) ، وانظر «أشراط الساعة» الوابل ص ١٤٩ .

في مُضاربات التِّجارةِ بِالأسهُمِ وغيرِها، وبِاستخدامِ الترويجِ لِلبيعِ والشِّراءِ عبرَ الأجهزةِ المُتنوِّعةِ؛ فيجِدُ الفردُ مالًا رابحًا مِن تِجارةِ تسوُّقِ البَضائعِ والسمسرة وما شابهَها.

مشاركة المرأة لزوجها في التجارة

وقد كانَ ﷺ أسبقَ الناسِ في تصويرِ هذه المظاهِرِ وإجلاءِ الغُبارِ عن وُقوعِها في الناسِ، ومِنها قولُه ﷺ فيما رواه الحاكِمُ وأحمدُ عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قالَ: «**بينَ يدَيِ الساعةِ تسليمُ الخاصَّةِ وفُشُوُّ التِّجارةِ حتَّى تُعِينُ المرأةُ زَوجَها**»[1].

وروى النسائيُّ عن عمرِو بنِ تغلِبٍ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إنَّ مِن أشراطِ الساعةِ أن يفشُوَ المالُ ويكثُرَ، وتفشُوَ التِّجارةُ**»[2].

التنافس على الدنيا

وكما أخبرَ النبيُّ ﷺ عن فُشُوِّ التِّجارةِ وانتِشارِها بَينَ الناسِ فقد أخبرَ عنِ العللِ المُترتِّبةِ على هذا الفُشُوِّ والكثرةِ، وما تُصابُ بِه الأُمَّةُ مِنَ الأدواءِ والأمراضِ، ففي الحديثِ عنه ﷺ أنَّه قالَ: «**فواللَّهِ، ما الفقرَ أخشى علَيكم، ولكِنِّي أخشى علَيكم أن تُبسطَ عليكم الدُّنيا كما بُسِطَت على مَن كانَ قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم**» وفي رواية أخرى للبخاري: «**وتلهيكم كما ألهتم**»[3]. وما يرويه مُسلِمٌ: «**وتلهيكم كما ألهَتهم**»[4] وفي رواية أخرى: «**وتهلككم كما أهلكتهم**»[5].

---

(١) «مسند أحمد» (٣٨٧٠).
(٢) «سنن النسائي المجتبى» (٤٤٥٦).
(٣) «صحيحُ البُخاريِّ» (٦٤٢٥).
(٤) «صحيح مسلم» (٢٩٦١).
(٥) «صحيح مسلم» (٢٩٦١).

بـل حـذَّرَ النبيُّ ﷺ مِن داءِ التنافُسِ أوائلَ الصحابـةِ والتابعين فقالَ : «إذا فُتِحَت علَيكم فارسُ والرُّومُ ، أيُّ قَومٍ أنتم ؟» . قالَ عبدُالرحمنِ بنِ عوفٍ : نقولُ كما أمرنا الله . قالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ : «أو غَيرُ ذلِكَ ؟ تتنافسون ثُمَّ تتحاسدون ثُمَّ تتدابرون ثُمَّ تتباغضون أو نحو ذلِكَ»[1] .

وفـي كُلِّ هـذا إشـارةٌ إلى اسـتِتباعِ المُسـلِمين عالمَ الكُفـرِ في أسـاليبِ التِّجارةِ ومظاهِرِها ونماذِجِها على غَيرِ زُهدٍ ولا ورعٍ ولا مُراعاةِ دينٍ أو قِيمٍ .

ظُهورُ فِتنةِ الرِّبا والشراكاتِ الاقتِصاديةِ المشبوهةِ

ظهور الربا علامة صغرى

ومِـنَ العلاماتِ الصُّغرى ظُهورُ المعاملاتِ الرِّبويةِ وانتِشـارِها بَينَ المُسـلِمين ، حتَّى تُصبحَ المُعاملاتُ الاقتِصاديةُ الرِّبويةُ جُزءًا مِن حياة الأُمَّةِ وسـببًا مِن أسـبابِ التداوُلِ التِّجاريِّ في كافَّةِ بِلادِ المُسلِمين ، لا تخلو مِنها عاصِمةٌ ولا قريةٌ .

هيمنة المدرسة الربوية على الاقتصاد العربي والإسلامي دراسة وتجارة

وفي الأحاديثِ إشارةٌ إلى هَيمنةِ العالمِ الرِّبويِّ الكافِرِ على مُقدَّراتِ الأُمَّةِ العربيةِ والإسـلاميةِ ؛ حتَّى تُفرَضَ المُعاملاتُ الرِّبويةُ ضِمنَ سَـيرِ المؤسساتِ الاقتِصاديةِ وتنشِـئةِ الأجيـالِ علَيها في الدراسـاتِ الأكاديميـةِ والعاليةِ ، معَ أنَّ الرِّبا قد سـقطَ وانَّهار مُنذُ أن وضعَه النبيُّ ﷺ تحتَ قدمِه بِقولِه : «والرِّبا تحتَ قدمي»[2] في حِجَّةِ الـوداعِ ، وانقطـعَ بعدَ ذلِكَ في العالمين الإسـلاميِّ ، وصارَ التعامُـلُ بِهِ خِفيةً لدى بعضِ الفسقةِ والعُصاةِ وعُملاءِ اليهودِ ، الذين كانوا يُروِّجون الرِّبا ويتعاملون به .

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٦٢) وتتمة الحديث : «ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض» .

(٢) «صحيح مسلم» (١٨١٢) ، بلفظ : «كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، وربا الجاهلية موضوع» .

بدأ عهد الاستعمار بترويض الشعوب المسلمة على قبول المعاملات الربوية

ولمَّا سقطَ القرارُ الإسلاميُّ في البلادِ العربيةِ والإسلاميةِ ، وبدأ عهدُ الاستِعمار ، بدأَ العملُ المُسَيَّسُ على إدخالِ الرِّبا في المُعاملاتِ الاقتِصاديةِ ، ولم تسلمْ مِن هذا الإدخالِ الأنظِمةُ القائمةُ في مرحلةِ الغُثاءِ على الانشِغالِ بإدانةِ انحِرافاتِ اعتِقاداتِ الصُّوفيةِ والمذهبيةِ وآلِ البيتِ ، مِمَّا يُشيرُ إلى امتِلاكِ المدرسةِ الرِّبويةِ العالميةِ زِمامَ الأمرِ في العالمِ الإنسانيِّ كُلِّه وفرضِ الاقتِصادِ الرِّبويِّ على الجميعِ .

دور الغثائيين من المُسلِمين في وضع قواعد الربا البنكي

بل بدأ الغُثائيون مِن رِجالِ المالِ والأعمالِ يضعون قواعِدَه الرِّبويةَ في كافَّةِ مواقِعِ الحركةِ الثقافيةِ الاقتِصاديةِ الجديدةِ ، وأخذَ يتطوَّرُ في الدُّولِ العربيةِ والإسلاميةِ معَ إقصاءِ الوعي الشرعيِّ في المُعاملاتِ تمهيدًا لِقَبولِ سياسةِ البديلِ الرِّبويِّ الكافِرِ ، وفي ذلِكَ يقولُ ﷺ عن أُمَّتِهِ المخدوعةِ : «**ليأتيَنَّ على الناسِ زمانٌ لا يُبالي المرءُ بِما أخذَ المالَ: أَمِن حلالٍ أم مِن حرامٍ؟**»[1] . وحديثُ : «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى يُعِزَّ اللَّهُ فيه ثلاثةً : دِرهمًا مِن حلالٍ ، وعِلمًا مُستفادًا ، وأخًا في اللَّهِ**»[2] . وحديثُ : «**سيأتي على الناسِ زمانٌ يدخُلُ الرِّبا كُلَّ بَيتٍ ، ومن لم يدخلْه الرِّبا دخلَ إليه غُبارُه**» [3].

انتشار المصارف المتعاملة بالربا

كتبَ الوابِلُ مُؤلِّفُ «فقه أشراطِ الساعةِ»[4] : وهذه الأحاديثُ تنطبِقُ على كثيرٍ مِنَ المُسلِمين في هذا الزمنِ ؛ فتجِدُهم لا يتحرَّون الحلالَ في المكاسِبِ ، بل يجمعونَ المالَ مِنَ الحلالِ والحرامِ ، وأغلبُ ذلِكَ بِدخولِ الرِّبا في مُعاملاتِ

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٠٨٣) .

(٢) «الفردوس بمأثور الخطاب» للديلمي (٧٥٣٣) .

(٣) «سنن ابن ماجه» (٢٢٧٨) ونصه في «سنن ابن ماجه» : «**ليأتين على الناس زمان لا يبقى منهم أحد إلا أكل الربا ، فمن لم يأكل أصابه من غباره**».

(٤) ص١٤٠ .

النـاسِ ، فقدِ انتشـرَتِ المصارِفُ المُتعامِلـةُ بِالرِّبا ، ووقعَ كثيرٌ مِـنَ الناسِ في هذا البلاءِ العظيمِ . اهـ ص ١٤٠ (أشراطُ الساعةِ) .

قُلتُ : ومعَ أنَّنا نصِفُ الرِّبا بِالبلاءِ العظيمِ في الأُمَّةِ لكنَّا لا نُحدِّدُ هُويةَ المسئولين عـنِ انتِشـارِه ، وإنَّمـا نُخوِّفُ المُسـلِمين بوقوعِهم فيـه وتعامُلِهم بـه ، وكأنَّهم هم المسؤولون عنه مباشرةً ، والأصلُ في التعامُلِ بِالرِّبا موقعُ القرارِ في الحُكمِ والعِلمِ الذي يَسمَحُ بِه ، والإباحةُ والتساهُلُ بِواسطةِ حملةِ القرارِ في عهدِ الغُثاءِ والوهنِ .

خطر الربا على الحياة الإسلامية ووصف القرآن لآكل الربا

وفيهـم جميعًا يقولُ اللـهُ تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥] .. الآيـة . والقُـرآنُ في هـذه الآيةِ وصـفَ الآكلينَ لِلرِّبـا ﴿ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ حيثُما قامُوا وحيثُما جلسُوا وحيثُما عَلَّمُوا أو تَعَلَّمُوا لا يقومون في سياسةٍ ولا تِجـارةٍ ولا عِلـمٍ ولا تعليمٍ ولا عقيدةٍ ولا ثقافةٍ ولا عِلاقةٍ ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ .

علاقة التطرف والإرهاب بالربا والمعاملات المشبوهة

وهـذا هو تعليـلُ القُرآنِ لِظاهِـرةِ الانفعـالِ والدعـواتِ الانفعاليةِ مِـنَ العِلمانيةِ والانتِقائيةِ والتوليفيةِ ، وما سُمِّيَ بِالإرهابِ والتطرُّفِ السياسيِّ والدينيِّ في عالمِنا المُعاصِرِ مُنذُ ظُهورِ مدارِسِ القبضِ والنقضِ ؛ عَلَّلَها بِأنها ظاهِرةٌ شَـيطانيةٌ مقرونةٌ بِـأكلِ الحـرامِ وترويجِـه ، ولا يمكِـنُ لهمُ القيـامُ بِغَيـرِه ؛ لِأنَّ الحِكمـةَ والموعظةَ الحسـنةَ إنَّمـا هـي عطـاءٌ مِـنَ اللَّـهِ لأوليائـه ﴿وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ﴾ [البقرة:٢٦٩] ، وأمَّا الذين أُوتوا الجدلَ والرفضَ والتشفِّيَ والإفكَ وإلصاقَ التُّهمِ بالظنِّ والتصوُّرِ ، فما هم فيه ما هو إلَّا ثمرةٌ مِن ثمراتِ نباتِ الحرامِ المُنتشِرِ

كما قالَ ﷺ : «إِنَّهُ لاَ يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلاَّ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ»[1] .

الربا جزء من الكفر

والرِّبا جُزءٌ مِنَ الكُفرِ ، وهو سياسةُ اقتصادِه ، ولا هوادةَ في ذلِكَ ، والقُرآنُ يُخاطِبُ المُؤمنينَ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[البقرة:٢٧٨] .

فالإيمانُ مُتحقِّقٌ بِتركِ ما بقيَ مِنَ الرِّبا ، والعكسُ بالعكسِ . والحقُّ أن نتعرَّفَ حجمَ ما بلغْنا إلَيه مِنَ الغُثاءِ المُشتركِ حتَّى نُعالِجَ أمراضَنا جميعًا ، ولله الأمرُ مِن قبلُ ومِن بعدُ .

فقه التحولات ووضعه الدواء موضع الداء

إن علاماتِ الساعةِ وقِراءتَها على وجهِها الصحيحِ عاملٌ مُساعِدٌ لِوضعِ كُلِّ مُسلِمٍ وكُلِّ نِظامٍ مُعاصِرٍ في مَوقعِه مِنَ الحالةِ الحقيقيةِ ؛ حتَّى ينقطِعَ التطاوُلُ والتباهي ، ونرجِعَ جميعًا إلى الحقيقةِ المُرَّةِ التي رفضناها ، وهي سُنَّةُ النبيِّ ﷺ في تقريرِه موقعَ العلَّةِ والفسادِ فينا وفي غَيرِنا.. فهل مِن مُدكِرٍ ؟!

وقدِ انتقلَت هذه التُّهمةُ الخطيرةُ بَينَ المُسلِمين مِنَ الواقِعِ الرسميِّ إلى الواقعِ الشعبيِّ ، وصارَت جُزءًا لا يتجزَّأُ مِن عقيدةٍ وسُلوكٍ وعِلاقةِ المُجتمعاتِ ضِدَّ بعضِها البعضِ ، بل والأنكى والأدهى أنَّ محاضِنَ هذه التُّهمِ قد تنكرَت لأتباعِها ومُروِّجي فتنتِها بعدَ ضمانِ انتِشارِها في دماءِ الشُّعوبِ ؛ لِتتنصَّلَ عن تبِعةِ الجريرةِ التي صنعَتها في المجتمعِ المُتناقِضِ ؛ رغبةً في البقاءِ والاستِمرارِ والعبثِ بالشُّعوبِ مِن جهةٍ ، معَ ضمانِ مصلحةِ المستثمِرِ الأصليِّ ورضائه مِن جهةٍ أُخرى ، فهل مِن مُدرِكٍ سرَّ اللُّعبةِ ؛ لِيتوبَ ويُنيبَ ويخشى اللَّهَ ويتقيه ؟! أم إنَّها الفِتنةُ التي تدعُ الحليمَ حَيرانًا ؟!

---

(١) «سنن الترمذي» (٦١٤) .

فتن المشرق علامة صغرى

ظُهورُ الفِتنِ مِنَ المشرِقِ

ومِنَ العلاماتِ الصغرى التي اختلفَ العُلماءُ في شأنِها فِتنُ المشرِقِ : فمنهم من جعلَ المشـرِقَ مكانًا مُحدَّدًا كالعِراقِ ، ومنهم من جعلَ المشـرقَ جِهةَ المَشـرِقِ ، ويدخُلُ فيه كُلُّ الفِتنِ التي جاءَت مِن تِلكَ الجِهةِ ، ويدخُلُ في المعنى الثاني أيضًا بُلدانٌ عديدةٌ ظهرَت مِنها على مرِّ التاريخِ الإسلاميِّ فِتنٌ عظيمةٌ ، مِنها :

الجهات التي ظهرت مِنها الفتن عبر التاريخ

(١) بِلادُ الفُرسِ والهِندوسِ ، ومنه ظهرَتِ البهائيةُ والقاديانيةُ وغيرُها .

(٢) العِـراقُ ، ومِنها ظهـرَتِ الخوارِجُ والروافِضُ والباطنيـةُ والقدريةُ والجهنيةُ والقرامِطةُ والمُعتزِلةُ وغيرُها .

(٣) بلدانُ الشرقِ التي ظهرَ مِنها المغولُ والتتارُ في القرنِ السابعِ

(٤) روسيا والصينُ ، وقد ظهرَت مِنها فِتنةُ الشُّيوعيةِ .

(٥) نجْدُ مُسَـيلِمةَ ، وقد ظهرَت مِنها فِتنةُ مُسَـيلِمةَ الكذَّابِ ، ثُمَّ القبضُ والنقضُ الموعودُ بِه في الأحاديثِ عن آخِرِ الزمانِ .

ولا يـزالُ المشـرقُ كجهـةٍ مصـدرَ الفِتَـنِ والشُّـرورِ ، وسـيكونُ ظُهـورُ الدَّجَّالِ ويأجوجَ ومأجوجَ مِن جهةِ المشرِقِ ، نسألُ اللَّهُ السلامةَ مِنَ الفِتنِ .

أحاديث فتن المشرق

وأمَّا الأحاديثُ عنِ المشرِقِ فكثيرةٌ ، ومِنها حديثُ ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال سمعت رسـولَ اللَّـهِ ﷺ يقولُ : وهو على المنبر : «**ألا إنَّ الفِتنةَ هاهُنـا ، ألا إنَّ الفِتنةَ هاهُنا من حيثُ يطلعُ قرنُ الشيطانِ**»[1] .

---

(١) «صحيـح البخـاري» (٣٥١١) ، وكلمة (قرن) تأتي بمعنى (جيل من الناس) ، ففي «تفسـير ابن كثير» (٣ : ٢٤١) : ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾[المؤمنون:٣١] . أي : جيلا آخر لنختبرهم

وفي رِوايةِ مُسلِمٍ أَنَّه قَالَ: «رأسُ الكُفرِ مِن هاهُنا مِن حيثُ يطلُعُ قرنُ الشَّيطانِ»، يعني المشرِقَ [1].

رواية فتن المشرق بالمفرد والمثنى: «قرن قرنا الشيطان»

وفي رِواياتٍ وردَ في نصِّ الحديثِ بِلفظةِ «قرنِ الشَّيطانِ»، وفي رِواياتٍ: «قرنا الشَّيطانِ».

ورِوايةُ: «قرنا» بألِفِ التثنيةِ وردَت في مُسلِمٍ برواياتٍ مِنها رِوايةُ ابنِ عُمرَ، وفي

. وفي «تفسير البحر المحيط» (٥: ٧٠): وقيل: القرن القوم المجتمعون. قلت: السنون لو كثرت؛ لقوله: خير القرون قرني. يعني: أصحابه. وقال قس:

في الذاهبين الأوَّلِين من القرون لنا بصائرْ

أي: قد تطلق على الأشخاص، وليس على المدة الزمنية، ولو كانت أعمارهم فوق ١٠٠ مثل جيل النبي نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، كان الجيل منهم بنحو ألف عام. وربما أقل من ذلك (٦٠-٧٠ عاماً) مثلاً، وهو الجيل الذي جاء ببداية عهد الغثاء مع سقوط الخلافة «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين»، ولذلك جاءت الرواية: «قرنا الشيطان»، مما يقودنا إلى أنهم جيلان على هذه الرواية.

وعلى ذلك ينبني أن تفسير بعضهم لحديث: «خير القرون قرني» لا يعني به ٣٠٠ عام بالضبط، بل يعني به ثلاثة أجيال: الصحابة، التابعون، تابعو التابعين.

وتأتي بمعنى قوم أو شعب، ففي «الوجيز للواحدي (١/ ٥٦٧): ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ أحدثنا ﴿قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ يعني: عادا. اهـ. أي: قد يكون المقصود من كلمة (قرن) القبيلة والشعب، وليس المدة الزمنية أو الجيل.

وتأتي بمعنى المدة الزمنية (١٠٠ عام)، ففي «تفسير البحر المحيط لإمام اللغة أبي حيان (٥/ ٧٠) قال عند استعراضه لعدة أقوال: ... أو مائة سنة، قاله الجمهور، وقد احتجوا لذلك بقول النبي ﷺ لعبد الله بن بشر: «تعيش قرنا». فعاش مائة، وقال: «أرأيتكم ليلتكم هذه فإن على رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد». قال ابن عمر: يؤيد أنها انخرام ذلك القرن.

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٠٥).

آخِرِه : «إنَّ الفِتنةَ هاهُنا ! إنَّ الفِتنةَ هاهُنا ! ثلاثًا حيثُ يطلعَ قرنا الشَّيطانِ»[1] .

وفي أُخرى عنِ ابنِ عُمرَ : «إنَّ الفِتنةَ تجيءُ مِن هاهُنا وأَومأَ بيدِه نحوَ المشرِقِ من حيثُ يطلُعُ قرنُ الشَّيطانِ، وأنتم يضربُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ ... إلخ »[2] .

وفي حديثِ أبي مسعودٍ قالَ : أشارَ النبيُّ ﷺ بيدِه نحوَ اليمنِ فقالَ : «ألا إنَّ الإيمانَ هاهُنا ، وإنَّ القسوةَ وغِلَظَ القُلوبِ في الفَدَّادِين عِندَ أُصولِ أذنابِ الإبلِ حيثُ يطلُعُ قرنَا الشَّيطانِ في ربيعةَ ومُضرَ»[3].

تحديد الأحاديث جهة المشرق بربيعة ومضر

وفي رِوايةِ أبي هُريرةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : «رأسُ الكُفرِ نحوَ المشرِقِ ، والفخرُ والخُيلاءُ في أهلِ الخيلِ والإبلِ الفَدَّادِين أهلِ الوبرِ ، والسكينةُ في أهلِ الغنمِ»[4] .

وفي روايةٍ أُخرى قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «الإيمانُ يمان والكُفرُ قِبلَ المشرقِ، والسكينةُ في أهلِ الغنمِ ، والفخرُ والخُيلاءُ في الفدَّادين أهلِ الخَيلِ والوبرِ»[5] .

وعنه أيضًا في رِوايةٍ : «أتاكم أهلُ اليمنِ ، هم ألينُ قُلوبًا ، وأرقُّ أفئدةً ، الإيمانُ يمانُ ، والحكمةُ يمانيةُ.. رأسُ الكُفرِ من قِبلِ المشرِقِ»[6] .

وفي روايةٍ عن جابرِ بن عبدِاللَّهِ يقولُ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «غِلظُ القُلوبِ

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٠٥) .

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٠٥) .

(٣) «صحيح البخاري» (٣٣٠٢) «صحيح مسلم» (٥١) .

(٤) «صحيح البخاري» (٣٣٠١) «صحيح مسلم» (٥٢) .

(٥) «صحيح مسلم» (٥٢) .

(٦) «صحيح مسلم» (٥٢) .

والجفاءِ في أهلِ المشرِقِ، والإيمانُ في أهلِ الحِجازِ»[1].

تحليل «قرنا الشيطان» بألف التثنية

قالَ النوويُّ في شرحِه: وأمَّا قرنا الشيطانِ فجانبا رأسِه، وقيلَ: هما جمعاه، اللذان يُغريهما بإضلالِ الناسِ: وقيل: شيعتاه مِنَ الكُفَّارِ. والمرادُ بذلِكَ اختِصاصُ المشرِقِ بمزيدٍ مِن تسلُّطِ الشَّيطانِ ومِنَ الكُفرِ، كما قالَ في الحديثِ الآخرِ: «رأسُ الكُفرِ نحوَ المشرِقِ». وكانَ ذلِكَ في عهدِه ﷺ حيثُ قالَ ذلِكَ، ويكونُ حينَ يخرُجُ الدَّجَّالُ مِنَ المشرِقِ، وهو فيما بَينَ ذلِكَ منشأُ الفِتنِ العظيمةِ[2].

قُلتُ ـ واللَّهُ أعلمُ: قَولُه: «قرنا الشَّيطانِ» بِالتثنيةِ هو إشارةٌ إلى وُجودِ أكثرَ مِن مكانٍ يحملُ صِفةَ القرنيةِ الشَّيطانيةِ، فإذا كانَت أحاديثُ المشرِقِ ـ بالإفرادِ ـ قد خصَّصَها جُملةٌ مِنَ العُلماءِ بِالعِراقِ وجهةِ المشرِقِ عُمومًا؛ فإنَّ «قرنا الشَّيطانِ» بِالتثنيةِ يُدخِلُ نجدَ مُسَيلِمةَ وما حولَها في الجهةِ المُشارِ إلَيها مِن ناحيةٍ أُخرى، وخُصوصًا عِندَ ذِكرِ المُفاضلةِ بَينَ المناطِقِ والبلادِ وفي قولِه: «يطلُعُ قرنا الشَّيطانِ في ربيعةَ ومُضرَ» ووصفِهم بِالخُيلاءِ والكبرِ والفخرِ.

وفي هذا التحديدِ خِدمةٌ واعيةٌ لِمُرادِ رسولِ اللَّهِ ﷺ في البيانِ الشرعيِّ في علاماتِ الساعةِ (بِصرفِ النظرِ عن مقامِ الجِهةِ ورغبةِ أهلِها في صرفِ الحديثِ عن جهتِهم) فالأمانةُ تقتضي إبرازَ المعاني مُجتمِعةً بعيدةً عنِ الانتِقاءِ الاختِياريِّ، خِلافًا لِما أجمعَ علَيهِ غالبيةُ عُلماءِ المرحلةِ الغُثائيةِ في صرفِ المعنى ـ تعسُّفًا ـ عن «نجدِ مُسَيلِمةَ إلى جِهةِ العِراقِ بِالخُصوصِ، والعِراقُ ـ بِالخُصوصِ ـ لا تسلَمُ مِنَ المعنى؛ لِأنَّ النُّصوصَ تذكُرُها بِاسمِها كما تذكُرُ جِهةَ المشرِقِ بِعُمومِها،

---

(١) «صحيح مسلم» (٥٢).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٢: ٣٤).

وأما نجدُ مُسَيلِمةَ فيُعرَفُ موقعُه مِنَ المسألةِ بِالدَّلالاتِ التي تُشيرُ إلَيها الرِّواياتِ كالإِشارةِ إلى الناحيةِ، وذكرِ ربيعةَ ومُضرَ، والإشارةِ إلى أذنابِ الإبلِ والوبرِ والخُيلاءِ والفخرِ ... إلخ الحديثِ بروايةِ «**رأسُ الكُفرِ نحوَ المشرِقِ، والفخرُ والخُيلاءُ في أهلِ الخيلِ والإبلِ الفدَّادين أهلِ الوبرِ**»[1].

المعنى لا ينطبق على الرعايا وعموم المُسلِمين

مع أنَّ المعنى لا ينطبِقُ على الرعايا وعُمومِ المُسلِمين في تِلكَ النواحي، سواءٌ بِمفهومِ المشرِقِ الخاصِّ ـ كالعِراقِ ـ أو بالمفهومِ العامِّ «الناحيةِ والجِهةِ»، وإنَّما هي علاماتٌ ودلالاتٌ لِرُؤوسٍ مُعينةٍ تحمِلُ الفِتنةَ وتقودُها، ولعلَّ الكثيرَ مِنهم لا يعلمون الأمرَ، ولم يبلُغْهمُ العِلمُ؛ فوقعوا فِيها حتفَ أُنوفِهم.

أحاديث متنوعة عن قرن المشرق

وعنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: دعا النبيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ بارِكْ لنا في صاعِنا ومُدِّنا وبارِكْ لنا في شامِنا ويمنِنا**». فقالَ رجُلٌ مِنَ القومِ: يا نبيَّ اللَّهِ، وفي عِراقِنا، قالَ: «**إنَّ بها قرنَ الشَّيطانِ وتَهَيُّجَ الفِتَنِ، وإنَّ الجِفاءَ بالمشرِقِ**»[2]، وفي «صحيحِ البُخاريِّ»: «**وفي نجدِنا**» بدلَ عِراقِنا، وهي الروايةُ الأصحُّ[3]. وقد ذهبَ بعضُ العُلماءِ إلى أن قولَه: «**نجدِنا**» يُشيرُ إلى «نجدِ مُسَيلِمةَ الكذَّابِ».

اعتناء العلماء بفتن المشرق العامة والخاصة

وقدِ اعتنى العُلماءُ بِسردِ العديدِ مِن هذه الفِتَنِ المُتلاحِقةِ في العُصورِ المُتتابِعةِ، ومِنها ما قد تناولناه في العلاماتِ الوُسطى والصُّغرى، ومِنها فِتَنٌ أُخرى لم تُذكَرْ كفِتنةِ القرامِطةِ والزنجِ والفاطميةِ، والزرادشتيةِ، والمانويةِ، والمزدكيةِ، وفِتنةِ التتارِ واجتياحِهم بِلادَ المُسلِمين، والسبئيةِ، وفِتنةِ الرافضةِ والنواصبِ، والحُروبِ الصليبيةِ، والهِندوسيةِ، والبُوذيةِ، والقاديانيةِ، والبهائيةِ، وغيرِها.

---

(١) «صحيح مسلم» (٥٢).

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (١٢٥٥٣).

(٣) «صحيح البخاري» (١٠٣٧) (٧٠٩٤).

وكانَ بُـروزُ بعـضِ هذه الفِتَنِ خِـلالَ مرحلةِ التمـزُّقِ وظُهورِ الدُّويـلاتِ بِتمزُّقِ خِلافـةِ بنـي العبَّـاسِ ، ومِنها مـا كانَ مِن قبلُ ، واسـتمرَّ في الظهورِ والبُـروزِ كفِتنةِ الخـوارجِ، وهـي الفِتنـةُ المُتناميةُ التي قالَ فِيها رسـولُ اللَّهِ ﷺ : «يخـرُجُ في آخِرِ الزمانِ قَومٌ كأن هذا منهم يَقرؤونَ القُرآنَ لا يُجاوِزُ حناجِرَهـم ، يمرُقون مِنَ الإسلامِ مُروقَ السـهمِ مِنَ الرميةِ ، لا يرجعون إلَيه ، سـيماهم التحليقُ، لا يزالون يخرجون حتَّى يخرُجَ آخِرُهم معَ المسيخِ الدَّجَّالِ ...» . الحديث[1] .

فتنة الخوارج

وروى أحمـدُ والبُخـاريُّ والطبرانيُّ فـي الكبيـرِ والبَيهقيُّ : «يخرجُ قـومٌ أحِدَّاءُ أشِدَّاءُ ذلِقةٌ ألسنتُهم بِالقُرآنِ»[2] «يقرؤونه ينثُرونه نثرَ الدقلِ ، لا يُجاوِزُ تراقيهم»[3]. وفي لفظٍ آخرَ : «يأتي آخِرُ الزمانِ» ... إلخ . «أحداثُ الأسـنانِ ، سُـفهاءُ الأحلامِ ، يقـرؤون القُرآنَ لا يُجاوِزُ تراقيَهم ، يقولـون مِن خيرِ قولِ الناسِ ... »[4] إلخ . اهـ . رواه الشيخان وأحمدُ .

وروى مُسلِمٌ وأبو داودَ وغيرُهم عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «يقرؤون القُرآنَ لَيسَ قِراءتُكم إلى قِراءتِهم بِشـيءٍ ، ولا صلاتُكم إلى صلاتِهم بِشـيءٍ ، ولا صيامُكم إلى صيامِهم بِشـيءٍ ، يحسـبون أنَّه لهم ، وهو علَيهم ! لا تُجاوِزُ صلاتُهم تراقيَهم ، يمرُقون مِنَ الدينِ كما يمرُقُ السهمُ مِنَ الرميةِ ... »[5] إلخ .

وعِنـدَ النظـرِ المُتأنِّـي في هـذه الظواهِرِ ودراسـةِ أحـوالِ أصحابِهـا نجدُها كما

انتشار الفتنة في البلاد العربية والإسلامية وتغلغلها في دماء الشعوب

---

(١) «سنن النسائي» (٤١٢٠) .

(٢) «مسند أحمد» (٢٠٣٨٢) «السنن الكبرى» للبيهقي (١٦٧٨٠) .

(٣) «سنن الترمذي» (٦٠٢) .

(٤) «صحيح البخاري» (٦٩٣٠) و«صحيح مسلم» (١٠٦٦) .

(٥) «صحيح مسلم» (١٠٦٦) و«سنن أبي داود» (٤٧٦٨) .

أخبـرَ عنها النبيُّ ﷺ قد عمَّتِ البِلادَ العربيةَ والإسـلاميةَ كُلَّها ، وأسـاسُ ظُهورِها وتوسيعِ حلقتِها في المرحلةِ الغُثائيةِ ما قد سبقَتِ الإشارةُ إلَيه في هذا الكتابِ عن فِتنةِ المشـرِقِ وفِتنةِ قرنِ الشـيطانِ ـ كما سمَّاها رسـولُ اللَّهِ ﷺ ـ إلَّا أنها اليَومَ قد خرجَـت عن مكمنِها الأصليِّ فيما سُـمِّيَ بِقرنِ الشـيطانِ ؛ لتُصبِحَ جُـزءًا مِن لحمِ الشُـعوبِ المخدوعـةِ ودمِهـا ، ومصدرًا مِن مصـادرِ القلقِ والإرجـافِ والتحدِّي والتطرُّفِ والاندِفاعِ في كُل مدينةٍ وقريةٍ وشِعبٍ مِنَ الشِّعابِ ، وتحولَت إلى خلايا وجماعاتٍ ينفصلُ بعضُها عن بعضٍ ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللَّهِ العليِّ العظيمِ .

ظاهرة انتشار الفتنة المعادلة للخوارج تحت مسمى حب آل البيت

وتليهـا الفِتنـةُ المُعادِلـةُ لها في المرحلـةِ ، ومصـدرُ انطِلاقِها مِن جهةِ المشـرِقِ أيضًا ، وتبرُزُ فِيما تعيشُـه الأُمَّةُ الإسـلاميةُ والعربيةُ مِن خطرِ الفكرِ المُتَّخِذِ شِـعارَ النُّصرةِ لآلِ البيتِ الأطهارِ وما ترتَّبَ على الدفعِ به في المرحلةِ مِن زوابعِ الإعلامِ ، وكثـرةِ التنـاوُلِ لِحُقوقِ آل البيـتِ بِنُصرةِ الإسـلامِ ، وخُروجِ المسـألةِ عنِ النظرِ الواعي في مقولاتِ نبيِّ الأُمَّةِ ﷺ ونقولِ آلِ البيَتِ وأئمتِهم إلى عَشوائيةِ الأحكامِ وتهـوُّكاتِ الثـأرِ والحِقدِ والانتِقـامِ ، بما لا يدعُ مجـالًا لِلجزمِ بِـأنَّ العالمَ العربيَّ والإسـلاميَّ سـيقعُ في أتونِ فِتنةِ التحريشِ الإبليسـيِّ المُتَّخِذِ صِفةَ الانتِصارِ لِأهلِ الحـقِّ ؛ لِيَذْهَبَ الحـقُّ وأهلُه في هذه الفِتَنِ السـاحِقةِ الماحِقـةِ التي قالَ عنها ﷺ لِأُمَّتِـه الراغبـةِ في السـلامةِ : «**إنَّه لم يكُنْ نبيٌّ قبلـي إلَّا كانَ حقًّا علَيـهِ أن يدُلَّ أُمَّتَه على خيرِ ما يعلَمُه لهم ، ويُنذِرَهم شرَّ ما يعلَمُه لهم ، وإنَّ أُمَّتَكم هذه جعلَ عافيتَها فـي أوَّلِهـا ، وسـيصيب آخِرُها بلاءٌ وأُمـورٌ تُنكِرونهـا ، وتجـيءُ فِتنـةٌ فيرقِّقُ بعضِها بعضًـا ، وتجـيءُ الفِتنـةُ فيقولُ المؤمِنُ : هـذه مُهلِكَتي ، ثُمَّ تنكشِـفُ وتجيءُ الفِتنةُ ؛ فيقـولُ المؤمِنُ : هـذه هذه ، فمن أحبَّ أن يُزحزَحَ عنِ النـارِ ويُدْخَلَ الجنةَ فلتأتِه منيتُه وهو يؤمِنٌ بِاللهِ واليَومِ الآخِرِ ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه...**»

الحديثَ[1] .

وجوب المبادرة بالأعمال عِند ظهور الفتن

وفـي هـذه الفِتَنِ يقولُ ﷺ : «بادِروا بالأعمالِ فتنًا كقطعِ اللَّيلِ الْمظلِم، يُصبِحُ الرجُلَ فِيها مؤمِنًا ويُمسي كافِرًا ، ويُمسي كافِرًا ويُصبِحُ مؤمنًا ، يبيعُ دينَه بِعرضٍ مِنَ الدُّنيا»[2] .

وعـن النُّعمان بن بَشـيرٍ قـال صَحِبْنا النَّبـيَّ ﷺ وَسـمِعْنَاهُ يقولُ : «إنَّ بيـنَ يَدَي السَّـاعَةِ فِتَنًـا كأَنَّهَـا قِطَعُ اللَّيـلِ الْمُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُـلُ فِيهَا مُؤْمِنًا ثُمَّ يُمْسِـي كَافِرًا وَيُمْسِي مُؤْمِنًا ثُمَّ يُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ أَقْوَامٌ خَلَاقَهُمْ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرٍ أَوْ بِعَرَضِ الدُّنْيَـا»، قال الحَسَـنُ : واللهِ لقَـدْ رأيناهُمْ صورًا ولا عقولَ ، أَجْسَـامًا وَلَا أحلَامَ ، فَـرَاشَ نَارٍ وَذبانَ طَمَعٍ ، يَغْدُونَ بِدِرْهَمَيْنِ وَيَرُوحُـونَ بِدِرْهَمَيْنِ ، يَبِيعُ أَحَدُهُمْ دَيْنَهُ بِثَمَنِ الْعَنْزِ[3] .

أفضل الناس في الفتن من يعتزل الناس

وروى الطيالِسيُّ والبَيهقيُّ وأحمدُ والطبرانيُّ في الكبيرِ والحاكِمُ : أنَّ رجلًا سألَ رسولَ اللَّهِ ﷺ : «هل لِلإسلامِ مُنتهى ؟» ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «نعم ، أيما أهل بَيتٍ مِنَ العربِ أو العجمِ أرادَ اللَّهُ بِهم خيرًا أدخلَ علَيهِمُ الإسـلامَ» . قالَ : ثُمَّ ماذا يـا رسـولَ اللَّهِ ؟ قالَ : «ثُـمَّ تقعُ الفِتَنُ كالظُّلَلِ» . فقالَ الرجُلُ : كلَّا يا رسـولَ اللَّهِ . فقالَ النبي ﷺ : «كلَّا والذي نفسي بيدِه ، لتعودُنَّ فِيها أساودَ صُبًّا يضرِبُ بعضُكم رِقابَ بعضٍ ، أفضلُ الناسِ يومئذٍ مؤمِنٌ معتزِلُ في شِـعبٍ مِنَ الشِّعابِ ، يتَّقي ربَّه،

---

(١) «صحيح مسلم» (١٨٤٤) .

(٢) «صحيح مسلم» (١١٨) .

(٣) «مسـند أحمد» (١٨٤٠٤) و«الفتن» لنعيم بن حماد (٦٦) و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٦٢٦٣) .

ويدع الناس مِن شرِّه»[1] .

وفـي روايـة : قالـوا كيفَ نصنعُ يا رسـولَ اللّـهِ ؟ قالَ «**تكسِـرُ يدَكَ**» . قـالَ : فإنِ انجبرَت ؟ قالَ : «**تكسِرِ الأُخرى**» . قالَ : حتَّى متى ؟ قالَ : «**حتَّى تأتيَك يدٌ خاطئةٌ أو منيةٌ قاضيةٌ**» [2].

العزلة عن الناس أو الجهاد لا يشمل نماذج فلسطين وما شابهها

ولا يدخُـلُ تحتَ هذا المعنى والتفصيلِ ما يدورُ مِن مقاومةٍ صحيحةٍ ضِدَّ العدوِّ المُحتلِّ في فِلسـطينَ أو فـي غيرِه ، وإنَّما ينحصِرُ هذا المدلولُ في ما تعيشُـه الأُمَّةُ كُلُّها مِنَ التخاذُلِ والوهنِ والمؤامرةِ الداخليةِ ، حيثُ إنَّ الجهادَ في سبيلِ اللَّهِ على الوجهِ الشرعيِّ سيظلُّ قائمًا ـ بأمرِ اللَّهِ تعالى ـ إلى أن يقضيَ اللَّهُ أمرًا كانَ مفعولًا ، ولكِنَّه فـي صورتِه المُحدودةِ والمُتناقِضةِ أيضًا بما يُلاحَظُ مِن صراعٍ بَينَ الفصائلِ ذاتِهـا ، ولكنَّه ـ أي : الجهاد ـ باقٍ بقاءَ السـمواتِ والأرضِ بأمرِ اللَّهِ على يدِ عبادِه الصالحين المُقاتِلين لِأجلِ اللَّهِ وفي سبيلِ اللَّهِ .

وقالَ الشيخُ التويجريُّ ـ رحِمَه اللَّهُ ـ تعليقًا على حديثِ عبدِاللَّهِ بن عُمرَ[3] : قالَ رأيتُ رسـولَ اللَّهِ ﷺ يُشيرُ بيدِه وهو مستقبل الشرق وأما لفظة (يوم العراق) فهي في مسند أحمد : «**ها إنَّ الفِتنةَ ها هُنا ، ها إنَّ الفِتنة هاهُنا ، ها إنَّ الفِتنة هاهُنا ـ ثلاثَ مرَّاتٍ ـ مِن حيثُ يطلُعُ قرنُ الشَّيطانِ**» .

قالَ : وفي هذه الرِّوايةِ فائدةٌ جليلةٌ ، وهي البيانُ بِأنَّ منشأُ الفِتَنِ مِن جهةِ العراقِ

---

(١) «مسـند أبـي داود» الطيالسـي (١٣٨٦) و«مسـند أحمـد» (١٥٩١٩) و«المسـتدرك علـى الصحيحيـن» (٨٤٠٣) و«صحيـح ابـن حبـان» (٥٩٥٦) و«المعجـم الكبيـر» للطبرانـي (٤٤٤) (١٩ : ١٩٨) .

(٢) «المعجم الأوسط» للطبراني (٤٥٨٣) .

(٣) «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم» و«أشراط الساعة» للتويجري (١ : ١٤٢) .

لا مِـن جِهةِ نجـدٍ ، التي هي أرضُ العربِ ، فِفِيها ردٌّ على مَـن زعمَ مِنَ الزنادِقةِ أنَّ المُرادَ بِذلِكَ أرضُ العربِ !

قُلتُ : وفيما قد سـبقَ بيانُه في الأحاديثِ وشرحِها غنيةٌ وكِفايةٌ لمن ألقى السمعَ وهـو شـهيدٌ ، والعجبُ كُلُّ العجبِ في إطلاقِه سـامحَه اللَّهُ لفظـةَ «الزنادقة» على بعـض مفسِّـري أحاديـثِ رسـولِ اللَّـهِ ﷺ في تحديـدِ المكانِ المُشـارِ إلَيـه بِقرنِ الشَّـيطانِ ، كمـا هو مُثبتٌ في قولِ مـن لا ينطِقُ عنِ الهوى ﷺ . بـل واعتبر بعضُ هـؤلاء أنَّ سـببَ تحديـدِ المشـرِقِ بناحيةِ نجـدٍ إنَّما هو العـداءُ مِن بعـضِ العُلماءِ لِحُكَّامِ تِلكَ الناحيةِ ، وهذا من محضِ الافتِراءِ أو سُـوءِ التفسـيرِ لِلأُمورِ الشـرعيةِ وربطِها بِالمصالِحِ والعِلاقاتِ ولِلأسفِ .

ونحيلُ الراغِبَ في فهمِ المسألةِ على أُسُسِها الشرعيةِ إلى النظرِ في الفقرةِ السابِعةِ مِن مُلحقِ حسنِ المالكيِّ على كِتابِ «داعيةٌ ولَيسَ نبيًّا» ص١٦٩ .

ظُهورُ الزِّنا

ظاهرة الزنا علامة صغرى

وهو مِن أخطرِ علاماتِ الساعةِ الصغرى وأشراطِها ، وهناك جُملةٌ مِنَ الأحاديثِ النَّبوِيَّةِ تُشـيرُ إلى الانحِدارِ الأخلاقيِّ في الأُمَّةِ الإسـلاميةِ آخِرَ الزمانِ ؛ حتَّى يؤدي ذلِكَ إلى الفُجورِ والدعارةِ بِصوَرٍ شتَّى والعياذُ بِاللَّهِ .

انحدار الأخلاق في مرحلة الاستعمار

ولـم تعـرفِ الأُمَّـةُ انحِـدارًا فـي الأخـلاقِ كمـا عرفَتـه في مراحِـلِ الاسـتِعمارِ والاستِهتارِ والاستِثمارِ .

فالعدوُّ المُستعمِرُ مُنذُ سيطرتِه على مُقدَّراتِ الأُمَّةِ وقرارِها بدأَ يوسِّعُ دائرةَ الغزوِ الثقافيِّ الكافِرِ ، بِشـتَّى صُورِه وألوانِه ، وفي عدةِ نماذجَ وكيفياتٍ ؛ حتَّى تمكن مِن

تحقيقِ أهدافِه السُّفلى في داخِلِ مُجتمعاتِ القُرآنِ والسُّنَّةِ جِيلًا بعدَ جِيلٍ ، وحتَّى برزَ جيلُ الكاسياتِ العارياتِ المائلاتِ المُميلاتِ مِنَ النساءِ ، وبرزَ جيلُ التهارُجِ الذي قالَ فيه ﷺ : «**ويبقى شِرارُ الناسِ يتهارجون فِيها تهارُجَ الحُمُرِ**»[1] .

بروز جيل الكاسيات العاريات

والمُطَّلِعُ على أحوالِ المُجتمعاتِ العربيةِ والإسلاميةِ اليَومَ ، والمُتمعِّنُ في مُخرجاتِ ثقافتِها وإعلامِها وتربيتِها ـ وقد صارَت هذه الثقافةُ جُزءًا لا يتجزَّأُ مِن ثقافةِ العالَمِ الآخرِ والانطِواءِ فيه ، وخاصةً في العِلاقاتِ الاجتِماعيةِ والفكريةِ والاقتِصاديةِ والعاطِفيةِ ـ يتأكَّدُ بيقينٍ مدى صِدقِ النُّبوءاتِ المُحمَّديةِ في الأُمَّةِ ، فظاهِرةُ العِلاقاتِ غَيرِ الشرعيةِ وظاهرةُ العِلاقاتِ الجنسيةِ المُحرمةِ بكُلِّ أشكالِها لا تنفكُّ عن ممارستِها أغلبُ المُجتمعاتِ الحضاريةِ ، وخاصَّةً في العواصِمِ حيثُ تختلِطُ الشُّعوبُ والأُمَمُ ، وتزدادُ حركةُ الاقتِصادِ والسياحةِ وأسبابُ الترفِ واللهوِ وفُرصُ التمتُّعِ بالحرياتِ الشخصيةِ والوظائفِ الرسميةِ وشبهِ الرسميةِ المُختلطةِ بَينَ الجِنسينِ .

ارتباط المخرجات الثقافية في العالم العربي والإسلامي بالعالم الآخر

كما أنَّ لِهذه الأمراضِ الاجتِماعيةِ السيئةِ جِهاتُ اختِصاصٍ تتبنى إدراةَ العِلاقاتِ الجِنسيةِ وتنظيمَها وتضعُ لها قواعِدَ التحصينِ الطبيِّ والمُمارسةِ المُوجَّهةِ ضِمنَ الأعمالِ السياحيةِ والفندقةِ والمسارِحِ والملاهي ، وما يُسمُّونها بالكازينوهاتِ وليالي السهراتِ ، وغيرِها من البُؤرِ والمواخيرِ التي نُقِلَت مِنَ العالَمِ الغربيِّ والشرقيِّ الكافِرِ ، وتُلاحَظُ في بعضِ البِلادِ العربيةِ والإسلاميةِ جُهودٌ لمُؤسَّساتٍ وجمعياتٍ غربيةٍ تحمِلُ صِفةَ الخِدماتِ الطبيةِ والنفسيةِ والوقايةِ البيئيةِ .

والقارِئ لِلإحصائياتِ المنشورةِ في تقاريرِ المُستشفياتِ ومراكِزِ التحصينِ

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٣٧) .

مِـنَ الأوبئةِ يرى مِقدارَ النِّسـبِ المُتكاثِـرةِ مِنَ المُصابين بِالأمراضِ الجنسـيةِ عامًا بعـدَ عامٍ بَينَ الرِّجالِ والنِّسـاءِ في داخِـلِ بِلادِ العربِ والمُسـلِمين ، أمَّا مَن يُصابُ خارِجَها فحدِّثْ ولا حرجَ .

ولِأنَّ هذه العِلَلَ جُزءٌ مِن سـلاحِ الشَّـيطانِ في معركةِ الاحتناكِ والتزيينِ والإثارةِ فلا شـكَّ أنَّ الاهتِمامَ بها من تِلكَ الجِهاتِ في الحياةِ المُعاصِرةِ سـيبرُزُ وسـيزدادُ جليًّـا فـي الواقِعِ المُتطوِّرِ مادِّيًّـا وثقافيًّا وإعلاميًّا حتَّى يبلغَ إلـى أقصاه في نماذجِه التي قد تكلَّمَ عنها مَن لا ينطِقُ عنِ الهوى ﷺ في مِثلِ قَولِه : «**والذي نفسـي بيدِه، لا تفنـى هـذه الأُمَّةُ حتَّـى يقومَ الرجُـلُ إلى المـرأةِ فيفترِشُـها في الطريـقِ ، فيكونُ خِيارُهم يومئِذٍ مَن يقولُ: لَو واريتَها وراءَ هذا الحائِطِ ...** »[1].

مستقبل الانحدار الخلقي في العالم الإسلامي

وصـدقَ رسـولُ اللَّـهِ ﷺ ؛ حيـثُ إنَّ الواقِعَ المُشـاهَدَ في كثيرٍ مِن بـلادِ العربِ والمُسـلِمين اليَـومَ قد قـاربَ هذه الحالةَ ، إن لم يكُنْ قـد تجاوزَها إلى ما هو أقذرُ وأوسخُ وأفسدُ .

خطورة ما يدور خلف الكواليس في المسارح والأندية وغيرها

ومِنَ المعلومِ أنَّ كثيرًا مِنَ المُمارسـاتِ لا تظهرُ مكشـوفةً على الإعلامِ المحليِّ والرسـميِّ إلَّا في حُدودٍ مُعينةٍ ، ولكِنَّها عِنـدَ تتبُّعِها في الواقِعِ المُعاشِ تُلاحَظُ بَينَ الحيـنِ والآخرِ بِطريقةٍ وأُخـرى ، وخاصَّةً في الأنديةِ ودُورِ السـياحةِ والمُنتزهاتِ والفنـادقِ وغيرِها . وقد وصفَها ﷺ بالسـنواتِ الخدَّاعاتِ في ظُهورِها المُتفشِّـي والمُتدرِّجِ ، وذكرَ فِيها : «**وتشيعُ فِيها الفاحِشةُ**»[2] . قالَ القُرطُبيُّ في كِتابِه «المفهم» تعليقًا على حديثِ أنسٍ الواردِ فيه : «**ويظهرُ الزِّنا**» : في هذا الحديثِ علَمٌ مِنَ أعلامِ

---

(١) «مسند أبي يعلى» (٦١٨٣) .

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٨٥٦٤) .

النُّبوَّةِ إذ خبَّرَ عن أُمورٍ ستقعُ ، فوقعَت خُصوصًا في هذه الأزمانِ[1] .

وإذا كانَ هذا في زمانِ القُرطُبيِّ فماذا يُقالُ عن زمانِنا وحاضرِنا المنقوضِ المقبوضِ ؟! ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللَّهِ العليِّ العظيمِ .

ظُهورُ الأمراضِ التي لم تكُنْ في الأسلافِ

ظهور وانتشار الأمراض الوبائية

ومِنَ العلاماتِ الصُّغرى المنصوصِ علَيها في أحادِيثِ مَن لا ينطِقُ عنِ الهوى انتِشارِ العديدِ مِنَ الأمراضِ الوبائيةِ على غَيرِ سابِقِ عهدِها في الأُممِ والشُّعوبِ ، وقد برزَت هذه الظاهِرةُ وتفشَّتْ وخاصَّةً في مراحِلِنا الأخيرةِ ، فظهرَت الأمراضُ الوبائيةُ الخطيرةُ كالإيدزِ وإنفلونزا الطيورِ والخنازيرِ وغيرِها مِنَ الأمراضِ المُستعصيةِ التي لا زالَ العُلماءُ يبحثون عن وسائلِ عِلاجِها ومعرفةِ أسبابِ انتِشارِها في الشُّعوبِ إلى اليَومِ .

نقضُ عُرىٰ الإسلامِ والإيمانِ

نقض عرى الإسلام والإيمان عروة عروة

ومنْ عَلَامَاتِ الساعةِ الصُّغْرَى نَقْضُ عُرَى الإسلامِ والإيمانِ، لِمَا رَوَى الحاكِمُ عن حُذيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : « لتُنقضَنَّ عُرى الإيمانِ عُروةً عُروةً، وليكونَنَّ أئمةٌ مُضِلُّون ، وليخرُجَنَّ على إثرِ ذلِكَ الدَّجَّالون الثلاثةُ »[2] .

وعن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**لتُنقضَنَّ عُرى الإسلامِ عُروةً عُروةً ، كُلَّما نُقِضَت عُروةٌ تشبَّثَ الناسُ بالتي تليها ، أولُهُنَّ نقضًا الحُكمُ ، وآخِرُهُنَّ**

(١) «فتح الباري» (١: ١٧٩) .

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٨٦١١) .

الصلاةُ»[1].

وهذه العلامةُ الخطيرةُ قد برزَت جليَّةً في واقِعِنا العربيِّ والإسلاميِّ مرحلةً بعدَ أُخرى وتنقسِمُ إلى قِسمَين:

بداية النقض في العهد الأموي وما تلاه

١. **القِسْمُ الأَوَّلُ**: النقضُ الكائِنُ داخِلَ الخَيمةِ الإسلاميةِ، وقد بَدأَ هذا النقضُ باديَ ذي بدءٍ بِدولةِ المُلكِ العضوضِ في عهد بني أُميةَ، ثُمَّ تلاه نقضُ عُرى العِلمِ في حُكمِ بني العبَّاسِ، ثُمَّ في الصِّراعِ الداخليِّ بَينَ المُسلِمين خِلالَ عصرِ الدُّوَيلاتِ، وما ترتَّب على ذلِكَ مِن رُؤى فكريةٍ مُتناقِضةٍ، مِنها ما نقضَ قرارَ الحُكمِ واستبدَّ بِه، ومِنها ما نقضَ قرارَ العِلمِ وسيَّسَه ودنَّسَه.

نقض الحكم والعلم في مرحلة الاستعمار

٢. **القسمُ الثاني** ـ وهو الأنكى والأخطرُ ـ: ما عمَّ العالمَ العربيَّ والإسلاميَّ حُكمًا وعِلمًا، ورَبَطَ هذين القرارينِ بِالكُفرِ والكافرِ بعدَ إسقاطِ خِلافةِ السُّلطانِ عبدِ الحميدِ الثاني، آخِرِ خُلفاءِ الإسلامِ قُبَيلَ مرحلةِ الاستعمارِ.

وهذا هو النقضُ المُشارُ إليه في جُملةِ الأحاديثِ مِن قولِه ﷺ: «**لتُنقضنَّ عُرى الإسلامِ عُروةً عُروةً**». وقد تمَّ هذا النقضُ مرحلةً بعدَ أُخرى تحتَ إشرافِ وهندسةِ الخُبراءِ من المُستشرِقينَ حتَّى آلَ العالمُ العربيُّ والإسلاميُّ إلى نموذجَين مُتعارِضَين:

نماذج النقض في العالم العربي والإسلامي

- نموذجٌ عِلمانيٌّ علمنيٌّ يرتبطُ بالفكرِ الغربيِّ والشرقيِّ ومُخرجاتِه العلميةِ والثقافيةِ والاجتِماعيةِ والحزبيةِ والسياسيةِ ... إلخ.

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢١٦٠) و«صحيح ابن حبان» (٦٧١٥) و«المعجم الكبير» للطبراني (٧٤٨٦) و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم(٧٠٢٢) و«شعب الإيمان» للبيهقي (٧١١٨).

- نمـوذجٌ دينيٌّ مُتطـرِّفٌ مُتناقِضٌ يعملُ على هدمِ ثوابِتِ المذهبيةِ الإسـلاميةِ وحُـبِّ آلِ البيتِ وسُـلوكِ التصـوُّفِ والزُّهدِ الشـرعيِّ في الأُمَّةِ بِمُسـمَّياتٍ وأُحجياتٍ سياسيةٍ وشِبهِ سياسةٍ مُتطرِّفةٍ .

وكِلا النموذجَيـن يعمـلانِ تحـتَ ظِلِّ السياسـةِ العالميـةِ المُهيمنةِ علـى القرارِ الإنسانيِّ كُلِّه .

استمرار نماذج النقض في اللعبة المشتركة إلى اليوم

ولا زالَـتْ هـذه النمـاذِجُ المُتناقِضةُ تُنفِّذُ الفِكرةَ تِلوَ الأُخرى لِاسـتمرارِ سياسـةِ النقـضِ الموعودِ في علاماتِ السـاعةِ وبِصُورٍ مُتنوِّعـةٍ ومُتلوِّنةٍ ، يصعُبُ الإفصاحُ عنهـا بِوُضـوحٍ ؛ لِمـا يترتَّبُ على ذلِـكَ مِن إحـراجٍ واصطِدامٍ معَ عناصِـرِ الحركةِ المُتنفذةِ في الواقعَين العربيِّ والإسلاميِّ المُمزَّقِ ، وإنا للَّهِ وإنا إلَيه راجِعون ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلَّا بِاللَّهِ العليِّ العظيمِ .

تتصور الرموز ورجالات العلم والثقافة «النخبة» قدرتها على تطوير الأُمَّة من غَير إسلام

لقـدِ اعتقـدَ الكثيرون مِنَ الساسـةِ والقـادةِ وزُعماءِ الأحـزابِ والجماعاتِ التي تتحـرَّكُ اليـومَ في السـاحةِ العربيـةِ والإسـلاميةِ أنهم يحملـونَ برامِـجَ إيجابيةً في المرحلةِ المُعاصِرَةِ ، وأنَّهم أفضلُ النماذِجِ لإعادةِ الإسـلامِ والديانةِ في الشُّعوبِ، وخاصَّةً أنهم مُجمِعون على العملِ المُشتركِ ضِدَّ خُرافاتٍ وخُزعبلاتٍ وضلالاتِ المـدارِسِ التقليديـةِ مِـن جهـةٍ ، ومُجمِعون علـى ربطِ الحضـارةِ الماديِّـةِ بِالحياةِ وإبرازِها في أنصعِ صُورِها المُتأسلِمةِ .

هذا الفقه (مادة خام) لا زالت تنتظر الباحثين ولم تُفَعّل بعد

لكنَّهم ـ ولِلأسـفِ ـ لا يُدرِكون حجمَ المُغامرةِ التي يتداولونها بِترسـيخِ القبضِ والنقضِ المنصوصِ علَيهِ في فِقهِ التحوُّلاتِ وعلاماتِ الساعةِ ، لِأنَّ فِقهَ التحوُّلاتِ وعلاماتِ السـاعةِ «مادةٌ خامٌ» في مظانِّها في المراجِعِ والمؤلَّفاتِ الشـرعيةِ ، ولم تُفعَّـلْ كفِقهٍ شـرعيٍّ يربِطُ بَينَ مُجريـاتِ الأحداثِ وبَينَ مقولاتِ مَـن لا ينطِقُ عنِ

الهـوى ﷺ ، وقد ذهـبَ ضحيةَ هذا الجهـلِ المُركَّبِ آلافُ الضحايا من شُـعوبِ المُسـلِمين ووقعوا ـ باسـمِ الإسـلامِ ونُصرتِه ـ في برامجِ الاحتِواءِ والالتِواءِ ، التي يُهيمِنُ الكافِرُ على مُقدَّراتِها وقرارِها ومصيرِها المحتومِ .

الضحايا من الشعوب المشاركين في برامج الاحتواء والالتواء

فالكافِرُ يؤيِّدُ القبضَ والنقضَ كمبدأٍ شَـيطانيٍّ ناجحٍ ، كما يُؤيِّدُ التفرقةَ والصِّراعَ بَينَ البشـريةِ تحتَ أيِّ مُسـمًّى فِكريٍّ أو ثقافيٍّ أو دينيٍّ أو اجتِماعيٍّ أو سياسـيٍّ أو اقتِصاديٍّ .

والمعلـومُ أنَّ مرحلـةَ الغُثائيةَ التـي عبَّرَ عنها ﷺ بأنها «مرحلـةُ التداعي والوهنِ وحُـبِّ الدُّنيا وكراهيةِ المَوتِ ونزعِ المهابةِ مِن صُـدورِ العدوِّ» ، إنَّما هي المرحلةُ الحديثـةُ التي بدأَت بِسـقوطِ قـرارِ الخِلافـةِ وبدءِ مرحلةِ الاسـتِعمارِ ، ثُـمَّ مرحلةِ الاستِهتارِ ، ثُمَّ مرحلةِ الاستِثمارِ ، التي نحن اليَومَ في خِضمِّ أَتونِها وأُوارِها..

مرحلة التداعي والوهن ودورها في النقض

ونـرى اليَومَ كُلَّ حِزبٍ أو نِظـامٍ أو دَولةٍ تلوحُ بِالبرامِجِ الجُزئيـةِ دينيةً وغيرَ دينيةٍ وكأنهـا الإسـلامُ ذاتُه ، أو هي كِتـابُ اللَّهِ وسُـنَّةِ نبيِّه مُحمَّدٍ ﷺ ، بينمـا هي غارِقةٌ إلى النُّخاعِ في العمالةِ المقنَّعةِ لِبُيوتِ المالِ الدَّوليةِ مُسـتعمَرةٌ مُسـتثمَرةٌ بِيدِ رِجالِ الأعمـالِ الأجنبيـةِ ، وها هي الأنظمةُ والجماعاتُ والأحـزابُ مُضطرةً بَينَ الحينِ والآخَرِ لِتقديمِ التنازُلاتِ تِلوَ التنازُلاتِ ، وهو ما سمَّاه النبيُّ ﷺ بـ «نقضِ العُرى» لِإرضـاءِ المُتنفِذيـن على القـرارِ المحليِّ والعربـيِّ والعالميِّ «وآخِرُ مـا يبقى لهمُ الصلاةُ ، ورُبَّ مُصلٍّ لا أمانةَ له» .

شعارات الكتاب والسنة كظاهرة من ظواهر النقض

ومعناه : أنَّه لا يبقى لهم مِن مُخالفةِ الكُفَّارِ غيرُ فِعلِ الصلاةِ فقط ، بينما تجِدُ كافَّةَ شُؤونِ الإمارةِ والاقتِصادِ والتربيةِ والتعليمِ والثقافةِ والإعلامِ ـ وهَلُمَّ جرًا ـ صارَت جُزءًا مِن مشروعِ النِّظامِ العالميِّ المُوحَّدِ «العولمةِ» .

إنَّ كافَّةَ البرامِجِ المطروحةِ في الساحةِ مُنذُ سُقوطِ القرارِ الإسلاميِّ العالميِّ بتقسيم «تركةِ الرجُلِ المريضِ» قد دخلَت ـ طوعًا أو كرهًا ـ تحت «سياسةِ القبضِ والنقضِ» المنصوصِ علَيها في فِقهِ علاماتِ الساعةِ .

لا أمل في نجاح البرامج المطروحة حاليا لإنقاذ الأُمَّة

ولا أملَ في كونِها قادرةً على إعادةِ ترتيبِ الأُمَّةِ الإسلاميةِ والعربيةِ ـ كُليًّا ـ إلى حقيقةِ الديانةِ الشرعيةِ المُتكامِلةِ إطلاقًا ؛ وإنَّما وظيفتُها الموجَّهةُ عالميًا محصورةٌ في تحسينِ فُرصِ الاستِقرارِ والاستِثمارِ ، وهو مطلبٌ هامٌّ في المُجتمعِ ولكن معَ تفعيلِ الصِّراعِ الدينيِّ والحِزبيِّ السياسيِّ داخِلَ المُجتمعاتِ المُتناقِضةِ المُتعارِضةِ؛ ليستثمِرَها العدوُّ المُشتركُ ساعةَ الحصادِ لمصلحتِه ، ولا أكثرَ مِن ذلِكَ ... فهل مِن مُتأمِّلٍ ؟!

فناء بعض الشعوب علامة صغرى

فناءُ بعضِ الشُّعوبِ والقبائلِ

تُشيرُ أحاديثُ علاماتِ الساعةِ الصغرى إلى إسراعِ الهلاكِ في بعضِ القبائلِ قبلَ غيرِها مِن مُعاصريها ، ويكونُ السببُ في ذلِكَ ما شرحَته الأحاديثُ مُجملًا كالمُلكِ أوِ الحميَّةِ أوِ المُنافسةِ ، وفُهِمَ مِن مُتابعةِ الأحاديثِ المُتنوِّعةِ أنَّ صِفةَ الهلاكِ الشامِلِ تكونُ بعدَ مرحلةِ هدمِ الكعبةِ على يدِ الحبشةِ في آخِرِ الزمانِ ، ويُؤيِّدُ ذلِكَ حديثُ : «**يُبايعُ لِرَجُلٍ بَينَ الرُّكنِ والمقامِ ، وأوَّلُ مَن يستحِلُّ هذا البيتِ أهلُه** ـ أي : ينتهِكوا حُرُماتِه ـ **فإذا استحلُّوه فلا تسألْ عن هلكةِ العربِ ، ثُمَّ تجيءُ الحبشةُ ، فيُخرِّبونه خرابًا لا يعمُرُ بعدَه أبدًا ، وهمُ الذين يستخرِجونَ كنزَه**»[1] .

طلب الملك والحمية سبب في فناء بعض الشعوب

وعن طلحةَ بنِ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**مِنَ اقتِرابِ الساعةِ**

(١) «مسند أحمد» (٧٩١٠) و«مسند أبي داود» الطيالسي (٢٤٩٤) .

هلاكُ العربِ ... »[1] .

هلاك العرب

وعـنِ ابـنِ عبّـاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قـالَ : «أوّلُ العربِ هـلاكًا قُريـشٌ وربيعـةُ ، قالوا : وكيفَ؟ قالَ : أمّا قُريشٌ فيُهلِكُها المُلكُ ، وأمّا ربيعةُ فتُهلِكُها الحميَّةُ»[2] .

وعن عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : إنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ : «أوّلُ الناسِ هلاكًا قُريشٌ ، وأوّلُ قُريشٍ هلاكًا أهلُ بيتي»[3] .

وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «أوّلُ الناسِ هلاكًا قُريشٌ ، وأوّلُ قُريشٍ هلاكًا أهلُ بيتي»[4] .

وعن عائِشـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَت : دخلَ عليَّ رسـولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو يقولُ : «يا عائشـةُ ، قَومُـكِ أسـرعُ أُمَّتي بي لِحاقًـا» . قالَت : فلمَّا جلسَ قُلتُ : يا رسـولَ اللَّهِ ، جعلني اللَّهُ فداءَك ، لقد دخلْتَ وأنت تقولُ كلامًا ذعرني فقالَ : «وما هو ؟» قالَتْ تزعُمُ أنَّ قَومِي أسـرعُ أُمَّتِكَ بِك لِحاقًا ؟ قالَ : «نعم» . قالَت : وبِمَ ذاك ؟ قالَ : «تسـتحليهمُ المنايـا وتنفـس علَيهم أُمَّتهم» قالَت : فقُلتُ فكيفَ النـاسُ بعدَ ذلِكَ أو عِندَ ذلِكَ؟ قالَ : «دبى يأكُلُ شِـدادُه ضِعافَه حتَّى تقومَ علَيهِمُ السـاعةُ»[5] ، والدبى : الجنادِبُ التي لم تنبُتْ أجنِحتُها .

---

(١) «سـنن الترمـذي» (٣٩٢٩) و«مصنـف ابـن أبـي شـيبة» (٣٢٤٧٧) و«المعجم الأوسـط» للطبراني (٢٥٥٧) .

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٥٨٧٠) .

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٠٢٠) .

(٤) «سلسـلة الأحاديـث الصحيحة» للألبانـي (١٧٣٧) و«صحيح الجامـع الصغير» (٢٨٠٥) و«الفردوس بمأثور الخطاب» للديلمي (٩٠) و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (١: ٣٨٨) .

(٥) «مسند أحمد» (٢٤٥٩٦) .

ظاهِرةُ تركِ الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ «رسميًا» وبقائه «شعبيًا»

ومِـن ظواهِـرِ علاماتِ السـاعةِ الصُّغرى تركُ الجِهادِ في سـبيلِ اللَّـهِ على صفتِه الشـرعيةِ رسـميًّا ، فلا تسـتقيمُ له دَولةٌ مِنَ الدُّولِ العربيةِ أوِ الإسـلاميةِ المُجزَّأةِ ، بل يُسـتقبَحُ أمرُه ، ويُسـتصغَرُ شأنُ الداعي له ، وتشـتغِلُ الشُّعوبُ بما هو أدنى مِن ذلِكَ، تحقيقًا لِما أخبرَ به ﷺ مِن قَولِه : «**إذا تبايعتُم بالعِينةِ ، وأخذتُم أذنابَ البقرِ، ورضِيتُم بالزرعِ ، وتركتُم الجِهادَ ؛ سـلَّطَ اللَّهُ علَيكم ذُلًّا لا ينزِعُه حتَّى ترجِعُوا إلى دينِكم**» [1] .

أسباب ترك فريضة الجهاد

ويعودُ تركُ فريضةِ الجِهادِ في هذه المراحِلِ لسببَين :

الأوَّلُ : انتِهاءُ العملِ بقرارِ الجِهادِ رسـميًّا بِسقُوطِ قرارِ الحُكمِ الإسلاميِّ الذاتيِّ واستِتباعِ القرارِ لحملةِ شُروطِه المُدَونمةِ .

الثاني : همينـةُ الكُفَّارِ بعدَ سُـقوطِ دَولةِ الخِلافةِ على قرارِ الحربِ وقرارِ السِّـلمِ والعملِ على صرفِ الأنظِمةِ العربيةِ والإسلاميةِ عنِ الجهادِ إلى سياسةِ الاستِسلامِ وقَبولِ التَّعايُشِ المُذِلِّ لِلمُسـلِمين بِسياسةِ الاسـتِعمار ثُمَّ الاستِهتارِ ثُمَّ الاستِثمارِ. وقـد برزَ هذا الأمـرُ واضِحًا وجليًّا في مراحِلِ التدرُّجِ السياسـيِّ الذي مرَّ بِالأنظِمةِ العربيـةِ والإسـلاميةِ خِلالَ مرحلـةِ التطبيعِ ومرحلـةِ غرسِ الكيـانِ الصهيونيِّ في أرضِ فِلسطينَ ، وقد كانَت بعضُ الأنظِمةِ العربيةِ والإسلاميةِ تدعو إلى الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ ضِدَّ الاحتِلالِ الصهيونيِّ ، بل وشاركَت جُيوشُها في المعارِكِ العسكريةِ، ولكنَّها آلَت فيما بعدُ إلى الهزيمةِ والانكِسارِ والخيانةِ ؛ نتيجةَ اختِراقِ العدوِّ الكافِرِ

---

(١) «سنن أبي داود» (٣٤٦٢) .

مواقِعَ القرارِ فِيها ، ونتيجةَ المُلابساتِ والتسييسِ الاستِعماريِّ المُبرمَجِ .

وبقِيَ الجِهادُ الشعبيُّ القائمُ على صِفةِ الحزبيةِ السياسيةِ ضِدَّ قُوى الاستِعمارِ والصهيونيةِ ، كما هو في تحريرِ بعضِ البِلادِ العربيةِ مِنَ الاحتِلالِ إبانَ مرحلةِ الدُّهَيماءِ ، أو كما هو في فِلسطينَ إلى اليَومِ ضِدَّ اليهودِ المُحتلِّين ، أو كما هو في غيرِها مِن بِلادِ المُسلِمين مُتَّخِذًا صِفةَ الصِّراعِ معَ الأنظِمةِ ، وتحتَ شِعاراتٍ مُتنوِّعةٍ ذاتِ صِبغةٍ دينيةٍ مُسَيَّسةٍ ، أو صِبغةٍ قَوميةٍ أو فئويةٍ أو حزبيةٍ تحريشيةٍ قائمةٍ على سياسةِ «فرِّقْ تسُدْ» .

ومعَ هذا وذاكَ فلا تخلو هذه الدعواتُ مِن أفرادٍ مُخلِصين ومُجاهِدين في سبيلِ اللَّهِ ، ولكنَّ الهيكلَ الإداريَّ الحِزبيَّ المُتَّخَذَ والأيديولوجياتِ المُتبعةَ في التنفيذِ تُبرِزُ حرجَ الربطِ بَينَها وبَينَ مفهومِ الجِهادِ الشرعيِّ الحامِلِ صِفةِ «الجِهادُ لِتكونَ كلمةُ اللَّهِ هي العُليا» ، واللَّهُ أعلمُ بِعبادِه ونيَّاتِهم .

نموذج آخر للجهاد.. الجهاد بالكلمة، وهو الذي دخلت به شعوب كاندنوسيا وسيلان وغيرها في الإسلام

أمَّا الجِهادُ في سبيلِ اللَّهِ بالحكمةِ والموعِظةِ الحسنةِ معَ تجنُّبِ الصِّراعِ الدمويِّ التحريشيِّ فهو دَيدنُ بعضِ الجماعاتِ الإسلاميةِ ، ولا زالَ هذا النموذجُ مُنتشِرًا مُنذُ عُهودِ الخِلافةِ إلى اليومِ ، ولا زالَ يؤدِّي دورَه الشرعيَّ الواجِبَ لإنقاذِ ما يمكِنُ إنقاذُه بِالحكمةِ ونشرِ العِلمِ في المساجِدِ والأربطةِ والزوايا والخلواتِ والمُدُنِ والقُرَى ، ولها الدَّورُ الفاعِلُ في إدخالِ مئاتِ الآلافِ مِنَ الكُفَّارِ وعبدةِ الأوثانِ إلى الإسلامِ في العالمِ كُلِّه . ومِثالُها في أندونسيا وجُزُرِ الفِلبينِ وشرقِ إفريقيا والهندِ وسيلانَ وغيرِها مِنَ البِلادِ بارزٌ وواضحٌ على مدى التاريخِ القريبِ والبعيدِ .

شعار هذا الجهاد «كلمة حق عند سلطان جائر»

وهذا النموذجُ مِنَ الجِهادِ بِالكلمةِ يتَّخِذُ مِن حديث رسولِ اللَّهِ ﷺ شِعارًا عمليًّا :

«أفضلُ الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ كلمةُ حقٍّ عِندَ سُلطانٍ جائر»[1]، والسلطانُ الجائرُ في أحـدِ معاني الحديثِ هو المرحلةُ الجائرةُ، التي يتعطَّلُ فِيها الجِهادُ في سـبيلِ اللَّهِ على الوجهِ الشـرعي فيُستعاضُ عنه ولو إلى حينٍ بالجِهـادِ بالكلِمةِ الطيبةِ، وإليه يُشـيرُ أيضًـا حديثُ أبي جُحَيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـالَ: «أقلُّ ما تُغلبَون علَيهِ مِنَ الجِهادِ الجِهادُ بأيديكم، ثُمَّ الجِهادُ بألسِـنتِكم، ثُمَّ الجِهادُ بِقُلُوبِكم، فأيُّ قلبٍ لم يعرفِ المعروفَ، ولم يُنكِرِ المُنكرَ؛ جعلَ أعلاه أسفلَه»[2].

حتى الجهاد بالكلمة لم يسلم من الطعن

وقد تعرَّضَ هذا النموذجُ مِنَ الجِهادِ في سـبيلِ اللَّهِ بالكلِمةِ الطيبةِ والحكمةِ إلى القـذعِ والتقريـعِ والتبديعِ، خُصوصًا فـي مرحلةِ الغُثائيةِ المُعاصِـرةِ؛ نتيجةَ بعضِ مظاهِـرِ الإفـراطِ والتفريطِ والعاداتِ والعِباداتِ والاعتِقاداتِ، التي شـابَت بعضُ المجموعـاتِ فـي عِلاقتِهـا بالأحياءِ والأمـواتِ، مـعَ أنَّ الحلَّ الأمثـلَ لِلمُعالجةِ وإبقـاءِ دَورِ الكلِمـةِ الطيِّبةِ يقتضي مُعالجةَ الإفراطِ لدى دُعاةِ السـلامةِ والحِكمةِ، ومُعالجـةَ ما يقابِلُه مِنَ التفريـطِ لدى المُنتقِدين والمُنازِعين لهم؛ لِيُسـهِمَ الجميعُ في إنقاذِ ما يُمكِنُ إنقاذُه مِن عِلاقةِ الأُمَّةِ بالإسـلامِ، وعِلاقةِ الإسـلامِ بالأُمَّةِ؛ حتَّى تستعيدَ الأُمَّةُ فرضيةَ الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ على الوجهِ الشرعيِّ المطلوبِ.

الطائفة المنصورة علامة صغرى

الطائفةُ المنصورةُ.. بقاءُ الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ «حَصْرِيا» إلى يومِ القِيامةِ

ومِـنْ عَلَامَاتِ السـاعةِ الصُّغْـرَى بقاءُ الجِهادِ، وقـد تعدَّدَتِ الرِّوايـاتُ الخاصَّةُ بِمفهومِ بقاءِ الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ حصريًّا، فمنها ما حملَ مفهومَ الجِهادِ بِالمُقاتلةِ، ومِنهـا مـا حملَ معنى الجِهـادِ بِالمُرابطةِ والثبـاتِ والالتِزامِ والأخـذِ بالديانةِ على

(١) «مسند أحمد» (١١١٤٣).

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٣٧) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٨٧٣٣).

مدلولِ الأحاديثِ الجامِعةِ لِمفهومِ بقاءِ الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ ،ومِنها :

أحاديث الطائفة المنصورة

«لا تزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتِي على الحقِّ منصورين»[1] .

وفي لفظٍ : «يُقاتِلونَ على الحقِّ ظاهِرينَ»[2] .

وفي لفظٍ آخَرَ : «حتَّى يُقاتِلَ آخِرُهم المسيخَ الدَّجَّالَ»[3] .

وفي لفظٍ آخَرَ : «لن يبرحَ هذا الدينُ قائِماً ، يُقاتَلُ علَيهِ عِصابةٌ مِنَ المُسلِمين حتَّى تقومَ الساعةُ»[4] .

وفي لفظٍ آخَرَ : «لا تزال عِصابةٌ مِن أُمَّتي يُقاتِلون على أمرِ اللَّهِ ، قاهِرين لِعدوِّهم ، لا يضرُّهم مَن خالفَهم حتَّى تأتيَ الساعةُ وهم على ذلِكَ»[5] .

الإشارة إلى الإسلام ووجود الطائفة المنصورة بها

وفي لفظٍ : «يقذِفُ اللَّهُ بِهم كُلَّ مقذفٍ ؛ حتَّى يُقاتِلوا فُصولَ الضلالةِ لا يضرُّهم مَن خالفَهم ، حتَّى يُقاتِلوا الأعورَ الدَّجَّالَ ، وكلُّهم أكثرُ أهلِ الشامِ»[6].

وفي لفظٍ : «لا تزالُ بِدِمشقَ عُصابةٌ يقاتِلون على الحقِّ حتَّى يأتيَ أمرُ اللَّهِ وهم ظاهِرون»[7] .

وفي لفظٍ : قيلَ : يارسولَ اللَّهِ ، فأنَّى هُم ؟ قالَ : «بِبَيتِ المقدِسِ»[8] .

وعن سلمةَ بنِ نُفَيلٍ الكِنديِّ قالَ : كُنتُ جالِسًا عِندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ رجُلٌ

---

(١) «سنن ابن ماجه» (١٠) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٦٥٣) .

(٢) «صحيح مسلم» (١٥٦) (١٩٢٣) .

(٣) «سنن أبي داود» (٢٤٨٤) .

(٤) «صحيح مسلم» (١٩٢٢) .

(٥) «صحيح مسلم» (١٩٢٤) .

(٦) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (١ : ٢٦٧) .

(٧) «تاريخ دمشق» (١ : ٢٥٦) .

(٨) «المعجم الكبير» للطبراني (٧٦٤٣) .

يا رسـولَ اللَّهِ : أذالَ الناسُ الخَيلَ ووضعوا السِّـلاحَ ، وقالوا : لا جِهادَ قدْ وضعَتِ الحـربُ أوزارَها ، فأقبلَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ بِوجهِه ، وقـالَ : «كذبُوا ! الآنَ الآنَ جاءَ القِتـالُ ، ولا يـزالُ مِن أُمَّتي أُمَّـةٌ يُقاتِلون على الحقِّ ، ويُزِيغُ اللَّـهُ لهم قُلُوبَ أقوامٍ ، ويرزقُهم مِنهم حتَّى تَقُومَ الساعةُ ، وحتَّى يأتيَ وعدُ اللَّهِ والخَيلُ معقودٌ في نواصيها الخَيرُ إلى يَومِ القِيامةِ ، وهو يُوحَى إليَّ أنِّي مقبوضٌ غيرَ مُلبَّثٍ ، وأنتم تتبعوني أفنادًا يضـرِبُ بعضُكـم رِقابَ بَعـضٍ ، وعُقرُ دارِ المؤمِنين الشـامُ»[1] . إسـنادُه صحيحٌ ، وفـي البابِ جُملةٌ مِنَ الأحاديثِ وكلُّها يُفيدُ بقاءَ الجِهادِ الشـرعيِّ في سـبيلِ اللَّهِ ، وخاصَّةً في الشـامِ وبيتِ المقدِسِ ، ومنه حديث عمرِو بنِ عبدِ اللَّهِ الحضرميِّ عن أبـي أُمامةَ قالَ : قالَ رسـولُ اللَّهِ ﷺ : «لا تـزالُ طائفةٌ مِن أُمَّتي على الحقِّ ظاهِرينَ لعدوِّهـم قاهِرين لا يضُرُّهم مَن خالفَهم إلا مـا أصابَهم مِن لَأْواءِ ، حتَّى يأتِيَهم أمرُ اللَّـهِ وهم كذلِكَ»، قالوا يا رسـولَ اللَّهِ ، وأينَ هـم ؟ قالَ : «بِبَيتِ المقدِسِ وأكنافِ بَيتِ المقدِسِ»[2] .

الأحاديثُ الجامِعةُ لمفهومِ البقاءِ على الحقِّ دونَ ذكرِ الجِهادِ

الطائفة المنصورة غير التي تجاهد بالسيف

«لا تـزالُ طائفـةٌ مِن أُمَّتي على الحـقِّ منصورين ، لا يضُرُّهم مَـن خالفَهم ، حتَّى يأتيَ أمرُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ »[3] .

وفي لفظٍ : «لا يزالُ أهلِ المغربِ مِن أُمَّتي ظاهِرين إلى أن تَقُومَ السَّاعَةُ»[4] .

---

(١) «سنن النسائي المجتبى» (٣٥٦١) .

(٢) «مسند أحمد» (٢٢٣٢٠) .

(٣) «سنن ابن ماجه» (١٠) .

(٤) «صحيح مسلم» (١٩٢٥) بلفظ : «أهل الغرب».

وفي لفظٍ : «منصورين لا يضُرُّهم خُذلانُ مَن خذلَهم حتَّى تقومَ الساعةُ» [1].

وفي لفظٍ : «لا تقومُ الساعةُ إلا وطائفةٌ مِن أُمَّتي ظاهِرين على الناسِ لا يُبالون من خذلَهم ، ولا من نصرَهم» [2].

وفي لفظٍ : «لا تزالُ طائفة من أُمَّتي قوَّامةً على أمرِ اللَّهِ لا يضرها من خذلها» [3].

وفي لفظٍ : «عزيزةً على الدينِ إلى يومِ القيامةِ»[4] .

وفي لفظٍ : «لا يزالُ لِهذا الأمرِ عِصابةٌ على الحقِّ لا يضُرُّهم خِلافُ مَن خالفَهم حتَّى يأتيَ أمرُ اللَّهِ وهم كذلِكَ»[5] .

أحاديث الطائفة المنصورة تشير إلى بقاء الجهاد إلى يوم القيامة

وهذه الأحاديثُ بمُجملِها تشيرُ إلى وُجودِ الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ في أُمَّةِ الإسلامِ على وجهِه الصحيحِ ، وأنَّه لا ينقطِعُ أبدًا .

الطائفة المنصورة لا تنتمي إلى دَولة أو جماعة أو حزب

كما تُشيرُ إلى التِزامِ الطائفةِ المنصورةِ منهجَ الدِّيانةِ الإسلاميةِ لا تحيدُ عنه أبدًا، ولكنَّا عِندَ الإشارةِ بهذه الأحاديثِ لِلواقِعِ المُعاشِ فإنَّ الطائفةَ المنصورةَ ـ كما يظهَرُ ـ لا تنطوي تحتَ ظِلِّ سياسةٍ مُعاصِرةٍ ولا نظامٍ قائمٍ ولا حزبيةٍ أو فِئويةٍ مُسَيَّسةٍ ، وإنَّما هم عِبادُ اللَّهِ الصابِرون الصالِحون في كُلِّ موطنٍ وأُمَّةٍ : لا تجمعُهم سياسةٌ مُحدَّدةٌ ، ولا مذهبٌ مُعيَّنٌ ، ولا إطارٌ مُسيَّسٌ ، ولا مُسمًّى خاصٌّ ، أتقياءُ أخفياءُ يحفَظُ اللَّهُ بهم عِبادَه ، ويصونُ بهم ميراثَ النُّبوَّةِ حتَّى يقضيَ اللَّهُ أمرًا كانَ مفعولًا .

---

(١) «صحيح ابن حبان» (٦١) .

(٢) «سنن ابن ماجه» (٩) .

(٣) «سنن ابن ماجه» (٧) .

(٤) «جامع الأحاديث» للسيوطي (١٦٣٧٥) ، وذكره الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٥:٥٥٣) .

(٥) «مسند أحمد» (٨٢٧٤) .

وإن بـرزَ أحدٌ مِنهم أو جماعةٌ بِمُسـمَّى الجِهادِ فعلامتُهم إقامةُ الجِهادِ الشـرعيِّ على وجهِه الصحيحِ بعيدًا عن تسـييسِ التحوُّلاتِ والتكتُّلاتِ وسياسةِ المُنظماتِ والجماعاتِ المشبوهةِ المُخترِقةِ.. واللَّهُ أعلمُ .

اختِفاءُ التعامُلِ بالنقدَين

تدمير المقياس المالي للبشرية الذهب والفضة

ومِـنَ العلامـاتِ الصُّغـرى التـي تحدَّثَ عـن وُقوعِها ﷺ فـي الأُمَّةِ مـا يقعُ مِنَ (العبـثِ الاقتِصـاديِّ) بالنقدَيـن وتداوُلِهمـا ، وهمـا ـ أي : النقـدان ـ ممثـلان في (الذهبِ والفِضَّةِ) أساسُ التنميةِ المَالِيَّةِ المُتداولةِ عبرَ التاريخِ الإنسانيِّ كُلِّه .

وقـد نَبَّهَتِ الأحاديـثُ على أهميتِهما ووُجودِهمـا ، وكانَا مُتمثِّلَيـن في (الدينارِ والدِّرهمِ) وضرورتِهما في فِقهِ المُعاملاتِ الشرعيةِ ، وشرَّعَتِ التعامُلَ بهما ، كما شـرَّعَت مبـدأَ «الثمنيةِ» ، ونبَّهَت إلى شـرطِ قبضِ الثمنِ منهمـا وأهميتِه في صِحةِ العُقودِ ، فقد روى أحمدُ في مُسندِه : حدَّثَنا أبو بكرِ بنُ أبي مريمَ قالَ : كانَت لمِقدامِ بنِ معدِي كرِبَ جاريةٌ تبيعُ اللبنَ ، ويقبِضُ المِقدامُ الثمنَ ، فقيلَ له : سُبحانَ اللَّهِ! أتبيعُ اللبنَ وتقبِضُ الثمنَ ؟ فقالَ : نعم وما بأسٌ بِذلِكَ ، سـمِعْتُ رسـولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : «**ليأتِينَّ على الناسِ زمانٌ لا ينفعُ فيه إلا الدينارُ والدِّرهمُ**»[1] .

وفي «الكبيرِ» عن حبيبِ بنِ عُبيدٍ قالَ : رأَيتُ المِقدامَ بنَ معدي كرِبَ في السُّوقِ وجاريـةٌ لـه تبيعُ لبنًا وهو جالِسٌ يقبِضُ الدراهِمَ ، فقيلَ له في ذلِكَ ، فقالَ سـمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : «**إذا كانَ آخِرُ الزمانِ لا بُدَّ لِلنَّاسِ فِيها مِنَ الدراهِمِ والدنانيرِ يُقيمُ الرجُلَ بِها دينَه ودُنياه**» [2] .

---

(١) «مسند أحمد» (١٧٢٠١) .

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (٦٦٠) (٢٠: ٢٧٩) .

وفـي سـياقِ حديثِ ابنِ أبي مريمَ إشـارةٌ إلى هذه الأهميـةِ المُترتِّبةِ على الذهبِ والفِضَّـةِ ، ولذا فإننا نجدُ الدِّراسـاتِ في الاقتِصادِ الإسـلاميِّ تُشـدِّدُ على ضرورةِ إيجـادِ عُملـةٍ ذهبيـةٍ وفِضِّيةٍ ، وإعـادةِ النقدِ الأصلـيِّ للمُعاملاتِ كحـلٍّ نِهائيٍّ في التقابُضِ ، ولِتأصيلِ مبدأِ الثمنيةِ في الإسلامِ .

ثُمَّ نبَّهَتِ الأحاديثُ الكريمةُ إلى ما يقعُ مِن نقضٍ لهذا الأصلِ الإنسانيِّ العظيم[1]، ومنعِ اليهودِ والنصارى كافَّةَ الشُّعوبِ مِنَ الوُصولِ إلى هذا الأمرِ ، وهذا المنعُ في حقيقتِه نقضٌ لِلأصلِ النقديِّ في التعامُلِ ، فهو مِن نقضِ عُرى الإسلامِ ، وإلى مِثلِ ذلِكَ يُشيرُ حديثُ مُسندِ أحمدَ (٨٠٣٦) : حدَّثَنا أبو النضرِ حدَّثنا إسحاقُ بنُ سعيدٍ عـن أبيـه عن أبي هُرَيرةَ أنَّه كانَ يقولُ : كيفَ أنتـم إذا لم تجتبوا دِينارًا ولا دِرهمًا ؟ فقيلَ له : كيف ترى ذلِكَ كائنًا يا أبا هُرَيرةَ ؟ قالَ : أي والذي نفسُ أبي هُرَيرةَ بِيدِه ، عـن قـولِ الصَّـادقِ المصدوقِ . قالُوا : عـمَّ ذاكَ ؟ قالَ : «**تُنتهَكُ ذِمَّـةُ اللَّهِ عز وجل وذِمَّةُ رسـولِه ﷺ ؛ فيشُـدُّ اللَّهُ قُلُوبَ أهلِ الذِّمَّةِ ؛ فيمنعون ما في أَيْديهم**»[2] . وفي رواية زيادة : «والذي نفسُ أبي هُرَيرةَ بِيدِهِ لَيَكُونَنَّ» مرَّتَينِ[3] .

---

(١) ولِلمِقـدامِ عِنـدَ الطبرانيِّ في «المعجـم الكبيرِ» (٦٥٩) (٢٠ : ٢٧٨) عـنِ النبيِّ ﷺ : «**يأتي على الناس زمان من لم يكن معه أصفر ولا أبيض لم يتهن بالعيش**» .

وعن جرير قال لما رآني رسول الله ﷺ لا أمسك شيئا إنما أنفقه ؛ قال : «**يا جريرُ ، علَيكَ أن تُمسِكَ مالَكَ ؛ فإنَّ لهذا الأمرِ مُدةً**» . رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣٦٩) .

وفـي «المطالـب العاليـة» للحافـظ ابن حجـر العسـقلاني (١٤٨٤) قال مسـدد : حدثنا خالـد بـن عبدالله ، ثنا مالك ، عن يحيى بن سـعيد ، عن سـعيد بن المسـيب، قـال : «**قَطْعُ الدينارِ والدِّرهمِ مِنَ الفسادِ في الأرضِ**» .

(٢) «صحيح البخاري» (٣١٨٠) .

(٣) «مسند أحمد» (٨٣٨٦) .

ومِن أعاجِيبِ ما في هذا الحديثِ قولُه ﷺ : «**فيمنعونَ ما بِأيديهم**» ، والمقصودُ بِه كما يظهرُ ـ واللَّهُ أعلمُ ـ أنَّ كافَّةَ شُئونِ الاقتِصادِ وصكِّ العُملاتِ وتشريعِ قوانينِ النقدِ ونحوِ ذلِكَ يكونُ بأيديهم ، وهذا ما هو كائنٌ الآنَ[1] .

وهـذا ما أشـارَ إلَيه النـصُّ النبويُّ بِوُضـوحٍ ، وجـاءَ تعليلُ ذلِكَ فـي حديثٍ ابنِ شيبةَ : حدَّثَنا خالدُ بن مُخلدٍ قالَ حدَّثَنا عليُّ بنُ صالِحٍ عن أبيه عن سعيدِ بن عمرٍو عن أبي حكيمٍ مولى مُحمَّدِ بن أُسـامةَ عنِ النبيِّ ﷺ قالَ : «**كيف أنتم إذا لم يُجبْ**

---

(١) ولعـل في التكرار لقول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مع القسـم المغلظ : (والذي نفس أبي هريرة بيده ليكونـن) مرتين إشـارة لطيفـة إلى ما حصل للفسـاد في الأرض بتغييب مقياسـي (الذهب والفضة) من خلال التآمر على البشرية، فإن رجال المال المتنفذين في العالم أبعدوا مقياس الفضة في ١٨٦٠م ، وعمموه على العالم ، وكانت ضربة قوية للاقتصاد الإنساني ، ثم ألغوا الغطـاء الذهبي فـي ١٩٧٣ م بقرار من البنـك وصندوق النقد الدوليين فتلاشـت بقايا آثار المعيـار النقدي تماما ، وفقهاؤنا يبحثون الآن عن مخارج ، وبعضهم يشـرع الموجود رأفة بالنـاس واجتهـادا منه ، ولذلك فقد انحصرت جهود كافة مؤسسـات الاقتصاد الإسـلامي اليوم فيما يسـمى بالاقتصاد الجزئي، وأما الاقتصاد الكلي ونظام العملات فتعتذر عنه بأنه شأن الحكومات وأنه لا ناقة لها فيه ولا جمل .

وبقينا الآن نعيش مرحلة النقد الورقي ، ولعلها المرة الأولى ، والمرة الثانية تعد لها العدة الآن (النقـد الإلكترونـي) عندما تسـحب الأوراق كلها ، وتتحول المعامـلات النقدية إلى الآلة (العملة العالمية الموحدة ، البنك العالمي) .

العملات الورقية ثم البنك العالمي والعملة الخفية الإلكترونية

وفيمـا يخـص العرب فـي مجريات التحـول النقدي نجـد أن العملة الفضيـة أو الذهبية العربيـة قـد ألغيت منـذ منتصف القرن « الخمسـينات » مـن أغلب الـدول ، وكانت اليمن مـن آخـر الدول العربية التي أبقت التعامل في كافة شـؤونها بنقدي الذهب والفضة ، حيث سـكت ورقتها مع مطلع الثورة في الستينات ، ووضعت للجميع العملة الورقية ، وفرضت عليهم فرضا ، وسار التعامل بها إلى اليوم ، وربما تأتي في المرحلة اللاحقة العملة العالمية الموحدة التي ستكون إلكترونية غير مرئية .

لكم دينارٌ ولا دِرهمٌ ؟» قالوا : ومتى يكونُ ذلِكَ ؟ قالَ : «إذا نقضتُم العهدَ شدَّدَ اللَّهُ قُلُوبَ العدوِّ علَيكم فامتنعوا مِنكم»[1] .

ولعلَّ المقصودَ هنا بنقضِ العهدِ مُخالفتُهم لِلشريعةِ في كافَّةِ شُؤونِ الاقتِصادِ والارتِباطُ بعجلةِ الاقتِصادِ العالميِّ كما قالَ تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٧] .

توقف الجزية والخراج / سقوط دولة الخلافة

ويُمْكِنُ تسميتُه (الضعفَ الاقتصاديَّ للدولةِ الإسلامية) ، ويدل عليه حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ : «منعتِ العراقُ..» وفي آخره : «وعدتُم من حيث بدأتُم» كررها ثلاثا[2]، ويحتمل أن تكون إشارةً إلى سقوطِ الخلافة الإسلامية وتشتُّتها إلى دويلات وانعدامِ بيتِ المال ، ومنعِ البلدانِ التي كانتْ تُؤدِّي الخراجَ لدولةِ الخلافةِ خراجَها.

وفي (إكمالِ المعلم) (٨: ٤٥٧) : قال القاضي عياض : وقولُه : «يوشكُ أهلُ العراقِ أن لا يُجبى إليهمْ قَفِيزٌ وَلَا دِرْهَمٌ»[3] هو مثلُ قولِه: «مَنَعَتِ العِرَاقُ دِرْهَمَها... الحديث»، وقد فسَّره في الحديث أنّ معناه مَنْعَها الجزيةَ والخراجَ ، لغلبةِ الروم

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٢٧١) بسند جيد .

(٢) الحديث في «صحيح مسلم» (٢٨٩٦) عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنَعَت العراقُ قَفِيزَها ودرهمها ومنعت الشام مُدْيَهَا ودينارها ومنعتْ مصرُ إِرْدَبَّهَا ودينارها، ثم عُدتُم من حيث بدأتُم» قالها زهيرٌ (وهو أحد رواة الحديث) ثلاث مرات : شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه .

(٣) «صحيح مسلم» (٢٨٩٦) .

والعجمِ على البلاد .

وقـال الإمامُ النوويُّ في شـرحِ مسـلمٍ (١٨ : ٥٣) عنـد أثرِ جابرٍ : (يُوشِـكُ أهلُ العـراقِ أن لا يُجبى إليهم)[1] : قد سـبقَ شـرحُه قبل هذا بـأوراق. اهـ. يريد بذلك كلامـه الذي تقـدم عنه (١٨ : ٢٨) ، وفيـهِ : إن معناه : أنّ العجمَ والرومَ يسـتولون على البلادِ في آخر الزمان ، فيمنعون حصولَ ذلك للمسـلمين ، ثم قال فيه أيضاً : وَذَكَرَ في منع الرومِ ذلك بالشـامِ مِثْلَهُ ، وهذا قد وجد في زمانِنا في العراق ، والآن موجودٌ .

قال الشـيخ محمد تقي العثمانيُّ في (تكملة فتح الملهمِ بشـرح صحيح مسلم): (٦ : ٢٩٢) شارحاً حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ (منعت العراق) : إنه إخبار بأن الكفار يسـيطرونَ فـي آخر الزمـان على معظـمِ البلاد ، فيمنعون مسـلمي هـذه البلاد من الحصـول علـى ما يحتاجونَ إليه من الأموالِ، ويؤيده ما سـيأتي في باب (لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل) من حديث جابر قال : يُوشكُ أهلُ العراق ألّا يُجبى إليهم قفيزٌ ولا درهمٌ .

ومـن المعاصريـن قـال الدكتورُ عمـرُ الأشـقرُ في كتابـه «اليـومُ الآخـرُ القيامةُ الصغـرى» تحت عنوان (توقُّف الجزيـة والخراج) ص١٥٤-١٥٥ : كانتِ الجزيةُ التـي يَدفَعُهـا أهـلُ الذمة في الدولة الإسـلامية والخـراجُ الذي يدفعُه من يسـتغلُّ

---

(١) تمـام الأثـر في «صحيح مسـلم» (٢٩١٣) : عـن أبي نضرة قال : كنا عنـد جابر بن عبد الله فقال : يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم ، قلنا : من أين ذاك ؟ قال : من قبل العجم ، يمنعون ذاك ، ثم قال : يوشـك أهل الشـام أن لا يجبى إليهم دينار ولا مدي ، قلنا : من أين ذاك؟ قال : من قبل الروم ، ثم سـكت هنيّهة ، ثم قال : قال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : «**يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيا لا يعده عددا**» .

الأراضي التي فُتِحَتْ في الدولة الإسـلامية من أهمِّ مصادرِ بيت مال المسـلمين ، وقد أخبرَ رسـولُ الله ﷺ بأن ذلك سـيتوقفُ ، وسـيفقدُ المسـلمون بذلك مورداً إسـلامياً هاماً ، ففـي صحيح مسـلم عن أبي هريـرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسـول الله ﷺ : «**مَنَعَـتِ العـراقُ دِرْهَمَهَـا وقَفِيزَهَا، ومَنَعَتِ الشـامُ مُدَّها ودِينَارَهَـا ، ومَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا ودِينَارَهَا..** الحديث». اهـ. ثم قال : فقد اسـتولى الرومُ ثم التتارُ على كثيرٍ من البلاد الإسـلامية ، وفي عصرِنا احتلَّ الكفارُ ديارَ الإسـلام، وأذهبوا دولةَ الخلافةِ الإسـلامية ، وأبعدوا الشريعةَ الإسـلاميةَ عن الحكمِ. اهـ. ثم ذكر حديثَ مسـلمٍ وشـرحَ النوويِّ له وقال: وكلُّ هذه التعليلاتِ لسـببِ منعِ تلـك الإيراداتِ لخزينةِ الدولة الإسلامية التي كانت تقيمُ اقتصادَها على الشريعةِ الإسلاميةِ ، فإلى الله المشتكى[1].

حُصولُ الزلازِلِ والخسفِ وهلاكُ بعضِ البِلادِ

ومِـن علامـاتِ السـاعةِ الصُّغرى ، التـي يأتي بعضُهـا خِلالَ مراحِـلِ العلاماتِ الكُبرى الأخيرةِ ، هلاكُ بعضِ المُدُنِ والعواصِمِ ، ومِنها المدينةُ المُنوَّرةُ، وهلاكُها كما يظهرُ مِن ظاهِرِ الأحاديثِ حُصولُ كارثةٍ طبيعيةٍ ـ كما تُسمَّى ـ أو عِدَّةِ كوارِثَ كالزلازِلِ التي تُفاجِئُ أهلَها ؛ فيضطرون إلى الخُروجِ مِنها ، وهي أحسنُ ما تكونُ ، وفِيها وردَت جُملةٌ مِنَ الأحاديثِ مِنها :

- «**لتُترَكَنَّ المدينةَ على أحسـنِ ما كانَت ، حتَّى يجيءَ الكلبُ على سـاريةٍ من سواري المسجِدِ أو على عُودٍ من أعوادِ المِنبرِ**» ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، لمن

---

(١) «العراق في أحاديث وآثار الفتن» (١ :٢٥٤) ، تأليف مشهور حسن سلمان .

تكونُ الثِّمارُ يومئذٍ ؟ قالَ : «لِلطَّيرِ والسِّباعِ»[1] .

- وروى الإمامُ أحمدُ عن مِحجَنِ بنِ الأذرعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إنَّه صعِدَ معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أُحدًا ، فأقبلَ على المدينةِ فقالَ : «**ويلُ أُمِّها ، قريةٌ يدعها أهلُها كأينع ما تكونُ**»[2]. وفي لفظٍ : «**ويلُ أُمِّكِ ، يدعُكِ أهلُكِ وأنت خيرُ ما تكونين**»[3]. قالَ : قُلتُ : يا رسولَ اللَّهِ مَن يأكُلُ ثمرتها ؟ قالَ : «**الطَّيرُ والسِّباعُ**»[4] .

- وروى أحمدُ بِسندٍ حسنٍ عن عمرِ بنِ الخطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : «**ليسيرَنَّ راكِبٌ في جنبِ وادي المدينةِ فيقولَنَّ : لقد كانَ في هذه مرَّة حاضِرةٌ من المؤمنين كثيرٌ**»[5] .

قُلتُ : واللَّهُ أعلمُ : ومِثلُ هذه الظواهِرِ مربوطةٌ في جُملةِ الأحاديثِ بما يقع فيه الناسُ مِنَ الكبائرِ وفِعلِ المعاصي مِنَ الظُّلمِ والفُحشِ وأكلِ الرِّبا والقتلِ وغيرِه، وقد عرفَ العالمُ الإنسانيُّ والعالمُ العربيُّ والإسلاميُّ عبرَ الأزمنةِ المُتلاحِقةِ مِن هذه الرجفاتِ والزلازلِ الشيءَ الكثيرَ ، ومِنها البراكينُ التي تنفجِرُ بَينَ الحينِ والآخرِ ، ولكنَّها في علاماتِ الساعةِ مقرونةٌ في عالمِنا العربيِّ والإسلاميِّ بِظُهورِ المعاصي واستِخفافِ الشُّعوبِ بالديانةِ والأمانةِ ، وإلى ذلِكَ تُشيرُ الأحاديث كقَولِه ﷺ في رِوايةِ البُخاريِّ : «**وحتى يُقبَضَ العِلمُ ، وتكثُرَ الزلازِلُ ، ويتقارب**

---

(١) «الموطأ» (٣٣١٠) و«صحيح ابن حبان» (٦٧٧٣) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٣١١) .

(٢) «مسند أحمد» (٢٠٣٤٧) .

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (١٧٤٦٣) (٧٠٧) (٢٠ : ٢٩٨) .

(٤) «مسند أحمد» (٢٠٣٤٧) و«المعجم الأوسط» للطبراني (٢٤٧٦) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٣١٥) .

(٥) «مسند أحمد» (١٤٦٧٨) .

الزمانُ ، وتظهرَ الفِتَنُ ، ويكثُرَ الهَرْجُ ، وهو القتلُ» [1].

قـالَ الحافِظُ الغماريُّ في «مُطابقةِ الاختراعاتِ العصريةِ» (ص ١١١) بعدَ إيرادِه هذا الحديثِ : وقد وردَ أن سببَ كثرةِ الزلازِلِ في الأرضِ هو الرِّبا وكثرةُ المُعاملةُ بِه ، وأكلُه» .

وقد سـجَّلَت أجهِزةُ الأرصادِ في جزيرةِ العربِ عُمومًا جُزءًا مِن سلسلةِ الزلازِلِ والرجفـاتِ عبرَ تاريخِنا المُعاصِـرِ ، رُبَّما كانَ من آخِرِها زِلازِلٌ حصلَت في منطقةِ العيسِ قريبًا مِنَ المدينةِ المُنوَّرةِ خِلالَ شهرِ جُمادى الأوَّلِ ١٤٣٠هـ ، ويبدو واللَّهُ أعلمُ أنَّ التفسيرَ النظريَّ المُتحدَّث بِه في أجهزةِ الإعلامِ هو كونُ هذه المناطِقِ تتأثرُ بالانصِداعـاتِ الجيولوجيةِ الكائنةِ تحتَ قِشـرةِ الأرضِ والمُمتدةِ على مسـافاتٍ كبيرةٍ مِن سلسـلةِ الصدعِ الكبيرِ ، الذي سبقَ أن تكوَّنَت منه فجواتُ البحرِ الأحمرِ وما حولَها في سابِقِ الزمانِ ، وأنَّ هذه الزلازلَ استمرارٌ طبيعيٌّ لِهذه الظاهِرةِ .

إذن فلا يُستبعَدُ أنَّ الذي أشارَ إلَيه ﷺ مِن تركِ المدينةِ وهي يانعةُ الثِّمارِ حُصولُ شيءٍ من هذه الانصِداعاتِ في آخِرِ الزمانِ بما يُؤدِّي إلى خُروجِ أهلِها مِنها ، واللَّهُ أعلمُ .

نقاش بين ابن عمر وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

وفـي حديثٍ ذكرَه الحافِظُ في « فتحِ البـاري » (٤/ ١٠٣) قالَ : (تنبيه) أنكرَ ابنُ عُمـرَ علـى أبي هُرَيرةَ تعبيـرَه في هذا الحديـثِ بِقَولِه : «**خيرُ ما كانَـت**» وقالَ : إنَّ الصـوابَ «أعمرُ ما كانَـت» ، أخرجَ ذلِكَ عُمرُ بنُ شَـبَّةَ في «أخبـارِ المدينةِ» [2] مِن طريـقِ مسـاحقِ بنِ عمـرٍو أنَّه كانَ جالِسًـا عِندَ ابنِ عُمـرَ فجاءَ أبو هُرَيـرةَ فقالَ له :

---

(١) «صحيح البخاري» (١٠٣٦) .

(٢) «تاريخ المدينة لابن شبة» (١ : ٢٧٧) .

لـم تـرُدَّ علـيَّ حديثـي ؟ فواللَّهِ لقد كُنـتُ أنا وأنتَ فـي بَيتٍ حين قـالَ النبيُّ ﷺ : «**يخـرُجُ مِنهـا أهلُها خيرُ ما كانَت**» فقالَ ابنُ عُمرَ : أجـل ، ولكن لم يقُلْ : «**خيرُ ما كانَـت**» ، إنَّمـا قـالَ : «**أعمرُ ما كانَت**» . ولو قالَ : «خيرُ مـا كانَت» لكانَ ذلِكَ وهو حيٌّ هو وأصحابُه ، فقالَ أبو هُرَيرةَ : صدقْتَ ، والذي نفسـي بيدِه . وروى مُسـلِمٌ من حديثِ حُذَيفةَ أنَّه لمَّا سـألَ النبيَّ ﷺ عمَّـن يخرُجُ أهلُ المدينةِ مِنَ المدينةِ[1] ، ولِعُمـرَ بنِ شـبَّةَ [2] مِن حديثِ أبـي هُرَيرةَ قيل : يا أبا هُرَيرةَ ، مَـن يُخرِجُهم ؟ قالَ : أُمراءُ السُّوءِ[3] .

وأعجـبُ مـا في الأمرِ قـولُ حُذَيفـةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وهو فقيـهُ التحوُّلاتِ وأمينُ سِـرِّ رسـولِ اللَّهِ ﷺ في هذا العِلمِ ـ فيما رواه أحمدُ في مُسندِه عن عبدِاللَّهِ بنِ يزيدَ عن حُذيفةَ أنَّه قالَ : أخبرني رسـولُ اللَّهِ ﷺ بما هو كائنٌ إلى أن تقومَ السـاعةُ ، فما مِنه شيءٍ إلَّا قد سألتُه ، إلَّا أني لم أسالْه ما يُخرِجُ أهلَ المدينةِ مِنَ المدينةِ [4] .

قـالَ الإمـامُ النـوويُّ في شـرحِ مسـلمٍ[5] عند قولِـه ﷺ عـن المدينـةِ «**لَيَتْرُكُنَّهَا أَهْلُهـا عَلَى خَيْـرِ مَا كَانَتْ مُذَلَّلَـةً لِلْعَوافِي**»[6] : يعني السـباع والطير ، وفي الرواية الثانيـة : «**يَتْرُكُـونَ المَدِينَةَ عَلَى خَيْرِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ لا يَغْشَـاهَا إِلَّا العَوَافِي**» ، يريدُ : عَوَافِي السِّـباعِ والطَّيْرِ ، ثم يَخْرُجُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ المدينةَ يَنْعِقَانِ بغُنُقَيْهِما

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٨٩١) .

(٢) في «تأريخ المدينة» (١ : ٢٧٧) .

(٣) «فتح الباري» (٤ : ٩١) .

(٤) «صحيح مسلم» (٢٨٩١) و«مسند أحمد» (٢٣٢٨١) .

(٥) (٩ : ١٥٩) .

(٦) «صحيح مسلم» (١٣٨٩) .

فيَجِدَانِها وَحْشاً، حَتّى إذا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوَدَاعِ خَرَّا على وُجُوهِهِما)[1].

أما (العوافي) فقد فَسَّرَها في الحديثِ بالسِّباعِ والطَّيْرِ، وهو صحيحٌ في اللغةِ، مأخوذٌ من عَفوَتُه: إذا أَتَيْتُهُ تَطْلُبُ معروفَه، وأما معنى الحديثِ الظاهرُ المختارُ: أنّ هذا التركَ للمدينةِ يكونُ في آخرِ الزمان، عند قيامِ الساعة، وتُوَضِّحُهُ قِصَّةُ الراعيينِ من مُزَيْنَةَ، فإنَّهُما يَخِرّانِ على وُجُوهِهِما حِينَ تُدْرِكُهُما الساعةُ، وهما آخِرُ مَن يُحْشَرُ كما ثَبَتَ في صحيحِ البخاريِّ[2]، فهذا هو الظاهرُ المختارُ.

هذا النزوح قد حصل في الماضي عند القاضي عياض

وقالَ القاضي عِياضٌ: هذا ما جَرَى في العَصْرِ الأَوَّلِ وَانْقَضَى، وقال: وَهَذا مِنْ مُعْجِزَاتِ النَّبيِّ ﷺ، فَقَدْ تُرِكَتِ المَدِينَةُ على أَحْسَنِ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ حِينَ انْتَقَلَتِ الخلافةُ منها إلى الشامِ والعراقِ، وذلك الوقتُ أَحْسَنُ ما كانتِ الدينُ والدنيا، أمّا الدينُ فلِكَثْرةِ العلماءِ وكَمَالِهِم، وأَمّا الدنيا فلِعِمَارَتِها وغِرَاسِها واتِّسَاعِ حالِ أهلِها، قال: وذَكَرَ الأخبارِيُّون في بعضِ الفتنِ التي جَرَتْ بالمدينةِ وخافَ أهلُها أنّه رَحَلَ عنها أكثرُ الناسِ وبقيتْ ثمارُها أو أكثرُها للعوافي، وَخَلَتْ مُدَّةً ثُمّ تَرَاجَعَ الناسُ إليها، قالَ: وحالُها اليومَ قريبٌ مِن هذا، وقَدْ خَرِبَتْ أَطْرَافُها.. هذا كلامُ القاضي والله أعلم[3].

ولا زالَ في مدلولاتِ العلاماتِ الصُّغرى عشراتُ النماذجِ والصُّورِ وربَّما لا يتَّسِعُ المجالُ لِذكرِها بِالتفصيلِ، ولِهذا فقد جمعناها على صِفةِ بيانٍ عامٍّ لِتعدادِها وأسمائها، وخاصَّةً أنَّها واسعةُ المدى والأطرافِ الزمنيةِ، فهي تبدأُ مِن قبلِ البعثةِ المُحمَّديةِ وتنتهي بِالنفخِ في الصُّورِ، كما سيأتي في الفصلِ اللاحقِ

(١) «صحيح مسلم» (١٣٨٩).

(٢) «صحيح البخاري» (١٨٧٤).

(٣) «شرح النووي على مسلم» (٩: ١٥٩).

إجمـالًا ، وقد قامَ بعضُ الباحثين بِتفصيلِها في ثنايا الكُتُبِ والمؤلَّفاتِ كالبرزنجيِّ في «الإشـاعةِ»، وبوَّبَها الباحِثُ يوسُـفُ الوابِلُ في كِتابِه «أشـراطُ السـاعةِ» تبويبًا مُتداخِلًا معَ العلاماتِ الوُسطى .

قِرَاءَةُ مَا اكْتُتِبَ مِنْ سِوَىٰ كِتَابِ ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

ومن علاماتِ السـاعةِ الصغرى تِلَاوَةُ كتابٍ يُسَـمَّى (المَثْنَـاةَ) بَدِيلاً عَنِ القُرْآنِ، وإلـى ذلـكَ أَشَـارَ حَدِيـثُ عبداللهِ بـنِ عمرِو بـن العاصِ حِينَمـا كانَ يُحَـدِّثُ في المسـجدِ ويقولُ: «**إنَّ مِنْ أشـراطِ الساعةِ أن يُبْسَـطَ القولُ ويُخْزَنَ الفعلُ ، وإنّ من أشـراطِ السـاعةِ أن تُرْفَعَ الأشـرارُ وتُوضَعَ الأخيارُ ، وإن من أشراط الساعة أن تُقْرَأَ المَثْنَـاةُ علـى رُؤُوسِ المَـلَإِ لا تُغَيَّرُ**» . قيل : ومـا المثناة ؟ فقال : «ما اسْـتُكْتِبَ من غيرِ كتابِ اللهِ» . قيل : يا أبا عبد الرحمن ، وكيف بما جاء من حديث رسـول الله ﷺ . فقال : «**ما أَخَذْتُمُوه عمَّن تَأْمَنُونَهُ على نفسِـه ودينِه فاعْقِلُوهُ ، وعليكمْ بالقرآنِ فتَعَلَّمُـوهُ وعَلِّمُوهُ أَبْنَاءَكُمْ، فإنَّكُمْ عنه تُسـألون ، وبـه تُجْزَوْنَ ، وكفى به واعظاً لمن كان يَعْقِلُ**» .

وفي «شعب الإيمان» للبيهقي : قال أبو عبيد : سألتُ رجلاً من أهل العلمِ بالكتب الأولـى قد عَرَفَهـا وَقَرَأَها عَنِ المَثْناةِ فقال : إنَّ الأحبارَ والرهبانَ من بني إسـرائيل بعدَ موسى وضعوا كتاباً فيما بينهم على ما أَرَادُوا بَيْنَهُمْ مِن غيرِ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فسَمَّوْهُ المَثْنَاةَ ، كأنَّهم يعني أَنَّهُمْ أَدْخَلُوا فيه ما شاؤُوا، وحَرَّفُوا فيه ما شاؤُوا على خـلاف كتابِ اللهِ تبـاركَ وتعالى .اهـ. قـال أبو عبيدٍ : فبهذا عرفـتُ تأويلَ حديثِ عبدِاللهِ بنِ عمرٍو أنَّه إنما كَرِهَ الأخذَ عن أهلِ الكتابِ لذلك المعنى، وقد كانَ عندَهُ

كُتُبٌ وقعتْ يومَ اليرموكِ فأظنُّه قالَ هذا لمعرفتِه بما فيها[1].

وهذا يشيرُ إلى خطورةِ الدورِ اليهوديِّ في العالمِ في فرضِه لعقائدِه الزائغةِ على الإنسانية، حيثُ سمّى اليهودُ تفسيرَ التوراةِ الذي اختلقُوهُ ووَضَعُوهُ من عندِ أنفسِهم (التلمود) ، وسَمَّوا مَتْنَه (المشناة) وشرحَه (جمارا) ، وهم يُقَدِّسُونَها غايةَ التقديس ، تقول (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والملل المعاصرة) : التلمودُ : هو رواياتٌ شفويةٌ تناقلها الحاخاماتُ ، حتى جَمَعَها الحاخامُ يوضاس سنة ١٥٠م في كتاب أسماهُ (المشناة) ، أي : الشريعة المكررة لها في توراة موسى كالإيضاح والتفسير ، وقد أتم الراباي يهوذا سنة ٢١٦م تدوين زيادات وروايات شفوية . وقد تم شرح هذه المشناة في كتاب سمي (جمارا) ، ومن (المشنا)

---

(١) «شعب الإيمان» (٤٨٣٥) وانظر «غريب الحديث» لأبي عبيد (ج ٤ / ص ٢٨٢) .

والجدير بالذكر أن في بعض المذاهب نصوص غالية شاذة تطعن في ترتيب كتاب الله الذي يقرؤه المسلمون اليوم، وأنه سيحصل في آخر الزمان إعادة ترتيب ـ والعياذ بالله ـ لهذا المصحف ، وأن هذا سيكون على يد غير العرب! لأن (المصحف الموجود) ليس مرتبا على (مصحف) الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وجاء في بعضها لفظة (المثاني) و(المثال) و(المستأنف). ومن ذلك : كأني بشيعة علي في أيديهم (المثاني) يعلمون الناس (المستأنف) ، وفي رواية أخرى عنهم : «كيف أنتم لو ضرب أصحاب القائم عَلَيْهِ السَّلَامُ الفساطيط في مسجد كوفان ، ثم يخرج إليهم (المثال المستأنف) أمر جديد على العرب شديد» . وفي رواية : «كأني بالعجم فساطيطهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما أنزل ، فقلت : يا أمير المؤمنين أو ليس هو كما أنزل ؟ فقال : لا ، محي منه سبعون من قريش ، بأسمائهم وأسماء آبائهم ، وما ترك أبو لهب إلا إزراء على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأنه عمه» .

ولسنا بصدد نقاش هذه الروايات وصحة أسانيدها أو معانيها ولكن هذا يثبت وجود إفراط وتفريط في تأريخنا الإسلامي دخلت فيه الشعوبية والغلو والقبلية لإثارة التحريش ولو على حساب كتاب الله وحفظه من التحريف .

و(الجمـارا) يتكون التلمود، ويحتل التلمود عند اليهود منزلة مهمة جدًّا تزيد على منزلة التوراة [1].

وقـد بَلَغَنَـا ـ وتَأَكَّدْنا من ذلك ـ أن قرآناً سُـمِّيَ (بالفرقان الحـق) وَزَّعَتْهُ جماعةٌ مجهولـةٌ في بعضِ بلادِ العربِ وهو يحملُ عباراتٍ وجملاً مخالفةً لكتابِ اللهِ عزَّ وجـلَّ وتَمَّتْ صياغتُه بطريقةٍ وضعيّةٍ واضحةٍ يُقصدُ بها إيجادُ التضاربِ مع مضيِّ الزمـنِ بين الأجيالِ الحائـرةِ، فيأتي زمنٌ لا يدري القارئُ أيُّ المصحفينِ على حقٍّ فيتركُ الناسُ القرآنَ لشكِّهم فيهِ .

---

(١) «الموسوعة الميسرة» ص٥٩ .

عرضٌ عامٌّ لِبقيَّةِ العَلاماتِ الصُّغرىٰ

- ذَهابُ الصالِحين .
- ارتفاعُ الأسافلِ .
- ظُهورُ الرُّوَيبِضةِ .
- التِماسُ العِلمِ عِندَ الأصاغِرِ .
- صدقُ رؤيا المؤمِنِ .
- كثرةُ الكِتابةِ وانتِشارِها «الصحافةِ ودُور النشرِ» .
- التهاوُنُ بِالسُّنَنِ .
- انتِفاخُ الأهِلَّةِ .
- كثرةُ الكذِبِ وبُلوغُه الآفاقَ عبرَ الوسائلِ الإعلاميةِ .
- ارتِفاعُ الأُلفةِ مِنَ الناسِ .
- إذا لم يأمَنْ الرجُلُ جليسَه .
- التحيةُ لِلمَعرِفةِ .
- انتِشارُ شَهادةِ الزُّورِ .
- كثرةُ النِّساءِ .
- ظاهِرةُ مَوتِ الفجأةِ .
- وُقوعُ التناكُرِ والجفاءِ .
- عَودَةُ الجزيرةِ مُروجًا وأنهارًا .
- كثرةُ المطرِ وقِلَّةُ النباتِ .
- كلامُ السِّباعِ والجماداتِ .

- تمنِّي المؤمِنِ لِلمَوتِ مِن شِدَّةِ البلاءِ .
- كثرةُ الرُّومِ وقِتالِهم المُسلِمين .
- التدافُعُ على الإمامةِ في المساجِدِ ، وفيه حديثُ : «**إنَّ مِن أشراطِ الساعةِ أن يتدافَعَ أهلُ المسجِدِ لا يجِدونَ إمامًا يُصلِّي بهم**»[١] .
- غُربةُ الإسلامِ .
- ذَهابُ الخُشوعِ مِنَ الناسِ .
- كثرةُ الذين لا يعرِفون معروفًا ولا يُنكِرون مُنكرًا .
- كثرةُ القُرَّاءِ والخُطباءِ وقِلةُ الفُقهاءِ .
- تعلُّمُ العِلمِ لِغَيرِ الدينِ .
- القُضاةُ الخونةُ والفُقهاءُ الكذَّابون (الكَذَبةُ) والقُرَّاءُ الفسقةُ .
- ظُهورُ نارِ الحِجازِ
- مُشاركةُ المرأةِ لِلرجُلِ في التِّجارةِ
- استِبدال التلاعُنِ بالسلامِ .
- تشبُّهُ الرِّجالِ بِالنِّساءِ والنساءِ بِالرِّجالِ .
- طُغيانُ النِّساءِ وفِسقُ الشبابِ .
- التغايُرُ على الغِلمانِ .
- زخرفةُ المساجِدِ وتعليةُ المنابِرِ .
- ذَهابُ ماءِ الفُراتِ وظُهورِ كنزِ الذهبِ .

---

(١) «سنن أبي داود» (٥٨١) و«مسند أحمد» (٢٧١٣٨)، قلت : وقد حصل مثل هذا في بعض بلاد اليمن ـ إبان فترة الحكم الشيوعي ـ حيث انعدم في بعض القرى من يؤم الناس للصلوات وكذلك لصلاة الجنازة . وصدق رسول الله ﷺ .

- كثرةُ الشُّحِ .
- ظهورُ النِّساءِ الكاسياتِ العارياتِ .

وفي السُّـننِ والمسـانيدِ وغيرِها مِن كُتُبِ الحديثِ عشـراتُ الأحاديثِ الخاصَّةِ بِالعلاماتِ الأُخرى التي لم يتَّسِعُ المجالُ لِذكرِها .

موقف المسلم المستبصر من الفتن وأئمتها المضلين

بمـا أنّ فقـهَ التحولاتِ علـمٌ يُفَصِّـلُ علاماتِ السـاعةِ وما يجري من الأشـراطِ والفتنِ ومُضِلّاتِها ؛ فإنّ مسـألةَ الاِسـتبصارِ من المسلمِ واجبةٌ وضروريةٌ ، خاصةً أنّ رسـولَ الله ﷺ حَذَّرَ في جملةِ أحاديثه من الفتنةِ والمشـاركةِ فيها ، وعَلَّمَنا أن نسـتعيذَ باللـهِ مـن الفِتَنِ ومِـنْ مُضِلّاتِها ما ظهرَ منهـا وما بَطَنَ ، ومـا من عصرٍ من عصـورِ الإسـلامِ الأولى وما تَلَاهـا إلا والفِتَنُ محيطةٌ به وبأهلِـه ، والمحفوظُ مَن حَفِظَ اللهُ والهالكُ مِن كلِّ وجهٍ مَنْ كان وَقوداً لأُوَارِها . ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ [المائدة:٤١] .

والواجبُ منّا فيما عُلِّمنا من أحاديثِ رسـول الله ﷺ ومواقفِه العمَليةِ ومواقفِ أصحابِه وآلِ بيته أن نَتَفَهَّم مواقعَ الفتنِ ورُؤُوسَها ، ونُحَذِّرَ مِن الوُقُوعِ في ضِرامِها وتَحْرِيكِ أَسْبَابِها ، وخاصةً تلك الفتنُ المرتبطةُ بالسياسةِ والحكمِ وفتنِ الاِختلافِ على العلمِ والمناصبِ، وما يترتبُ بسببِها من المنافساتِ وحبِّ الرياساتِ .

وقـد ورد في ذلك قولـه ﷺ : «**الفِتْنَةُ نَائِمَةٌ لَعَنَ اللَّهُ مَنْ أَيْقَظَهَا**»[1] ، وفيه إشَـارةٌ نبويةٌ إلى ابتعادِ المسـلمِ عن أسـبابِ الإثارةِ ودوافعِها بينَ النّاسِ ، لِمَا يَتَرَتَّبُ على ذلـكَ السُّـكونِ مـن جمعٍ لقلـوبِ الأمةِ وصـرفِ نظرِها عـن المثالـبِ والمعايبِ وإشغالِها بما هو أَنفعُ وأَهمُّ لأمرِ دينها ودنياها . وفي هذا يقولُ ﷺ لأنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «**يـا بُنَـيَّ إِنْ قَدَرْتَ على أن تُصبحَ وتُمسـيَ ليسَ في قلبِك غشٌّ لأحـدٍ فَافعلْ**» ، ثم قال: «**يا بُنَيَّ وذلكَ مِنْ سُنَّتِي .. ومَن أَحْيَى سُنَّتِي فقد أَحَبَّنِي ، ومَن أَحَبَّنِي كان مَعِي**

---

(١) «كنز العمال» (٣٠٨٩١) للمتقي الهندي وعزاه للرافعي في الأمالي عن أنس .

في الجَنَّة» رواهُ الترمذيُّ في سُنَنِه[1] .

ومثلُ هذا الموقفِ المفيدِ هو فقهُ جملةٍ من الصحابةِ والتابعينَ وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ ، ومنهم أتباعُ النمطِ الأوسطِ من آل البيتِ وصحابة النبي ﷺ وأتباعهم الذينَ خَلَدُوا إلى السكونِ وتركُوا الخوضَ في أسبابِ الفتنِ رغمَ بيانِ أمرِها ووضوحِ صورِ أصحابِها كموقفِ الإمامِ الحَسَنِ بنِ عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وتضحيتِه بالسلطانِ ومركزِ القرار خوفاً من الفتنةِ الساحقةِ الماحقةِ ، ومثله موقف الإمامِ عليٍّ زينِ العابدينَ الذي تجاوزَ الثأرَ والجدالَ وإضاعةَ المالِ والقيلَ والقالَ ، ومثلُه مَن جاء من بعده من أئمة الدين المعتبرين ، وهم قومٌ كثرٌ لهم في الأحاديث النبوية إشاراتٌ وبشاراتٌ، ولهم من فقهِ التحولاتِ مواقفُ ودَلَالاتٌ تمنعُ عنهم جانحةَ الاختلافِ وظاهرةَ الخلافِ ، وتُبعدهم عن سياسةِ الدَّجْلِ والتَّسْييسِ ، وأطماعِ فقهاءِ الفتنِ والتحريشِ ، مع بقاء نفعِهم العامِّ في الأمةِ بالتعليم والدعوة إلى اللهِ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وصونِ دماءِ الشعوبِ من الهلاكِ والدمارِ ، ويؤيدُ هذه المواقفَ ما رواه أبو داود والنَّسائي عن عبد اللهِ بن عمرِو بنِ العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : قال النبي ﷺ : «**كيفَ بِكَ إذا بَقِيتَ فِي حُثَالَةٍ مِنَ النّاسِ مَرَجَتْ عُهُودُهُمْ وأَمَانَاتُهُمْ وَاخْتَلَفُوا وكانُوا هكذا؟**» وشَبَّكَ بينَ أَصَابِعِهِ ، قال : بِمَ تَأْمُرُنِي؟ قال : «**اِلْزَمْ بَيْتَكَ وأَهْلَكَ وَأَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ ، وخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ ما تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ ودَعْ عَنْكَ أَمْرَ العَامَّةِ**»[2] «الإشاعة» ص ١٨٩ .

والمشاهدُ اليومَ في حياةِ الأمة وقد سُلِبَ منها قرارُها وسُيِّسَ استقرارُها وصارَ أمرُها آيلاً إلى هندسةِ الكفارِ في السياسةِ والاقتصادِ والإعلامِ والتعليمِ والثقافةِ

---

(١) «سنن الترمذي» (٢٦٧٨) .

(٢) «عمل اليوم والليلة» للنسائي (٢٠٥) و«سنن أبي داود» (٤٣٤٣) .

والمواقـفِ ؛ أنّ الموقـفَ السـليمَ من العبدِ المسـلمِ ألّا يَزُجَّ بنفسِـهِ فـي أَتُونِ هذه المؤامـراتِ المسَيَّسَـةِ وخاصـةً عنـدَ التنازعِ بين أُولي الشـأنِ على قَـرَارَيِ الحكمِ والعلمِ .

فهـذِه مسـألةٌ محسـومةٌ بالنصـوصِ الشـرعيةِ .. ولا اختـلافَ علـى خطورتِهـا وشرّها ، ويكفي عند ظهورِ إشاراتِها واحتدامِ مفتونِيها مصانعةُ الجميعِ ومداراتُهم مع تَجَنُّبِ الخوضِ في فتنتِهم أو المشـاركةِ فيها ، فعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال له رسـول اللـه ﷺ : «**يا أَبا ذَرٍّ كيفَ أنـتَ إذا كُنْتَ في حُثالَةٍ؟**» وشَـبَّكَ بينَ أصابعِه ، قـال : مـا تأمرني يا رسـول الله ؟ قـال : «**اِصْبِـرْ.. اِصْبِـرْ.. اِصْبِرْ.. خَالِقُـوا النّاسَ بِأَخْلَاقِهِـمْ وخَالِفُوهُـمْ فـي أَعْمَالِهِمْ**»[1] رواه الحاكمُ والبيهقـيُّ في «الزهد» ، وفي الحديث إشـارةٌ بَيِّنَةٌ وواضحةٌ لكلِّ راغبٍ في النجاةِ والسـلامةِ.. أَنْ يُخالَقَ النّاسُ بما يناسـبُهم فـي واقعِهمُ المفتونِ مـداراةً لهم وحِفْظاً لكرامةِ العِـرْضِ والدِّينِ مع المخالفةِ لهم في أعمالِهم ومواقفِهم.

بـل إنّ فقـهَ التحـولاتِ يَضَعُ للمسـلمِ المندفـعِ نحوَ الفتنةِ بسـببٍ وآخـرَ موقفاً سـديداً حتى يَسْـلَمَ ويُسَـلِّمَ غيرَه ، فعَنْ أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسـول الله ﷺ : «**لا تَقْرَبُـوا الفِتْنَـةَ إذا حَمِيَـتْ ولا تَعْرِضُوا لهـا إِذَا عَرَضَـتْ ، واضْرِبُوا أَهْلَها إذا أَقْبَلَـتْ**» . وفي الحديث إشـارةٌ إلى نمـوذجٍ من نماذجِ التعامـلِ في التحولاتِ لمن أَوْقَعَتْهُ الأسـبابُ في بعضِ المشاركةِ أو الموافقةِ أو الاستتباعِ لحاكمٍ أو عالمٍ أو صاحـبِ إدارةٍ أو ملتـزمٍ لوظيفـةٍ لا يُمكنُ لـه التخلُّصُ منهـا ولا التأخرُ عنها ، فالموقفُ الشـرعيُّ أن لا يدفعَ بنفسـه دَفعاً إلى اختيارِ المـوتِ أو القتلِ تحت هذه

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٥٤٩٤) و«الزهد الكبير» للبيهقي (١٩٢) .

الفتـنِ وراياتِهـا ، بل يتفهمُ ما قاله ﷺ في ما رواه أحمدُ وابنُ أبي شـيبةَ والطبرانيُّ وغيرُهم من حديث خالد بن عرفطة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ النبيَّ ﷺ قال: «**يا خالدُ إنَّها ستكونُ بَعْدِي أحداثٌ وفِتَنٌ وفُرْقَةٌ واختلافٌ، فإذا كانَ ذلكَ فإنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تكُونَ عبدَ اللهِ المقتولَ لا القاتلَ فَافْعَلْ**»[1] .

ومن كافة الوجوهِ يجبُ على المسـلمِ المدقِّقِ في علمِ السـاعة وفقهِها المشروعِ أن يتجنـبَ الفتـنَ عموماً وخصوصاً ولو بالابتعادِ عـن مكانها ومواقعها ؛ لحديث أبـي هريـرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما رواه البخاريُّ (٣٣٣٤) وأحمدُ (٧٤٦٤) : «**سـتكونُ فِتَنٌ القاعـدُ فيها خيرٌ من القائمِ، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشـي، والماشـي فيها خيرٌ من السـاعي، مَنْ تَشَرَّفَ لها تَسْتَشْـرِفْهُ، فمَن وجد منها ملجأً أو معاذاً فَلْيَعُذْ بِهِ**»[2]. قال فـي «الفتـح» (١٣ : ٣٠) : ووقع تفسـيرُه عندَ مسـلمٍ في حديث أبي بَكْـرَةَ ولفظُه : «**فـإذا نَزَلَـتْ فمَن كان له إبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِـهِ**» ، وذكرَ الغنمَ والأرضَ ، قال رجلٌ : يا رسولَ اللهِ أرأيتَ إنْ لم يَكُنْ لَهُ ؟ قال : «**يَعْمَدُ إلى سيفِه فيَدُقَّ على حدِّهِ بحجرٍ ثم لِيَنْجُ إنِ اسْتَطَاعَ**»[3] . قال في «الإشاعة» تعليقا على هذا الحديث : والمراءُ بالفتنةِ : ما ينشأُ عن الاختلافِ في طَلَبِ المُلْكِ حيثُ لا يُعْلَمُ المُحِقُّ مِنَ المُبْطِلِ .

وقـد تهاونَ المسـلمون فـي هذه المسـألةِ وظَنُّـوا أنّ كلَّ مَن دعا إلى فتنـةِ حُكْمٍ أو عِلْـمٍ إنمـا هو على هُدًى وبصيـرةٍ، فاختلطَ بذلك الحابلُ بالنابلِ ، لعدمِ دراسـةِ

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢٤٩٩) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧١٩٧) و«المعجم الكبير» للطبراني (٤٠٩٩) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٥٧٨) .

(٢) «صحيـح البخـاري» (٧٠٨١) (٧٠٨٢) و«صحيـح مسـلم» (٢٨٨٦) و«مسـند أحمـد» (٧٧٩٦).

(٣) «صحيح مسلم» (٢٨٨٧) و«مسند أحمد» (٢٠٤٩٠) .

الجميعِ فقهَ علاماتِ الساعةِ من جهةٍ ، ولتهاونِ الأمةِ في تَفَهُّمِ المواقفِ الشرعيةِ عند الفتنِ من جهةٍ أخرى ، بل وَقَعُوا أيضاً في فتنةِ اللَجَاجِ والاِحتجاجِ على من اختارَ العزلةَ ورَضِيَ لنفسِه السلامةَ من المُضِلّاتِ ورَاياتِها ، ونظروا إليهِ كمخالفٍ للشريعةِ الغرّاءِ ومعطّلٍ لدعوةِ الجهادِ في سبيلِ الله ، مع أنّ ظاهرةَ الجهادِ القائمِ في بلادِ المسلمينَ غيرُ مكتملةِ الشروط ومخترقةٌ مِن أعداءِ الإسلامِ في بعض الجهاتِ ، وبعضُها مُمَوَّلٌ ومهندسٌ لمصلحةِ المرحلةِ وقادتِها ، ولم تَسْلَمْ من التسييسِ والهندسةِ كثيرٌ من مجموعاتِ العملِ الجهاديِّ المعاصرِ إلا القليلُ ، والقليلُ المشارُ إليهم في أحاديث النبي ﷺ ببقائِهم على الحقِّ ومقاتلتِهم دونه يصعبُ تحديدُ هُوِيَّتِهِمُ الشرعيةِ في المرحلةِ المرتبكةِ المشتبكةِ التي سماها النبي ﷺ «**أَيّامَ الهَرْجِ**» كما هو في حديثِ ابنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قلتُ : يا رسولَ اللهِ.. ومتى ذلك ؟ ـ أي : المقاتلةُ على الملكِ ـ قال : «**أيامَ الهَرْجِ**» ، قلت : ومتى ؟ قال : «**حِينَ لا يَأْمَنُ الرَّجُلُ جَلِيسَهُ**»[1] «فتح الباري» كتاب الفتن (١٣ : ٣٤-٣٥) .

وتُحَدَّدُ هُوِّيَّةُ الجهادِ في سبيلِ اللهِ على وجهِها الشرعيِّ والإيجابيِّ عندما تكونُ المجابهةُ المباشرةُ بينَ (المسلمِ والكافرِ) ، فحيثما كانتْ هذه الصفةُ قائمةً في نواحي أرضِ اللهِ على ضابطها الشرعيِّ وهو (إعلاءُ كلمةِ اللهِ) فالجهادُ معهمْ والمساندةُ لهم واجبةٌ ولازمةٌ على كلِّ مَن تَعَيَّنَ عليه ذلك في أرضهم ومكانهم وساحةِ معركتهم ، كما هو في فلسطينَ المحتلةِ وفي بعض فصائلها الجهادية الخاليةِ عن التحريشِ الداخلي والتّسْيِيسِ الخارجي . أمّا غيرُ هذا فالخيرُ كلُّ الخيرِ في السلامةِ وحسنِ المعالجة للأمورِ حتى يأتيَ أمرُ الله في عبادِه وتنجليَ كربةُ

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٥٨) و«الفتن» لنعيم بن حماد (٣٤٢) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٤٢٩) و«مسند أحمد» (٤٢٨٦) .

الأمـةِ في شـأنِ قرارها العالميِّ واسـتقرارِها الحتميِّ ، وفي ذلك يقـولُ ﷺ : «إِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّـاعَةِ فِتَناً كَقِطَعِ الليلِ المظلمِ ، يُصْبِحُ الرجلُ فيها مُؤْمِناً ويُمْسِـي كافراً ويُمْسِـي مؤمناً ويُصْبِحُ كافراً ، القاعدُ فيها خيرٌ من القَائِمِ ، والماشـي فيها خَيْرٌ مِنَ الساعي ، فكَسِّرُوا قِسِيَّكُمْ وَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَاضْرِبُوا سُيُوفَكُمْ بِالحِجَارَةِ، فَإِذَا دُخِلَ ـ يَعْنِي على أحدٍ منكم ـ فَلْيَكُنْ كَخَيْرِ ابْنَيْ آدَمَ ..»[1] رواه أبو داود في «سـننه» عن أبي موسى الأشعريّ .

---

(١) «سنن أبي داود» (٤٢٥٩) .

القسمُ الثالِثُ العِلمُ الواجِبُ بِالعلاماتِ الكُبرىٰ

نصَّتِ الأحاديثُ الشريفةُ على العلاماتِ الكبرى اليقينيةِ ، وهي عشرُ علاماتٍ أو عشرُ آياتٍ مُتتابِعةِ الوقوعِ إلَّا أنَّ الأحاديثَ لم تذكرْها جُملةً واحِدةً في حديثٍ واحدٍ ، بلِ اختلفَتِ رِواياتُ الأحاديثِ في التِّعدادِ ، ويكادُ أن يكونَ الحديثُ الذي أخرجَه مُسلِمٌ عن حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أشملَ الأحاديثِ ذِكراً لهذِه الآياتِ العشرِ وفيه :

حديث العلامات الكبرى

«لا تقومُ الساعةُ حتَّى تكونَ عشرُ آياتٍ : طُلوعُ الشمسِ مِن مغربِها ، والدَّجَّالُ ، والدُخانُ ، والدابةُ ، ويأجوجُ ومأجوجُ ، وخروجُ عيسى بنِ مريمَ ، وثلاثةُ خُسوفاتٍ : خسفٌ بِالمشرِقِ وخسفٌ بِالمغربِ ، وخسفٌ بجزيرةِ العربِ . ونارٌ تخرجُ مِن قعرِ عدنٍ أبين تسوقُ الناسَ إلى المحشرِ تبيتُ معَهم حيثُ باتُوا ، وتقيلُ معَهم حيثُ قالوا» [1].

والذي يظهرُ مِنَ استِقراءِ الأحاديثِ وما تابعَه العُلماءُ حولَ ذلِكَ أن الترتيبَ الزمنيَّ في الأحاديثِ لِلآياتِ مُختلِفٌ مِن حديثٍ لِآخَرَ ، بعضُها يُشيرُ إلى تقديمٍ ، وبعضُها يُشيرُ إلى تأخيرٍ ، وخلاصةُ الأمرُ يرجِعُ إلى ثلاثةِ أحوالٍ :

ترتيب الآيات والظواهر

أوَّلُ الآياتِ العشرِ الدَّجَّالُ ، ثُمَّ عيسى ، ثُمَّ يأجوجُ ومأجوجُ ، ويكونُ طُلوعُ الشمسِ مِن مغربِها بعدَ ذلِكَ معَ بقيةِ الآياتِ ، وتكون علامةُ المهديِّ المُنتظرِ آيةٌ بَينَ العلاماتِ الوُسطى السابِقةِ والعلاماتِ الكُبرى اللاحِقةِ ، وخاصَّةً أنَّ كافَّةَ الرِّواياتِ الخاصَّةِ بِالعلاماتِ الكُبرى لم تذكُرْ الإمامَ المهديَّ في ترتيبِها ، وإنَّما ذكرَت أحاديثَ المهديِّ مُستقِلةً .

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٤٠٥٥) و«مسند أحمد» (١٦١٤٤) .

إن أوَّلَ الآيـاتِ العشرِ المهـديُّ المُنتظـرُ ، ثُمَّ الدَّجَّـالُ ، ثُمَّ عيسـى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، ثُمَّ يأجوجُ ومأجوجُ ، ثُمَّ الدخانُ والخسـوفاتُ الثلاثةُ ، ثُمَّ طُلوعُ الشـمسِ مِن مغربِها وما تلاها مِنَ الآيـاتِ . وأوسـعُ حديثٍ جمعَ الآياتِ العشـرَ بالتفصيـلِ حديثُ وائلةَ بنِ الأسـقعِ يقولُ : سـمعتُ رسـولَ اللَّهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقولُ : «لا تقومُ السـاعةُ حتَّى تكونَ عشـرُ آياتٍ : (١) خسـفٌ بِالمشـرِقِ (٢) وخسـفٌ بِالمغـرِبِ (٣) وخسـفٌ فـي جزيـرةِ العـربِ (٤) والدَّجَّالُ (٥) والدُخـانُ (٦) ونـزولُ عيسـى ابـن مريـم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (٧) ويأجـوجُ ومأجـوجُ (٨) والدابةُ (٩) وطلوعُ الشـمسِ مِن مغربِها (١٠) ونارٌ تخرجُ من قعرِ عدنٍ تسـوقُ الناسَ إلى المحشـرِ ، تحشُرُ الذرَّ والنملَ»[١].

العلامات الكبرى قسمان

إنَّ العلاماتِ الكُبرى قِسـمان : قِسـمٌ فيه اسـتِمرارُ قَبولِ التَّوبةِ ، والقسـمُ الثاني تُغلَـقُ فيـه التَّوبـةُ ، وينعدِمُ فيـه الإيمانُ ، فـالأولُ يجري الخِلافُ فـي ترتيبِه ، وأمَّا الآيـاتُ التي نصَّتِ الأحاديـثُ فِيها بِغلقِ التَّوبةِ فهي مجموعـةٌ في حديثِ عبدِاللَّهِ بـنِ عمرٍو عن رسـولِ اللَّـهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قـالَ : «إنَّ أوَّلَ الآياتِ خُروجًا طُلوعُ الشـمسِ مِن مغرِبِهـا وخُـروجُ الدابةِ على النـاسِ ضُحًى ، وأيتُها كانَت قبـلَ صاحِبتِها فالأُخرى على إِثرِها قريبًا»[٢].

الإمام المهدي أول العلامات الكبرى

وفـي هـذا البحـثِ وضعنـا الإمـامَ المُنتظـرَ أوَّلَ الآياتِ الكُبـرى ، كمـا اعتبرنا الخُسـوفاتِ الثلاثةَ واحِدةً بِمُسـمَّاها على قَولِ مَن أشـارَ إلى ذلِكَ الترتيبِ ، واللَّهُ أعلمُ .

وممَّـن أكَّـدَ أنَّ المهـديَّ أوَّلُ علامـاتِ السـاعةِ الكُبـرى الشَّـيخُ البرزنجـيُّ في

(١) «المسـتدرك على الصحيحين» للحاكم (٨٣١٧) و«المعجـم الكبير» للطبراني (٢٢: ٧٩) (١٩٥) وفي «المعجم الكبير» بلفظ : «ونار تخرج من تَعْزِ عَدَن» .

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٤١) .

الإشـاعةِ البابِ الثالثِ في الأشـراطِ العِظامِ والأماراتِ الغريبةِ التي تعقُبُها الساعةُ وهي كثيرةٌ، فمِنها المهديُّ وهو أوَّلُها [1].

ويأتي تسلسُـلُ العلاماتِ الكُبرى «اليقينياتِ العشـرِ» على القولِ الثاني ، وهو ما رتبْنا علَيهِ العرضَ في كتابِنا هذا كالتالي :

(١) المهديُّ المُنتظرُ .

(٢) الدَّجَّالُ .

(٣) عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ .

(٤) يأجوجُ ومأجوجُ .

(٥) الخُسوفاتُ الثلاثةُ .

(٦) الدُخانُ .

(٧) طُلوعُ الشمسِ مِن مغربِها .

(٨) الدابَّةُ .

(٩) النارُ التي تخرُجُ مِن قعرِ عدنٍ .

(١٠) النفخُ في الصُّورِ .

وسيأتي تفصيلُها .

---

(١) «الإشاعة» ص١١٢.

مرحلة الاستقرار

المرحلةُ المهديةُ « المهديُّ المُبشَّرِ به »

المرحلة المهدية.. استقرار ، سلام ، تنمية.. وحكمة الاختلاف بَيْنَ العلماء حول شخصية المهدي وظهوره

وهـي المرحلـةُ التي كثُـر فِيها اللغـطُ والاختِلافُ بَيـنَ أهلِ العِلـمِ والمذاهِبِ ، والاختِلافُ في مثلِ هذه الأُمورِ حِكمةٌ ضروريةٌ لا يعلمُها كثيرٌ مِنَ الناسِ ، ولكنَّها فِي دقائقِ علمِ فِقهِ التحوُّلاتِ ضرورةٌ شـرعِيةٌ لا بُدَّ مِنها للتمويهِ والسـترِ ولإشغالِ الأقـلامِ وذوي الأحلامِ والإسـلامِ بِالرواياتِ والأقوالِ فيما لا يلـزمُ فيه الإفصاحُ ولا البيانُ لِسـرٍّ يعلمُه الخالِقُ سُـبحانَه وتعالى ، حيـثُ إنَّ الاتِّفاقَ المُطلقَ في مِثلِ هذه الأُمورِ المصيريةِ يُبرِزُ لِلكافِرِ والأعداءِ أمرًا مِن أُمورِ المُسـتقبلِ رُبَّما بَنَى علَيهِ الخصـمُ مواقِـفَ ذاتَ أبعادٍ خطيـرةٍ على الناسِ ، ومـعَ هذا التمويهِ الشـرعيِّ فإنَّ الأذى والقتـلَ والتشـريدَ يصِلُ إلى العديدِ مِن شـرائحِ آلِ البَيـتِ ، ومن ارتبطَ بِهم فـي أُخرياتِ الزمانِ ، ويسـتفحِلُ البلاءُ بَيـنَ حملةِ القرارِ لِمُلاحقتِهـم أخبارَ وآثارَ هـذا الإمامِ المُنتظرِ، والكُلُّ لا يعلمون ولا يدرِكونَ حقيقةَ المسـألةِ ، وما أرادَ اللَّهُ بِها مِن خيرٍ لِلأُممِ والشُّعوبِ .

ولِأنها كذلِكَ ؛ فإنَّ تناوُلَها بِالإجمالِ أولى مِن تناوُلِها بالتفصيلِ ، ونُحيلُ الراغِبَ فـي التفصيـلِ على ما كتبَ عنه الإمامُ في الإشـاعةِ لِلبرزنجيِّ ومـا نقلناه في التليدِ والطـارفِ ، ومـا صُنِّفَ في هـذا الموضوعِ لِجُملةٍ مِـنَ العُلماءِ والكُتَّـابِ مِن كافَّةِ المذاهِبِ الإسـلاميةِ ، سـواءٌ مِنَ القائلين بِميلادِه ونشأتِه في المرحلةِ اللاحقةِ ، أوِ القائلين بِغَيبتِه ثُمَّ رجعتِه ، وهذه الاختِلافاتُ لا تُسمِنُ ولا تُغني مِن جُوعٍ في تقريرِ الأمـرِ مِن واقِـعِ فِقهِ التحـوُّلاتِ ... وإنَّما هي جُزءٌ مِن حكمةِ الرحمنِ في إشـغالِ

المُسلِمين وغيرِ المُسلِمين بِذلِكَ لِيأتيَ الوعدُ في حينِه على مُرادِ اللَّهِ[١] . . . .

ومِن علاماتِ ظُهورِه :

تغير الأحوال قبيل مرحلة المهدي

• انقِطاعُ الطُّرُقِ عنِ المواصلاتِ المُعتادةِ . وكثرةُ الحُروبِ والفِتنِ ، وخاصَّةً في جزيرةِ العربِ كثمرةٍ مِن ثمراتِ المراحِلِ السابقةِ ، يُشيرُ إلى ذلِكَ حديثُ ابنِ مسعودٍ : «**إذا انقطعَتِ التِّجاراتُ والطُّرُقُ وكثُرَتِ الفِتَنُ** ... الحديثَ»[٢] ، وحديثُ : «**لا يخرُجُ المهديُّ حتَّى يقتُلَ مِن كُلِّ تِسعةٍ سبعةً**» [٣].

الإحباط النفسي لدى الصالحين قبل المهدي

• الإحباطُ النفسيُّ لدى المُسلِمين ، والضعفُ الكُلِّيُّ والشُّعورُ بِالهزيمةِ أمامَ الأحداثِ المُتعاقِبةِ . يُشيرُ إلى ذلِكَ حديثُ : «**لا يخرُجُ المهديُّ حتَّى يبصُقَ بعضُكم في وجهِ بعضٍ**» [٤].

صيحة في رمضان علامة كونية قبل ظهور الإمام

• صَيحةُ رمضانَ.. وإلَيها يُشيرُ الحديثُ : « قُلنا : وما الصَّيحةُ يا رسولَ اللَّهِ؟

---

(١) وهناك من ادعى المهدية في زماننا هذا وفي الأزمان السابقة ، وكل هذه الادعاءات تدخل تحت مدلول أحاديث «المدعين للنبوة» وظهور الدجالين الكذابين ، الذين يوهمون الناس بأنهم من الأنبياء ، أو أنهم المهدي الموعود به آخر الزمان ، ويجب الحذرُ من هؤلاء وأكاذيبهم ؛ فوعد الله حق وآياته كائنة لا محالة ؛ ولكنها تعرف بالنصوص الشرعية لا بالادعاءات والتخيلات النفسية والتوهمات الشيطانية .

وقد رأيت في بعض البلاد من يشير إلى فلان أو فلان من أهل البيت أو غيرهم بأنه المهدي ، ويلتف عليه المتعصبون والمتعلقون والواهمون ، وكأنما هو الوعد الحق ، وهو لا يعدو كونه جهلا بالنصوص ، واندفاعاً عاطفياً يشوه سمعة العترة الطاهرة ويجعلهم عرضة لأهل التسييس والتدنيس ... وللأسف !

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٠٠٠) .

(٣) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩٥٨) .

(٤) «الفتن» لنعيم بن حماد (٩٦٠) .

قالَ : «هدَّةٌ في النصفِ مِن رمضانَ ليلةَ جُمُعةٍ ... إلخ »[1] . ويمكِنُ الرُّجوعُ إلى الكُتُبِ المُختلِفةُ التي وصفَتِ الصَّيحةَ أوِ الهدَّةَ .

الرايات السود من خراسان

- ظُهورُ الراياتِ السُّودِ مِن خُراسانَ لِنُصرةِ الإمامِ المهديِّ ، وفِيها حديثُ : «إذا سمِعتُم بالراياتِ السَّوداءِ قد أقبلَتْ مِن خُرسانَ فأْتُوها ولَو حبوًا على الثلجِ»[2]، وعن أميرِ المُؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : «لو كنتَ في صُندوقٍ مُقفلٍ فاكسِرْ ذلِكَ القفلَ والْحَقْ بها» [3].

وجوب التحري في نصرة الرايات لتشابه الظواهر

ومفادُ هذه الأحاديثِ حثُّ المُسلِمِ على نُصرةِ الإمامِ ولُزومِ دعوتِه في حينِها، وظُهورُ علاماتِها بيقينٍ ، وفي هذا المِضمارِ يجِبُ على كُلِّ مُسلِمٍ ألَّا يستعجِلَ الظواهِرَ ، ويذهبَ مُندفِعًا نحوَ مفهومِ النُّصرةِ من غيرِ تحرٍّ وانتِباهٍ ؛ فإنَّ تشابُهَ الظواهِرِ قد يُوقِعُ المُستعجِلَ في الخطأِ ؛ وخاصَّةً في المظلومين مِن آلِ البَيتِ أو مُحِبِّيهم ، حيثُ يندفِعون ويتبعون كُلَّ ناعِقٍ في المرحلةِ مُعتقِدين صِدقَ الإشاعاتِ وتشابُهَ العلاماتِ ، وبَينَ الأمرين بَونٌ كبيرٌ ومسافةٌ شاسِعةٌ ، وأمرُ اللَّهِ أعظمُ وأكبرُ مِن أن ينطويَ تحتَ مُؤسساتٍ وسياساتٍ تبحثُ عنِ السُّلطانِ والسيطرةِ ، وتُعمِّقُ الصِّراعَ بَينَ المُصلِّين في المرحلةِ ، فقاعِدةُ الفِعلِ وردِّ الفِعلِ هي رائدةُ الدجلِ والدجاجِلةِ عبرَ تاريخِ التحوُّلاتِ ، وأما ما نحن بِصددِه فسلامةٌ ومحبَّةٌ ورحمةٌ ووِراثةٌ وخِلافةٌ ، والأمرُ للَّهِ مِن قبلُ ومِن بعدُ .

مهمات المهدي وسياسته العلمية والعملية

وقد وصفَتِ الأحادِيثُ خَلْقَهُ وسيرتَه ، ونُحيلُ الراغِبَ في ذلِكَ إلى تفاصيلِ

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (٦٣٨) .

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (٨٩٦) و«مسند أحمد» (٢٢٣٨٧) وأول الحديث : «إذا رأيتم الرايات ... وآخره عند أحمد : «فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي» .

(٣) «كنز العمال» (٣١٥١٤) .

ما ذُكِرَ في «التليدِ والطارِفِ» وغيرِها مِنَ المُؤلَّفاتِ، ونقتصِرُ هاهنا على ما نحنُ بِصددِه مِن جوامِعِ العلاماتِ، ومنها أنَّه:

انقطاع الربا والاقتصاد الرأسمالي

- يعملُ على نشرِ السُّنَّةِ وإماتةِ البدعةِ «لا يوقِظُ نائمًا، ولا يُريقُ دمًا»[1]، «يُقاتِلُ على السُّنَّةِ، يقومُ بِالدينِ آخِرَ الزمانِ كما قام بِه النبيُّ ﷺ»[2].
- يملِكُ الدُّنيا كُلَّها كما ملكَها ذو القرنَين وسُليمانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ.
- ينشُرُ دِينَ الإسلامِ في الأُممِ الكافِرةِ معَ قطعِ عقيدةِ التثليثِ فيما يبلُغُ إلَيه مِنَ البِلادِ، أمَّا الانقطاعُ الكامِلُ لِهذه الانحِرافاتِ فيكونُ على يدِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فيما بعدَ ذلِكَ.
- يحثو المالَ، ويفي بِحاجاتِ الشُّعوبِ الاقتِصاديةِ، أي: توزيعُ الثروةِ بِالعدلِ والإنصافِ.
- يقطعُ المُعاملاتِ الرِّبويةَ وسياسةَ الاقتِصادِ الرأسماليِّ والشُّيوعيِّ وغيرِها مِن نظرياتِ الاقتِصادِ الوضعيةِ.
- يُوحِّدُ آراءَ الشُّعوبِ بِالعَودِ إلى نِظامِ الخِلافةِ وإنَّهاءِ بدعةِ الحِزبيةِ والتَّكتُّلِ والصِّراعِ الطبقيِّ والاعتِقاديِّ والطائفيِّ والسياسيِّ...إلخ.
- بل ويُعيدُ المُسلمين إلى أُصولِ الديانةِ في أُسسِها المُشتركةِ بعيدًا عنِ التشريكِ والتبديعِ والتظليلِ عِندَ قومٍ، وبعيدًا أيضًا عنِ الصِّراعِ المذهبيِّ المُسَيَّسِ بِكُلِّ

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٠٤٠) ونصه: «يُبَايَعُ المَهديُّ بين الركنِ والمقامِ، لا يُوقِظُ نائِماً، ولا يَهريقُ دَماً».

(٢) «المعجم الأوسط» (٦٥٤٠) و«الكبير» للطبراني (٢٦٧٥) من حديث طويل: «يَقومُ بالدينِ في آخرِ الزّمانِ كما قُمتُ به في أول الزّمانِ».

صورِه وأشكالِه، وبعيدًا عنِ الإفراطِ والغُلُوِّ في الاعتِقادِ عِندَ الآخرين، وفيه عنِ الليثِ عن طاوُسَ قالَ: «علامةُ المهديِّ أن يكونَ شديدًا على العُمَّالِ جَوادًا بِالمالِ رحيمًا بِالمساكينِ» «الفِتَنُ» وقالَ: إسنادُه حسنٌ، حتَّى إنَّ بعضَ عُلماءِ مرحلتِه يشُكُّ في كَونِه هو المهديَّ المُبَشَّرَ به؛ لِما يراه فيه مِن مُخالفةِ ظاهِرِ الفتوى في المذهبِ، وإلى ذلِكَ أشارَ الإمامُ البرزنجيُّ في «الإشاعةِ».

شك بعض العلماء المذهبيين في حقيقة الإمام

- يُصحِّحُ مفهومَ الحُرياتِ وحُقوقِ الإنسانِ، ويعيدُها إلى موقِعِها الصحيحِ مِن مبادئِ الإسلامِ السَّمْحةِ، ويقطعُ التدخُّلاتِ الثقافيةَ المُنحرِفةَ بِكافَّةِ نماذِجِها وصورِها التعليميةِ والتربويةِ والإعلاميةِ والثقافيةِ.

- ظُهورُ البركةِ في الطعامِ والإنتاجِ الزراعيِّ والحيوانيِّ بِإقامةِ ودعمِ مبدأِ الاكتِفاءِ الذاتيِّ، وتصحيحِ العِلاقاتِ بَينَ الناسِ؛ لِتسودَ الرحمةُ والمحبَّةُ والوئامُ، خُصوصًا في المرحلةِ الأولى مِنَ استقرارِ حياتِه السياسيةِ والاقتِصاديةِ.

ظهور البركة في المنتجات المحلية

- دُخولُ الإمامِ المهديِّ بعدَ ذلِكَ في المعارِكِ العسكريةِ ضِدَّ جُيوشِ السُّفيانيِّ الثاني حتَّى يأسِرَه ويقتُلَه بِالشامِ.

- مهادنةُ الرومِ وطاعةُ مُلوكِ الأرضِ لِلمهديِّ عِدةَ سنواتٍ. وهي المرحلةُ التي تتقوى فِيها شَوكةُ الإسلامِ والمُسلِمين، وتُطَبَّقُ الشريعةُ الإسلاميةُ في كافَّةِ البِلادِ الإسلاميةِ، وتعودُ لِلأمَّةِ هيبتُها أمامَ دُولِ العالمِ، وتُقامُ الهدنةُ تِلوَ الهُدنةِ معَ العديدِ مِن دُولِ الكُفرِ في المرحلةِ، بما فِيها «دَولةُ اليهودِ المعروفةُ في الأرضِ المُحتلَّةِ»؛ إذ تجبُنُ عن شنِّ حربٍ ضِدَّ قرارِ الإسلامِ لِعِدةِ سنواتٍ، يبرُزُ فِيها أمرُ اللَّهِ بِالعدلِ والاستِقرارِ والأمنِ والبركةِ في الأرزاقِ والنياتِ والإنباتِ.

معارك الإمام معَ السيفاني ومهادنة الروم

انتقاض العرى وبدء الحروب

المرحلةُ الثانيةُ مِنَ المهديةِ

انتِقـاضُ العُرى معَ الرُّومِ التي كانَت مُهادِنةً لِلمهديِّ ، وتبدأُ الحربُ مِن جديدٍ ، وتغزو الرومُ الشامَ ، وتستولي علَيها ، وتقومُ المعارِكُ حيثُ ينتصِرُ الإمامُ المهديُّ علـى الـرُّومِ ، ويغزوهم في عُقرِ دارِهم ، ويأخذُ غنائمَهـم إلى بَيتِ المقدِسِ ، جاءَ فـي «الإشـاعةِ» «الملحمةُ العُظمى وفتحُ القُسـطنطينيةِ وخُروجُ الدَّجَّالِ في سـبعةِ أشهُرٍ»، وفي رِوايةٍ : «**سبعِ سنين**» .

انتصار الإمام على دَولة الكفر والصليب وأخذ كنوزهم

وفـي هذه المرحلـةِ تسـتثيرُ انتِصاراتُ الإمـامِ المهـديِّ «المسـيخَ الدَّجَّالَ» في مكمنِه فيبدأُ بِالحركةِ والظُّهورِ كما سـيأتي . وقد أشـارَت جُملةٌ مِنَ الآثار أنَّ هذه المرحلـةِ تمتـدُّ فِيها الحُروبُ ويعودُ الجِهادُ في سـبيلِ اللَّهِ في أنحـاءٍ كثيرةٍ ، حتَّى إنَّ المُسـلِمين يغـزون الهِندَ ويفتحونها ، وأغلبُ الأحاديـثِ في هذا البابِ ضعيفةٌ إلَّا أنَّ بعضَهـا يُقـوي بعضَها ، وفِيها حديثٌ حسـنٌ ذكـرَه صاحِبُ كِتـابِ «الفِتَنِ» (ص٢٩٠ الخامِس/ برقْم ١١٥٢) عن جراحِ بنِ أرطأةَ قالَ : على يدِ ذلِكَ الخليفةِ اليمانيِّ الذي يفتحُ القُسطنطينيةَ وروميةَ ، على يديه يخرُجُ الدَّجَّالُ وفي زمانِه ينزِلُ عيسـى بـنُ مريـمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وعلى يدَيـه ـ أي : الخليفـة اليماني ـ تكونُ غـزوةُ الهِندِ ، وهـو مِـن بني هاشِـمٍ[1] ، وغزوةُ الهِندِ التي قـالَ فِيها أبو هُرَيـرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : «وعدَنا رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غزوةَ الهِندِ ، فإن أدركتُها أنفقتُ فِيها نفسي ومالي ، فإنِ استشهدتُ كنـتُ مِـن أفضلِ الشـهداءِ ، وإن رجعتُ فأنـا أبو هُرَيـرةَ المحـرّرُ»[2] ، وفي ذات الموضع أثر عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «عِصَابَتَانِ

---

(١) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٢٣٨) .

(٢) «سنن النسائي المجتبى» (٣١٧٣) .

مِـنْ أُمَّتِـي أَحْرَزَهُمَا اللَّهُ مِنْ النَّارِ عِصَابَـةٌ تَغْزُو الْهِنْدَ وَعِصَابَةٌ تَكُونُ مَعَ عِيسَـى ابْنِ مَرْيَـمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ»[1]. وأثـر آخر عن جراح بن أرطأة : «علـى يدي ذلك الخليفة اليماني الذي يفتح القسـطنطينية ورومية ، على يديه يخرج الدجال وفي زمانه ينزل عيسـى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ ، على يديه تكون غزوة الهند ، وهو من بني هاشم»[2] .

(١) «سنن النسائي المجتبى» (٣١٧٥) و«مسند أحمد» (٢٢٣٩٦) .

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٢٣٨) .

مرحلة الحصار

المرحلة الدجالية
وموقع الدجال
من علامات
الساعة

المرحلةُ الدَّجَّاليةُ : ظُهورُ المسيحِ الدَّجَّالِ [1]

---

(١) تعتبر قضية الدجال الأعور قضيةً عالميةَ الفتنة والخطورة ، وليست خاصة بمرحلة ظهور الدجال في آخر الزمان ، وإنما يكون ظهوره على ركام سلسلة من التحولات المتلاحقة التي تمهد لظهور جذوره الأخيرة .

حيث إن ظهور المسيخ الدجال في آخر الزمان ومسحه للعالم الإنساني في أربعين يوماً إنما هو آخر فصول نشاطه الدجالي في العالم ونهايته الحتمية مع دولة اليهود الدجالية ، وستتناول هذا الموضوع في كتابنا «السياسة الدجالية ومولودها المنتظر» ، ولهذا فإن من العلامات التي تتنامى منذ أن خلق الله الأرض إلى ظهورها في المرحلة الأخيرة كأول العلامات الكبرى هي فتنةُ «المسيخِ الدجالِ» وفي هذا الصدد أتت أحاديث رسول الله ﷺ مفصلة ومبينة لهذا التنامي الخطير في تاريخ التحولات العالمية ومنها :

- ما رواه أحمد عن هشام بن عامر الأنصاري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما بين خلق آدم إلى أن تقوم الساعة فتنة أكبر من فتنة الدجال» «مسند أحمد» (١٦٢٦٥) .
- وقال : «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من الدجال» . رواه مسلم (٢٩٤٦) .
- وقال : «إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة المسيخ الدجال ، وإن الله لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال ، وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة» . رواه ابن ماجه (٤٠٧٧) .
- وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : «ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور» . رواه مسلم (٢٩٣٣) والبخاري في «الصحيح» (٧١٣١) .

ومن هذه الأحاديث نفهم خطورة الامتداد الدجالي ـ للدجل والدجاجلة ـ وأنه أشد خطرا على الأمة في تحولاتها بدءا من مرحلة قتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى مرحلة خروج المسيخ الدجال في آخر الزمان ، ومن هذه العلامات :

(١) ما ورد في مجموع العلامات الوسطى والصغرى جملة وتفصيلا .

موقِعُ الدَّجَّالِ مِن علاماتِ الساعةِ

تندرِجُ فِتنةُ المسيخِ الدَّجَّالِ بَينَ الأشراطِ والعلاماتِ المعروفةِ، يَخْدُمُ بعضُها البعضَ، من عهدِ آدمَ إلى نِهايةِ مرحلةِ الدَّجَّالِ، وقد أفاضَتِ الأحادِيثُ الشريفةُ في الركنِ الرابِعِ وما تفرَّعَ عنه «عنِ فِتنةِ الدَّجَّالِ» واختلفَ العُلماءُ في تفسيرِ هذا الأمرِ تبعًا لِلاختِلافِ الواردِ في الأحاديثِ عن شخصيتِه، ونحن هنا نضعُ فصلًا خاصًّا بِه لِما له مِنَ الأهميةِ في فِقهِ التحوُّلاتِ، بل إنَّ كثيرًا مِن مُجرياتِ التاريخِ وانحرافاتِه له عِلاقةٌ وطيدةٌ بِهذا المخلوقِ المُفسِدِ، ولقد ثبتَ في الحديثِ الصحيحِ أنَّ النبيَّ ﷺ قدِ احتارَ في أمرِه، وظلَّ موضوعَ الدَّجَّالِ شاغِلًا لِلذَّاتِ النبويةِ، حتَّى تبيَّنَ له الأمرُ البيِّنُ في شأنِه كما قد أشرْنا إلى ذلِكَ في كِتابِنا «التليدُ والطارِفُ»،

---

(٢) ظهور الأئمة المضلين الذين يروضون الشعوب حكما وعلما لفتنة الدجال، وفيهم يقول ﷺ فيما رواه أبو ذر، قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال: «لَغَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي على أمتي» (ثلاثاً) قال: قلت يا رسول الله ما هذا الذي غير الدجال أخوفك على أمتك؟ قال: «أئمةً مضلين». رواه أحمد (٢١٢٩٦) وفي إسناده راو مختلف فيه، «إتحاف السادة المتقين» للزبيدي (١: ٣٥١).

(٣) خفة الدين وإدبار العلم وغفلة المنابر عن ذكره. وضعف اليقين والإيمان وكثرة الإرجاف والإسفاف في مواقع الديانة ذاتها، ومنها الوزارات والمؤسسات القائمة بأمر الديانة في المجتمعات، وأما إدبار العلم فهو ذهابه وإهماله من قبل عموم الناس واشتغالهم بالبدائل ومناهج التعليم وتعليم الخدمات، إضافة إلى غياب العلم الخاص بالتحولات لغياب العلم بالركن الرابع من أركان الدين.

وعن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ وهو نائم فذكرنا الدجال؛ فاستيقظ محمرا وجهه، فقال: «غير الدجال أخوف على أمتي.. أئمةٌ مُضِلّون». «مصنف ابن أبي شيبة (٣٧٤٨٦) «مسند أبي يعلى (٤٦٦).

ولكنَّ الأهميةَ التي نطرُقُها هنا ترجعُ إلى ثلاثةِ أُمورٍ :

أولُها : موقِعُ الدَّجَّالِ مِن تاريخِ الإنسانيةِ بِعُمومِها .

ثانيها : موقِعُ الدَّجَّالِ مِن تاريخِ الرِّسالةِ الخاتمةِ .

ثالثُها : أهميةُ دراسةِ الدَّجَّالِ فِكرًا وذاتًا ، وقد قالَ ابنُ ماجه : سمِعتُ أبا الحسنِ الطنافسيَّ يقولُ سمِعتُ عبدَ الرحمنِ المُحارِبيَّ يقولُ : (ينبغِي أن يُدفَعَ هذا الحديثُ إلى المؤدِّبِ ؛ حتَّى يُعلِّمَه الصبيانَ في الكُتَّابِ) [1] .

وعن حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ ذُكِرَ الدَّجَّالُ عِندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالَ : «**لأنا لِفتنةِ بعضِكم أخوفُ عندي مِن فِتنةِ الدَّجَّالِ ، ولن ينجوَ أحدٌ مِمَّا قبلَها إلَّا نجا مِنها ، وما صُنِعَت فِتنةٌ ـ مُنذُ كانَتِ الدُّنيا ـ صغيرةٌ ولا كبيرةٌ إلَّا لِفتنةِ الدَّجَّالِ**» [2] .

ومعَ وُجودِ الاختِلافِ حولَ شخصيةِ الدَّجَّالِ فإنَّ الأمرَ المُهِمَّ فيما نحنُ بِصددِهِ ما يلي :

(١) **لِلدجالِ مرحلتان** : مرحلةُ فتنتِهِ التي بَينَ يدَيه ، ومرحلةُ ظُهورِ ذاتِه .

وكِلا المرحلتَين خطيرتان جدًّا في حياةِ الشُّعوبِ . بل إنَّ كُلَّ انحِرافٍ عن منهجِ الدياناتِ مُنذُ عهدِ آدمَ إلى ظُهورِ الدَّجَّالِ في آخِرِ الزمانِ ينطوي تحتَ مُسمَّى «فِتنةِ الدَّجَّالِ» ، ويُمهِّدُ لِلسياسةِ الدَّجَّاليةِ في الأرضِ مِن مرحلةِ الخفاءِ وحتى مرحلةِ ظُهورِه الأخيرِ ، ومرحلةُ ظُهورِه ستأتي في آخِرِ الزمانِ معَ نِهايةِ مرحلةِ الإمامِ المهديِّ وبدايةِ عهدِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلَّا أنَّ بعضَ الأحاديثِ ذكرَت خُروجَ الدَّجَّالِ

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٤٠٧٧) .

(٢) «مسند أحمد» (٢٣٣٠٤) و«مسند أبي يعلى» (٢٨٠٧) وآخره : «والله لا يضر مسلما مكتوب بين عينيه كافر» .

وسـيرَه في الأرضِ سابِقًا ووُجودَ بصماتٍ عمليةٍ لِدولتِه في نِظامِ الحياةِ الإنسانيةِ، ومِنها :

حديثُ عِمرانَ بنِ الحُصَينِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أنَّ رسـولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : «**لقد أكلَ الدجالُ الطعامَ ومشى في الأسواقِ**»[1] .

وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه سأل رسولَ اللَّهِ ﷺ عن الدجال فقالَ : «**هو يَومَهُ هَذَا قد أكلَ الطعامَ**»[2].

وَعَن الحَسَـنِ عـن عبدِاللّهِ بنِ مُغَفَّلٍ أَنّ رَسُـولَ اللّهِ ﷺ قال : «**لَقَـدْ أَكَلَ الطّعَامَ وَمَشَى في الأَسْوَاقِ**» يعني الدّجَّالَ[3].

وهـذه الأحاديثُ بِمجموعِها تؤيِّدُ مسـيرةَ الدَّجّالِ الاسـتِطلاعيةَ في الأرضِ مِن قبـلُ ، ومعرفتَه بِشُـؤونِ العالمِ ، ودراسـتَه لحياةِ الشُّـعوبِ وأوضاعِ الأُمـمِ ، واللَّهُ أعلمُ[4] .

وقـد أشـرْنا فـي «التليـدِ والطـارِفِ» إلى قصـةٍ ذكرَها بعـضُ المُهتمِّين بِدراسـةِ الدَّجّالِ ، وفِيها ما يُشـيرُ إلى وُجودِه في عهدِ موسـى وعيسى عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ ، وهو يجوبُ الأرضَ ويمسـحُها ويتعرَّفُ على أكنافِها وأطرافِها ، وأنَّ حبسَـه ووثاقَه في إحدى الجُزُرِ كانَ معَ ميلادِ النبيِّ ﷺ ، ويؤيِّدُ هذا المعنى حديثُ تميمٍ الداريِّ والجَسَّاسَةِ، إلَّا أنَّـه عـادَ إلى الحركةِ بعـدَ وفاةِ النبيِّ ﷺ لِيُكمِلَ مشـروعَه الدَّجّاليِّ في العالـمِ .

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٣٣٩) (١٨ : ١٥٥) .

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٨٦٢١) «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير (٧٨٥٢) .

(٣) «المعجم الأوسط» (٨١٥٤) .

(٤) للاستزادة راجِعْ «سُبُلَ الهُدى والرشادِ» (١٠ : ١٦٦) .

ويبني قاعِدةَ دولتِه المُستقبليةِ ؛ ولكنَّنا في كِتابِنا هذا تجاوزْنا هذه الرِّوايةَ إشفاقًا على بعضِ القُرَّاءِ الراغبين في تَوهينِ الصحيحِ والمُفيدِ متى ما وجدوا شَيئًا مِنَ الخبرِ الواهِنِ أوِ الضعيفِ في جانبٍ مُعيَّنٍ ، بحيثُ يُفسِدون المنهجَ الموضوعَ ويُشوِّشونَ الفِكرةَ على المخدوعِ .

(٢) **وموقعُ الدَّجَّالِ في الشُّعوبِ يبدأُ مِن موقِعِ «القرارِ السياسيِّ»** : فالقرارُ السياسيُّ في كُلِّ مرحلةٍ هو مِحورُ التأثيرِ للدجلِ ، وموقِعُ المتنفِّذين مِنَ الدجاجِلةِ ، وسببُ النقضِ المُدمِّرِ لِلدياناتِ في الشُّعوبِ .

(٣) **والفكرُ الإنسانيُّ المُسمَّى بِالـ «أيديوليجيات» هو «مادةُ الدجلِ العالميِّ» في الحياةِ البشريةِ** ، وأساسُه الكُفرُ ، والكُفرُ عقيدةُ الشَّيطانِ ، ومُهِمَّةُ الدَّجَّالِ ترويضُ الشُّعوبِ بِالترغيبِ والترهيبِ لِقَبولِ الانحِرافاتِ المُتنوِّعةِ المؤديةِ إلى «الكُفرِ» عن طريقِ الهيمنةِ المُسَيَّسةِ على «قراري الحُكمِ والعِلمِ» .

(٤) **أنَّه مخلوقٌ مِنَ البشرِ** ، وأرجحُ الرِّواياتِ تُشيرُ إلى أنَّه مِنَ اليهودِ ، وليسَ ابنَ صيادٍ الذي في عهدِ النُّبوةِ ، وإنَّما ذاكَ مِن دجاجِلةِ المرحلةِ . فالدَّجَّالُ مخلوقٌ منحَه اللَّهُ قُدُراتٍ علميةٍ وعمليةٍ وامتِداداً في العُمرِ لِحِكمةٍ إلهيةٍ في الوُجودِ ، وهذا ما يُؤكِّدُهُ حديثُ تميمٍ الداريِّ في الصحيحِ .

(٥) **أنَّ لِلدجالِ عقيدةً وفِكرًا** ، وهو ما يُسمَّى بالدَّجْلِ ، وهو تمويهُ الباطِلِ وإضفاءِ صورةِ الحقائقِ علَيه ، وله أُسلوبٌ إرهابيٌّ في معالجةِ الأُمورِ «سُلطةُ العُنفِ» وهذا ما تفسِّرُه كثيرٌ مِنَ الأفلامِ والمُسلسلاتِ والكارتونِ المُنْتَشِرَةِ اليَوْمَ ، وأيضًا سياسةُ دَولةِ اليهودِ كإحدى الظواهِرِ الثقافيةِ المُمهِّدةِ لِلمسيخِ الدَّجَّالِ .

(٦) **هناك ارتباطٌ وطيدٌ بَينَ الدَّجَّالِ والدجاجِلةِ** وهم عُلماءُ الدينِ والدُّنيا الذين

يُهندِسـونَ القضايـا والأديـانَ ، ويُحرِّفـونَ الكلِـمَ عن مواضِعِـه لِتحقيـقِ مُراداتِ الشَّيطانِ والدَّجَّالِ في العالمِ .

(٧) أهـمُ مـا يمكِنُ في هذا العِلمِ «فِقهِ التحوُّلاتِ» وعلاقتِه بِسياسـةِ الدَّجَّالِ تتبُّع الأحاديثِ الواردةِ في هذا البابِ ، ولعلَّ أهمَّ حديثٍ يُبرِزُ لنا خُطورةَ هذا المخلوقِ وفِتنتِه وخاصَّةً لدى عوامِّ الأُمَّةِ وجهلةِ المُسـلِمين ما علَّمنا إيَّاه ﷺ مِنَ الاسـتعاذةِ المُسـتمِرَّةِ في الصلاةِ «مِن فِتنةِ المسـيخِ الدَّجَّالِ» ، وهذه إشارةٌ واضِحةٌ إلى أهميةِ الأمرِ وضرورةِ العِلمِ بِه .

(٨) أخبـرَ النبيُّ ﷺ أنَّ الدَّجَّالَ كذاتٍ إنسـانيةٍ ليسَ خطرًا إلـى حدٍّ بعيدٍ ، وإنَّما الخُطورةُ في المراحِلِ التي تُصابُ فِيها الأُمَّةُ بِالفِتنِ ، وهي المشاريعُ المعرِفيةُ تربيةً وتعليمًـا ودعوةً وإعلامًا وثقافةً واقتِصاداً وقراراً سياسـيّاً التي تُحقِّقُ نجاحَ مسـيرةِ المسيخِ الدَّجَّالِ وفي ذلِكَ يقولُ ﷺ : «**لستُ أخشى علَيكمُ الدَّجَّالَ ، ولكِن أخشى علَيكـم عُلماءَ الفِتنةِ**» . وفي الحديثِ الآخـرِ : «**غَيرُ الدَّجَّالِ أخوفَني على أُمَّتي مِنَ الدَّجَّالِ الأئمةُ المُضِلُّون**»[١] . أخرجَه أحمدُ والسُّيوطيُّ في الجامِعِ الصغيرِ . وعن شدَّادِ بنِ أوسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**مِن أخوفِ ما أخافُ على أُمَّتي أئمةٌ مُضِلُّون . وإذا وقعَ السَّيفُ لم يُرفَعْ إلى يومِ القيامةِ**»[٢] .

وعـن أبـي الطُّفَيلِ عن أبي سَـريحةَ حُذَيفـةَ بنِ أَسـيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قـالَ : «**أنا لِغيرِ الدَّجَّـالِ أخـوفُ علـيَّ وعلَيكم**» قـالَ فقُلنا : ما هو يا أبا سَـريحةَ . قـالَ : فِتَنٌ كأنَّها قِطعُ اللَّيلِ المُظلِمِ . قالَ : فقُلنا أيُّ الناسِ فِيها شرٌّ ؟ قالَ : كُلُّ خطيبٍ مِصقعٍ وكُلُّ

---

(١) «سلسة الأحاديث الصحيحية» للألباني (١٩٧٩) .

(٢) «السنن الواردة في الفتن» للداني (٥٤) .

راكِبِ موضِعٍ قالَ : فقُلنا أيُّ الناسِ فِيها خَيرٌ ؟ قالَ : كُلُّ غنيٍّ خفيٍّ . قالَ : قُلتُ : ما أنا بِالغنيِّ ولا بِالخفيِّ . قالَ : «فكُنْ كابنِ اللبونِ لا ظهرَ فيُركَبُ ، ولا ضرعَ فيُحلَبُ» .[1]

وعلى هذا الأساسِ فإنَّ الدَّجَّالَ والدجاجِلةَ والدجلَ هم المُركَّبُ الثُّلاثيُّ الذي يُسيطرُ على مجموعِ الحركةِ البشريةِ في العالمِ ، وهو ما خافَ منه ﷺ وحذَّرَ منه سواءً في الأُممِ السابقةِ أو في أُمَّةِ الإسلامِ خُصوصًا ، ومِن ذلِكَ قولُه ﷺ فيما رواه أصحابُ السُّننِ : «إنّهُ لم تكُنْ فِتْنَةٌ في الأرضِ منذُ ذرَأَ اللّهُ ذُرِّيَّةَ آدمَ أعظمَ مِن فِتْنَةِ الدّجّالِ»[2] .

وحديثُ : «إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ بَعْدَ نُوحٍ إِلاَّ وَقَدْ أَنْذَرَ الدَّجَّالَ قَوْمَهُ وَإِنِّي أُنْذِرُكُمُوهُ»[3] .

وهذه الأحاديثُ مُجتمِعةٌ فِيها دلالةٌ خطِيرةٌ على موقِعِ الدَّجّالِ كمُؤامرةٍ ، وإنَّ أُسلوبَ المُؤامراتِ والعملَ المُبطَّنَ القائمَ على الصِّراعِ السياسيِّ عملٌ دجاليٌّ يخدُمُ الفِتنةَ المُنتظرةَ لِظهورِ المسيخِ الدَّجّالِ ، وقد لُوحِظَ هذا في ما بعدَ قتلِ عُثمانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حيثُ اتَّسعَتْ دائرةُ الفِتَنِ بَينَ المُصلِّينَ ، وقُتِلَ فِيها أيضًا سيِّدُنا عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فيما بعدُ على أيدي المُصلِّين .

واتسعَت هذه الدائرةُ الدَّجّاليةُ بعدَ ذلِكَ لِتشملَ كافةَ العناصِرِ المُثيرةِ لِلفِتنِ ، سواءٌ في مستوى الحُكمِ أوِ العِلمِ أو في مُستوى تحريضِ الشُّعوبِ ، كما هو في

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٨٦١٢) وقالَ : هذا حديث صحيحُ الإسنادِ ولم يخرجاه . «إتحافَ الجماعةِ» (١ : ٤٩) .

(٢) «سنن ابن ماجه» (٤٠٧٧) .

(٣) «سنن أبي داود» (٤٧٥٦) و«سنن الترمذي» (٢٢٣٤) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٤٧٦) و«مسند أحمد» (١٦٩٣) و«مسند البزار» (١٢٨٠) .

مرحلـةِ الإمامِ الحسـنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حيثُ عاصـرَ الفِتنةَ الدَّجَّاليةَ مِـن جهتَين : مِن جِهةِ دُعـاةِ المُلكِ العضوضِ من جهة ، ودُعاةِ الحـربِ والانتِقامِ مِنَ المجموعاتِ التي شـاركَتْ فـي مقتلِ عُثمانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ فـي مقتلِ والدِه الإمـامِ عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من جهة أخـرى . ثـم كيف تفادى الإمامُ الحسـنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فـي مرحلتِه هَيمنةَ الفِتنـةِ فاجتهدَ رأيَـه بِقَبـولِ الصُّلحِ اختيـارًا مِنه ، لا إجبارًا له كمـا فعلَ أهلُ الفِتنةِ مـعَ والِدِه عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فـي صِفِّينَ وما تلاها ، فكانَتِ التضحيةُ بِالقرارِ عِندَه أَولى في سـبيلِ حِفظِ الأُمَّةِ ودوامِ الاستِقرارِ . واتخذَتِ الفِتنةُ شكلَها الخطيرَ في المؤامرةِ فيما بعدَ ذلِكَ على شـهيدِ الإسلامِ الإمامِ الحُسَينِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وما ترتَّبَ على الغدرِ به مِنَ التسييس الدَّجَّاليِّ ، سـواءٌ عِندَ حملةِ قرارِ المُلكِ العضوضِ أو لدى المُتخاذِلين عن نُصرتِه مِن شيعتِه الدافعين له إلى الخُروجِ بأخذ البيعة له ثم خذلانه ساعة الابتلاء[1] .

لقـد كانَـت هـذه المراحِلُ مُنـذِرةً بانحِرافٍ خطيرٍ فـي قرارِ الحُكـمِ وما تلاه مِن نقـضٍ فـي قضايا العِلـمِ ، وبهذه النواقِضِ اتسـعَ أمرُ الدجلِ والاختِـلافِ فيما بعدُ فـي دائرتَـيِ الحُكمِ والعِلمِ إلَّا مَـن رحِمَ اللَّهُ ، والذين رحِمَ اللَّـهُ هم أولئك الأئمةُ والأتباعَ ، الذين لزمُوا منهجَ النمطِ الأوسـطِ ، ودافعوا عنِ الحقِّ اجتِهادًا بِالسـيفِ حينًـا كضـرورةٍ ، وحينًـا بِالدعوةِ كهدفٍ ، وهـمُ الذين ينطبِقُ علَيهـم حديثُ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي رواه العِرباضُ بنِ ساريةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وقد أشرْنا إلَيه سلفًا ، وفيه يقولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: **«اسـمعوا وأطيعوا ولو تأمَّرَ علَيكم عبدٌ ، فإنَّه مَن يعشْ منكم فسـيرى اختِلافًا كثيرًا فعلَيكم بِسُنَّتي وسُـنَّةِ الخُلفاءِ الراشدين المهديين من بعدي عضُّوا علَيها بِالنواجِذِ**

---

(١) كتبنـا فـي هذا الباب كتابنا « إحياء منهجية النمط الأوسـط من سـادة الصلح وبقية السـيف وبراءتهما من طرفي الإفراط والتفريط» وتوسعنا فيه ، وقد طبع فليراجع للاستزادة .

...»[1] . فكانَـت سـلامةُ الأُمَّـةِ هدفَهم ، ومسـألةُ القرارِ وسـيلةً لا غايـةً ، فمتى ما امتلكُـوه بِـلا مُنازعـةٍ عدلـوا فيـه ، ومتى مـا نوزِعوا فيه عدلـوا عنه لِما هـو أفضلُ وأسلمُ ، وأفشلوا سياسةَ الشَّيطانِ والدَّجَّالِ في استِثمارِ التحريشِ وضربِ المُسلِمِ بالمُسلِمِ .

وعن أبي الطُّفَيلِ عن أبي سَـريحةَ عن حُذَيفةَ بنِ أَسـيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه قالَ : «**أنا لغيرِ الدَّجَّـالِ أخـوفُ على أُمَّتي**» . قالَ : فقلنا : ما هو يا أبا سَـريحةَ ؟ قـالَ : «**فِتَنٌ كأنها قِطعُ اللَّيلِ المُظلِمِ**» . قالَ : فقُلنا : أيُّ الناسِ فِيها شـرٌّ ؟ قالَ : «**كُلُّ خطيبٍ مِصقَعٌ، وكُلُّ راكِـبِ مَوضِـعٍ**» . قالَ : فقلنا : أيُّ الناسِ فِيها خَيـرٌ ؟ قالَ : «**كُلُّ غنيٍّ خفيٍّ**» . قالَ : قُلتُ : ما أنا بِالغنيِّ ولا بِالخفيِّ . قالَ : «**فكُنْ كابنِ اللبونِ لا ظهرَ فيُركَبُ ، ولا ضرعَ فيُحلَبُ**» [2]، وقد أشـرْنا في كِتابِنـا «التليدِ والطارِفِ» إلى أوَّلِ ظُهورِ مراحِلِ فِتنـةِ المسـيخِ الدَّجَّـالِ في الأُمَّةِ المُحمَّديـةِ كما وردَت في النَّصِّ الشـرعيِّ ، وهي مرحلةُ مقتلِ الخليفةِ الثالِثِ عُثمانَ بنِ عفَّانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، وهي المرحلةُ التي ظهرَ فِيها الدجلُ السياسيُّ ، حتَّى تمكَّنَ أتباعُه مِنَ التأثيرِ على الواقِعِ الاجتِماعيِّ ، وتجرؤوا بِما نسـجُوه مِن مُلابسـاتِ الحِيَلَ والتُّهمِ والقضايا على قتلِ سيِّدِنا عُثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ، وكيف انتقلَتِ القضيةُ مِنَ المُطالبةِ بِإصلاحِ الواقِعِ السياسيِّ إلى قتلِ حامِلِ قرارِه ، وهذه المرحلةُ مفصلٌ هامٌّ في دراسـةِ التاريخِ الشـرعيِّ مربوطًا بِالأحاديثِ النبويةِ في فِقهِ التحوُّلاتِ .

بل إن النبيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ مِمَّا رواه حُذَيفةُ بنُ اليمانِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال : «**أَوَّلُ الفِتَنِ قتلُ عُثمانَ ،**

---

(١) «سـنن أبي داود» (٤٦٠٧) و«سـنن ابن ماجه» (٤٣) و«مسند أحمد» (١٧١٤٢) و«صحيح ابن حبان» (٥) .

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٨٦١٢)، وانظر «إتحاف الجماعة» (١ : ٤٩) .

وآخِرُهـا خُـروجُ الدَّجَّالِ ، والذي نفسـي بيدِه ، ما مِن رجُلٍ في قلبِـه مِثقالُ حبَّةٍ مِن حُبِّ قتلِ عُثمانَ إلَّا تبِعَ الدَّجَّالَ إن أدركَه ، وإن لم يُدركْه آمن بِه في قبرِه»[1] .

وأخـرج أحمـد عن عبد الله بن سـلام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قـال : «لا تَقْتُلُوا عُثْمَـانَ فَإِنَّكُم إِنْ فَعَلْتُمْ لَمْ تُصَلُّوا جَمِيعاً أبداً»[2] .

وعن سـمُرةَ قالَ : «إنَّ الإسلامَ كانَ في حِصنٍ حصينٍ ، وإنَّهم ثلمُوا في الإسلامِ ثلمةً بِقتلِهم عُثمانَ لا تُسدُّ إلى يومِ القيامةِ»[3] . وأخرجَ مُحمَّدُ بنُ سيرينَ قالَ : «لم تُفْقَدِ الخَيلُ البلقُ في المغازي والجُيوشِ حتَّى قُتِلَ عُثمانُ»[4] . وفي هذه الأحاديثِ والمروياتِ إشـارةٌ خِطيرةٌ إلى اندِراجِ الفِتَنِ في أوضاعِ الأُمَّةِ السياسيةِ ، وإنَّ موقِعَ الدَّجَّالِ في العالَمِ الإسلاميِّ والعربيِّ مُنذُ تِلكَ اللحظةِ ينطلِقُ مِنَ الاختِلافِ حولَ مسألةِ القرارِ .

(٩) **يتحـركُ « المسـيخُ الدَّجَّـالُ » ومعَـه مِن يهودِ أصبهانَ سـبعون ألفًـا ، وذلِكَ بعـدَ انتِصارِ الإمامِ المهديِّ علـى الروم** . وكانَ هذا الأمرُ يُثيرُ الدَّجَّالَ ، ويخرُجُ مِن مكمنِه كما وردَ في الحديثِ : «إنَّه يخرُجُ في غضبةٍ يغضبُها»[5] إلاَّ أنَّ الدَّجَّالَ يبدأُ بـادئَ ذي بدءٍ بدعـوى الإيمانِ والديانةِ والصـلاةِ والتقوى حتَّى يُميـلَ إلَيه الناسَ ويُحبُّونـه ، ولـم يزل يظهرُ حتَّى يقدُمَ الكوفةَ على العِراقِ ، ثُمَّ يُظهِرَ ادِّعاءَه بِالنُّبوةِ ؛ فيتفـرقُ عنه الناسُ ، ثُمَّ يدعي الأُلوهيةَ وتظهَرُ العلاماتِ الواضحِةَ بِكُفرِه ودجلِه .

---

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٩: ٤٤٧) .
(٢) «فضائل الصحابة» للإمام أحمد بن حنبل (٧٩٦).
(٣) «تاريخ دمشق» (٣٩: ٤٨٣) .
(٤) «تاريخ دمشق» (٣٩: ٤٩٣) .
(٥) «صحيح مسلم» (٢٩٣٢) .

ويُعلِنُ عن هُويتِه .

(١٠) تشتدُّ الحالةُ الاقتِصاديةُ على الناسِ مرحلةً ويكثُرُ الجوعُ والفقرُ حتَّى يتمنَّى الناسُ خُروجَه . ففي حديثِ حُذَيفةَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُ قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ صَلَّىاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ : «يأتي على الناسِ زمانٌ يتمنَّون فيه الدَّجّال» ، قُلتُ : بِأبي وأمِّي يا رسولَ اللَّهِ مِمَّ ذاك ؟ قالَ : «مِمَّا يلقونه مِنَ الضناءِ والعناء» [1] ، ولعلَّه : مِنَ الغُثاءِ والعناءِ[2] .

(١١) يتبعُه سبعون ألفًا مِن يهودِ أصبهانَ[3] وثلاثةَ عشرَ ألفَ امرأةٍ[4] .

(١٢) يسيحُ في الأرضِ أربعين يومًا [5] .

(١٣) يخرُجُ في خِفَّةٍ في الدينِ وإدبارٍ مِنَ العِلمِ ولا يبقى على وجه الأرض أحدٌ لله فيه حاجة[6] ، ويذهلُ الناسُ عن ذكرِه[7] .

(١٤) يفتِنُ الأعرابَ وأهلَ السوادِ والأطرافِ ، ويُحيي أمواتَهم ، ويأمُرُ السحابَ فيُمطِرَ والأرضَ فتُخرجَ كُنوزَها رأيَ العينِ .

(١٥) طيُّ الوقتِ وطيُّ الأرضِ له ، «تُطوى لـه الأرضُ منهلًا منهلا[8] طيَّ فروة

---

(١) «السلسلة الصحيحية» للألباني (٣٠٩٠) .

(٢) انظر «علامات الساعة» ليوسف الوابل ص٢٠٩.

(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٤٤) .

(٤) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٥١٨) .

(٥) «المعجم الأوسط» للطبراني (٤٢٨٩) .

(٦) «المستدرك على الصحيحين» (٨٦١٣) .

(٧) «مسند أحمد» (١٦٦٦٧) .

وفي «مستدرك الحاكم» (٨٦١٢) : «ولا يسخر له من المطايا إلا الحمار فهو رجسٌ على رجس» ، وانظر «إتحاف الجماعة» (٣: ١٥) .

(٨) «السنن الواردة في الفتن» للداني (٦٦٤) .

الكبشِ»[1].

(١٦) يغلُبُ على أهلِ فارِسٍ، ثُمَّ يمُرُّ إلى العِراقِ، وإلى الجزيرةِ العربيةِ، ويدخُلُ أطرافَ مكَّةَ والمدينةَ، ثُمَّ يُتابِعُ مسيرتَه إلى الشامِ، حيثُ جُندُ الإمامِ المُنتظَرِ تحتَ الحِصارِ في جبلِ الدُخانِ ببَيتِ المقدِسِ.

(١٧) يُشدِدُ الدَّجَّالُ وجنودُه الحِصارَ على الإمامِ المهديِّ ومَن معه، ويُجهِدُهم جهدًا شديدًا.

(١٨) أشدُّ الناسِ على الدَّجَّالِ «بنو تميمٍ»، وفي هذا روى البزارُ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: ذكرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ «بني تَميم» فقالَ: «هُم ضِخامُ الهامِ، ثبتُ الأقدامِ، أنصارُ الحقِّ في آخِرِ الزمانِ، أشدُّ قَومًا على الدَّجَّالِ»[2].

---

(١) وفي حديث حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «الدجال يخرج في بغض من الناس، وخفة من الدين، وسوء ذات البين، فيرد كل منهل فتطوى له الأرض طي فروة الكبش ... الحديث» «المستدرك على الصحيحين» (٨٦١٢).

(٢) «بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث» (١٠٣٩).

نِهايةُ الدَّجَّالِ ودولةِ اليهودِ

يُعسكِرُ الدَّجَّالُ وجيوشُه حولَ بيتِ المقدِسِ المُحاصرِ وبَينَ أرضِ فِلسطينَ بِكامِلِها، ويقطعون السبيلَ على مَن بقِيَ مِنَ المُسلِمين ، حتَّى إذا طالَ الحِصارُ «**ينزِلُ عيسى بنُ مريمَ عِندَ المنارةِ البيضاءِ شرقَ دِمشقَ**»[1] ، ومِن دِمشقَ يتوجَّهُ إلى بيتِ المقدِسِ لِنُصرةِ الإمامِ المهديِّ في الجبلِ المُحاصرِ وقتَ صلاةِ الفجرِ ، فيُصلِّي مأمومًا ، فإذا انصرفَ دعاهم إلى الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ وشِعارُهم في معركتِهم « اِفْتَحْ » ، ويهرُبُ الدَّجَّالُ إلى عُمقِ فِلسطينَ فيتبعُه عيسى إلى «بابِ لُدٍّ» فيقتُلُه ويهزِمُ اللَّهُ اليهودَ .

وفي هذه المعركةِ تُخاطِبُ الشجرُ والحجرُ المُسلِمَ ، وتقولُ هذا يهوديٌّ خلفِي فاقتُلْه . والحديثُ رواه مُسلِمٌ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسولَ اللهِ قال : «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى يُقاتِلُ المُسلِمونَ اليهودَ فيقتُلُهم المُسلِمون ، حتَّى يختبئَ اليهوديُّ وراءَ الحجرِ والشجرِ ؛ فيقولُ الحجرُ والشجرُ يا عبدَاللَّهِ هذا يهوديٌّ خلفي فتعال فاقتُلْه، إلَّا الغرقدُ ، فإنَّه مِن شجرِ اليهودِ**»[2] .

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٣٧) و«سنن أبي داود» (٤٣٢١) .

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٢٢) .

اشتباهُ الدَّجَّالِ بابنِ صيَّادٍ

اضطربَ أمرُ التعيينِ المُطلقِ لِلدَّجالِ وشخصيتِه ، وجزمَ بعضُهم بِأنَّ «ابنَ صيادٍ» هو الدَّجَّالُ تبعًا لِما وردَ في بعضِ الرواياتِ عن بعضِ الصحابةِ الذين اعتقدوا ذلِكَ ، ومِنهم من جزمَ بِه كسيِّدِنا عُمرَ وعبدِالله بنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وجابِر بن عبدِاللَّهِ وغيرِهم[1].

واستقرَّ الأمرُ بعدَ ذلِكَ لدى العُلماءِ بِأنَّ الدَّجَّالَ ليس ابنَ صيادٍ ، وإنَّما كانَ ابنُ صيادٍ أحدَ الدجاجِلةِ .

قالَ البَيهقيُّ في السُّننِ : إنَّ الدَّجَّالَ الأكبرَ الذي يخرُجُ في آخِرِ الزمانِ غَيرُ ابنِ صيادٍ ، وكانَ ابنُ صيادٍ أحدَ الدَّجَّالين الكذَّابين الذين أخبرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِخُروجِهم[2].

---

(١) مما يستفاد في أمور العلامات اختلاف القول لدى الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في أمر الدجال .

(٢) عن «أشراطِ الساعةِ» لِيُوسُفَ الوابِل ص٣٠٠ بِتصرُّفٍ .

وسائلُ الحِفظِ مِنَ الدَّجّالِ

- التعوُّذُ بِاللَّهِ مِنَ فِتنةِ الدَّجّالِ وخاصةً في الصلاةِ .
- التزامُ الأذكارِ والأورادِ وقِراءةِ القُرآنِ والمُحافظةِ على أعمالِ الطاعةِ الواجِبةِ والمندوبةِ .
- قراءةُ العشرِ آياتِ مِن سورةِ الكهفِ مِن أوَّلِها[١] وفي روايةٍ مِن آخِرِها [٢]. والجمعُ بَينَ الرِّوايتَين أولى .
- الدراسةُ الشرعيةُ لِأسبابِ فِتنتِه وملابساتِها ، فمَن عُصِم مِن فِتنةٍ قبلَه عُصِمَ منهُ عِندَ ظُهورِه، ولِيتجنَّبَ مواقِعَ حركتِه وسيرِه ، لِقَولِه ﷺ : «**مَن سمِعَ بالدَّجّالِ فلْينأَ عنه ؛ فو اللَّهِ إنَّ الرجُلَ ليأتيهِ وهو يحسبُ أنَّه مؤمِنٌ فيتبِعُه مِمَّا يبعَثُ مِنَ الشُّبُهاتِ ، أو لِما يبعثُ بِه مِنَ الشُّبُهاتِ**»[٣] .

---

(١) وقد ورد ذلك في «صحيح مسلم» (٨٠٩) .

(٢) «صحيح مسلم» (٨٠٩) .

(٣) «سنن أبي داود» (٤٣١٩) ، وفي الحديث ملحظ لخطورة الشبهات ، وهي المتناقضات في السلوك والعبادة والعقيدة ، وقد برزت هذه الأساليب فيما بين يدي الدجال بين المسلمين ، فتهمة الشرك في المصلين واحدة من هذه النقائض القائمة على تحجيم الشبهات في الاعتقاد والعبادات والولاء فليتأمل.. حتى يبلغ الأمر إلى الإصرار في الأحكام والفتوى ، ومع هذا لم يَتَّخِذِ النبيُّ ﷺ في الأمر قولا فصلا ، ولم يشنع على أحد منهم في خلافه للحق المعلوم لدى رسول الله ﷺ .

مرحلة الانتصار

المرحلةُ العيسويةُ

ثبتَ في الأحاديثِ الشريفةِ الخاصةِ بِعلاماتِ الساعةِ أنَّ نُزولَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ العلاماتِ الكُبرى ، وعلى هذا فإنَّ دِراسةَ هذه المرحلةِ مِنَ الضروراتِ الشرعيةِ في الرُّكنِ الرابعِ .

قالَ تعالى واصِفًا نُزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخِرِ الزمانِ : ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾[الزُّخرُف:٥٧] ... إلى قولِه تعالى : ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾[الزُّخرُف:٥٩-٦١] .

وفي هذه الآيةِ إشارةٌ واضِحةٌ في قَولِه : ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي : نُزولُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ علامةٌ مِن علاماتِ قُربِ الساعةِ ، وفي قِراءةٍ أُخرى مرويةٍ عنِ ابنِ عباسٍ ومُجاهِدٍ وغيرِهما مِن أئمةِ التفسيرِ ﴿وَإِنَّهُۥ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي : علامةٌ وأمارةٌ.

وروى الإمامُ أحمدُ بِسندِه عنِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في تفسيرِ هذه الآيةِ قالَ : هو خُروجُ عيسى بنِ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قبلَ يومِ القيامةِ [١].

ولأهميةِ هذا الموضوعِ فقد تولَّى القُرآنُ ردَّ الشُّبهِ التي افتعلَها اليهودُ حولَ قتلِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وصلبِه قالَ تعالى : ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾[النِّساء:١٥٧] إلى قَولِه تعالى مُبيِّنًا نُزولَ

---

(١) «مسند أحمد» (٢٩١٨) .

عيسى في آخِرِ الزمانِ : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴾ [النِّساء: ١٥٩].

وقد ثبتَ في الصحيحِ عنِ النبيِّ ﷺ ما يؤكِّدُ نُزولَ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في آخِرِ الزمانِ واتخاذِه مَوقِفًا عمليًّا مِنَ اليهودِ والنصارى والدَّجَّالِ، ومِن ذلِكَ قولُه ﷺ: «**ينزِلُ فيكم ابنُ مريمَ حكمًا عدلًا وإمامًا مُقسِطًا؛ فيكسِرُ الصليبَ، ويقتُلُ الخِنزيرَ، ويضعُ الجزيةَ**»[1].

وثبتَ في الصحيحِ أنَّه ينزِلُ عِندَ المنارةِ البيضاءِ شرقيَّ دِمشقَ، كما وردَ في حديثِ الطبرانيِّ وابنِ عساكِرَ عن أبي هُرَيرةَ قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**ينزِلُ عيسى ابنُ مريمَ فيمكُثُ في الناسِ أربعين سنةً إمامًا**»[2]. وفي لفظِ الطبرانيِّ: «**يخرُجُ الدَّجَّالُ، فينزِلُ عيسى بنُ مريمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فيقتُلُه، ثُمَّ يمكُثُ في الأرضِ أربعين سنةً إمامًا عادلًا وحكمًا مُقسِطًا**»[3].

وفي رِوايةِ أبي داودَ: «**حتَّى يأتيَ الشامَ مدينةَ فِلسطينَ بابَ لُدٍّ - أي: الدَّجَّال - فينزِلُ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فيقتلُه، ثُمَّ يمكُثُ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أربعينَ سنةً إمامًا عدلًا وحكمًا مُقسِطًا**»[4].

وفي رِوايةٍ: «**ينزِلُ عيسى بنُ مريمَ فإذا رآه الدَّجَّالُ ذابَ كما تذوبُ الشحمةُ، فيقتُلُ الدَّجَّالَ، ويفرقُ عن اليهودِ فيُقتلونَ**»[5].

---

(١) «صحيح البخاري» (٢٢٢٢) (٢٤٧٦).

(٢) «مسند أحمد» (٢٤٤٦٧).

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٤٧٤) و«صحيح ابن حبان» (٦٨٢٢).

(٤) «مسند أحمد» (٢٤٤٦٧) و«سنن أبي داود» (٤٣٢٣)، وراجع «التليد والطارف» ص٤٣٥.

(٥) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٤٩٤).

وروى مُسلِمٌ عن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قالَ : «سمِعتُ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقولُ : «**لا تزالُ طائفةً مِن أُمَّتي يُقاتِلون عنِ الحقِّ ظاهِرين إلى يَومِ القيامةِ ، قالَ : فينزِلُ عيسى بنُ مريمَ ، فيقولُ أميرُهم : صلِّ لنا . فيقولُ : لا إنَّ بعضَكم على بعضٍ أُمراءُ تكرُمةَ اللَّهِ هذه الأُمَّةِ**»[(١)]، وفي هذا الحديثِ إشارةٌ إلى استِمرار الجِهادِ في سبيلِ اللَّهِ بالشامِ ضِدَّ اليهودِ حتَّى يأتيَ الإمامُ المُنتظرُ وبعدَه الدَّجَّالُ ، ثُمَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، الذي يكونُ قتلُ الدَّجَّالِ على يدِه .

والمعلومُ أنَّ أحاديثَ الدَّجَّالِ ونزولِ عيسى كُلَّها مُتواتِرةٌ ؛ يجِبُ الإيمانُ بها وتصديقُها ؛ لِأنَّها جُزءٌ مِن أركانِ الدينِ .

وقد بشَّرَ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعلاقتِه بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حيثُ روى الإمامُ أحمدُ عن أبي هُريرةَ أنَّ النبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ : «**الأنبياءُ إخوةٌ لِعلَّاتٍ ، أمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحِدٌ ، وإني أولى الناسِ بعيسى بنِ مريمَ ، لِأنَّه لم يكُنْ بيني وبينه نبيٌّ ، وإنَّه نازِلٌ فإذا رأيتُموه فاعرِفُوه**»[(٢)] .

وفي هذا الحديثِ إشارةٌ مُهِمَّةٌ لِارتِباطِ عيسى بنِ مريمَ بِنزولِه ، وفي رِسالتِه تثبيتُ منهجِ الإسلامِ والشهادةِ الصادِقةِ على اليهودِ والنصارى بِانحرافِهم ، وقد وردَ في القُرآنِ إشارةُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِرسالةِ النبيِّ مُحمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ فيما سبَقَ ـ وأنَّ رسولَ اللَّهِ أخصُّ الناسِ بِه وأقربُهم إليه ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

وفي الحديثِ قالوا : يا رسولَ اللَّهِ أخبرني عن نفسِكَ قالَ : «**نعم ، أنا دعوةُ**

---

(١) «صحيح مسلم» (١٥٦) .

(٢) «مسند أحمد» (٩٢٧٠) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٥٢٦) .

أبي إبراهيم وبُشـرى أخي عيسى»[1]، رواه ابن إسـحاقَ في السيرةِ، قالَ ابنُ كثيرٍ: إسنادُه جيِّدٌ، وله شواهِدُ.

كما أنَّ «الإنجيلَ» ـ وهو كِتابُ عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أشـار إلى فضل أمة محمد ﷺ بعمومها، وعبَّرَ القُرآنُ عن ذلِـك بِقولِه: ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ ﴾ [الفتح: ٢٩].

قالَ ابن كثير في «التفسـيرِ»: فدعى عيسـى اللَّهَ أن يجعلَه مِنهم؛ فاسـتجابَ اللَّهُ دعاءَه وأبقاه، حتَّى ينزِلَ آخِرَ الزمانِ مُجدِّدًا أمرَ الإسلامِ.

وقد ترجمَ الإمامُ الذهبيُّ لِعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في كِتابِه «تجريدِ أسماءِ الصحابةِ» فقالَ: عيسى بنُ مريمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ صحابيٌّ ونبيٌّ، فإنَّه رأى النبيَّ ﷺ لَيلةَ الإسراءِ وسلَّمَ علَيهِ، فهو آخِرُ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ موتًا[2].

وقـد ذكرَ أهلُ العِلمِ أنَّ عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ يحكُم بِالشـريعةِ المُحمَّديـةِ، ويكونُ مِن أتباعِ مُحمَّدٍ ﷺ لِأنَّ دينَ الإسـلامِ خاتمةُ الأديانِ، وباقٍ إلى قِيامِ السـاعةِ لا يُنسَخُ فيكونُ عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ حاكِمٌ مِن حُكَّامِ هذه الأُمَّةِ ومُجدِّدًا لِأمرِ الإسـلامِ، إذ لا نبيَّ بعدَ مُحمَّدٍ ﷺ.

روى الإمامُ مُسلِمٌ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «كيفَ إذا نزلَ فيكم ابنُ مريمَ وإمامُكم مِنكم». وقد فسَّرها بعضُهم في قَولِه: «وإمامُكم مِنكم»[3]

(١) «الفردوس بمأثور الخطاب» (١١٣) رواه ابن هشـام عن ابن إسـحاق، «سـيرة ابن هشـام» (١:١٦٦).

(٢) «تجريد أسماء الصحابة» للذهبي (١: ٤٣٢).

(٣) «صحيح مسلم» (١٥٥).

وقد فسَّـرها بعضُهم فـي قَولِه : «**وإمامُكم مِنكم**» أي : مـا أمَّكم مِنكم وأمَّكم أي : قادَكم بِكِتابِ ربِّكم وسُنةِ نبيِّكم .

وفي عصرِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنزِلُ اللَّهُ الأمنَ على الأرضِ ؛ حتَّى ترعى الكائناتُ معَ بعضِها البعضُ ، ولا يخافُ بعضُها مِن بعضٍ . وروى الإمامُ مُسـلِمٌ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّـه قالَ : قالَ رسـولُ اللَّـهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**واللَّهِ ، ليُنزِلَنَّ اللَّهُ عيسـى بنَ مريمَ حكمًا عـدلًا ، وليضعَنَّ الجِزيةَ ، ولتُترَكَنَّ القِلاصُ فلا يُسـعَى علَيها ، ولتذهبَنَّ الشـحناءُ والتباغُضُ والتحاسُدُ ، وليُدْعَوُنَّ إلى المالِ فلا يقبلُه أحدٌ**»[1] .

وفـي هذا الحديثِ إشـارةٌ هامَّةٌ إلى انقطِاعِ سياسـةِ التحريشِ التـي كانَت تتبناها اليهـودُ والنصـارى والدجاجِلةُ ، ومن لفَّ لفَّهـم ممَّن ظلُّوا طـوالَ مرحلةِ الدجلِ والدجاجِلةِ يُفرِّقون بَينَ الشُّـعوبِ ، ويسـرِقون الثرواتِ ، ويُحقِّقون لِلشَّيطانِ مبدأَ «فرِّقْ تسُدْ» .

وبِنـزولِ عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ ونُصرتِه لِلإمامِ المهديِ ومقتلِ الدَّجَّـالِ ومَن لفَّ لفَّه مِنَ اليهـودِ والكُفَّـارِ تنتهي كافَّةُ المشـاكِلِ الاجتِماعيةِ والاقتِصاديةِ ، ويعـودُ البقيةُ مِنَ اليهودِ والنصارى إلى الإسلامِ .

ويؤكِّـدُ ذلِـكَ ما فسَّـرَه أبـو هُرَيـرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِـن حديـثٍ رواه الشَّـيخانِ عنه عن رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «**والذي نفسي بيدِه ، ليوشِكَنَّ أن ينزلَ فيكم ابنُ مريمَ حكمًا عدلًا فيكسِـرُ الصليـبَ ، ويقتُلُ الخِنزيرَ ، ويضـعُ الحربَ ، ويفيضُ المـالُ حتَّى لا يقبلَه أحـدٌ ، حتَّى تكونَ السـجدةُ الواحِدةُ خيـرًا مِنَ الدُّنيا وما فِيها**» ثُـمَّ يقولُ أبوهُرَيرةَ : واقـرؤوا إن شـئتُم : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكُونُ

---

(١) «صحيح مسلم» (١٥٥) .

عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء:١٥٩] [(١)].

وفي مُسندِ أحمدَ قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «ينزِلُ عيسى بنُ مريمَ إمامًا عادِلًا وحكمًا مُقسِطًا فيكسِرُ الصليبَ، ويقتُلُ الخِنزيرَ ويُرجِعُ السلمَ، ويتخِذُ السُّيُوفَ مناجِلَ، وتذهبُ حُمةُ كُلِّ ذاتِ حُمةٍ، وتُنزِلُ السماءُ رِزقَها، وتُخرِجُ الأرضُ بركتَها، حتَّى يلعبَ الصبيُّ بِالثُّعبانِ فلا يضُرُّه، ويُراعِي الغنمَ الذئبُ فلا يضُرُّها، ويُراعِي الأسدُ البقرَ فلا يضُرُّها» [(٢)].

وقولُه : «وتُتَّخَذُ السُّيوفُ مناجِلَ» : المنجلُ : هو الآلةُ التي تُقطَعُ بها الحشائشُ. والمقصودُ أنَّ الناسَ لا يحتاجون إلى الجِهادِ ويشتغِلون بِالحرثِ والزراعةِ، ومعنى قولِه : «وتذهبُ حُمةُ كُلِّ ذاتِ حُمةٌ» : الحُمةُ بِالتخفيفِ السُّمُّ، أي : ينزِعُ اللَّهُ عن كُلِّ دابةِ ذاتِ سميةٍ سمَّها .

قالَ ﷺ : «ينزِلُ عيسى بنُ مريمَ فيمكُثُ في الناسِ أربعين سنةً إمامًا» . رواه الطبرانيُّ وابنُ عساكِرَ عن أبي هُرَيرةَ، وقالَ ﷺ : «فيكونُ عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في أُمَّتي حكمًا وعدلًا وإمامًا مُقسِطًا» [(٣)] .

أهم ظواهر مرحلة عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

ومِن أهمِّ ظواهِرِ مرحلةِ عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ :

- نزولُه بِدمشقَ عِندَ المنارةِ البيضاءِ، ويذهَبُ إلى القُدسِ لنُصرةِ الإمامِ المهديِّ المُحاصَرِ .
- هلاكُ المسيخِ الدَّجَّالِ على يدَيه بِبابِ لُدٍّ مِن أرضِ فِلسطينَ .

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٤٤٨) «صحيح مسلم» (١٥٥) .

(٢) «مسند أحمد» (١٠٢٦١) .

(٣) تقدم .

- يُقيمُ أمرَ الشريعةِ المُحمَّديةِ في العالم كُلِّه .
- يقتُلُ الخِنزيرَ ، ويكسِرُ الصليبَ ، ويُدخِلُ النصارى إلى دينِ الإسلامِ .
- تُتـركُ الصدقـةُ في عصـرِه - أي : الزكاةُ - لِعـدمِ مَن يقبلُها اكتفـاءً ، وتظهرُ الكُنـوزُ فـي عهـدِه ولا يرغبُ أحدٌ فـي اقتِناءِ المـالِ لِقُربِ السـاعةِ ، وتُرفَعُ الشحناءُ والبغضاءُ لِزوالِ أسبابِها .
- يَرعى الذئبُ مع الغنمِ كمظهرٍ مِن مظاهِرِ الأمنِ .
- تَرخصُ الخيلُ ويغلو الثَّورُ لِأنَّ الأرضَ كُلَّها تُزرَعُ والحربَ تنتهي .
- تنعـمُ الأرضُ بِالأمانِ ويزدادُ الخيـرُ في الأرضِ وتسـتمرُّ الزِراعةُ والموارِدُ المُتنوِّعةُ دونَ صِراعٍ ولا اختِلافٍ مدى حياتِه المُباركةِ .

مرحلة الانحدار

المرحلةُ اليأجُوجيَّةُ

في أُخرياتِ مرحلةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وشُمولِ دَولةِ السلامِ والأمنِ في رُبوعِ العالمِ .
وقبلَ أن يرحَلَ عيسى إلى مكَّةَ والمدينةَ يظهرُ قومُ يأجوجُ ومأجوجُ الذين وصفهم اللَّـهُ في كتابِـه : ﴿إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الكهف:٩٤] وقولِه : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء:٩٦] وقد ظلَّ أمرُ يأجـوجَ ومأجـوجَ لُغزًا في أذهـانِ العُلماءِ والمفُسِّـرين حيثُ لم تُفصِـحِ المصادرُ الأصليةُ عنهما بِخبرٍ بَيِّنٍ ، ولا زالَ الأمرُ كذلِكَ في حقيقتِه المجهولةِ[1] .

يأجوج ومأجوج لغز من الغاز القرآن

---

(١) وهذا أصح ما يعتمد عليه في أمر يأجوج ومأجوج ؛ حيث إن اكتشاف السد على الصفة التي وردت في كتاب الله أمر لم يتحقق إطلاقا ، قال الشيخ محمد بن يوسف الكافي التونسي في كتابـه «المسائل الكافية في بيان وجوب صـدق خبر رب البرية» ما نصه : « السـد حق ثابت ، ولا ينفتح ليأجوج ومأجوج إلا قرب السـاعة ، فمن قال بعدم وجود سـد على وجه الأرض ـ ومسـتنده في ذلك قول الكشـافين من النصارى ، وأنهم لم يعثروا عليه ـ يكفر.. اهـ.

وقـال الشـيخ حمـود التويجري في «إتحـاف الجماعـة» (ص١٧٠/ الثالـث) : وبعض العصرييـن يزعمون أن يأجـوج ومأجوج هم جميـع دول الكفر المتفوقيـن في الصناعات الحديثـة ، وقـد رأيت هذا القول الباطل في بعض مؤلفات المتكلفين من العصريين ، وهذا القـول قريب من القول الأول ... إلى أن قـال : وقد قال تعالى :﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾ [الأنبياء:٩٦] إلى قوله تعالى : ﴿قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾[الأنبياء:٩٧] . وفي هاتين الآيتين أبلغ رد على مـن زعـم إن يأجـوج ومأجوج هـم دول الإفرنج أو غيرهـم من دول المشـرق والمغرب ، الذيـن لـم يزالوا مختلطين بغيرهم من الناس ولم يجعل بينهم وبين الناس سـد منيع يحول

شرطنا في قبول البحوث العلمية عن العلامات

وأمَّا ما قامَ بِه بعضُ الباحثين المُعاصِرين حولَ تتبُّعِ واستِقصاءِ الدراسةِ مِنَ الناحيةِ التاريخيةِ ، وأرضخَ الموضوعَ إلى المُشاهدةِ الميدانيةِ ودراساتِ عِلمِ الآثارِ ؛ فهو مسألةٌ يُستأنَسُ بها خاصَّةً إذا حصلَ شيءٌ مِنَ التطابُقِ بَينَ النُّصوصِ والدراساتِ .

وأما إذا كانَ الأمرُ مُخالِفاً لِما وردَ في النُّصوصِ أو مُغايراً لِما أجمعَ علَيهِ أهلُ العِلمِ فلا شكَّ أنَّ مثلَ هذه البُحوثِ مُجردُ تصوُّرٍ نظريٍّ لا دليلَ علَيهِ . ومِن هذه النماذجِ التي وضعناها هنا لِمُجردِ الاستِفادةِ العامَّةِ ما وصلَ إلَيه الباحِثُ حمدي حمزة أبو زَيدٍ يُشيرُ فيه إلى معلوماتٍ جديدةٍ لا بأسَ مِن عرضِها للاطِّلاعِ والاستِفادةِ معَ يقينِنا أنَّها لا تُعدُّ بديلًا عنِ الحقِّ المُبينِ المُقرَّرِ في كِتابِ اللَّهِ أو ما صحَّ عنِ الأمرِ في سُنَّةِ رسولِه . يقول حمدي أبو زيد :

- كافَّةُ الآياتِ القُرآنيةِ في سُورةِ الكهفِ عن يأجوجَ ومأجوجَ عِندَ مُطابقةِ مَوضوعِها بِلُغةِ الصينِ المُترجمةِ تتفِقُ وما في كُتُبِهم مِن وقائعَ وأحداثٍ تاريخيةٍ وقعَت في بِلاد الصينِ في فترةِ دُخولِ ذي القرنَين إلَيها .

متابعة مختصرة للدراسة الميدانية الجديدة

- إن معرفةَ مضمونِ كلِمتَي «يأجوجُ ومأجوجُ» الصينيتَي الأصلِ بعدَ ترجمتِها

بينهم وبين الخروج على الناس .

قلت ـ والله أعلم : إن أغلب الباحثين في هذه المسألة إنما يفسرون الأخبار والآثار ليس على سبيل الإنكار لما في القرآن والسنة ـ ونعوذ بالله أن يفعل ذلك مسلمٌ مؤمنٌ بالله ورسوله ، أو أن يفعله لمجرد الاستتباع لكلام المستكشفين من النصارى وغيرهم ـ فقولهم لا يعتبر حجة أمام كتاب الله وسنة رسوله ، وإنما هو عرض لفهم قد يصيب قائله أو يخطئ ، ولا يعد بديلا عما ذكره العلماء من الأمر المجمع عليه في هذا الشأن، كما هو في بحث حول الموضوع يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ جمعه الباحث «حمدي حمزة أبو زيد» .

لِلُّغةِ العربيةِ يُيسِّرُ الوصولَ إلى تفسيرِ العديدِ مِنَ الأحداثِ الهامَّةِ، ويؤكِّدُ الحقائقَ القُرآنيةَ عن يأجوجَ ومأجوجَ.

- إن ترجمةَ «يأجوجُ ومأجوجُ» هي: «مُفسِدون في الأرض» تعني أنَّ سُكانَ قارةِ آسيا وسُكانَ قارةِ الخَيلِ مُفسِدون في الأرضِ، ومعنى (سُكان قارةِ الخَيلِ) أي: مَن يُسمون شعبَ الخَيلِ وشعبَ الرُّماةِ، وهم الدولُ المحيطةُ بِالصينِ في تِلكَ الحِقبةِ مِنَ الزمنِ، والتي كانَت للصينِ معَها حُدودٌ وعِلاقاتٌ، وهي اليابانُ وكوريا، ومنشوريا، وسيبيريا، ومنغوليا، ودولُ آسيا الوُسطى، وهمُ الذين يصِفُهم الصينيون في لُغتِهم بيأجوجَ أو بني يأجوجَ، وهؤلاء اعتادُوا على شنِّ الحُروبِ قديمًا على الصينِ حتَّى قُرونٍ قريبةٍ، وكانَ آخِرُها ما حدثَ في القرنِ الثالثَ عشرَ الميلاديِّ على يدِ جنكيزَ خان وهولاكو الذَّين عاثوا في الأرضِ فسادًا.

- وبِناءً على المعلوماتِ والحفرياتِ والتعليلاتِ التي توصَّلَ إلَيها البحثُ صارَ مِنَ المُتوقَّعِ أن يكونَ «ما بَينَ السدَّينِ» مكانًا محدودًا أو معروفًا في أنحاءِ بِلادِ الصينِ، وأنَّ الاحتِمالَ الأكبرَ هو جِبالٌ معينةٌ شمالَ مدينةِ «جنج جو» في مُقاطعةِ «هينان»، وقد وُجِدَ فِيها «ردمٌ مُحكمٌ وحاجِزٌ عظيمٌ» كما وصفَه القُرآنُ، وفصَّلَ الباحِثُ صِفةَ الردمِ وارتفاعِه وما تبقَّى منه. ووضعَ بحثًا مَيدانيًّا لِكافَّةِ جُزئياتِه ونماذجِ الموادِّ المُستخدمةِ فيه وأنواعِها كالعناصِرِ المعدنيةِ والقطرِ «الطينِ» والخشبِ والوقودِ وغيرِها.

- يُشيرُ الباحِثُ إلى أنَّ أحوالَ هذه الأُممِ عبرَ التاريخِ قائمةٌ على انعِدامِ الديانةِ الصحيحةِ ووقوعِهم في انحِرافاتِ الجاهِليةِ معَ قسوةِ الظُّروفِ الجُغرافيةِ

والبيئيـةِ والمعيشـيةِ، وتوفُّـرِ أدواتِ التفـوُّقِ القِتاليِّ كالمهـاراتِ والخُيولِ وأدواتِ القِتـالِ ورُوحِ الغُرورِ والشُّـعورِ بِالقُوةِ والوُلوعِ باكتسـابِ معيشـةٍ بِالبطـشِ والوحشـيةِ وانعِدامِ الرحمةِ فـي مُعاملةِ الأعـداءِ والخُصومِ. وقد وصفَهـم النبـيُّ ﷺ بمعنًـى مُتطابِقٍ: «**إنَّكـم تقولون لا عدوَّ لكـم، إنَّكم لا تزالـون تُقاتِلـون عـدوًّا حتَّى يخرجَ يأجـوجُ ومأجوجُ عِـراضَ الوجهِ صِغارَ الأعيُنِ صهب مِن كُلِّ حدبٍ ينسِلونَ كأنَّ وُجوهَهم المجانُّ المطرقةُ...**»[1].

- إنّ مفهـومَ التفسـيرِ مِن قولِه: ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ يضعُ سـؤالًا هامًّـا عن ماهيةِ وطبيعـةِ الفتـحِ أو مَـن هـمُ الفاتِحون، ومتـى يكونُ زمـنُ الفتـحِ، وما هي علامـاتُ وآثارُ ذلِـكَ الفتحِ معَ أنَّ جميـعَ دولِ قارةِ آسـيا ودولِ قارةِ الخَيلِ دولٌ تُوصَـفُ بِالعُزلةِ والانغِلاقِ عن جميـعِ دولِ العالمِ لِوُقوعِها في أقصى الطـرفِ الشـماليِّ لِلأرضِ وبَينَها وبَيـنَ القاراتِ الأُخرى بِحارٌ ومسـاحاتٌ واسِـعةٌ يصعُبُ الوصولُ إلَيها بِوسـائلِ الموصلاتِ القديمـةِ، ويأتي الفتحُ المُشارُ إلَيه في القُرآنِ على معانٍ، ومِنها:

دول قارة الخيل وعلاقتها بالمرحلة اليأجوجية

1. الفتحُ بِالإسـلامِ، ودُخولُ هذه الشُّـعوبِ في دينِ الإسلامِ، فهل يعني أنَّ هذه الدُّولِ ستدينُ مُستقبلًا بِالإسلامِ؟!
2. الفتـحُ الـوارِدُ في الآيـةِ يعني احتِلالَ هـذه القارةِ مِن قِبـلِ دولٍ أُخرى أجنبيةٍ بِقوةِ السـلاحِ وقد تعرضَت هذه القارةُ في القرنِ التاسـعَ عشـرَ

اليأجوجية في كتبَ غَير إسلامية مرحلة عدوانية يتحكم فيها الشيطان

(1) «مسـند أحمـد» (٢٢٣٣١). المجـان: جمـع المجـن وهو التـرس، الحـدب: الغليظ من الأرض في ارتفاع، الشعاف: جمع شعفة وهي أعلى شعر الرأس، يقصد صهب الشعور، الصهب: جمع الأصهب، وهو الأشقر، أي: الذي بشعره حمرة يعلوها سواد.

والقرنِ العشرين لِلحُروبِ والاحتِلالِ الأجنبيِّ[1] .

٣. الفتحُ الواردُ في هذه الآياتِ يعني انفِتاحَ دولِ قارةِ آسيا ودولِ قارةِ الخَيلِ «يأجوجُ ومأجوجُ» على العالمِ كما هو الحالُ في هذا العصرِ المعروفِ بالعولمةِ ، والمُتتبِّعُ لِتطوُّرِ وصعودِ دولِ «يأجوجَ ومأجوجَ» يَجِدُ بروزَ بعضِها كقُوَّةٍ مُؤثِّرةٍ على المسرحِ الدوليِّ كالصينِ واليابانِ وكوريا ، وأنَّ في هذا الفتحِ إشارةً إلى تكوُّنِ قوةٍ دوليةٍ وكُتلةٍ ذاتِ قُوةٍ عسكريةٍ ضاربةٍ في المُستقبلِ ، وقد نقلَ المُؤلِّفُ نماذجَ عديدةً عنِ المَوسوعةِ البريطانيةِ تُشيرُ بِأنَّ الخَيلَ يُعتبرُ عند «جوج» قوةً عُدوانيةً يتحكَّمُ فِيها الشَّيطانُ ، وأنَّ هذه القوةَ ستظهرُ في آخِرِ الزمانِ ، كما جاءَ في مقاطِعَ مِنَ الإنجيلِ والأسفارِ المسيحيةِ واليهوديةِ بأن «جوج» معبر بِقوةٍ عُدوانيةٍ أُخرى هي «ماجوجُ» ، بينما جاءَ في مواضِعَ أُخرى بِأنَّ ماجوجَ مكانٌ ، وهو منشأُ أصلِ جوجَ» واللَّهُ أعلمُ .

المرحلة اليأجوجية في الإنجيل

وإن صحَّ بِأنَّ عِبارةَ «يأجوجُ ومأجوجُ» قد جاءَت ضِمنَ الإنجيلِ ؛ فهي في منزِلةِ وحيٍ مِن عِندِ اللَّهِ ، لكنَّ عدمَ إمكانيةِ الكشفِ عن أساسِها وأصلِها اللُّغويِّ هو سببُ تحريفِها عن مدلولِها الأصليِّ ، وأنَّها لم تنزِلْ في الإنجيلِ ، ولكِنَّها اقتُبِسَت مِنَ القُرآنِ الكريمِ ثُمَّ صُرِفَ نُطقُها لِيتلاءَمَ معَ طبيعةِ الألسنةِ المُتنوِّعةِ .

راجِعْ في هذا الموضوعِ لِلتَّوضيحِ والبيانِ والتفصيلِ كِتابَ «بيانِ أسرارِ ذي القرنين ويأجوجَ ومأجوجَ» طبعة ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م تأليف الباحِثِ حمدي بن

---

(١) فهل في هذا الاحتلال والحروب معنىً آخرُ من معاني ردة الفعل ونهوض هذه الدول عالياً حتى تتقوى وتمتلك القوة الكافية للاكتساح العسكري ، فيكون ذلك في صورة المستقبل كما ذكره القرآن ؟!

حمزة أبو زيد .

رأيٌ آخر: السّدّ موجودٌ في القوقاز (جورجيا)

وذهـبَ بعـضُ الباحثين إلـى غَيرِ هذا القَولِ عـن «موقِعِ يأجـوجَ ومأجوجَ» كما هو فيما ذكرَه المُؤرِّخُ سـامي بنُ عبدِاللَّهِ المغلوث في كِتابِه «أطلسُ تاريخِ الأنبياءِ والرُّسُـلِ» ص١٢٦ نقلًا عن كِتابِ «مفاهيمُ جُغرافيـةٌ» لِلدكتورِ عبدِالعليم خضر ، وفيه : إنَّ السـدَّ الذي بناه ذوالقرنين موجودٌ حتَّى الآنَ فعلًا في جُمهوريةِ جُورجيا السـوفييتيةِ فـي فتحةِ «داريـال» بِجبالِ القُوقازِ الشـاهِقةِ . وجبالُ القُوقازِ الشـاهِقةُ تمتـدُّ مِنَ البحرِ الأسـودِ شـرقًا حتَّى بحرِ قزويـنَ غربًا ، ويبلُـغُ طُولُها ١٢٠٠ كم ، وهي جِبالٌ التِوائيةٌ شـامِخةٌ مُتجانِسـةُ التُّركيبِ مِن كُتلٍ هائلـةٍ مِنَ الحديدِ الصافي المخلوطِ بِالنُّحاسِ الصافي في سدِّ «داريال» .

تِلكَ الثغرةُ المسدودةُ بِالحديدِ والنُّحاسِ بَينَ فتحتَيها ٥٦٣٠ مِترًا ـ أي : ٥ كيلو و٦٣٠ مِترًا ـ ومِن خلفِها تِلكَ القبائلُ المُتوحِّشـةُ . أمَّا المُتغيِّراتُ الطبيعيةُ فلم تنلْ مِنَ السدِّ شَيئًا غَيرَ أنَّ جِسمَ الجِبالِ الصخريَّ ـ أي : جِبالِ القُوقازِ ـ مِن جانبَي السدِّ قد تآكلَ بِفعلِ عوامِلِ التعريةِ على مدى هذا الزمنِ الطويلِ ، وصارَ هُناكَ فراغٌ فيما بَينَ الصُّخورِ الجبليةِ وجِسمِ السدِّ الحديديِّ النُّحاسيِّ الذي ظلَ شامِخًا إلى الآنَ ، ولا يستطيعُ الإنسانُ أن ينقُبَه أو يعلُوه .

ذكرنا هنا اختلاف الباحثين لمجرد الاستئناس

ونعـودُ إلى ما ذكرنا سـلفًا مِن أنَّ اختِلافَ الباحثين حولَ هـذا الموضوعِ لا يُغيِّرُ مِـن أمرِ الحقيقةِ شَـيئًا ، وإنَّمـا ذكرنا هذه الأقوالَ لِمُجرَّدِ الاسـتِئناسِ والاسـتِفادةِ العامَّـةِ ، ويظلُّ الأمرُ على ما أشـارَت إلَيـه الآياتُ والأحاديثُ إلـى أن يقضيَ اللَّهُ أمرًا كانَ مفعولًا .

يأجوج ومأجوج يكتسحون العالم العربي

وفي آخِرِ المرحلةِ العيسـويةِ التي أشرْنا إلَيها سلفًا تتحرَّكُ قُوى يأجوجَ ومأجوجَ لِاكتِساحِ العالمِ حتَّى تبلُغَ إلى الشامِ حيثُ عِيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ ومَن معَه ، وإلى ذلِكَ يُشيرُ

الحديثُ : «فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ ، وَيَبْعَثُ اللَّهُ ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا ، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ . وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ»[1] .

وفي هذه المرحلةِ الحرِجةِ يرغبُ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومَن معه إلى اللَّهِ ويجأرون بالدُّعاءِ لِيخلِّصَهم مِن هذه المحنةِ الشديدةِ ، فبَينَما هم كذلك يُرسِلُ اللَّهُ على يأجوجَ ومأجوجَ وباءً عامًّا وفيروسًا مرضيًّا مُعديًا ، يُصيبُ الجيشَ كُلَّه . فيضطرِبُ الجَيشُ ، وتخورُ قُواهم ، ويضعُفون ضعفًا شديدًا لِما يعتريهم مِنَ الحُمى والوعكِ والألم ، ويتساقطون في الطُّرُقاتِ والمُدُنِ والأوديةِ والمنازِلِ مِن حيثُما كانوا مِن بِلادِ اللَّهِ صرعى أمواتًا لا يملِكون قُدرةً ولا قُوَّةً ولا جبروتًا .

الطغيان اليأجوجي قبل نهايتهم الحتمية

وقد وردَ ذلِكَ في الحديثِ الشريفِ بما معناه أنَّ يأجُوجَ ومأجُوجَ يفرحونَ بانتِصارِهم على أهلِ الأرضِ ؛ فيقولون : «لقد قتلْنا مَن في الأرضِ ، هَلُمَّ فلْنقتُلْ مَن في السماءِ فيرمون بِنُشَّابِهم إلى السماءِ ، فيردُّها اللَّهُ علَيهم مخضوبةً دمًا ، فيرغبُ نبيُّ اللَّهِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابُه فيُرسَلُ علَيهم النَّغَفُ في رِقابِهم»[2]، وفي رِوايةٍ : «رودًا كالنغفِ في أعناقِهم»[3] . فيُصبِحون موتَى كمَوتِ نفسٍ واحدةٍ لا يُسمَعُ لهم حِسٌّ ، فيقولُ المُسلِمون : ألا رجلٌ يشتري لنا نفسَه فينظُرَ ما فعلَ هذا العدوُّ ، فيتجرَّدُ رجُلٌ مِنهم محتسِبًا نفسَه قد وطَّنَها على أنَّه مقتولٌ ، فينزِلُ فيجِدُهم

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٣٧) .

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٣٧) .

(٣) «المستدرك على الصحيحين» (٨٥٠٤) .

موتى بعضُهم على بعضٍ فيُنادي : يا معشرَ المُسلِمين .. ألا أبشروا .. إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد كفاكم عدوَّكم فيخرُجون مِن مدائنِهم وحُصونِهم ويُسرِّحون مواشيهم . إلى أن قالَ - ويهبِطُ نبيُّ اللَّهِ عيسى وأصحابُه إلى الأرضِ فلا يجِدون موضِعَ شبرًا إلَّا ملأه زهمُهم - أي : نتنُهم مِنَ الجيفِ - فيؤذون الناسَ بِنتنِهم أشدَّ مِن حياتِهم فيستغيثون بِاللَّهِ ، فيبعثُ ريحًا صمانيةً غبرًا فتصير على الناسِ غمًّا ودُخانًا ، وتقعُ عليهمُ الزكمةُ ، ويكشِفُ اللَّهُ ما بهم . بعدَ ثلاثٍ ، وقد قذف جِيفَهم في البحرِ»[1] .

عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والمؤمنون يرغبون إلى الله في إهلاك قوم يأجوج ومأجوج

وفي رِوايةٍ : «فيرغبُ نبيُّ اللَّهِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وأصحابُه إلى اللَّهِ فيُرسِلُ طَيرًا كأعناقِ البُختِ تحمِلُهم فتطرحُهم حيثُ شاءَ اللَّهُ تعالى ، ثُمَّ يُرسِلُ اللَّهُ مطرًا لا يمكن منه بيتُ مُدرٍ ولا وبرٍ ، فتُغسلُ الأرضُ حتَّى يتركَها كالزلِقةِ - المرآةِ - ثُمَّ يُقالُ لِلأرضِ أنبتي ثمرَكِ ، ورُدِّي بركتَكِ فيومئذٍ تأكلُ العُصابةُ مِنَ الرُّمانةِ ، ويستظِلون بقحفتِها ، ويوقِدُ المُسلِمون مِن قسي يأجوجَ ومأجوجَ ونشابِهم وأتراسِهم سبعَ سُفُنٍ»[2] .

ما بَينَ هلاك يأجوج ومأجوج وموت عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

ومِنَ المعلومِ أنَّ بَينَ هلاكِ يأجوجَ ومأجوجَ وموتِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مرحلةً تنعمُ فِيها الأُمَّةُ بالخيرِ والأمنِ والطاعةِ ، فقد روى أبو سعيدٍ الخُدريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : «ليُحجَّنَّ البيتُ وليُعتمرَنَّ بعدَ خُروجِ يأجوجَ ومأجوجَ» [3]، ورواه عبدُ بنُ حُمَيدٍ بِزيادةٍ ، ولفظُه : «إنَّ الناسَ يحجُّون ويعتمِرون ويغرسون النخلَ بعدَ خُروجِ يأجوجَ ومأجوجَ»[4] .

---

(١) «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤٧ : ٥٠٧) .

(٢) «الإشاعة» ص ٣٢٤ .

(٣) «صحيح البخاري» (١٥٩٣) .

(٤) «المنتخب من مسند عبد بن حميد» (٩٤١) .

رِحلةُ عيسىٰ مِنَ الشامِ إلىٰ المناسِكِ

بعدَ هذهِ المرحلةِ يتوجَّهُ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إلى أرضِ الحرمَين الشريفين، ويستقر ويموتُ في المدينةِ المنورةِ، وإلى ذلِكَ تُشيرُ جُملةُ الأحاديثِ، ومِنها ما أخرجَه الحاكِمُ وصحَّحَه، ورواه ابنُ عساكِرَ عنه: «**ليهبِطَنَّ ابنُ مريمَ حكمًا عدلًا وإمامًا مُقسِطًا، ويسلُكَنَّ فجًّا حاجًّا أو مُعتمِرًا، وليأتيَنَّ قبري حتَّى يُسلِّمَ علي، ولأرُدَّنَّ عليه السلام**». يقول أبو هريرة: (أيْ بَنِي أخي، إن رأيتُموه فقولوا: أبو هريرةَ يُقرِئُكَ السَّلامَ)[1]. وأخرجَ الترمِذيُّ وحسَّنه، وابنُ عساكِرَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ سلامٍ قالَ: «**مكتوبٌ في التوراةِ صِفةُ مُحمَّدٍ ﷺ وعيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُدفَنُ معه**»[2]. وأخرجَ الطبرانيُّ: «**يُدْفَنُ عِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فَيَكُونُ قَبْرُهُ لأَرْبَعٍ**»[3]. وأخرجَ الحاكِمُ ووافقه الذهبي عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**لهبِطَنَّ ابنُ مريمَ حكمًا عدلًا وإمامًا مُقسِطًا، ويسلُكَنَّ فجًّا حاجًّا أو مُعتمِرًا، وليأتيَنَّ قبري حتَّى يُسلِّمَ عليَّ ولأرُدَّنَّ عليه**»[4].

موت عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بالمدينة المنورة ودفنه بالحجرة الشريفة

قُلتُ: وأقولُ اقتِداءً بِفعلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وقولِ أبي هُرَيرةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (مَن وقفَ على كتابي وأدركَ الإمامَ المهديَّ وأدركَ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فليُقرئهما منِّي السلامَ، وليطلُبَ الدعاءَ والاستِغفارَ).

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٤١٦٢).

(٢) «سنن الترمذي» (٣٦١٧).

(٣) «المعجم الكبير» للطبراني (٣٨٤).

(٤) «المستدرك على الصحيحين» مع تعليقات الذهبي (٤١٦٢).

ظواهِرُ وعلاماتٌ هامَّةٌ مِنَ العلاماتِ الصُّغرى ما بَينَ مرحلةِ الإمامِ المُنتظَرِ حتَّى نِهايةِ مرحلةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

تُشيرُ الأحاديثَ في بابِ العلاماتِ الصُّغرى إلى رِجالٍ يبرزون بِصفاتٍ وأسماءٍ مُعينـةٍ يكونُ لهم في هـذه المرحلةِ أدوارٌ في الحُكمِ والإمارةِ ما بَينَ عادِلٍ وفاجِرٍ، ومنهم «القحطانيُّ»، فقد أخرجَ الشَّـيخان عنه: «**لاتقومُ السـاعةُ حتَّى يخرُجَ رجُلٌ مِـن قحطانَ يسـوقُ الناسَ بِعصـاه**»[1]، ويكونُ أوَّلَ ظُهورٍ لِلقحطانـيِّ معَ المهديِّ في أوَّلِ زمانِه، كما يكونُ أميرًا على السـريةِ التي يُرسِـلُها المهديُّ إلى مدينةِ الرُّومِ فيفتتِحُهـا في حالِ تابعيتِـه لِلمهديِّ لا في حالِ خِلافتِه، ثُـمَّ يخلُفُ المهديَّ رجُلٌ مِن أهلِ بَيتِه يسـيرُ بِسـيرتِه حتَّى وفاةِ عيسـى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيتولَّى رجُلٌ مِن قُرَيشٍ يُسمَّى «المقعـد» فـإذا مـاتَ تولَّى رجُلٌ آخرُ مِن قُرَيشٍ لا يُحسِـنُ السـيرةَ؛ فيخـرُجَ علَيهِ المخزومـيُّ ولعلَّه «الجهجاه»، ويدعو إلى الفُرقةِ؛ فيخرُجَ علَيهِ القحطانيُّ بِسـيرةِ المهديِّ، وهو المُلقَّبُ بِالمنصورِ، ويمكُثُ إحدى وعشرين سنةً ثُمَّ يملِكُ الموالي ويغلِبُ الشـرَّ مِن بعدِه. وفي الجهجاه عن أبي هُرَيرةَ مِن حديثِ مُسـلِمٍ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**لا تذهبُ الأيامُ والليالي حتَّى يملِكَ رجُلٌ يُقالُ له الجهجاه**»[2].

القحطاني والجَهْجاه والمُقْعَد

ونقـلَ التويجريُّ[3] جملـةً مِنَ الأحاديثِ التي جاءَت فـي القحطانيِّ والجهجاه يُمكِنُ العودُ إلَيها لِلاستِفادةِ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٧١١٧) و«صحيح مسلم» (٢٩١٠).

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩١١).

(٣) «إتحاف الجماعة» (٢: ٣١٤).

مرحلةُ الانهيارِ والعودِ إلى الجاهليةِ[1]

---

(١) يشار إلى هذه المرحلة بصفة الانهيار والعود إلى الجاهلية لما يطرأ فيها من تحول تام وتغير كامل عن مراد الله في خلقه . ومن أعظم التحول والتغير حلول الشرك في الأمة ، وهو عودة الكفر وعبادة الأصنام وعبادة الأوثان كاللات والعزى وذي الخلصة وغيرها على ما كانت عليه في مرحلة الجاهلية الأولى .

أما قبلَ هذه المرحلة ما بين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تصاعديا إلى عهد الرسالة فإن الشركَ الأكبرَ الموجب للخلود في النار منعدمٌ من الأمة المحمدية خصوصا وإنما يصيبها داء الأمم ويصيبها الإفراط والتفريط، وداء الأمم ، وهو البغضاء والحسد، وهي ـ كما سماها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ـ حالقة الدين ، والإفراط والتفريط هو الغلو في الاعتقاد والولاءات وعكسُه .

ويكون فيها المسخ والقذف لاتخاذهم المعازف والقينات والدفوف وشرب الخمر ، وهذه ظواهر منتشرة في الأمة والعياذ بالله ، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال : «**يمسخ قوم من أمتي آخر الزمان قردة وخنازير**» . قالوا : يا رسول الله ، مسلمون هم؟ قال : «**نعم ، يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويصومون ويصلون**» . قالوا : فما بالهم يا رسول الله ؟ قال : «**اتخذوا المعازف والقينات والدفوف ، وشربوا هذه الأشربة ، فباتوا على شرابهم ولهوهم فأصبحوا وقد مسخوا**» كما ورد في «كنز العمال» (٣٨٧٣٥) و«الدر المنثور» للسيوطي (٢ : ٣٢٤) و«حلية الأولياء» (٣ : ١١٩) .

ولا يجوز أن تُنَزَّلَ أحاديثُ ظهور الشرك في المسلمين على هذهِ المرحلةِ المذكورةِ، وإنما يكون الشرك الأكبر محصورا فيما بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ . وفيها حديث : «**لا تقوم الساعة حتى يرجع ناس من أمتي إلى عبادة الأوثان يعبدونها**» أخرجه الطيالسي عن أبي هريرة «مسند أبي داود الطيالسي» (٢٦٢٣) . وحديث ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ «**ولا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**» «سنن أبي داود» (٤٢٥٢) و«مسند أحمد» (٢٢٣٩٥) . وحديث : «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**» . فقلت : يا رسول الله ، إن كنت لا أظن حين أنزل الله : ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣٣] أن ذلك تام قال : «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يبعث الله ريحا طيبة تتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان ، فيبقى من**

و تبـدأُ مرحلةَ الانهيارِ بُعَيدَ مَوتِ عيسـى ٱلسَّلَٰمُ عَلَيۡهِ بِسـنواتٍ ، وهـي مرحلةٌ طويلةٌ نِسبيًا ، تبدأُ بِمَوتِ عيسى ٱلسَّلَٰمُ عَلَيۡهِ ، وبَينَ موتِه وطُلوعِ الشمسِ تأتي جُملةٌ مِنَ الآياتِ الكُبرى والوُسطى والصُّغرى وقد وصفَها كاتِبُ «الإشاعةِ» بِقَولِه : ثُمَّ يموتُ عيسى ٱلسَّلَٰمُ عَلَيۡهِ ، ويتولَّى بعدَ عيسى ٱلسَّلَٰمُ عَلَيۡهِ رجُلٌ مِن قُرَيشٍ يُسمَّى المقعدَ فإذا ماتَ تولَّى مِن قُرَيشٍ مِن لا يُحسِـنُ سـيرتَه ؛ فيخرُجَ علَيهِ المخزوميُّ ـ ولعلَّه «الجهجاه» ـ ويدعو إلـى الفُرقةِ ؛ فيخـرُجُ علَيهِ القحطانيُّ بِسـيرةِ المهـديِّ ، وهو المُلقَّـبُ بِالمنصورِ، ويمكُثُ إحدى وعِشـرين سـنةً ، ثُمَّ تنتقِصُ الدُّنيا ، ويملكُ الموالي ، ويغلِبُ الشرُّ إلى أن تطلُعَ الشمسُ مِن مغربِها . اهـ. راجِعِ «التليدَ والطارفَ» ص ٤٥٠- ٤٥١ .

القحطاني

لا خيـر فيـه فيرجعـون إلـى ديـن آبائهـم» . أخرجه مسـلم فـي «صحيحه» برقـم (٢٩٠٧) (٤/ ٢٢٣٠-٢٢٣١) .

وهذا الشرك الجماعي لا يكون بعد موت عيسى ٱلسَّلَٰمُ عَلَيۡهِ ، ويؤيد انصراف معنى «الشرك» من أمة محمد ما بين الرسـالة ونزول عيسـى ٱلسَّلَٰمُ عَلَيۡهِ حديث : «لسـت أخشـى عليكم الشرك من بعدي ، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوها فتهلككم كما أهلكت من كان قبلكم» .

وعلى هذا الأساس يفسر علم فقه التحولات ظاهرة التشريك التي تبنتها مدارس القبض والنقـض في مرحلة الغثاء بأنها تهمـة لا دليل لها ، بل هي تهمة بدعية بحتة تبنت التحريف للنصوص القرآنية والحديثية .

وغايـة مـا يمكن قبوله فـي تصحيح الانحراف السـائد بين المسـلمين فـي الاعتقادات والعـادات والعبـادات ، يقـال في المسـلمين بعمومهم أنهـم وقعوا في الغلـو والإفراط أو الجفـاء والتفريـط ، وعلـى هذيـن الطرفيـن المتضاديـن تبنت أحـكام التشـريك والتكفير الجائـرة مدارس القبـض والنقض من جهة ، وتبنت التفريط وثقافة الكفر مدارس العلمانية والتوليفية المعاصرة من جهة أخرى .

وكلا المدرسـتين خدمتـا «المنهـج المسـيس» بعلـم أو بغير علـم وشـددتا النكير على مدارس الإسـلام الأبوية المسندة مع أنهما في الجانب المقابل فتحتا الباب على مصراعيه لمدارس العلمانية والعلمنة والعولمة كي «تعيد هندسة الحياة المعاصرة بكل أنماطها» .

ظهور إبليس في جيل الانهيار والدعوة إلى عبادة الأصنام كما كانَت في الجاهلية

وأخرجَ أحمدُ ومُسلِمٌ عن عُمرَ أبي عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ : «ثُمَّ يُرسِلُ اللَّهُ - يعني بعدَ مَوتِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ - رِيحًا بارِدةً مِن قبلِ الشامِ فلا يبقى على وجهِ الأرضِ أحدٌ في قلبِه مِثقالَ ذرَّةٍ مِن إيمانٍ إلَّا قبضَه - إلى أن قالَ - : فيبقى شِرارُ الناسِ في خِفَّةِ الطَيرِ وأحلامِ السِّباعِ لا يعرِفون معروفًا ، ولا يُنكِرونَ مُنكرًا فيتمثَّلُ لهمُ الشيطانُ ، فيقولُ ألا تستحيونَ ؟ فيقولون ما تأمُرُنا ؟ فيأمُرُهم بِعِبادةِ الأوثانِ فيعبُدونها ، وهم في ذلِكَ دارٌّ رِزقُهم حَسَنٌ عَيشُهم حتَّى يُنفَخَ في الصورِ»[1]. وتمتازُ هذه المرحلةِ الأخيرةِ بما يلي مِنَ العلاماتِ الكُبرى والوُسطى والصُّغرى .

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٤٠) ، وراجع «التليد والطارف» ٤٥٧ .

الدابَّةُ

خُروج الدابة من مكّة

ومِن علاماتِ الساعةِ الكُبرى ظُهورُ الدابَّةِ، واختُلفَ في ترتيبِ وقتِها بالنسبةِ لِلعلاماتِ الكُبرى الأخيرةِ، ويُشيرُ إلى هذا المعنى حديثُ عبدِاللَّهِ بنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: حفِظْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ حديثًا لم أنسَه بعدُ، سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «إنَّ أوَّلَ الآياتِ خُروجًا طُلوعُ الشمسِ مِن مغرِبِها، وخُروجُ الدابَّةِ على الناسِ ضُحًى، وأيهما كانَت قبلَ صاحِبتِها، فالأُخرى على إثرِها قريبًا»[1]. رواه مُسلِمٌ.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ هو موت العلماء ورفع القرآن

قالَ تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[النمل:٨٢]. قالَ المُفسِّرون: هذه الآيةَ الكريمةَ جاءَ فِيها ذِكرُ خُروجِ الدابةِ، وإنَّ ذلِكَ يكونُ عِندَ فسادِ الناسِ وتركِهم أوامرَ اللَّهِ وتبرِّيهم مِنَ الحقِّ، قالَ عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَقْعُ القولِ يكونُ بِموتِ العُلماءِ وذَهابِ العِلمِ ورفعِ القُرآنِ، ثُمَّ قالَ: أكثِروا تِلاوةَ القُرآنِ قبلَ أن يُرفَعَ، قالوا: هذه المصاحفُ تُرفَعُ، فكيفَ بما في صُدورِ الرِجالِ! قال: يُسرى علَيهِ لَيلًا فيُصبِحون منه قفرًا، وينسون لا إلهَ إلَّا اللَّهُ، ويقعون في قَولِ الجاهِليةِ وأشعارِهم، وذلِكَ حينَ يقعُ القَولُ علَيهم»[2]، وراجِعْ «أشراطَ الساعةِ» للوابِلِ[3].

وكما هو الحالُ في أخبارِ طُلوعِ الشمسِ مِن مغرِبِها ص ٤٠٤. وطولِ زمانِها

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٤١).

(٢) «تفسيرُ القُرطُبيِّ» (١٣/ ٢٣٤).

(٣) وجاء في «سبل الهدى والرشاد» (١٠ : ٦٥٦) في الباب السابع «سبب خروجها» قال: «ذلك حين لا يأمرون بمعروف، ولا ينهون عن منكر».

بقاء الناس بعد الدابة مددا طويلة

وكذلِـكَ الحالُ في خُروجِ الدابةِ وآثارِ خُروجِها على الناسِ فيطولُ الزمنُ بعدَها.. كما روى الإمامُ أحمدُ عن أبي أُمامةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يرفعُه إلى النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**تخرُجُ الدابَّةُ فتَسِمُ الناسَ على خراطيمِهم** ـ أي: أُنوفِهم ـ **ثُمَّ يُغمرون** ـ أي: يكثُرون ـ **فيكم حتَّى يشتري الرجُلُ البعيرَ، فيُقالُ: ممن اشترَيتَه؟ فيقولُ: مِن أحدِ المُخطَّمين**»[1].

ما بعد مرحلة خُروج الدابة

وروى الإمامُ أحمدُ والترمذيُّ عن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عنِ النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**تخرُجُ الدابةُ ومعَها عصا مُوسى وخاتمُ سُليمانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فتختِمُ الكافِرَ ـ أنفَ الكافِرِ ـ بِالخاتمِ، وتجلو وجهَ المؤمنِ بالعصاءِ حتَّى إنَّ أهلَ الخوانِ**[2] ـ أي: المُجتمِعون على الطعامِ فوقَ الخوانِ ـ والخوانُ: ما يوضعُ علَيهِ الطعامُ عِندَ الأكلِ ـ **يجتمِعونَ على خوانِهم، فيقولُ هذا: يا مؤمِنُ. ويقول هذا: يا كافِرُ**»[3].

وقد ذكروا أنها تخرُجُ مِن مكَّةَ المكرَّمةِ مِن أعظمِ المساجِدِ، ورُويَ في ذلِكَ أحاديثُ مِنها:

ما رواه الطبرانيُّ في الأوسطِ عن حُذَيفةَ بنِ أَسيدٍ قالَ: «**تخرُجُ الدابةُ مِن أعظمِ المساجِدِ: فبَينَما هم إذ دبَّتِ الأرضُ، فبينما هم كذلِكَ تصدَّعَت**»[4].

وقيلَ: إنَّ لها ثلاثةَ خُروجاتٍ. كما جاءَ في حديثِ حُذَيفةَ بنِ أَسيدٍ عِند الحاكِمِ، وقالَ: «**لها ثلاثُ خرجاتٍ**»[5]. وذكرَ الحديثَ بِطولِه، ثُمَّ قالَ هذا حديثٌ صحيحٌ على شرطِ الشَّيخين ولم يُخرجاه.

---

(١) «مسند أحمد» (٢٢٣٠٩).

(٢) وفي رِوايةٍ (الحواء)، وهي بُيوتٌ مُجتمِعةٌ مِنَ الناسِ على ماءٍ.

(٣) «سنن الترمذي» (٣١٨٧).

(٤) «المعجم الأوسط» للطبراني (١٦٣٥).

(٥) «المستدرك على الصحيحين» (٨٤٩٠).

قـالَ ﷺ : «ثُـمَّ بـيَنَمـا النـاسُ في أعظمِ المسـاجِدِ ـ علـى اللَّهِ ـ حُرمـةً وأكرمِها المسـجِدِ الحـرامِ ، لم ترعْهـم إلّا وهي ترغو بَينَ الرُّكنِ والمقامِ تنفُضُ عن رأسِـها التُّرابَ فَارْفَضَّ الناسُ عنها شتَّى» [١] .

وعن أبي هُرَيرةَ وابنِ عُمرَ وعائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ : «تخرجُ الدّابَّةُ بِأجيادٍ» [٢].

وجزمَ البيضاويُّ في تفسيره بأنها «الجساسـةُ صاحبة الدجال» [٣]. كما ورد في رواية ابن حماد والحاكم أنها تقتل إبليسَ بعد انقطاعِ دَوْرِهِ في الحياةِ ، وقد فَرَغَ من العمل، ونَصُّ الحديثُ : «خروج الدابة بعد طلوع الشمس من مغربها فإذا خرجت لطمت إبليس وهو ساجد»[٤] .

وأخـرجَ الطبرانـيُّ وابْنُ مَرْدَوِيهِ عـن عمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال : «إذا طَلَعَتِ الشمسُ مِن مغربِها خَرَّ إبليسُ ساجداً يُنادي ويَجْهَرُ: إلهِي مُرْنِي أَسْجُدُ لِمَنْ شِئْتَ، فتجتمعُ إليهِ زَبانيةٌ فيقولونَ: يا سَـيِّدَنا ما هذا التَّضَرُّعُ ؟ فيقول: إنّما سـألتُ رَبِي أَنْ يُنْظِرَنِي إلى الوقتِ المعلومِ ، وهَذَا الوقتُ المعلومُ»[٥].

(١) «مسند الطيالسي» (١١٦٥) .

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٨٦٤) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٢٨٦) .

(٣) «تفسير البيضاوي» (١ : ٢٧٨) ، وانظر «الإشاعة» ص ٣٦٠ .

(٤) «المستدرك على الصحيحين» (٨٥٩٠) .

(٥) المعجم الأوسط» للطبراني (٩٤) .

الريح القابضة لمن بقي من المؤمنين

الريحُ القابِضةُ لِلمؤمنين

وهـي مِـنَ العلاماتِ الصُّغرى في هـذه المرحلةِ ، وتظهرُ معَ هـذا الانهيارِ الذي يُصيبُ البشـريةَ مِن أمرِ دينِهـا وعقيدتِها يبعثُ اللَّـهُ لِمَن بقيَ مِـنَ المؤمنين ريحًا تقبِـضُ أرواحَهـم ، كما وردَ في أحاديثِ مَن لا ينطـقُ عنِ الهوى مِن مِثلِ قولِه ﷺ فيما رواه عبدُاللَّهِ بنُ مسـعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : «يبعثُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ رِيحًا فِيها زمهريرٌ بارِدٌ لا تدعُ على وجهِ الأرضِ مُؤمِنًا إلَّا ماتَ بِتِلكَ الريحِ ثُمَّ تقومُ الساعةُ على شِرارِ الناسِ»[1] .

ارتباط هدم الكعبة بموت المؤمنين وبقاء عجاج من الناس

وعـن عبدِاللَّهِ بـنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : «إنَّ مِـن آخِرِ أمرِ الكعبةِ أنَّ الحبشـةَ يغزون البَيتَ ، فيتوجَّه المُسـلِمون نحوَهم فيبعثُ اللَّهُ علَيهم ريحًا أثرُها شـرقيةٌ ؛ فلا يدعُ اللَّـهُ عبـدًا في قلبِه مِثقالَ ذرَّةٍ مِن تُقى إلَّا قبضَتـه ، حتَّى إذا فرغوا مِن خيارِهم ، بقيَ عَجـاجٌ مِنَ الناسِ لا يأمرون بِمعـروفٍ ولا ينهون عن مُنكرٍ ، وعمدَ كُلَّ حيٍّ إلى ما كانَ يعبُدُ آباؤهم مِنَ الأوثانِ ، فيعبُدُه حتَّى يتسافدوا في الطُّرُقِ كما تتسافدُ البهائمُ ، فتقومُ علَيهمُ الساعةُ ، فمن أنبأكَ عن شيءٍ بعدَ هذا فلا عِلمَ له»[2].

وما رواه مُسلِمٌ عنِ النواسِ بنِ سمعانَ : «فبينما هم كذلِكَ إذ بعثَ اللَّهُ ريحًا طيِّبةً فتأخُذُهـم تحتَ آباطِهم فتقبِضُ رُوحَ كُلِّ مؤمنٍ وكُلِّ مُسـلِمٍ ، ويبقى شِـرارُ الناسِ يتهارجون فِيها ـ أي: يتسافدون ـ كما تهارجُ الحمرُ فعلَيهم تقومُ الساعةُ»[3].

---

(١) «المستدرك على الصحيحين» (٨٦٦٦) .

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٨٤١٠)، وانظر «إتحاف الجماعة» (٣: ٣٤) .

(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٣٦) .

قـالَ فـي «الإشـاعةِ» : (فيكـونُ على مِثلِ ذلِـكَ حتَّى لا يُولَـدُ أحدٌ مِن نـكاحٍ ثُمَّ يُعقِّمُ اللَّهُ النِّسـاءَ ثلاثين سـنةً ، ويكونون كلُّهم أولادَ زِنا شِـرارَ الناسِ علَيهم تقومُ الساعةُ)[1].

(١) ص٣٢٦ .

هدمُ الكعبةِ

انهيار أهل مكَّة في مرحلة الخراب الأخير وانفتاح أبواب الشر والدمار

ومِن علاماتِ الساعةِ الصُّغرى قربَ نِهايةِ أمرِ الكَونِ والحياةِ هدمُ الكعبةِ المُشرفةِ وزوالُ بُنيانِها حجرًا حجرًا، فتخرُبُ خرابًا لا تعمُرُ بعدَه، وقد وردَ ذلِكَ في جُملةٍ مِن أحاديثِ الرسولِ ﷺ ومِنها: حديثُ أبي هُرَيرةَ وهو يحدِّثُ أبا قَتادةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهُو يطوفُ بِالبيتِ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يبايعُ لِرَجُلٍ بَينَ الرُّكنِ والمقامِ، وأوَّلُ مَن يستحِلُّ هذا البيتَ أهلُه، فإذا استحلُّوه فلا تسألْ عن هلكةِ العربِ، ثُمَّ تجيءُ الحبشةُ فيُخرِّبونه خرابًا لا يعمُرُ بعدَه أبدًا، وهمُ الذينَ يستخرجِونَ كنزَه**»[1].

وعن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ: «**يُخرِّبُ الكعبةَ ذو السوَيقتَين مِنَ الحبشةِ**»[2].

وفي رِوايةِ ابنِ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «**كأني بِه أسودُ أفحجُ يقلعُها حجرًا حجرًا**» يعني: الكعبةَ[3].

ووردَ في رفعِ الرُّكنِ مِنَ البيتِ الحرامِ والقُرآنِ مِنَ الأرضِ حديثُ ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**استمتِعوا مِن هذا البيتِ؛ فإنَّه قد هُدِمَ مرتَين، ويُرفَعُ في الثالثةِ**»[4].

---

(١) «مسند أحمد» (٨١٢٩) «مسند أبي داود الطيالسي» (٢٤٩٤) و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٢٤٤).

(٢) متفق عليه، «صحيح البخاري» (١٥٩١) (١٥٩٦) و«صحيح مسلم» (٢٩٠٩).

(٣) «صحيح البخاري» (١٥٩٥).

(٤) «صحيح ابن حبان» (٦٧٥٣) و«صحيح ابن خزيمة» (٢٥٠٦).

أهم ظواهر هذه المرحلة

وذكرَ الفاكهي في «أخبار مكَّةَ» عن عُثمانَ بنِ ساجٍ قالَ : بلغني عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قـالَ : «**أكثـروا زِيارَةَ هذا البيتِ قبلَ أَنْ يُرْفَعَ ، ويَنْسَـى النَّاسُ مَكَانَهُ ، وَأَكْثِرُوا تلاوةَ القرآنِ قبلَ أَنْ يُرْفَعَ**»[1] ، وعن حُذَيفةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : «**يُسرَى على كِتابِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ في لَيلةٍ فلا يبقى في الأرضِ منه آيةٌ**»[2] .

ومن ظواهِر هذه المرحلةِ الخطيرةِ ما يلي :

- هدمُ الكعبةِ على يدِ ذي السويقتَين مِنَ الحبشةِ وسلبُ حليتِها .
- يُرفَعُ القرآنُ مِنَ المصاحِفِ والصُّدورِ .
- يُرفَعُ الرُّكنُ والقُرآنُ ورؤيا النبيِّ ﷺ .

(١) «أخبار مكة» للفاكهي (٣٠٦) .

(٢) «المستدرك على الصحيحين» (٨٤٦٠) .

ظهور الدخان كعلامة

الدخانُ

مِـنَ العلاماتِ الكُبـرى «الدخانُ» وفيه يقـولُ تعالى : ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١﴾[الدخان:١٠-١١] .

واختلفَ المُفسِّرونَ في الدُّخانِ فذهبَ ابنُ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيرُه بِأنَّ «الدَّخانَ» هو ما أصابَ قُرَيشًا في شِدَّةِ الجُوعِ عِندَما دعا علَيهمُ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حينَ لم يستجِيبوا له فأصبحوا يَرَون في السماءِ كهيئةِ «الدُخانِ» وفي هذا يقولُ : «**خمسٌ قد مضَينَ : اللِّزامُ، والرُّومُ ، والبطشةُ ، والقمرُ ، والدُخانُ**»[١] .

وفي قَولٍ آخرَ : هذا الدُّخانُ مِنَ الآياتِ المُنتظرةِ التي لم تأتِ بعدُ ، وهو قولُ ابنِ عبَّاسٍ وبعضِ الصحابةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وذكرَ القُرطُبيُّ أن ابنَ مسعودٍ كان يقولُ : هُما دُخانانِ ، قد مضى أحدُهما ، والذي بقيَ يملأُ ما بَينَ السماءِ والأرضِ ، ولا يجِدُ المؤمِنُ منه إلَّا الزكمةَ ، وأما الكافِرُ فتُثقبُ مسامِعُه[٢] .

وكلا الخبرين عنِ ابنِ مسعودٍ صحيحان رُويا عن رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وعلى هذا فالدُّخانُ المشارُ إلَيه في الأحاديثِ يدُلُّ على أنَّه سيأتي في آخِرِ الزمانِ . ولعلَّها قريبٌ مِنَ الدَّجّالِ ، أي : في المراحِلِ التي بعدَه ، وروى مُسلِمٌ عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قالَ : «**بادِروا بالأعمالِ سِتًّا ... والدَّجّالَ والدُّخانَ**»[٣] .

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٨٢٥) و«صحيح مسلم» (٢٧٩٨) .

(٢) «التذكرة» للقرطبي (١: ١٢٦٧) .

(٣) تقدم .

الخسوفات الثلاثة ظواهر كونية كبرى وفِيها تهيئة لظهور الشمس من مغربها

الخُسوفاتُ الثلاثةُ

ومِن أشراطِ الساعةِ الكُبرى الخُسوفاتُ الثلاثةُ ، وإلَيها يُشيرُ الحديثُ الشريفُ عن حُذَيفةَ بنِ أَسيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : «**إنَّ الساعةَ لن تقومَ حتَّى ترَونَ عشرَ آياتٍ ...**» . وذكرَ مِنها ثلاثةَ خُسوفاتٍ : «**خسفاً بِالمشرِقِ ، وخسفاً بِالمغرِبِ ، وخسفاً بِجزيرةِ العربِ**» [1] .

وعن أُمِّ سلمةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ : سمعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : «**سيكونُ بعدي خسفٌ بِالمشرِقِ وخسفٌ بِالمغرِبِ وخسفٌ في جزيرةِ العربِ**» . قُلتُ : يا رسولَ اللَّهِ أيُخسفُ بِالأرضِ وفِيها الصالِحون ؟ قالَ لها رسولُ اللَّهِ ﷺ : «**إذا أكثرَ أهلُها الخبثَ**» [2] .

وقد أشارَ العديدُ مِنَ العُلماءِ إلى أنَّ هذه الخُسوفاتِ لم تحدُثْ إلى الآنِ ، وخاصَّةً أنها ظواهِرُ كَونيةٌ عظيمةٌ ، تختلِفُ عمَّا قد جرى مِنَ الخسفِ في بعضِ البِلادِ . وخاصَّةً أن حديثَ أُمِّ سلمةَ رَبَطَ هذه الخُسوفاتِ بِكثرةِ الخبثِ في الناسِ ؛ ولهذا رُبَّما صحَّ أنَّها فيما بَينَ مرحلةِ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومرحلةِ الانهيارِ والعودِ إلى الجاهِليةِ الأخيرةِ ، شأنُها شأنُ الدُّخانُ ، واللَّهُ أعلمُ .

وفي بعضِ الرِّواياتِ أُدخِلَتِ الخُسوفاتُ الثلاثةُ في الآياتِ العشرِ الواجِبِ العِلمُ بها مِنَ العلاماتِ الكُبرى ، كما هو في حديثِ واثلةِ بنِ الأسقعِ قالَ : سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى تكونَ عشرُ آياتٍ :**

---

(١) «صحيح مسلم» (٢٩٠١) .

(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (٥٨٠) (٢٣ : ٢٧١) و«المعجم الأوسط» (٣٦٤٧) .

(١) خسفٌ بِالمشرِقِ

(٢) وخسفٌ بالمغرِبِ

(٣) وخسفٌ في جزيرةِ العربِ

(٤) والدَّجَّالُ

(٥) والدُّخانُ

(٦) ونُزولُ عيسى

(٧) ويأجوجُ ومأجوجُ

(٨) والدابةُ

(٩) وطُلوعُ الشمسِ مِن مغربِها

(١٠) ونارٌ تخرُجُ مِن قعرِ عدنٍ تسوقُ الناسَ إلى المحشرِ ، تحشُرُ الذَّرَّ والنملَ» [١] .

(١) «المستدرك على الصحيحين» للحاكم (٨٣١٧) قال أبو عبد الله : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

طُلوعُ الشمسِ مِن مغرِبِها وانقِطاعُ التوبةِ

وهـي مِنَ العلاماتِ الكُبرى التي أخبرَ عن وُقوعِها نبيُّنا ﷺ فيما رواه الشـيخان عن أبي هُرَيرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قالَ : «**لا تقومُ الساعةُ حتَّى تطلُعَ الشمسُ مِن مغربِها ، فإذا طلعَت فرآها الناسُ آمنوا أجمعون ، فذاك حينَ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾**[الأنعام:١٥٨] »[١]. ومِنَ المُقرَّرِ كما ثبتَ في معنى الآيةِ السـابِقةِ أنَّ الشـمسَ إذا طلعَت مِن مغربِها لا يُقبَلُ الإيمانُ ممَّن لم يؤمِـنْ قبلَهـا كمـا لا تُقبلُ توبـةُ العاصي ؛ ذلِكَ لأنَّ طُلوعَ الشـمسِ مِـن مغرِبِها آيةٌ عظيمةٌ يراها كُلُّ مَن كانَ في ذلِكَ الزمانِ ، فتنكشِـفُ لهمُ الحقائقُ ويُشـاهِدونَ مِنَ الأهوالِ ما يلوي أعناقَهم إلى الإقرارِ والتصديقِ باللَّهِ وآياتِه .

انقطاع التوبة واستمرار ظاهرة طلوع الشمس من المغرب

ورُويَ عـن عِمـرانَ بنِ حُصيـنٍ أنَّه قالَ : «**إنَّما لم تُقبَلُ وقـتَ الطُّلوعِ حتَّى تكونَ صَيحـةً فيهلكُ فِيها كثيرٌ مِنَ الناسِ ، فمن أسـلمَ وتابَ في ذلِكَ الوقتِ ثُمَّ هلَكَ لم تُقبَلْ توبتُه ومن تابَ بعدَ ذلِكَ قُبِلَت توبتُه**»[٢] .

والذي يُؤيِّدُ هذا ما رواه ابن أبي شيبة عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالَت : (إِذَا خَرَجَتْ أَوَّلُ الآيَاتِ حُبِسَتِ الْحَفَظَةُ وَطُرِحَت الأَقْلامُ وَشَهِدَتِ الأَجْسَادُ عَلَى الأَعْمَالِ)[٣].

والمُرادُ بأوَّلِ الآياتِ هُنا هو طُلوعُ الشـمسِ مِن مغرِبِها ، أمَّا ما كانَ قبلَ طُلوعِها مِنَ الآياتِ فإنَّ الأحاديثَ تدُلُّ على قبولِ التوبةِ وبقاءِ الإيمانِ .

---

(١) «صحيح البخاري» (٤٦٣٥) .

(٢) «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» للقرطبي (١ : ١٣٤٧) .

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٥٩٩) .

وروى جريرٌ الطبريُّ عن عبدِاللَّهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ : «**التوبةُ مبسوطةٌ ما لم تطلعِ الشمسُ مِن مغرِبِها**»[١] .

انقطاع الهجرة والطبع على القلوب ونهاية العمل الصالح في الأمم

والذي يظهرُ مِن بعضِ النُّصوصِ أنَّ مرحلةَ التحوُّلِ الكَونيِّ في طُلوعِ الشمسِ مِن مغرِبِها يستغرِقُ مُدةً زمنيةً طويلةً ، وردَتِ الإشارةُ إلَيها فيما رواه عبدُ اللَّهِ بنِ عمرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا عنِ النبيِّ ﷺ : «**يبقى الناسُ بعدَ طُلوعِ الشمسِ مِن مغرِبِها عشرين ومائةَ سنةٍ**» اهـ[٢] .

ويؤيِّدُ ذلِكَ أيضًا ما رواه ابن أبي شيبة عن عائشةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالَت : «**إذا خرجَ أوَّلُ الآياتِ ، طُرِحَتِ الأقلامُ ، وحُبِسَتِ الحفظةُ ، وشَهِدَتِ الأجسامُ على الأعمالِ**»[٣] .

وإنَّما قولُه : حديثُ عائشةَ : «إذا خرجَ أوَّلُ الآياتِ» المُرادُ بأوَّلِ الآياتِ طُلوعِ الشمسِ مِن مغرِبِها بِالنسبةِ لِما بعدَها ، أما ما كانَ مِنَ الآياتِ قبلَها فالتوبةُ مقبولةٌ ، والإيمانُ مُتحقِّقٌ بَينَ القَبولِ والردِّ ، ويمتدُّ هذا الأمرُ إلى يومِ القيامةِ .

وحديثُ مُسندِ الإمامِ أحمدَ مِن قولِه ﷺ : «**لا تنقطِعُ الهِجرةُ ما تُقُبِّلَتِ التوبةُ ، ولا تزالُ التوبةُ مقبولةً حتَّى تطلُعَ الشمسُ مِن مغرِبِها ، فإذا طلعَت طُبِعَ على كُلِّ قلبٍ بما فيه ، وكُفِيَ الناسُ العملَ**»[٤] .

---

(١) «تفسيرُ الطبريِّ» (١٤٢٣٩) .

(٢) «الفتن» لنعيم بن حماد (١٨٤٩) (١٩٧٩) .

(٣) «مصنف ابن أبي شيبة» (٣٧٥٩٩) .

(٤) «مسند أحمد» (١٦٧١) و«المعجم الأوسط» للطبراني (٥٩) ، وانظر «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (٣٩٨) .

النارُ الحِاشرةُ

النار الحاشرة إحدى الظواهر الكونية الأخيرة

ومِن علاماتِ الساعةِ الكُبرى النارُ التي تحشُرُ الناسَ ، بل هي أوَّلُ الآياتِ بعدَ ما سبقَها مؤذنةً بِقيامِ الساعةِ فيكونُ مبعثُها مِنَ «اليمنِ»[(١)] .

وبعضُها : «وتخرُجُ مِن بحرِ حضرَموتٍ»[(٢)] .

وبعضُها : «مِن قَعْرِ عَدَنٍ»[(٣)] . واللَّهُ أعلمُ .

وجاءَ في حديثِ حُذَيفةَ بنِ أَسيدٍ في ذكرِ أشراطِ الساعةِ الكُبرى قالَ ﷺ : «وآخِرُ ذلِكَ نارٌ تخرُجُ مِن فِيْ اليمنِ تطرُدُ الناسَ إلى محشرِهم»[(٤)] .

وفي روايةٍ عن حُذَيفةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا : «ونارٌ تُخرُجُ مِن قعرةِ عدنٍ تُرحِّلُ الناسَ»[(٥)] .

اليمن وعدن وحضرموت مواقع خُروج النار

وروى أحمدُ والترمِذيُّ عن ابنِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ : «ستخرُجُ نارٌ مِن حضرموتَ أو مِن بحرِ حضرموتَ قبلَ يومِ القيامةِ تحشُرُ الناسَ»[(٦)] .

وروى الإمامُ البُّخاريُّ عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ عبدَاللَّهِ بنَ سلامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا أسلمَ سألَ النبيَّ ﷺ عن مسائلَ ، وفِيها : ما أوَّلُ أشراطِ الساعةِ؟ فقالَ النبيُّ ﷺ : «أمَّا

---

(١) «المعجم الكبير» للطبراني (٣٠٣٠) .
(٢) «سنن الترمذي» (٢٢١٧) و«مسند أبي يعلى» (٥٥٥١) و«مسند أحمد» (٥١٤٦) .
(٣) «سنن أبي داود» (٤٣١١) و«سنن الترمذي» (٢١٨٣) و«مسند أحمد» (١٦١٤٣) .
(٤) «صحيح مسلم» (٢٩٠١) .
(٥) «صحيح مسلم» (٢٩٠١) .
(٦) «سنن الترمذي» (٢٢١٧) و«مسند أحمد» (٥١٤٦) .

أَوَّلُ أشراطِ الساعةِ فنارٌ تحشُرُ الناسَ مِنَ المشرِقِ إلى المغرِبِ» [1] .

وقولُـه : «**أوَّلُ أشـراطِ السـاعةِ**» أي : قُربًـا مِن نِهايةِ النهايةِ ، فلا شـيءَ بعدَها مِن أُمورِ الدُّنيا أصلًا إلَّا ما يشغلُ الناسَ مِن مُجرياتِ التحوُّلِ مِن آيةٍ إلى آيةٍ .

ماهي النار الحاشرة؟

ولا شـكَّ أنَّ النارَ الحاشِرةَ مِنَ المشرِقِ إلى المغرِبِ ستستغرِقُ وقتًا زمنيًّا مسافةً وزمنًـا ورِحلـةً ... سـواءٌ كانَت نـارًا مُلتهِبةً كما فسَّـرَ بعضُهـم ، أو براكين وحُممًا ناريةً، أو موادَّ سائلةٍ ، أو معادِنَ مصهورةً ، أو غَير ذلِكَ .

الأفواج المتعاقبة بالخروج خوفا من النار

وقد وردَ في هذا الأمرِ ما يُوسِّـعُ مشـهدَ المعرفةِ لِمفهومِ النارِ الحاشِـرةِ فقد وردَ فـي حديـثِ البُخاريِّ ومُسـلِمٍ عن أبي هُرَيرةَ أنَّهـم على ثلاثةِ أفـواجٍ : الأوَّلُ فَوجٌ راغِبـون ، وفَـوجٌ طاعِمون كاسـون راكِبون ، والثاني فَوجٌ يمشـون تـارةً ويركبون أُخـرى ، يتعاقبـون على البعيرِ الواحِدِ ، والفوجُ الثالِثُ تحشـرُهم النارُ فتُحيطُ بِهم مِن ورائهم وتسـوقُهم مِن كُلِّ جانبٍ إلى أرضِ المحشرِ ، ومَنْ تَخَلَّفَ أَكَلَتْهُ النارُ، وأرضُ المحشـرِ علـى ما وردَ أنها الشـامُ ، فقـد روى الإمامُ أحمدُ عـن حكيمِ بنِ مُعاويةَ المُزنيِّ عن أبيه فذكرَ الحديثَ وفيه قولُه : «**هاهُنا تُحشرون هاهُنا تُحشرون هاهُنا تُحشـرون رُكبانًا ومُشـاةً وعلى وُجوهِكم**» ... قالَ ابنُ أبي بكرةَ : فأشارَ بيدِه إلى الشامِ فقالَ : «**إلى هاهُنا تُحشرون**» [2].

الهجرة الأخيرة إلى الشام

وروى الإمـامُ أحمـدُ وأبو داودَ عـن عبدِاللَّهِ بـنِ عمرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ : سـمِعتُ رسـولَ اللَّهِ ﷺ يقول : «**سـتكونُ هِجـرةٌ بعدَ هِجرةٍ تُجازُ إلى مهجـرِ إبراهيمَ ، ولا يبقـى في الأرضِ إلَّا شِـرارُ أهلِهـا تلفظُهم أرضُهـم تُنذِرُهم نفس الله ، تحشُـرُهمُ**

---

(١) «صحيح البخاري» (٣٣٢٩) .

(٢) «مسند أحمد» (٢٠٠١١) .

النـارُ معَ القِردةِ والخنازيرِ تبيـتُ معَهم إذا باتُوا ، وتَمِيلُ معَهم إذا مالوا ، وتأكلُ مَن تخلَّفَ»[1] .

وأنكرَ بعضُهم أن تكونَ الشـامُ أرضَ المحشـرِ بِدليـلِ قولِه تعالى : ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [إبراهيم : ٤٨] . فأين الشامُ إذن؟ والإجابةُ أن الآيةَ لا تعني علاماتِ السـاعةِ ، وإنَّمـا تعنـي ما بعدَها مِـن أرضِ المحشـرِ الأخيرِ عِندَ النفـخِ في الصُّورِ ثانيـةً حيث تُشـيرُ الآيـةُ : ﴿ يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم:٤٨] .

فالمحشرُ المُشارُ إلَيه اجتِماعُ الناسِ في ظاهِرِ الأرضِ ، وأمَّا المحشرُ في الآياتِ فما بعدَ حياةِ البرزخِ ، واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) «مسند أحمد» (٦٨٧١) .

اندراس الإسلام هو اندراس العمل بأوامره واجتناب نواهيه

اندِراسُ الإسلامِ ثُمَّ اندِراسُ كلمةِ التوحيدِ

مِنَ العلاماتِ الصُّغرى في هذه المرحلةِ كما أخرجَ ابنُ ماجه عن حُذَيفةَ بنِ اليمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : «يدرُسُ الإسلامُ كما يدرُسُ وشيُ الثوبِ - أي: يخلقُ ويبلى - حتَّى لا يُدرى ما صيامٌ ولا صلاةٌ ولا نُسُكٌ ولا صدقةٌ ، وتبقى طوائفُ مِنَ الناسِ : الشيخُ الكبيرُ والعجوزُ الكبيرةُ يقولون : أدركْنا آباءَنا على هذه الكلِمةِ (لا إلهَ إلَّا اللَّهُ) فنحن نقولُها» . فقالَ رجُلٌ لِحُذَيفةَ : فما تُغني عنهمُ الكلِمةُ ؟ فأعرضَ حُذَيفةُ؛ فأعادَ علَيهِ السؤالَ ثانيًا وثالثًا ؛ فقالَ في الثالثةِ : «تُنجيهم مِنَ النارِ»[1] .

والاندراسُ هُنا يُشيرُ إلى إهمالِ كُلِّ شيءٍ يتعلَّقُ بِالإسلامِ مِن عِباداتٍ ومِن عاداتٍ بدءًا بِالتعليمِ والإعلامِ ، ونِهايةً بِالقوانين والأحكامِ ، وتتناسلُ الأجيالُ جيلًا بعدَ آخرَ على جهلٍ وجاهِليةٍ حتَّى يتحقَّقَ ما أشارَ إليه الحديثُ : «ويبقى طوائفُ مِنَ الناسِ ، الشيخُ الكبيرُ والعجوزُ الكبيرةُ يقولون : أدركْنا آباءَنا على هذه الكلِمةِ « لا إلهَ إلَّا اللَّهُ » فنحنُ نقولُها » .

وتمرُّ على هذه الحالةِ مُدةٌ زمنيةٌ حتَّى تندرِسَ أيضًا كلِمةُ التوحيدِ ذاتُها ، وينساها الناسُ ، فقد أخرجَ أحمدُ بِسندٍ قويٍّ عن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ : «لا تقومُ الساعةُ حتَّى لا يُقالَ في الأرضِ : لا إله إلَّا اللَّهُ»[2] . وهو عِند مُسلِمٍ بِلفظِ : «اللَّهُ الله»[3] فدلَّتِ الأحاديثُ على أنَّ المُرادَ بِالشرارِ في قَولِه : «ويبقى فيها شرارها تلفظهم الأرض

---

(١) «سنن ابن ماجه» (٤٠٤٩) و«المستدرك على الصحيحين» (٨٤٦٠) .

(٢) «مسند أحمد» (١٣٨٣٣) .

(٣) «صحيح مسلم» (١٤٨) .

وتقذرهم »[1] وفي رِوايةٍ : « ويبقى شِرارُ الناسِ في خِفَّةِ الطَيرِ وأحلامِ السِّباعِ »[2].

وأنَّه ما دامَ في النوعِ الإنسانيِّ مَن يقولُ هذه الكلِمةَ فلن تقومَ الساعةُ ، وإنَّما تقومُ علـى الكُفَّارِ الخُلَّصِ الذين لا يعرِفونَ نِكاحًا شـرعيًّا ، ولا يُولَدون مِن نكاحٍ ، ولا يعرِفون في الحياةِ دِينًا ولا ربًّا ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

---

(١) «مسـند أبـي داود الطيالسـي» (٢٤٠٧) و«مسـند أحمـد» (٦٩٥٢) و«المسـتدرك علـى الصحيحين» (٨٤٩٧) و«مسند الشاميين» للطبراني (٢٧٦١) .

(٢) «صحيح مسلم» (٢٩٤٠) .

النفخ في الصور
نِهاية الحياة
الكونية

مرحلة الدمار

العلامةُ الأخيرةُ.. النفخُ في الصورِ

قال تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾[الزمر:68]

وقال تعالى :﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾[الحج:2] ، وهذه الآياتُ وغيرُها تُشِيرُ إلى النفخةِ الأولى ، وهي التي تقومُ بها الساعةُ ، وهي ما تسمى (بالراجفةِ) ، كما وردَ في قولِ ابنِ عباسٍ : و(الرادفةُ) هي النفخةُ الثانيةُ .

وقد وردَ في مجملِ الحديثِ أنّ قيامَ الساعةِ يكونُ في يومِ الجُمُعَةِ ، ومنها حديثُ أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يومُ الجمُعةِ ، فيه خُلِقَ آدمُ ، وفيه أُدْخِلَ الجنةَ ، وفيه خَرَجَ منها ، ولا تَقُومُ الساعةُ إلا يومَ الجمُعةِ» رواهُ الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ والترمذيُّ(١) .

وفي روايةٍ أخرى : «وفيهِ ـ أي : يومَ الجمعةِ ـ تقومُ الساعةُ ، وما مِنْ دابَّةٍ إلّا وهِي مُصْخِيَةٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ مِنْ حِينَ تُصْبِحُ حَتّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقاً مِنَ الساعةِ إلّا الإنسُ والجِنَّ»(٢) ، وفي روايةٍ أخرى: «وَفِيهِ تَقُومُ السّاعَةُ ، ومَا مِنْ مَلَكٍ مُقَرَّبٍ ولا سَمَاءٍ ولا أرضٍ ولا جبالٍ ولا حَجَرٍ إلّا هنّ يُشْفِقْنَ مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ»(٣). وعن مجاهد

---

(١) «صحيح مسلم» (٨٥٤) .

(٢) «سنن أبي داود» (١٠٤٦) و«سنن النسائي المجتبى» (١٤٣٠) .

(٣) «سنن ابن ماجه» (١٠٨٤) و«مسند أحمد» (١٥٥٤٨)، وانظر «إتحاف الجماعة»

أنـه قال : الصورُ شـيءٌ كهيئةِ البـوقِ ، والصورُ كما ورد في الحديـث : «**قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ**»[1].

وروى الشـيخان عـن أبـي هُرَيـرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًـا : «**لتقومَنَّ السـاعةُ وقد نشـرَ الرجُلان ثوبَهما بَينَهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومَنَّ الساعةُ وهو يليطُ حوضَه – أي يُلطِّخُه بِالطينِ – فلا يسقي فيه ، ولتقومَنَّ الساعةُ وقد رفعَ أُكلتَه – أي: لُقمتَه – إلى فيه فلا يطعمُها**»[2].

وفي روايةٍ : «ويبقى شِـرارُ الناسِ في خفةِ الطيرِ وأحلامِ السِّـباعِ » إلى أن قالَ : « ثُـمَّ يُنفَخُ في الصورِ فَلا يسـمَعُ أحدٌ إلا أصغـى لِيتًا ورفعَ لِيتًا »[3] . واللِّيتُ: صفحةُ العنُقِ – أي : أمالَ عُنُقَه كمن يستمِعُ النِّداءَ مِن فوقُ ، قالَ : «وأوَّلُ مَن يسمعُه رجُلٌ يلوطُ حَوضَ إبلِه فيُصعَقُ ويُصعَقُ الناسُ»[4] .

(٣:٢٥٠).

(١) «سنن أبي داود» (٤٧٤٢) و«سنن الترمذي» (٢٤٣٠) و«مسند أحمد» (٦٥٠٧) .

(٢) «صحيح البخاري» (٦٥٠٦) .

(٣) «صحيح مسلم» (٢٩٤٠) .

(٤) «صحيح مسلم» (٢٩٤٠) .

التسلسُلُ الزمنيُّ الشرعيُّ الجامِعُ لِسَيرِ العلاماتِ والأماراتِ إلىٰ قِيامِ الساعةِ

- بِشاراتُ الكُتُبِ السماويةِ لِلأُممِ بِظُهورِ الرِّسالةِ الخاتمةِ .
- ميلادُه ﷺ وما برزَ فيه مِنَ العلاماتِ .
- نشأتُه ﷺ وما رافقَها مِنَ الآياتِ البيِّناتِ .
- بعثتُه ﷺ والمرحلة النبوية .
- وفاتُه ﷺ .
- مرحلةُ الخِلافةِ الراشِدةِ ثلاثون عامًا .
- مرحلةُ المُلكِ العضوضِ (الأمويةِ – العبَّاسيةِ)[1] .
- مرحلةُ الدوَيلاتِ.. التداعي .
- مرحلةُ الغُثاءِ والوهنِ ونزعُ المهابةِ .
- مرحلةُ الاستِتباعِ .
- الاستِعمارُ – الاستِثمارُ – الاستِهتارُ .
- العِلمانيةُ – العلمنةُ – العَولمةُ .
- مرحلـةُ الاسـتِنفارِ «يقظـةُ الشُّـعوبِ» مِـن نِهايـةِ الفِتنـةِ الرابعةِ إلى أواسـطِ المرحلةِ السُّفيانيةِ .
- مرحلةُ الاستِقرارِ «المهديَّةُ» .
- مرحلةُ الدَّجَّالِ «الدَّجَّاليةُ» .

---

(١) وتنقسـم المرحلـة بعمومها إلى أقسـام كما جاء الحديـث : «بدأ هذا الأمرُ بِنُبُـوَّةٍ ورَحمَةٍ ثُمَّ خلافَةٍ ورَحمَةٍ ، ثم مُلكاً عَضوضاً ، ثم عُتُوّاً وجَبريَّةً» . اهـ ص٣٦٤ «الإشاعة» .

- مرحلةُ عيسى بنِ مريمَ وهي المرحلةُ النِّهائيةِ بَينَ الشُّعوبِ ، ووحدةِ الأديانِ تحتَ هَيمنةِ الإسلامِ «المرحلةُ العيسويةُ» .
- مرحلةُ الاجتِياحِ «بدءُ الانهيارِ» «اليأجوجيةُ» .
- مرحلةُ الشِّركِ وعبادةِ الأصنامِ «اللادِيانةُ» .
- تتابُـعُ الآياتِ والعلاماتِ «مرحلةُ اليأسِ من قَبولِ التَّوبةِ» «الدابةُ ، الدُخانُ ، الريحُ القابِضةُ ، طُلوعُ الشمسِ مِن مغرِبِها»[1] .
- نِهايةُ الكونِ الإنسانيِّ «النفخُ في الصورِ» .

(١) «المعجم الأوسـط» للطبراني (٤٢٧١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : «**خروج الآيـات بعضهـا على أثر بعض ، يتابعن كمـا تتابع الخرز في النظـام**» ، وروى الإمام أحمد (٧٠٤٠) عـن عبـد اللـه بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قـال : قال رسـول الله ﷺ : «**الآيـات خرزات منظومات في سلك فان يقطع السلك يتبع بعضها البعض**» .

خاتمةُ الأُسسِ والمُنطلقاتِ

تـم كِتابُ الأُسُـسِ والمُنطلقاتِ بِحمدِ الله تعالى .. وقـد بذلتُ قُصارى جهدي في وضعِ الفِكرةِ التي جمعتُها حولَ هذا الموضوعِ الشـائكِ المتشابِكِ حسبما تهيَّأ لـي جمعُه مِنَ الأحاديثِ الشـريفةِ ، ومـا كتبَه أهلُ العِلمِ ، وحاولـتُ أن أتجنبَ ما اسـتطعتُ ما كانَ حديثًا موضوعًا أو شـديدَ الضعفِ[1] رغبةً في شُـمُولِ الاستِفادةِ مِنَ الكتابِ ، ومُسـاعِدًا لبعضِ القُرَّاءِ الذين ينصرِفون عنِ الاستِفادةِ مِنَ المواضيعِ المطروحةِ إلى مُناقشـةِ الجُزئياتِ ، التي تُناسِبُ مواقِفَهم الذاتيةَ ، فيشغلون الناسَ بالمُتناقِضاتِ ليفسُـدَ أثرَ الكِتـابِ وموضوعِه . ورُبَّما كانَ لهـمُ الحقُّ في الاهتِمامِ بالصحيحِ وتجنُّبِ ما دونَ ذلِكَ لِما في الصحيحِ مِن قُوةِ الاسـتِدلالِ ، ولكِن لَيسَ لهمُ الحقُّ في صرفِ القُرَّاءِ عن فائدةِ الموضوعِ وأثرِه المعرفيِّ في الحياةِ .

الاعتماد على النصوص الصحيحة والموثقة حسب الاستطاعة

وأتمنـى أن أجِـدَ المُلاحظـاتِ البنـاءةَ التي تعودُ علـى الجميعِ بِالفائـدةِ وخِدمةِ الفِكرةِ وتوسـيعِ دراسـتِها ، وخاصَّةً أنها بُنِيَت على اسـتِقراءِ حديثٍ صحيحٍ ، وهو حديـثُ جِبريـلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فـي وِحدتِـه الموضوعيـةِ ، ولا مجـالَ لِصـرفِ الموضوعِ لِلجُزئيـاتِ التي تشـغَلُ البعضَ حـولَ العلاماتِ وارتِباطِها بِـأركانِ الإيمانِ واليومِ الآخـرِ ، وأنَّ السـاعةَ لا أركانَ لهـا في علـمِ الأُصولِ ، وهاأنذا قـد فصَّلتُ في هذا الكتابِ أركانَ العِلمِ بِعلاماتِ السـاعةِ ، وربطتُ بَينَهـا وبَينَ واقعِ الحركةِ الحياتيةِ حسبما تهيَّأَ لي معرفةُ ذلِكَ.. تحتَ ما عُرِفَ «بِفقهِ التحوُّلاتِ» .

الملاحظات البناءة ودورها في إغناء الموضوع

فـإن كانَ مـا وضعتُه هنا أقربُ إلى الصـوابِ فأحمدُ اللّهَ على ذلِكَ ، وأسـألُه أن

---

(١) إلا ما اضطُرِرْتُ إليه كشاهدٍ معلولٍ لم أَقِفْ على غيره .

يقيِّـضَ مِن أهلِ العِلمِ من يعتني بِالفِكرةِ ويوسِّـعُ خِدمتَها رجـاءَ ثوابِ اللَّهِ وخدمة لعالمية القرآن والسنة .

وإن كانَتِ الفِكرةُ مُجرَّدَ نَزوةٍ ذاتيةٍ ؛ فأسـألُ اللَّهَ أن يغفِرَ لي خطأي وتجاوُزي ، وأن ينفعني بما سبقَ مِن خِدمةِ العُلماءِ لِلعِلمِ .

ولسـتُ بِمُلزِمٍ أحَدًا بِما قُلتُه وما دوّنتُه إلزامًا ، إنَّما هي أفكارٌ مُسـنَدَةٌ إلى أُصولِهَا الشّرعيَّةِ ، فمنِ استحسنَهَا فالفائدةُ لِلجميعِ ، ومنِ استهجنَهَا فليّتقِ اللَّهَ ، ولْيَرْفِقْ في الأمرِ مِن كُلِّ وجوهِه ، فعَسَىٰ وعَسَىٰ.

واللَّهُ مِن وراءِ القصدِ وهو حَسبِي ونعمَ الوكيلُ

قاموسُ الألفاظِ والتعريفاتِ المُستجدَّةِ في فِقهِ التحوُّلاتِ

فِقهُ التحوُّلاتِ ما يجري مِن سُننِ التغيراتِ والحوادِثِ في المراحِلِ المُتقلِّبةِ في الأزمنةِ .

الخُلفاءُ الراشدون الوُرَّاثُ الشرعيون لِلثلاثةِ الثوابتِ ، والقائمون على تطبيقِها وأداءِ أماناتِها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ [الأنعام: ٨٩] . عبرَ الزمانِ ، وليس مُختصًا بالخلافةِ الراشِدةِ .

سُنةُ الدلالةِ تفسيرٌ لِلرمزِ النصيِّ في فعلٍ أو تركٍ لم يندرِجْ تحتَ الأُصولِ الشرعيةِ المُقررةِ لدى العُلماءِ مِنَ استِنباطِ السُّننِ القَوليةِ والفِعليةِ والتقريريةِ .

التشريكُ إلصاقُ تُهمةِ الشِّركِ المُخرِجِ عنِ المِلةِ بِالمُسلِمِ ، وتنزيلُ الآياتِ التي أُنزِلَت في المُشركين على المُسلِمين .

التبديعُ إلصاقُ تُهمةِ البدعةِ المُضِلَّةِ على مَن له وجهٌ شرعيٌّ مِنَ السُّنةِ .

الاستِشراقُ عُلماءُ ومدارسُ العالمِ الغربيِّ والشرقيِّ المُشتغِلون بِعُلومِ الشرقِ الإسلاميِّ وتعليلِ وتحليلِ أفكارِه ووظائفِه سلبًا وإيجابًا .

الغُثاءُ مرحلةُ الوهنِ والتداعي الوارِدةُ في حديثِ «يُوشِكُ أن تداعى علَيكمُ الأممُ ... » إلخ .

تِركةُ الرجُلِ المريضِ خريطةُ العالمِ الإسلاميِّ في أيامِ ضعفِ الخِلافةِ العُثمانيةِ.

الوهنُ حبُّ الدُّنيا وكراهيةُ المَوتِ .

الإفراطُ الشديدُ الممقوتُ في حُبِّ الأولياءِ أو آلِ البيتِ .

التفريطُ المُتساهِلُ في الأخذِ بِحقائقِ الخُصوصياتِ وإنكارِ الانفعالاتِ المُثبتةِ.

سُنَنُ المواقِفِ سُلوكُ وتصرُّفاتُ المتبوعِ الأعظمِ ﷺ فيما يُعامِلُ بِه الموافِقَ

والمُعارِضَ مِن سعةِ الأخلاقِ وعدمِ الأخذِ بِالجرايرِ .

سنةُ الخُلفاءِ ما اجتهدوا فيه مِنَ اتِّخاذِ المواقِفِ بعدَ النظرِ في السُّـنَنِ الوارِدةِ بِما تقتضيه المصلحةُ العامَّةُ مِن غَيرِ تحيُّزٍ ولا غمطٍ لأحدٍ .

الرُّشدُ تسلسُلُ فِقهِ الدعوةِ بِشرطِه .

الاهتِداءُ تسلسلُ سندِ الفِقهِ الداعي بِشُروطِه .

الشريعةُ مواقِـفُ دعويـةٌ لِـذاتٍ مُطهـرةٍ معصومـةٍ وانعِكاسـاتٌ شـرعيةٌ لِوحيٍ ربانيٍّ.

سُنةُ الدِّلالةِ ضابِطٌ شرعيٌّ يُحدِّدُ فِعلَ الشيءِ أو تركَه استِقراءً لِنصٍّ قُرآنيٍّ أو نبويٍّ لم يندرِجْ تحتَ ضوابِطِ عِلمِ الأُصولِ .

النبوةُ الأخلاقُ والأسانيدُ المُتصِلةُ .

فِقهُ الدعوةِ الكتابُ والسُّنةُ .

فِقهُ الداعي هو النُّبوةُ، أي: الأخلاقِ النبويةِ .

الأصلَانِ ومُعادِلهما كِتابُ اللَّهِ وسُنةُ نبيِّه ﷺ والأخلاقِ .

القواسِمُ المُشتركةُ أُسُس الدِّيانةِ المُتفقِ علَيها إجماعًا .

التحريشُ تسيسُ الخِلافِ ، والاختِلافُ لِلتفرقةِ .

عقيدةُ الشَّيطانِ الكُفرُ .

الغُثائيةُ مرحلـةُ التداعي والوهـنِ المنصوصِ علَيها بِحديـثِ : « أنتم يومئذٍ غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيلِ » .

الساعةُ جُـزءٌ مِـن أجـزاءِ الزمـانِ ، ويُعبرُ عنها بِالقيامـةِ لأنَّها آخِـرُ مراحِلِ الحياةِ الدُّنيويةِ وأوَّلُ المراحِلِ الأُخرويةِ .

الأشراطُ الظواهِرُ الكونيةُ المنصوصةُ في الأحاديثِ .

العلاماتُ السِّماتُ المُميزةُ لنماذجِ السُّلوكِ لِجماعةٍ أو مرحلةٍ أو أفرادٍ .

الأماراتُ الحديثُ المُطابِقُ لِما أخبرَ عنه ﷺ .

البِشاراتُ التنفُّساتُ المرحليةُ التي يُجري فِيها اللّهُ النُّصرةَ والتأييدَ لِلأخيارِ .

الفِتنُ الابتِلاءاتُ العامَّةُ التي تُصيبُ الفردَ أوِ الأُمَّةَ .

مُضِلاتُ الفِتَنِ الابتِلاءاتُ المُخرِجةُ عن جادَّةِ الطريقِ إلى المُخالفةِ والانحِرافِ.

الثوابِتُ هي الأُسُسُ التي يقومُ علَيها الدينُ والعِلاقاتُ الشرعيةُ .

المُتغيِّراتُ هي الأحوالُ المُتنوِّعةُ بِالأسبابِ المنصوصةِ .

أن تلِدَ الأمةُ ربَّتَها الأمةُ اسمٌ يُطلَقُ على كُلِّ امرأةٍ ، و(الرَّبَّةُ) هي سيدتُها ومالِكةُ قرارِها .

الثقافةُ الغازيةُ مادةُ الفِكرِ الأجنبيِّ المُخالِفِ لِلمشروعيَّةِ الدينيةِ .

الثقافةُ المُتحوِّلةُ خليطُ الفِكرِ والعِلمِ الأجنبيِّ الداخِلِ على عُقولِ المُسلِمين برغبتِهِم وتحوُّلِ مفاهيمِهِم .

الحضارةُ المادِّيَّةُ تجرِبةُ الشُّعوبِ المُلحِدةِ والكافِرةِ في بناءِ الحياةِ بعيدًا عنِ الدينِ .

الحُفاةُ الذينَ لا نِعالَ لهم .

العُراةُ الذين لا يلبَسون مِنَ الثيابِ إلَّا ما يستُرُ العورةَ .

رِعاءُ الشاءِ يشتغِلون بِرعيِ الأغنامِ .

يتطاولون يتنافسون .

في البُنيانِ في إعمارِ المنازِلِ والأبراجِ .

الدُّهَيماءُ مرحلةٌ مِن مراحِلِ الغُثاءِ صار فِيها العوامُّ هم الأسياد، والتحوت خِلالَ مرحلةِ الصِّراعِ ما بَينَ الرأسماليةِ والشُّيوعيةُ فيما سُمِّيَ بِالحربِ البارِدةِ .

السَّرَّاءُ مرحلةٌ مِن مراحِلِ الغُثاءِ يتمُّ فِيها التآمُرُ المُشتركُ بَينَ الكُفَّارُ وسلاطين ورؤساءِ قبائلِ البِلادِ العربيةِ .

الأحلاسُ مرحلةٌ مِن مراحِلِ الغُثاءِ يبدأُ فِيها العملُ المُبطَّنُ لِلسَيطرةِ على بِلادِ

المُسلِمين .

المثلثُ المدموجُ التربيةُ + التعليمُ + الدعوةُ إلى اللَّهِ

المُعادِلُ الرابعُ مبدأُ الاكتِفاءِ الذاتيِّ في الرزقِ .

أكلةُ القصعةِ الدُّولُ الاستِعماريةُ المُتآمِرةُ .

عِلمُ الخِدْماتِ الدِّراساتُ الحديثةُ ذاتُ العِلاقةِ بِالتطوُّرِ الحياتيِّ المُجرَّدِ .

الأبويةُ الشرعيةُ منهجُ الأنبياءِ والرسُلِ ومَن سارَ على منهجِهم مِن عُلماءِ الديانةِ.

الأنويةُ الوضعيةُ منهجُ العقلانيةِ المادِّيِّ الوضعيِّ .

المدرسةُ الأبويةُ مدرسةُ النُّبوةِ المُسندةُ بِالسندِ الأبويِّ الشرعيِّ .

المدرسةُ الأنويةُ مدرسةُ الشَّيطانِ الإبليسيةُ القائمةُ على مبدأِ « أنا خيرٌ منه » .

الدَّجَّالُ المسيخُ الأعورُ الذي سيظهرُ في آخرِ الزمانِ .

الدجلُ الفِكرةُ والثقافةُ الكافِرةُ وما تفرَّعَ عنها مِنَ التسييسِ الفكريِّ والعقديِّ والسياسيِّ والاقتِصاديِّ والإعلاميِّ .

الدجاجِلةُ الوُكلاءُ والعُملاءُ والسماسِرةُ الذين يُمهِّدون العالمَ لِسياسةِ مرحلةِ الدَّجَّال .

النقضُ سياسةُ التبديعِ والتشريكِ ونقضِ المُبرمِ في العاداتِ والعِباداتِ الأبويةِ.

القبضُ قبضُ العِلمِ بِالمنهجِ المُسيَّسِ وقبضُ العُلماءِ بعزلِهم عن حركةِ الواقِعِ والتأثيرِ فيه .

العِلمانيةُ مرحلةُ نزعِ القرارِ الإسلاميِّ بِسقوطِ الخِلافةِ .

العلمنةُ تأثُّرُ المُسلِمين بِالأحكامِ الغربيةِ ، وتبنيها في المجتمعِ العربيِّ والإسلاميِّ.

العَولمةُ مرحلةُ الاحتِواءِ السياسيِّ والاقتِصاديِّ تحتَ نِظامِ القُطبِ الواحِدِ .

العالميةُ الدعوةُ الإسلاميةُ ذاتُ الثوابِتِ المُستقِرةِ عبرَ التاريخِ .

الفقرُ المُنسي تفعيلُ الصِّراعِ الاقتِصاديِّ في المُجتمعاتِ الهالِكةِ بالاقتِصادِ الرِّبويِّ .

الغنى المُطغي نهبُ الثرواتِ، والتوسُّعُ السياسيُّ بِالحُروبِ، وطغيان رأس المال، وصرفِ الأموالِ الطائلةِ في الإستِثماراتِ ذاتِ الطابِعِ الاستِهلاكيِّ المُجردِ الذي لا يخدمُ الإنسانيةَ.

المرضُ المُفسدُ الذي لا علاجَ له ، سواءٌ كانَ مِنَ الأمراضِ الحسيةِ أو المعنويةِ.

الموتُ المُجهِزُ الموتُ الجماعيُّ في الحُروبِ والتفجيراتِ .

المدرسةُ الحرقوصيةُ مدرسةُ الخوارِجِ «أتباعُ حرقوصِ بنِ زُهيرٍ» .

المدرسةُ السلوليةُ مدرسةُ النِّفاقِ .

المدرسةُ المُسَيلِميةُ مدرسةُ مُسَيلِمةَ الكذَّابِ .

المدرسةُ الوثنيةُ مدرسةُ الجاهِليةُ مِنَ العربِ .

المدرسةُ العِبريةُ مدرسةُ اليهودِ المُنحرِفةُ .

المدرسةُ الصليبيةُ مدرسةُ النصارى المُنحرِفةُ

قِراءةُ التاريخِ الشرعيِّ القِراءةُ الجامِعةُ بَينَ الدِّيانةِ والتاريخ .

قِراءةُ التاريخِ الوضعيِّ القِراءةُ التاريخيةُ المُجرَّدةُ عنِ الأديانِ أوِ المحرقةُ له .

العقلانيةُ تأكيدُ العقلِ والقوانين ورفضُ الغَيبياتِ .

الحصانةُ الشرعيةُ التوثيقُ القُرآنيُّ أو النبويُّ لِمرحلةٍ أو ذاتٍ أو جماعةٍ .

الخُلفاءُ مُسمَّى لِكافَّةِ الوارثين قرارَ العِلمِ بالأخلاقِ والسندِ المُتصِلِ .

الحُلفاءُ مسمَّى لِكافَّةِ المدارسِ والأفرادِ ذاتِ الارتِباطِ بِالتسييسِ الدَّجَّاليِّ والمُنفِّذِين له .

الوسطيةُ الشرعيةُ الدعوةُ إلى اللّهِ بِالحِكمةِ والموعِظةِ الحسنةِ على سُنَّةِ الورَّاثُ الحامِلين صفةَ النمطِ الأَوسطِ .

الاعتِدالُ الواعي الَّذِين يقيمون سُنَّةَ التوازُنِ الفكريِّ والاجتِماعي بَينَ الرعايا .

الأصولُ النصيةُ أصولُ الديانةِ الأربعةِ : الإسلامُ ، والإيمانُ ، والإحسانُ ، والعِلمُ بِعلاماتِ الساعةِ .

النمطُ الأوسطُ حملةُ منهجِ الأخلاقِ النبويةِ والأسانيدِ الأبويةِ .

التكليفاتُ الشرعيةُ أحكامُ الشريعةِ المُنزلِ بها على رسولِ اللَّهِ ﷺ .

عِلمُ الأصولِ العِلمُ الشرعيُّ المُقيدُ بضوابِطِ العُلماءِ في عصرِ التدوين .

التسلسُلُ الشرعيُّ هو انتِقالُ العِلمِ والدعوةِ إلى اللَّهِ بالإجازةِ وحُسنِ التلقي .

أمةُ الإجابةِ كُلُّ مَن قالَ : لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، مُحمَّدٌ رسولُ اللَّهِ .

أمةُ الدعوةِ كُلُّ مَن أدركَ مرحلةَ الإسلامِ وعلِمَ بها مِن الأُممِ .

الساعةُ نِهايةُ الكونِ بِالنفخِ في الصُّورِ .

علاماتُ الساعةِ مُجملُ الأشراطِ مِن مرحلةِ الرِّسالةِ إلى قيامِ الساعةِ .

العلاماتُ جمعُ علامةٍ ، وهي الظاهِرةُ الدالةُ على مُطابقةِ الخبرِ النبويِّ بِمُجرياتِ الحياةِ .

الأمارةُ جمعُ أمرٍ ، وهي حصولُ أمرٍ مُعيَّنٍ سبقَتِ الإشارةِ إلَيه في أحاديثِ المُصطفى ﷺ .

الأشراطُ جمعُ شرطٍ ، وهي الظاهِرةُ الكونيةُ المُخالِفةُ لِلمألوفِ ، كما أشارَت إلَيه أحاديثُ أشراطِ الساعةِ .

الفِتنُ المُضِلةُ وهي الفواجِعُ والحوادِثُ المُوقعةُ في الانحِرافِ .

الهرجُ كثرةُ القتلِ خاصَّةً بَينَ المُسلِمين .

المرجُ فُضولُ الكلامِ وكثرةُ وسائلِه .

الملاحِمُ القِتالُ الشديدُ والحُروبُ بَينَ المُسلِمين والكُفارِ .

الإشاراتُ المُلاحظةُ المُهِمَّةُ التي أخبرَ النبيُّ ﷺ عن وُقوعِها في مُستقبلِ الزمانِ.

الدَّولةُ العليَّةُ اسمٌ آخرُ يُطلَقُ على دَولةِ القرارِ الإسلاميِّ الدَّولةِ العُثمانيةِ ، وتُسمَّى أيضًا في كُتُبَ التاريخِ بِدولةِ البابِ العالي .

يهودُ الدونمةِ مجموعـةٌ مِـن يهودِ تُركيا دخلوا الإسـلامَ لِلنَّيلِ منـه ، وارتقَوا في مناصبَ شتَّى عبرَ جمعيةِ تُركيا الفتاةِ ، حتَّى وصلوا آخِرَ المطافِ إلى قيادةِ الجيشِ والحُكـمِ ، ودبروا إسـقاطَ الخليفةِ عبدِالحميـدِ الثاني ، وكانَ لهم دَورُ الإشـرافِ على تحطيمِ قوةِ الدَّولةِ العُثمانيةِ وإغراقِها في الحربِ والديونِ والصِّراعِ المعروفِ بِالتتريكِ ؛ مِمَّا أدى إلى قيامِ الثَّورةِ العربيةِ الكُبرى .

الاستِعمارُ مرحلـةُ امتِـدادِ الـدولِ الأُوروبيـةِ في البِـلادِ العربيةِ والإسـلاميةِ أثناءَ الحربين العالميتَين الأولى والثانيةِ وما بعدَهما .

الاستِهتارُ بدءُ هيمنةِ الدُّولِ الشُّـيوعيةِ في العالَمين العربيِّ والإسـلاميِّ ، وشـطرُ العالمِ إلى قُوتَين : رأسِماليةٌ وشيوعيةٌ .

الاستِثمارُ سقوطُ مرحلةِ الحربِ الباردةِ بَينَ الرأسِماليةِ والشُّيوعيةِ ، وبدءُ مرحلةِ العَولمةِ ، وسيادةُ النِّظامِ العالميِّ المُوحَّدِ .

الخِلافةُ المدونمةُ هي مرحلةُ سُـقوطِ الخليفةِ عبدِالحميدِ الثاني ثُمَّ تُسـلَّطُ يهودُ الدونمةِ ومن سـارَ في ركبِهم سياسـيًّا على قرارِ الدَّولةِ الإسـلاميةِ فـي تُركيا حتَّى نِهايـةِ الخِلافةِ بِإعلانِ الدَّولةِ العِلمانيةِ ، وتولى فيها الحكم الظاهري ثلاثة خلفاء. ودامَت عشر سنواتٍ بَينَ عامَي (١٩٠٩م- ١٩١٩م) . ثم ٥ سنوات رضخت فيها تركيا لحكم عساكر الحلفاء بقيادة بريطانيا (١٩١٩م- ١٩٢٤م).

العهدُ الحميديُّ عهدُ السُّلطانِ عبدِالحميدِ الثاني .

الفوضى الخلَّاقةُ اصطِـلاحٌ مُعاصِـرٌ اسـتخدمَته القُوى العالميـةُ لتفعيلِ الصِّراعِ الداخِلـيِّ بَيـنَ الأنظِمةِ والدُّولِ بما يسـمحُ لها بالتدخُّلِ المُباشـرِ والصيدِ في الماءِ العكِرِ ضمن الشُّعوبِ .

السنة الرحمانية

فهرس المصادر والمراجع

١ . القرآن الكريم

٢ . إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، حمود بن عبد الله التويجري (ت: ١٤١٣هـ) ، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية الطبعة : الثانية ، ١٤١٤ هـ

٣ . أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (ت: ٢٧٢هـ) ، تحقيق د. عبد الملك عبد الله دهيش ، دار خضر – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤١٤هـ

٤ . أركان الدين الأربعة ، لأبي بكر العدني ابن علي المشهور تحت الطبع

٥ . الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الجيل، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ

٦ . أسد الغابة في معرفة الصحابة ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدين ابن الأثير (ت:٦٣٠هـ) ، تحقيق علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى ١٤١٥هـ

٧ . الإشاعة في أشراط الساعة ، للبرزنجي .

٨ . أشراط الساعة ، يوسف بن عبدالله الوابل .

٩. الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي ، ماليز روثفن

١٠. أطلس الفتوحات الإسلامية ، أحمد عادل كمال

١١. أطلس تاريخ العرب والإسلام ، سيف الدين الكاتب

١٢. البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ، تحقيق علي شيري ، دار إحياء التراث العربي الطبعة: الأولى ١٤٠٨، هـ

١٣. بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، أبو محمد الحارث بن محمد المعروف بابن أبي أسامة (ت: ٢٨٢هـ) المنتقي : أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان بن أبي بكر الهيثمي (ت: ٨٠٧ هـ) . ، تحقيق د. حسين أحمد صالح الباكري ، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية – المدينة المنورة الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ

١٤. التاريخ الكبير ، محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) الطبعة: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد

١٥. تاريخ المدينة لابن شبة ، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ريطة النميري البصري، أبو زيد (ت: ٢٦٢هـ) تحقيق: فهيم محمد شلتوت عام النشر: ١٣٩٩ هـ

١٦. تاريخ دمشق ، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت: ٥٧١هـ) ، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع عام النشر: ١٤١٥ هـ

١٧. تحقيق مواقف الصحابة مجلدان » ، د/ محمد أمحزون

١٨. التذكـرة بأحوال الموتى وأمور الآخـرة ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق ودراسـة : د : الصـادق بن محمد بن إبراهيم ، مكتبـة دار المنهاج الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ

١٩. تعجيـل المنفعـة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ، أبـو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) ، تحقيق د. إكرام الله إمداد الحق ، دار البشائر ـ بيروت الطبعة: الأولى ـ ١٩٩٦م

٢٠. تفسـير ابـن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بـن محمد ، ابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) ، تحقيق أسعد محمد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية الطبعة : الثالثة – ١٤١٩ هـ

٢١. تفسـير ابـن كثيـر ، أبو الفـداء إسـماعيل بن عمر بـن كثير القرشـي (ت: ٧٧٤هـــ) ، تحقيق محمد حسـين شـمس الديـن ، دار الكتب العلمية، منشـورات محمد علي بيضون – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـ

٢٢. تفسير البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي (ت : ٧٤٥هـ) ، تحقيق صدقي محمـد جميـل ، دار الفكـر – بيروت الطبعة: ١٤٢٠ هـ تحقيـق : أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر : دار الكتب المصرية الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

٢٣. تفسـير البغوي ، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت : ٥١٠هـــ) تحقيق : عبد الرزاق المهـدي ، دار إحياء التراث العربي –بيروت

ط : الأولى ، ١٤٢٠ هـ

٢٤. تفسير البيضاوي ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) ، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة : الأولى – ١٤١٨ هـ

٢٥. تفسير القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت : ٦٧١هـ)الدر المنثور ، جلال الدين السيوطي (ت : ٩١١هـ) ، دار الفكر – بيروت

٢٦. التفسير من سنن سعيد بن منصور – محققا ، أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (ت: ٢٢٧هـ) دراسة وتحقيق : د سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد ، دار الصميعي الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م

٢٧. تلخيص كتاب الموضوعات لابن الجوزي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد ، مكتبة الرشد – الرياض الطبعة : الأولى ، ١٤١٩ هـ

٢٨. التليد والطارف شرح منظومة فقه التحولات وسنة المواقف السيد أبو بكر العدني ابن علي المشهور الناشر : مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث الطبعة : الثالثة ١٤٢٧هـ

٢٩. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (ت: ٧٤٢هـ) ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٠هـ

٣٠. جامع الأحاديث (ويشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير للنبهانى) جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ) ضبط نصوصه وخرج أحاديثه : فريق من الباحثين بإشراف د على جمعة (مفتي الديار المصرية)

٣١. جامع الأصول في أحاديث الرسول : مجد الدين أبو السعادات الشيباني الجزري ابن الأثير (ت : ٦٠٦هـ) تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط – التتمة تحقيق بشير عيون الناشر : مكتبة الحلواني – مطبعة الملاح – مكتبة دار البيان الطبعة : الأولى

٣٢. الجزيرة العربية نجد والحجاز » في الوثائق البريطانية ، نجدة فتحي صفوة

٣٣. جمهرة اللغة ، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ) ، تحقيق رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين – بيروت الطبعة : الأولى ، ١٩٨٧م

٣٤. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) ، السعادة – ١٣٩٤هـ

٣٥. در السحابة ، للشوكاني .

٣٦. الدعاء للطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ

٣٧. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، أحمد بن الحسين بن علي

بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ

٣٨. الدولة العثمانية ، عوامل النهوض وأسباب السقوط لعلي محمد الهلابي

٣٩. الزهد الكبير ، أحمد بن الحسين ، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت الطبعة : الثالثة ، ١٩٩٦ م

٤٠. سبل الهدى والرشاد ، في سيرة خير العباد ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ) تحقيق وتعليق : الشيخ عادل أحمد عبدالموجود، الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة : الأولى ، ١٤١٤ هـ

٤١. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ، مكتبة المعارف ، الرياض الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)

٤٢. السنة ، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت: ٢٨٧هـ) ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤٠٠هـ

٤٣. سنن ابن ماجه ، ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ، (ت: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي

٤٤. سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ) ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة

العصرية ، صيدا – بيروت

٤٥. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى ، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ) تحقيق وتعليق : أحمد محمد شاكر ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، شركة مصطفى البابي الطبعة : الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م

٤٦. سنن الدارمي ، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي ، التميمي السمرقندي (ت: ٢٥٥هـ) تحقيق : حسين سليم أسد الداراني ، دار المغني الطبعة الأولى : ١٤١٢ هـ

٤٧. السنن الصغير للبيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي دار النشر: جامعة الدراسات الإسلامية ، كراتشي الطبعة : الأولى ، ١٤١٠هـ

٤٨. السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني ، النسائي (ت: ٣٠٣هـ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م

٤٩. السنن الكبرى ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني ، النسائي (ت: ٣٠٣هـ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى ، ١٤٢١ هـ

٥٠. السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني ، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنات الطبعة : الثالثة ، ١٤٢٤هـ

٥١. السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها ، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت: ٤٤٤هـ) ، تحقيق د. رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري ، دار العاصمة – الرياض الطبعة : الأولى ، ١٤١٦هـ

٥٢. السيد محمد طاهر الدباغ ، د. محمد الجوادي

٥٣. سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) ، دار الحديث– القاهرة الطبعة: ١٤٢٧هـ

٥٤. السيرة النبوية لابن هشام ، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري (ت: ٢١٣هـ) تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مصطفى البابي الحلبي الطبعة : الثانية ، ١٣٧٥هـ

٥٥. شرف أصحاب الحديث ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت: ٤٦٣هـ) ، تحقيق د. محمد سعيد خطي أوغلي ، دار إحياء السنة النبوية – أنقرة

٥٦. الشريعة ، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ، دار الوطن ، الرياض الطبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ

٥٧. الشريف حسين بن علي والخلافة لنضال داود المومني

٥٨. شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ) حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه : الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشد الطبعة : الأولى ، ١٤٢٣ هـ

٥٩. صحيـح ابـن حبان ، أبـو حاتم محمد بـن حبان بن أحمد بـن حبان (ت: ٣٥٤هــ) ترتيـب: الأميـر علاء الديـن الفارسـي (ت: ٧٣٩ هـ) ، تحقيق شـعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٦٠. صحيـح ابـن خزيمة ، أبـو بكر محمد بن إسـحاق بن خزيمة بـن المغيرة بن صالح بن بكر السـلمي النيسـابوري (ت: ٣١١هـ) ، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي - بيروت

٦١. صحيـح البخاري ، محمد بن إسـماعيل أبـو عبد الله البخـاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة الطبعة : الأولى ، ١٤٢٢هـ

٦٢. صحيـح الجامع الصغير وزياداته ، أبو عبـد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم ، الأشقودري الألباني (ت: ١٤٢٠هـ) ، المكتب الإسلامي

٦٣. صحيح مسـلم ، مسـلم بن الحجاج (ت: ٢٦١هــ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت

٦٤. صفوة التفاسير ، محمد علي الصابوني ، دار الصابوني- القاهرة الطبعة : الأولى ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٦٥. الطبقات الكبرى ، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سـعد (ت: ٢٣٠هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٠ هـ

٦٦. الطرف الأحور في تاريخ مخلاف أحور ، الجزء الأول ، لأبي بكر العدني ابن علي المشهور ، مركزر الإبداع الثقافي - عدن ، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ

٦٧. العراق في أحاديث وآثار الفتن ، أبو عبيدة مشـهور بن حسـن بن محمود آل سلمان ، مكتبة الفرقان ، الأمارات – دبي الطبعة : الأولى، ١٤٢٥ هـ

٦٨. عمل اليوم والليلة ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسـائي (ت: ٣٠٣هــ) ، تحقيـق د. فـاروق حمادة ، مؤسسـة الرسـالة – بيروت الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ

٦٩. غريب الحديث ، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ) ، تحقيق د. محمد عبد المعيد خان ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن ، الطبعة : الأولى ، ١٣٨٤ هـ

٧٠. فتح الباري شـرح صحيح البخاري ، أبـو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسـقلاني الشـافعي ، دار المعرفة – بيروت ، ١٣٧٩رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه : محمـد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصححه وأشـرف علـى طبعه : محب الدين الخطيب عليه تعليقات العلامة : عبد العزيز بن عبد الله بن باز

٧١. الفتـن ، أبـو عبـد الله نعيم بـن حماد بـن معاوية بـن الحـارث الخزاعي المروزي (ت: ٢٢٨هـ) ، تحقيق سـمير أمين الزهيري ، مكتبة التوحيد – القاهرة الطبعة الأولى : ١٤١٢ هـ

٧٢. الفردوس بمأثور الخطاب ، أبو شـجاع الديلميّ الهمذاني (ت: ٥٠٩هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ

٧٣. فضائل الصحابة ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشـيباني (ت: ٢٤١هـ) ، تحقيق د. وصي الله محمد عباس ، مؤسسـة الرسالة –

بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣

٧٤. فضائل الصحابة ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) ، تحقيق د. وصي الله محمد عباس ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ

٧٥. فقه أشراط الساعة ، د. محمد أحمد إسماعيل المقدم

٧٦. فيض القدير شرح الجامع الصغير ، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: ١٠٣١هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة : الأولى ، ١٣٥٦

٧٧. كشف الأقنعة عن الوجوه الغثائية المقنعة ، لعبد الوهاب بن علي الحسيني ، ١٤١٥هـ

٧٨. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي الشهير بالمتقي الهندي (ت: ٩٧٥هـ) ، تحقيق بكري حياني – صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة الطبعة : الطبعة الخامسة ، ١٤٠١هـ

٧٩. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٨٠. لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية ، شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت: ١١٨٨هـ) ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق الطبعة: الثانية –

١٤٠٢ هـ

٨١. لورنس.. الحقيقة والأكذوبة ، صبحي العمري

٨٢. المؤامرة الكبرى على الإسلام ، علاء الدين المدرس

٨٣. المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني ، النسائي (ت: ٣٠٣هـ) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦

٨٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ) ، تحقيق حسام الدين القدسي ، مكتبة القدسي، القاهرة عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م

٨٥. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله ، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت: ١٤٢٠هـ) أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر

٨٦. المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ) تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ

٨٧. مسند أبي داود الطيالسي ، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (ت: ٢٠٤هـ) ، تحقيق الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي ، دار هجر – مصر الطبعة : الأولى ، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م

٨٨. مسند أبي يعلى ، أبو يعلى أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (ت: ٣٠٧هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد ، دار المأمون

للتراث – دمشق الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ هـ

٨٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت: ٢٤١هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد ، وآخرون ، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ، ١٤٢١ هـ

٩٠. مسند البزار ، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ) ، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد وصبري عبد الخالق الشافعي ، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة الطبعة: الأولى

٩١. مسند الشاميين ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٤

٩٢. مسند الشهاب ، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري (ت: ٤٥٤هـ) ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة: الثانية ، ١٤٠٧ هـ

٩٣. مصنف ابن أبي شيبة ، أبو بكر بن أبي شيبة (ت: ٢٣٥هـ) ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد – الرياض الطبعة : الأولى، ١٤٠٩هـ

٩٤. المصنف عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت: ٢١١هـ) ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة : الثانية ، ١٤٠٣

٩٥. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، أبو الفضل أحمد بن علي بن

محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ) ، تحقيق (١٧) رسالة علمية قدمت لجامعة الإمام محمد بن سعود تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري ، دار العاصمة، دار الغيث – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ

٩٦. معالم السنن ، وهو شرح سنن أبي داود ، أبو سليمان حمد بن محمد بن البستي المعروف بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ) ، المطبعة العلمية – حلب الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ

٩٧. المعجم الأوسط ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين – القاهرة

٩٨. المعجم الصغير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق محمد شكور محمود الحاج ، المكتب الإسلامي دار عمار – بيروت عمان الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ

٩٩. المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة : الثانية

١٠٠. المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: ٣٦٠هـ) ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة الطبعة: الثانية

١٠١. معرفة الصحابة ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت: ٤٣٠هـ) تحقيق : عادل بن يوسف العزازي ،

دار الوطن للنشر، الرياض الطبعة : الأولى ١٤١٩ هـ

١٠٢ . مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت

١٠٣ . المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ) ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب الطبعة: الأولى، ١٣٩٠هـ

١٠٤ . المنتخب من مسند عبد بن حميد ، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكَسّي ويقال له: الكَشّي بالفتح والإعجام (ت: ٢٤٩هـ) ، تحقيق صبحي البدري السامرائي\محمود محمد خليل ، مكتبة السنة – القاهرة الطبعة: الأولى، ١٤٠٨

١٠٥ . منهجية النمط الأوسط من سادة الصلح وبقية السيف وبراءتهما من الإفراط والتفريط المسيس ، لأبي بكر العدني ابن علي المشهور الطبعة الثانية ١٤٣٠هـ .

١٠٦ . الموافقات ، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) ، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن عفان الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ

١٠٧ . الموطأ ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت: ١٧٩هـ) ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي ، مؤسسة زايد بن سلطان الطبعة : الأولى ، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م

١٠٨ . ميـزان الاعتـدال في نقد الرجال ، شـمس الديـن أبو عبد اللـه محمد بن أحمـد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٣٨٢ هـ

١٠٩ . النهايـة في غريـب الحديث والأثر ، مجـد الدين أبو السـعادات المبارك بـن محمد بـن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشـيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هــ) ، المكتبـة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هــ – ١٩٧٩م تحقيق: طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي . سبل الهدى والرشاد ، الإمام الصالحي

فهرس الجزء الأول

فهرس الجزء الثاني

مُلحَقُ بِبعضِ الوثائقِ

نماذج من مؤامرة (فتنة السراء) المقررة في فقه علامات الساعة

نص رِسالةٍ ١/ ٥٢٣ :

برقيةٌ مِن وزارةِ الخارجيةِ إلى المندوبِ الساميِّ في القاهِرةِ

٢٥ آب/ أغسطس ١٩١٥ م

الرقم ٥٩٨ / عاجِل / برقيتُكم المُرقمةُ ٤٥٠

الردُّ المُقترحُ على شريفِ مكَّة تمَّ إقرارُه . وإذا ما وجدتُم ذلِكَ مُستصَوبًا ؛ فإنَّ لكم إضافةَ رِسالةٍ خاصَّةٍ بِالمعنى التالي :

«إنَّ حُكومةَ صاحِبِ الجلالةِ على استِعدادٍ لِلبحثِ في اتِّفاقٍ أَوليٍّ لِضمانِ استِقلالِ الشريفِ وحُقوقِه وامتيازاتِه إذا ما بعثَ الشريفُ بِنجلِه عبدِاللَّهِ أو بِمبعوثٍ مفوضٍ آخرَ إلى مِصرَ لِهذا الغرضِ . وفيما يتعلَّقُ بِالخِلافةِ ، فإنَّ الشريفَ إذا ما نُودِيَ بِه خليفةً بِالاتِّفاقِ معَ أبناءِ دينه ، فله أن يطمئنَّ إلى أنَّ حُكومةَ صاحِبِ الجلالةِ ستُرحِّبُ بِعودةِ الخِلافةِ إلى عربيٍّ صحيحِ النسبِ ، وكما جرى بيانُه من قبلُ في مُراسلاتِ اللوردِ كتشنرَ لشهرِ تِشرين الثاني/ نوفمبر الماضي» .

رِسالةٌ مِن مكماهونَ إلى الشريفِ حُسَينٍ

شوال ١٣٣٣هـ/ أغسطس ١٩١٥م بِتصرُّفٍ (١ : ٥٢٥) : وإنَّ مصالِحَ العربِ هي نفسُ مصالِحِ الإنكليزِ ، والعكسُ بِالعكسِ ، ولِهذه النسبةِ فنحن نؤكِّدُ لكم أقوالَ فخامةِ اللُّوردِ كتشنرَ التي وصلَت إلى سيادتِكم عن يدِ عليٍّ أفندي ، وهي التي كانَ مُوضحًا بها رغبتَنا في استِقلالِ بِلادِ العربِ وسُكانِها معَ استصوابِنا

لِلخِلافةِ العربيةِ عِند إعلانِها .

وإنَّـا نُصـرِّحُ هُنا مـرَّةً أُخرى أنَّ جلالـةَ مِلكِ بِريطانيـا العُظمى يُرحِّبُ بِاسـتردادِ الخِلافةِ إلى يدِ عربيٍّ صميمٍ مِن فُروع تِلكَ الدَّوحةِ النَّبوِيَّةِ المُباركةِ .

ومعَ ذلِكَ فإنَّنا على كامِلِ الاستِعدادِ لِأن نُرسِـلَ إلى سـاحة دَولةِ السيِّدِ الجليلِ ولِلبِـلادِ العربيةِ المُقدَّسـةِ والعـربِ الكِرامِ مِـنَ الحُبوبِ والصدقـاتِ المُقرَّرةِ مِنَ البِلادِ المصريةِ ، وسـتصِلُ بِمُجرَّدِ إشـارةٍ مِن سـيادتِكم وفي المكانِ الذي تُعيِّنونه . وقد عملِنا الترتيباتِ اللازِمةِ لِمُساعدةِ رسـولِكم في جميعِ سـفراتِه إلَينا ، ونحن على الدوامِ معَكم قلبًا وقالِبًا مُستنشِـقين رائحةَ مودَّتِكم الزكيةَّ ، ومستوثِقين بِعُرى محبَّتِكمُ الخالِصةِ ، سائلين اللَّهَ سُبحانَه وتعالى دوامَ حُسنِ العلائقِ بَينَنا .

رِسالةٌ مِنَ الشريفِ إلى مكماهونَ (١ : ٥٢٩)

والخلاصةُ يا حضرةَ الشهمِ المُبجَّلِ أنَّا على أكيدِ الإخلاصِ ، معترِفين بأرجحيةِ ولائكم رضيتُم عنَّا كما أُشير أم سخطتُم . نأبى أن نجعلَ في إشارتِكم في رقيمكم بـادئِ الذِّكـرِ بِأنَّه لا يزالُ بعضُ أقوامِنا ـ في أقصى درجاتِ الاستِرسـالِ في ترويجِ الطلـبِ العُثمانـيِّ ـ حُجَّـةً على آثـارِ الفُتورِ والتردُّدِ فـي رغائبِنا ، التي أنزه شـهامة أصالتِكـم علـى أن تقـولَ بِأنها لَيسَـت مِن قـوامِ حياتِنـا . لا بل هي حياتُنـا المادِّيةُ والمعنويةُ والأدبيةُ . لأنِّي إلى هذه الساعةِ قائمٌ بِذاتي وبِجميعِ حواسي في إنفاذِ ما كانَ مُوافِقًا لِلشـرعِ الإسـلاميِّ في بِلادي مِنَ الأوامِرِ ، وفي كافَّةِ ما له تعلُّقٌ بِه مِمَّا يكونُ عائدًا إلى باقي المملكةِ إلى أن يأتيَ اللَّهُ بِأمرٍ غَيرِ ذلِكَ .

رِسالةٌ مِنَ الجِنرالِ ماكسويلَ إلى اللُّوردِ كتشنرَ ص٥٥٩ في ١٦ تِشرين الأوَّل / أكتوبر ١٩١٥ :

إنَّنا في مُواجهةِ قضيةٍ كبيرةٍ تتعلَّقُ بِمُستقبلِ الإسلامِ ، وإذا استطعنا أن نحمِلَ الفرنسيين على إدراكِ هذه الحقيقةِ ، فإنهم قد يكونون أكثرَ مَيلًا إلى الموافقةِ على التسويةِ . وأشعُرُ بالتأكيدِ أنَّ أهميةَ الوقتِ بالِغةٌ جِدًّا ، وأنَّنا ما لم نُقدِّمْ لِلشَّريفِ حالًا مُقترحاتٍ محدَّدةً ومقبولةً ، فإنَّنا قد نجِدُ عالمًا إسلاميًّا قائمًا ضِدَّنا .

ومن رِسالةِ وزيرِ الخارجيةِ إلى السفيرِ البِريطاني بارسي ص٥٧٥ :

سمعتُ أنَّ المُمثِّلَ الفرنسيَّ بِالقاهرةِ على اتصالٍ بِالعربِ ، علَيكم أن تطلُبوا مِنَ الحُكومةِ الفرنسيةِ أن تُبقيَ الأمرَ في غايةِ السِّريةِ ، وأن تثنوا المُمثِّلَ الفرنسيَّ في القاهرةِ عنِ القيامِ بأيِّ نشاطٍ يتعلَّقُ بِهذا الأمرِ الدقيقِ جِدًّا ، وقد يحدُثُ ضررٌ كبيرٌ ، ويقعُ العربُ في أيدي الأتراكِ كُلِّيًّا ، بِنتيجةِ أيِّ إجراءٍ مُتسرِّعٍ ، وعلى أيِّ حالٍ فلا يجوزُ إبداءُ إشارةٍ إلى الخِلافةِ لِأنَّ العالمَ الإسلاميَّ كُلَّه سيستنكِرُ أيةَ مُبادرةٍ أو تدخُّلٍ مِن جانبِ دَولةٍ غَيرِ مُسلِمةٍ في هذا الأمرِ .

ومِن نصِّ برقيةِ وزارةِ الخارجيةِ إلى المندوبِ السامي في مِصرَ ص٦٠١ وفِيها:

لكن معلوماتي أنَّ الشريفَ شخصٌ لا قيمةَ له ، ولا قُوةَ له لِتنفيذِ مُقترحاتِه ، وأنَّ العربَ لا وحدةَ لهم ولا احتِمالَ لاتِّحادِهم ، ولا أعتقِدُ بِحقيقةِ الثَّورةِ العربيةِ المُقترحةِ في الجَيشِ وغَيرِه ، ولا بِجدواها .

ثُمَّ أضافَ : إنَّ الفقرةَ التي تضعُ كُلَّ بِلادِ العربِ تحتَ الِحمايةِ البِريطانيةِ سوفَ تُرهِقُنا بِمسئولياتٍ مُربكةٍ وغَيرِ واضِحةٍ ، وتُدمِّرُ احتِمالَ عقدِ اتِّفاقٍ معَ فرنسا لِما نريدُ عقدَه ، لكنْ موقِعُنا الخاصُّ ومصالِحُنا في العراقِ تجِبُ المُحافظةُ علَيها على قدرِ الإمكانِ بعدَ تعهُّداتِ مكماهونَ . ص٢٠٦

نصُّ رِسالةِ السيِّدِ عليٍّ الميرغنيِّ إلى الشريفِ حُسَينٍ ص٦٠٥ ، وهو زعيمٌ سياسيٌّ ودينيٌّ كبيرٌ مِن أشرافِ السُّودانِ ، واستغلَّ الإنكليزُ معرِفتَه بِالشريفِ قبلَ الحربِ ، وكانَ الميرغنيُّ يكتُبُ رسائلَه إلى الشريفِ بِاطِّلاعِ الإنكليزِ وإيحاءٍ مِنهم:

« كِتابٌ »

مِنَ السيِّدِ عليٍّ الميرغنيِّ إلى الشريفِ حُسَينٍ

الخرطوم ١٧/ ١١/ ١٩١٥ م

بِريطانيا العُظمى عقدَتِ العزمَ أن تُساعِدَ العربَ على استِعادةِ حُكمِهمُ المُغتصبِ وسُلطانِهم وعلى استِردادِ استِقلالِهم المفقودِ ، لقد أضاعَ العربُ هذا مُنذُ عِدَّةِ قُرونٍ بِسببِ عسفِ الأتراكِ ومساوئِ حُكمِهم ، وها قد سنحَتِ الفُرصةُ الآنَ لاستِعادةِ كُلِّ ما ضاعَ ، إنَّني فقط أُقرِّرُ حقائقَ يعرِفُها العربُ أنفُسَهم أكثر منِّي . والوقتُ الراهِنُ هو أنسبُ الأوقاتِ لِلعربِ كي يطرحُوا عن أعناقِهم النِّيرَ الثقيلَ لِلحُكمِ التُّركيِّ ، وكي يُحقِّقُوا أمانيهمُ القوميةَ ومطامِحَهمُ الاستقلاليةَ ، ويُجدِّدوا أمجادَ أسلافِهمُ العظماءِ . ولَيسَ علَيهمُ الآنَ إلَّا أن يغتنِموا الفُرصةَ السانِحةَ في هذا الظرفِ المُلائمِ جِدًّا ، ويثوروا كما يثورُ العربيُّ حقًّا ، ويهتبلوا الفُرصةَ التي تُتاحُ لهم بعدَ مُضيِّ هذه القُرونِ العديدةِ ، وكيفَ يُمكِنُ لِلعربِ أن يثوروا إذا لم يحركْهم ويتولَّى قيادتَهمُ الرجُلُ المُناسِبُ ، المُتحدِّرُ مِن أشرفِ وأنسبِ سُلالةٍ مُقدسةٍ مِن قُرَيشٍ ، الذي يستطيعون أن يجتمِعوا تحتَ رايتِه ويستردُّوا حُقوقَهمُ المغصوبةَ .

إنَّه لأمرٌ صحيحٌ أنَّ بِريطانيا العُظمى بِالتعاوُنِ معَ حُلفائها الكِبارِ ، ترغبُ في قيامِ حُكومـةٍ عربيةٍ قُرشـيةٍ ، وأن تحلَّ محلَ هذا العرشِ التُّركـيِّ المُتداعي الذي طفحَ كيلُ مظالِمِه وعسفِه ، وهم يرغبون أن تنهضَ هذه الحُكومةُ القُرشيةُ وتؤسَّسُ مِثلما كانَـت قبلَ عِدةِ قُرونٍ ، وأن تسـيرَ يدًا بيدٍ معَ الحضـارةِ الحديثةِ ، وتنهضُ بِالعربِ الكِـرامِ إلـى قِمةِ الرُّقـيِّ والرخاءِ . وإنَّ بِريطانيـا العُظمى على اسـتِعدادٍ لِأن تكونَ أصـدقَ الأصدقاءِ لِلعـربِ ، ولِأن تُعاضِدَهـم في جميعِ الأحـوالِ . وعلى العربِ أيضًا أن يسـتفيقوا ويأخـذوا المُبادرةَ فيبرهِنوا بِذلِكَ لِلعالـمِ أجمعَ أن الدمَّ العربيَّ الشريفَ ورُوحَ الحُريةِ وحُبَّ الاستِقلالِ ما تزالُ تجري في عُروقِهم .

والآنَ فـإنَّ بِريطانيـا العُظمـى على اسـتِعدادٍ لِأنْ تفعلَ أكثرَ بِكثيرٍ مِـن هذا . إنَّها تُحـاوِلُ أن تمُـدَّ يدَ العَونِ والمسـاعدةِ إلى أعظمِ زعيمٍ عربـيٍّ ، مِن أجلِ الحُصولِ علـى الاسـتِقلالِ التامِّ ولِنزعِ النِّيرِ الثقيلِ لِلحُكمِ العُثمانـيِّ ، حتَّى تُنقذَ بِذلِكَ الأُمَّةُ العربيـةُ الكريمـةُ مِن مخالِـبِ الظالمين وأنيـابِ اللِّصِّ الألمانيِّ المُتسـلِّطِ . وكما تعلمون ، فإنَّ المشروعَ كُلَّه ذُو طبيعةٍ دقيقةٍ ومُعقَّدةٍ إلى أقصى حدٍّ ، خاصَّةً لِكونِ بِريطانيا العُظمى على الرغمِ مِن أنها تُريدُ الخيرَ لِلمُسـلِمين ولِلأُمَّةِ العربيةِ حريصةً جِـدًّا على احتِرامِ مشـاعِرِهم القبليةِ والدينيةِ . وهذا هو السـببُ الذي حدا بها إلى العمـلِ من وراءِ السِّـتارِ من أجلِ تحقيـقِ مطامِحِهم في تحرُّرِ أنفسِـهم من عُبوديةِ الأتـراكِ وليُحـرِزوا اسـتِقلالَ بِلادِهـم التامَّ . وبمـا أنَّ الأميرَ الشـريفَ هو في نظرِ العربِ أقوى وأشـرفُ الأمراءِ ، فإنَّ بِريطانيا مُستعِدةٌ لِتقديمِ كُلِّ مُساعدةٍ ممكنةٍ له . وهذا هو السـببُ الذي دفعني لِمُحاولةِ المُراسـلةِ معَكم ، ولكي أستوضِحَ مِنكم عن أسلمِ الطُّرُقِ لِتأمينِ ما تُريدون ، ولا حاجةَ بي لِلقَولِ إنَّ الغايةَ الأولى مِن هذه المُحـاولاتِ تسـتهدِفُ أولًا راحةَ المُسـلِمين وحمايتَهم ، وترمـي ثانيًا لِلمُحافظةِ

على شرفِ الخِلافةِ الإسلاميةِ وقُوتِها ، وثالثًا لِمُعاضدةِ العربِ مِن أجلِ المُحافظةِ على وحدةِ بلادِهم وصفائِها . وانطِلاقًا مِن ثقتِنا بِأَنَّكَ الرجُلُ الوحيدُ الذي تمتلِكُ القُدرةَ على النُّهوضِ بِالقضيةِ العربيةِ وإنجاحِها ، فإِنَّنا أوضحْنا تمامًا لِلمسئولِين هُنا كُلَّ ما نعرِفُه .

إِنَّنا معَ عربٍ ومُسلِمين كثيرين لا نستطيعُ أن نرى رجُلًا آخرَ يمتلِكُ المواصفاتِ والمزايا اللازمةَ لِنَيلِ هذا الشرفِ أكثرَ مِن شخصِكمُ الشريفِ : في المعرِفةِ والخبرةِ وشرفِ المحتدِّ والمقدِرةِ . ولا يستطيعُ رجُلٌ عاقِلٌ القولَ إِنَّ العملَ يمثِّلُ عصيانًا يضُرُّ بِمصالِحِ المُسلِمين ، على العكسِ ، فإِنَّ المُسلِمين سيعتبرونه أقدسَ واجبٍ لِخِدمة مصالِحِ الدينِ . إِنَّك لن تعملَ سِوى المُدافعةِ عن حُقوقِكَ المشروعةِ التي اغتُصِبَت وحُقوقِ أُمَّتِكَ وجميعِ المُسلِمين .

لقد أُعطِيَت لي أقوى التأكيداتِ بِأنَّ بِريطانيا العُظمى لن تتدخُلَ في الشُّئونِ الداخليةِ لِلبلادِ العربيةِ أو الخِلافةِ العربيةِ ، ولكِنَّها ستبذُلُ كُلَّ ما في وُسعِها كما أسلفَتُ لِمُساعدةِ الدَّولةِ العربيةِ معنويًّا ومادِّيًّا ، حتَّى تنهضَ وتأخُذَ مكانَها اللائقَ بَينَ الدولِ الأُخرى . ولم يبق إلَّا أن تقومَ الأُمَّةُ كُلُّها قومةَ رجُلٍ واحِدٍ ، وأن يتَّحِدَ الزُعماءُ العربَ جميعًا بِحَيثُ يُضحِّي كُلُّ واحِدٍ مِنهم بِمطامِعِه الشخصيةِ مِن أجلِ مُعاضدةِ الرجُلِ الأوَّلِ في الأُمَّةِ بِالنسبةِ لِشرفِ محتدِّه ... إلخ . وأنَّ بِريطانيا العُظمى ستكونُ أوَّلَ دَولةٍ معَ حُلفائِها تعترِفُ بِاستقلالِ الحُكومةِ العربيةِ ، وسوفَ تُدافِعُ عن هذا الاستِقلالِ ضِدَّ أيِّ عُدوانٍ أجنبيٍّ ، حتَّى تتمكَّنَ مِنَ النُّهوضِ وتُصبِحَ عزيزةَ الجانِبِ وتأخُذَ مكانَها الصحيحَ بَينَ الدُّولِ وتكسِبُ احترامَها . كُلُّ هذه الحقائقِ أكدَّها ليَ المسئولون ، وتبادرَ لِذِهني أن أُبلِّغَكم بِمضمونِها ، حتَّى تستطيعُوا تقديرَ المَوقِفَ كُلَّه تقديرًا واضِحًا ، ولكي تعرِفُوا الأسبابَ المُهِمَّةَ التي

دفعَتْني لِلكِتابةِ إلَيكم بِشأنِ هذهِ المسألةِ ذاتِ الأهميةِ الكُبرى .

لقـد أرادُوا أن يقولُـوا : إنَّه حتَّى يأتيَ اليومَ الذي تُؤسَّـسُ فيـه الحُكومةُ العربيةُ ، فإنَّ أيةَ مسألةٍ أُخرى تُعتبَر في الدرجةِ الثانيةِ مِنَ الأهميةِ . وعِندَما تُؤسَّسُ الحُكومةُ العربيةُ ، فيكونُ مِنَ السهلِ عِندَ ذلِكَ الاتِّصالُ بِرئيسِها والتوصُّلِ إلى اتِّفاقٍ يضمنُ مصالِحَ الفريقين . هذا معنى ما قالُوه لكم سابِقًا بِشأنِ تأجيلِ بحثِ هذه المسائلِ . لقد أوضحوا كُلَّ هذا لي . أجلْ ، إنَّه لَصحيحٌ جِدًّا أنَّ إنشاءَ دَولةٍ عربيةٍ جديدةٍ أمرٌ صعبٌ في بادئِ الأمرِ ، ولكنَّه لن يكونَ صعبًا أكثرَ مِنَ اللازمِ لِرجُلٍ حكيمٍ ومُقتدِرٍ مثلُكـم أن يوحِـدَ كلمةَ الزُّعمـاءِ والأُمراءِ وكِبارِ الشـيوخِ بَينَ العـربِ ، مثل الإمامِ يحيى والإدريسيِّ وأُمراءِ نجدٍ وتُهامةَ والمناطِقِ الأُخرى .

وبعـدَ أن حصلْنا علـى كُلِّ هذه التأكيـداتِ المُهِمَّةِ مِـنَ الدَّولةِ الوحيـدةِ القادِرةِ على مُساعدتِنا في الوقتِ الحاضِرِ وفي المُستقبلِ ، تعلمون ولا شكَّ أنَّ الضرورةَ تقضي بِتحقيقِ الوحدةِ بَينَ العربِ في سبيلِ قضيةٍ عظيمةٍ ومُهِمَّةٍ كهذه . اهـ .

ومِن رِسالةٍ مِن مكماهونَ إلى وِزارةِ الخارجيةِ بِلندنَ ص٦٢٤ :

وعلَينا أن نتذكَّرَ مرَّةً أُخرى أنَّ الحركةَ العربيةَ الحاضِرةَ قائمةً على أُسُـسٍ قَوميةٍ أكثر مِنَ الأُسُـسِ الدينيةِ ، وتختلِفُ كثيرًا عن حركةِ الجامعةِ الإسـلاميةِ التي تأنفُ الجماعةُ العربيةُ مِنَ العطفِ علَيها .

ثُمَّ يقولُ : وعلَينا إخبارُه بِأنَّنا ، لِأجلِ تسـهيلِ جُهودِه في قضيتِنا المُشتركةِ ، نقومُ بِإرسـالِ بعضِ المبالِغِ إلَيهِ « مُنذُ وَقفِ إعاناتِ الحُكومةِ العُثمانيةِ لِلشـريفِ أصبحَ فـي حاجـةٍ ماسَّـةٍ لِلمُحافظةِ على مكَّـةَ والمدينةِ ولِلمُحافظـةِ على قُواتِـه . إنَّه مِنَ

المرغوبِ فيه جِدًّا أن نساعدَه بِسخاءٍ ، وأقترِحُ تخصيصَ مِنحةٍ قدرُها ٥٠ .٠٠٠ جُنيهٍ بِأقساطٍ حسبما تتقدَّمُ الأُمورُ . ولِأجلِ أن يكونَ المبلغُ فعالًّا فإنَّه يجِبُ أن يكونَ كبيرًا ، والقسمُ الأَكبرُ مِن أيةِ أموالٍ نُعطيه إياها سيجِدُ طريقَه إلى موانئِ تِجارتِنا نفسِها » .

ومِن ردِّ مكماهون على الشَّريفِ ص٦٥٠ :

وقد يسُرُّني أن أُخبِرَكم بِأنَّ حُكومةَ جلالةِ الملِكِ صادقَت على جميع مطالِبِكم وإنَّ كُلَّ شيءٍ رغِبتُم الإسراعَ فيه وفي إرسالِه فهو مُرسلٌ معَ رسولِكم حامِلِ هذا . والأشياءُ الباقيةُ ستحضُرُ بِكُلِّ سُرعةٍ مُمكِنةٍ ، وتبقى في بُور سُودانَ تحتَ أمرِكم لحينِ ابتِداءِ الحركةِ وإلاغنا إياها بِصورةٍ رسميةٍ « كما ذكرْتُم » وبِالمواقِع الَّتي يقتضي سَوقُها إلَيها والوسائطِ التي يكونونَ حامِلينَ الوثائقِ بِتسليمِها إيَّاهم .

إنَّ كُلَّ التعليماتِ التي وردَتْ في مُحرِّرِكم قد أعلمَنا بها مُحافِظَ بُور سودانَ ، وهو سيجريها حسبَ رغبتِكم ، وقد عملْتُ جميعَ التسهيلاتِ اللازِمةِ لإرسالِ رسولِكم حاملِ خِطابِكُمُ الأخيرِ إلى جيزانَ حتَّى يُؤدِّيَ مأموريَّتَه التي نسألُ اللَّهَ أن يُكلِّلَها بِالنجاحِ وحُسنِ النتائجِ ، وسيعودُ إلى بُور سودانَ وبعدَها يصِلُكم بِحِراسةِ اللَّهِ لِيقُصَّ على مسامِعِ دَولتِكم نتيجةَ عملِه .

وننتهِزُ الفرصةَ لِنوضِّحَ لدَّولتِكم في خِطابِنا هذا ما رُبَّما لم يكُنْ واضحًا لديكم ، أو ما عساه ينتُجُ عنه سوءُ تفاهُمٍ ، ألا وهو أنَّه يُوجَدُ بعضُ المراكِزِ أو النُقطِ المُعسكِرةُ فِيها بعضُ العساكِرِ التُّركيةِ على سواحلِ بِلادِ العربِ ، يُقالُ : إنَّهم يُجاهِرون بِالعداءِ لنا ، والذين هم يعملون على ضررِ مصالِحِنا الحربيةِ البحريةِ

فـي البحرِ الأحمرِ . وعليـه نرى أنَّ مِنَ الضروريِّ أن نأخذَ التدابيرَ الفعالةَ ضِدَّهم. ولكِنَّـا قـد أصدرْنـا أوامِرَنـا القطعيةَ أنَّه يجِـبُ على جميـعِ بوارِجِنا أن تُفـرِّقَ بَينَ عسـاكِرِ الأتـراكِ الذين يبدؤون بِالعـداءِ وبَينَ العربِ الأبرياءِ الذين يسـكُنون تِلكَ الجِهاتِ ، لِأنَّنا لا نُقدِّمُ لِلعربِ أجمعَ إلَّا كُلَّ عاطِفةٍ وُدِّيةٍ .

وقد بلغَتنا إشاعاتٌ مؤدَّاها أنَّ أعداءَنا الألِداءَ باذِلون جُهدَهم في أعمالِ السُّفُنِ ؛ ليبثـوا بها الألغامَ في البحـرِ الأحمرِ ولِإلحاقِ الأضـرارِ بِمصالِحِنا ، وإنَّا نرجوكم سُرعةَ إخبارِنا إذا تحقَّقَ ذلِكَ لديكم .

وقـد بلغَنا أنَّ ابنَ رشـيدٍ قد بـاعَ لِلأتراكِ عددًا عظيمًا مِنَ الجِمالِ ، وقد أُرسـلَت إلى دِمشقِ الشامِ ، ونُؤمِّلُ أن تستعمِلوا كُلَّ ما لكم مِنَ التأثيرِ علَيهِ ؛ حتَّى يكُفَّ عن ذلِـكَ ، وإذا مـا صمَّمَ على ما هو علَيهِ أمكنكم عملَ الترتيبِ معَ العُربانِ السـاكنين بينَه وبَينَ سُوريَّا أن يقبِضوا على الجِمالِ حالَ سَيرِها ، ولا شكَّ أن في ذلِكَ صالِحًا لِمصلحتِنا المُتبادلةِ .